تفسير
التسهيل

لبيان آيات من التنزيل

الربع الرابع من القرآن الكريم

للأستاذ الشيخ
يونس بن علي بن شعبان

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
الطبعة الثالثة: 2020
طبع: المطبعة العصرية – تونس
تنفيذ واخراج: خيرية بروق
ر.د.م.ك : 2 - 881 - 40 - 9938 - 978

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

(الواقعة)

بسم الله الرحمان الرحيم
والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن فكان قانونا معصوما، يعِظ المسيئ ويبشّر المؤمنين. أنزله على أفضل خلقه محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الأطهار، المهاجرين والأنصار، الرّحماء بينهم، الأشدّاء على الكفار. قال الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

عن عليّ كرّم الله وجهه، قال: «قال رسول الله ﷺ كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصْل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصَمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثره الردّ، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح، ومن دعا إليه هُدِيَ إلي صراط مستقيم».

قال معمر بن عبيدة المثني: «نزل القرآن بلسان عربي مبين، فلم يحتج السّلف الصالح ولا الذين أدركوا النبي ﷺ، أن يسألوا عن معانيه – لأنهم كانوا عرب الألسن».

قال ابن خلدون: «إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه». المقدمة

إن العرب الخُلّص، الذين نزل القرآن بلغتهم، يفهمون معاني تراكيبها، ومع ذلك فقد احتاجوا إلى بيان من رسول الله ﷺ.

قال أبو عبد الرحمان السلمي: «حدثنا الذين يقرئوننا القرآن من الصحابة

– كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود – أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوا، حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا». مقدمة الكشاف.

يقول السيوطي، في كتاب الإتقان 2: «إذا كان العرب الخلّص احتاجوا إلى التفسير، فنحن أوْلى وأحْوج، نحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة».

علم التفسير

قال الزركشي: «التفسير، علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزّل على نبيّه ويبيّن معانيه وأحكامه وحِكمه بالإستعانة على ذلك بعِلوم اللغة والنّحو والتصريف وعِلم البيان وأحوال الفِقه والعقيدة والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ».

وعرّف الرازي التفسير، بأنه: «عِلم يُبحث فيه عن مراد الله سبحانه وتعالى من قرآنه المجيد».

وقال التفتزاني– وهو من علماء البلاغة والبيان –: «إن التفسير، هو العلم الباحث عن أحوال ألفاظ كلام الله تعالى من حيث الدلالة على مراد الله».

– تفسير القرآن بالقرآن: أعظم وأزكى تفسير كتاب الله لكتاب الله تعالى، فكثير من الآيات الغامضة انكشف به غموضها.

– تفسير القرآن بالسنة: أعلى درجات التفسير تفسير محمد ﷺ، ذلك لأنه أعلم الناس بمقاصد التنزيل، وأن تفسيره وحْي يوحى، وهو المأمور ﷺ بتبيانه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾ النحل.

– تفسير الصحابة: تفسير الصحابة مروي بصفة مباشرة عن رسول الله ﷺ بسند صحيح. إنهم كانوا يستفتونه فيما يجهلونه وكثير منهم الذين

علِموا وعمَلوا وبلّغوا عنه، وكانوا معه جماعات وفرادى في حلّه وترحاله، هداة مهتدين بكتاب الله وبحِفظه في الصّدور. وإنّ ملازمتهم للرسول ﷺ، أسعدتهم بمعرفة البيان الواضح لجميع الخفايا. إن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يتسابقون إلى جمْع كل ما سمِعوه من رسول الله ﷺ وعلّموه الناس.

قال الصحابي عبد الله بن مسعود – الذي كان ملازما للرسول ﷺ وأعزّه الله تعالى بخدمة الرسول ﷺ – قال رضي الله عنه: «والذي لا إلاه غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله منّي تناله المطايا، لأتيْته».

ومن فضائل الصحابة الممتازة، أنّهم كانوا لا يقولون في كتاب الله ما لا يعلمون. روى ابن كثير بسنده عن شعبة رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر الصّديق رضي الله عنه: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

وروي عن عمر رضي الله عنه: «ألا فاتّبعوا من كتاب الله ما وَضح لكم، وقِفوا عمّا أشكل عنكم». وإن أصحاب النبي ﷺ، رضي الله عنهم، كانوا أرسخ الناس قِدما في التفسير، وفيهم الخلفاء الأربع وابن مسعود وابن عباس وأبَيُّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن زبير.وكانوا يتهيّبون كثيرا من القوْل في القرآن بما لا يعلمون. ومن أبرزهم سيدنا عبد الله بن عباس، ذلك لأنّ رسول الله ﷺ، دعا له الله أن يفقّهه في الدّين ويعلمه التأويل. ورغم ثقته في عِلمه، كان لا يستحِل تفسير القرآن بالرأي.

– تفسير التابعين: من مصادر التفسير، أقوال التابعين – تلامذة الصحابة رضي الله عنهم – وقد تعاملوا مع القرآن، تعامل الخلف الصّالح للسّلف الأمين . وقد كانت في عهد التابعين، مدارس للتفسير وكل مدرسة تنتسِب إلى صاحبها:

كانت مدرسة ترجمان القرآن الفقيه في الدّين الصّادق في التأويل، ابن عباس رضي الله عنه. ومن أشهر تلامذة هذه المدرسة: مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، وهم من أهل مكة.

ومدرسة عبد الله بن مسعود. ومن تلامذته ابراهيم النخعي والشعبي. وتوالت من بعدهم، مدارس متفرعة تستنير بأنوار التابعين، في مختلف عواصم الخلافة .

هذا وقد جاء في الأثر: أن من مصادر التشريع، أقوال التابعين ما لم يختلفوا.

– المدارس العلمية بعد التابعين: نشأت مدارس علميّة في أنحاء الخلافة، برز فيها علماء، فكانوا خلفا لخير سلف . وتتلمذ عليهم جيل التأليف.

وفي القرن الثالث الهجري، قيّض الله لتفسير كتابه، عَلما من أعلام التفسير: أبا جعفر محمد بن جرير الطبري. ولد بطبرستان سنة 224 هـ. لقد جمع ما بدا له على سند صحيح من القول الصحيح. وظل كتابه – جامع البيان عن تأويل أي القرآن – مرجعا للمفسّرين بعده.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور – في التمهيد لتفسيره التحرير والتنوير– :«والتفاسير، وإن كانت كثيرة، فإنّك لا تجد الكثير منها إلاّ عالة على كلام سابق، بحيث لا حظّ لمؤَلفه إلاّ الجمْع، على تفاوتٍ بين اختصار وتطويل».

وإذ قد علمت أن التفاسير كثيرة والكثير منها عالة على كل سابق، أقدمت على ما أراد الله أن يكون استجابة لمطلب طلبة، إثر درس تفسير يوم الجمعة، رجوا مني أن أعد تفسيرا مبسّط الأسلوب واللغة لآيات من القرآن الكريم، يقرّب لهم فهم ما يغمض عليهم عند القراءة، ولاموا على كثير ممن يعرفون درجاتهم من العلم تقصيرهم، وفيه تعريض بالذنب لمن يكتم علما وذلك بإلْغاء الحفظ أو التدريس أو التعليم.

آنذاك أدركت في قولهم موعظة، فأقدمت على تفسير الربع الرابع من القرآن الكريم، أسميته «التسهيل لبيان آيات من التنزيل». أقدمت على هذا الأمر العظيم مستعينا بالله وملتزما بأن لا أكتب نصّا إلا بعد الاطلاع على مجموعة آراء للسّادة العلماء الفضلاء، الذين قدّموا تفاسير عالية المقام مثل: تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور رحمه الله، وتفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي، وتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للعلامة جار الله محمود بن عمرالزمخشري. وسلكت في تحريره طرائق السابقين واجتهدت لتقريب المعنى للطالبين ما استطعت.

ولعلمي أن هذا الميدان عرضة للأخطاء والغلط، بذلت جهدا لتفاديها، راجيا من الله تعالى أن يتفضل عليّ بأجر المصيب إنّه سميع مجيب، وأن يجعله سببا ينجّيني ونورا على الصّراط يسعى بين يديّ ويميني.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ... ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ إبراهيم

والحمد لله رب العالمين

الشيخ يونس بن علي بن شعبان

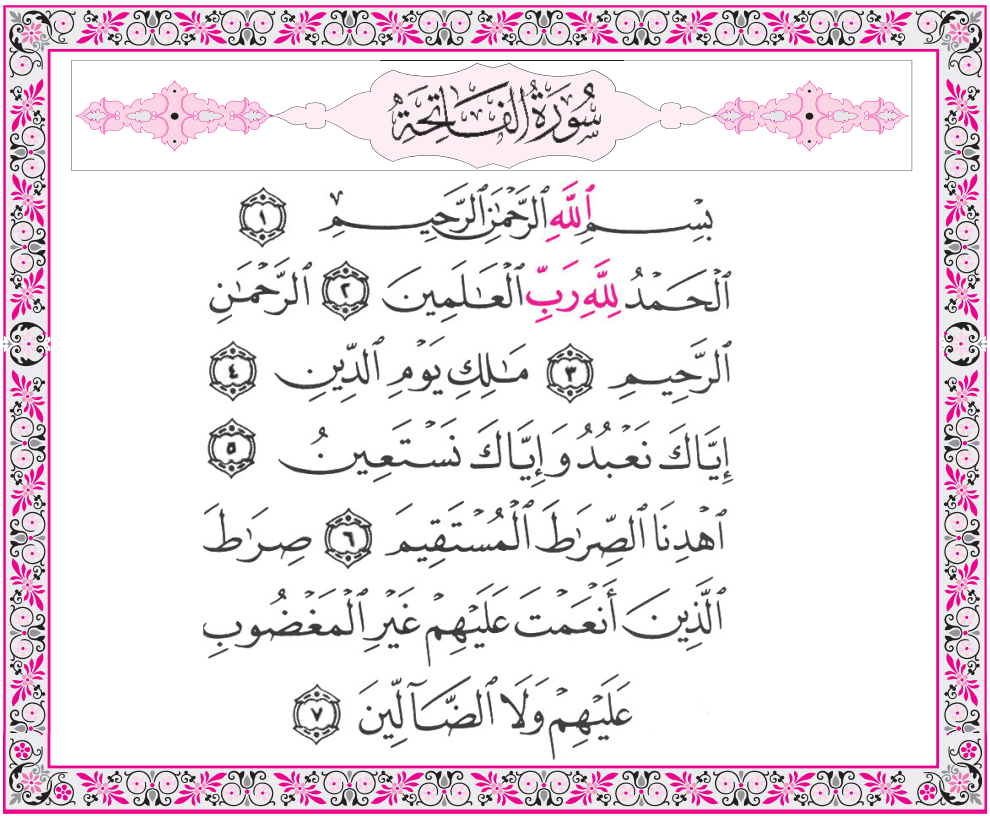

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ افتتح بها الصحابة رضي الله عنهم كتاب الله. عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وقال البخاري في أول كتاب التفسير: «وسمّيت أم الكتاب لأنها يبدأ بقراءتها في الصلاة» وقال الجصاص في كتابه أحكام القرآن: «إن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ تتضمن أحكاما منها:الأمر باستفتاح الأمور بها للتبرّك بذلك، والتعظيم لله عزّ وجلّ، وذكرها على الذّبيحة، وطرد الشيطان لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا سمّى العبد على طعامه لم ينل منه الشيطان وإذا لم يسمّه نال منه معه».

وفي قراءتها إظهار لمخالفة المشركين الذين يفتتحون أمورهم بذكر الأصنام أو غيرها من المخلوقين الذين كانوا يعبدونهم، وقارئها بتدبّر يثبت بأنه منقطع

إلى الله ويلجأ إليه، ويقرّ بالألوهية، ويعترف بالنعمة ويستعين بالله عز وجل ويعبده، وفيها اسمان من أسماء الله المخصوصة به لا يُسمّى بها أحد غيره وهما: الله والرحمان.

سورة الفاتحة، هذه السورة الكريمة، وهي السبع المثاني، احتوت على حمد الله والثناء عليه، وعلى ذكر يوم الميعاد، وإرشاد العباد إلى التضرع إلى الله وإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى، وعلى سؤال الله تعالى الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الدين القيّم طريق الذين أنعم الله عليهم بالهدى والرضا، كما اشتملت على التحذير من سلوك طريق الكفر والشّرك والضّلال.

روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم» قال تعالى في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ ...

وعن أبيّ ابن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي ﷺ أمّ القرآن فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل مثلها ولا في الزّبور ولا في الفرقان مثلها هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى قسّمت هذه السورة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله ذكرني عبدي، وإذا قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال الله تعالى حمدني عبدي، وإذا قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ قال تعالى أثنى عليّ عبدي، وإذا قال ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ قال مجّدني عبدي وإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ يقول الله هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ وهذه لعبدي ولعبدي ما سأل».. رواه الدارقطني والبيهقي.

ومعنى حمدني عبدي: شهد لله بأنه عظيم الفِعال. ومعنى مجّدني عبدي: شهد العبد لله بأنه ذو الجلال والإكرام.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هذا شكر لله تعالى وإقرار له بنعمته وهدايته وهو

الثّناء بالقول على المحمود.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ صفتان تشملان صفات الله الذاتية والفعلية، وإنهما مشتقتان من كلمة الرّحمة وهي تشمل معاني حبّ الإحسان وحبّ الخير للغير. وكل من صفتي الرحمان والرحيم دالة على المبالغة في اتصاف الله تعالى بالرحمة، وإن الرحمان أبلغ من الرحيم بناء على أن زيادة المبنى تُؤذن بزيادة المعنى فهو يرحم المحتاجين في الدنيا والآخرة بمعظم رحماته الجليلة بطريق الرفق والتّيسير ونفْي الحرج.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ هو المنفرد بالملك وبجزاء العباد وحسابهم يوم القيامة هو المالك للملك كله في الدارين وما فيهما ومن فيهما، وهو ربّ لكل من سواه.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ العبادة فعل ما يُرضي الله تعالى من خضوع لأوامره واجتناب لنواهيه، فهي الإمتثال لأحكام الشريعة كلها. والمعنى: نخصّك يا الله بالعبادة فلا نعبد أحدا سواك.

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الاستعانة طلب تسهيل فعل شيء يعسر على المستعين وحده. والمعنى نستعين بك على طاعتك لننال رضاك. روى ابن كثير عن قتادة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ أي يأمركم الله أن تُخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أمور دينكم».

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ أي أرشدنا إلى المعارف الصالحات كلها من قول وعمل ونيّة واعتقاد لفهم كتاب الله تعالى والعمل به. والهداية في الشرع هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير كلّه طاعة لله ورسوله ﷺ.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بيان للصراط المستقيم وبدل منه ومفسّر له. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين».

قال تعالى في سورة النساء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود. قال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ

يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ...﴿١١٢﴾﴾.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ المشهور أن الضالين هم النصارى الذين ألّهوا عيسى عليه السلام.

قال تعالى في سورة المائدة ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

ضلوا لأنهم بالغوا في دينهم بإطراء عيسى عليه السلام حتى أخرجوه من حيّز النبوّة إلى مقام الألوهية فكان فريق منهم من الضالين.

إن في خواتم سورة الفاتحة نمطا من أنواع التعظيم والتمجيد لله تعالى وتفويضا لأمر الله في إسلام واستسلام وطاعة وخضوع.

وفي قراءة سورة الفاتحة في تدبّر لمعانيها وفي عزم على مجاهدة النفس وفي مثابرة على صالح الأعمال، سبيل للهداية إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

والحمد لله رب العالمين

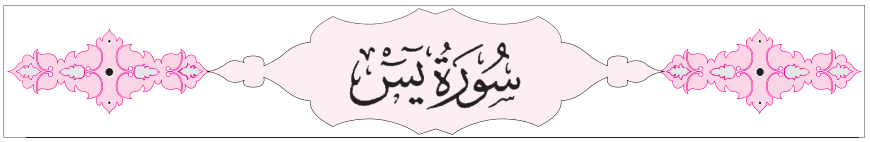

سُورَةُ يٰسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾
وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ

إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُم
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾
۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ

﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾
وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ

﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ
عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ
نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ
إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾

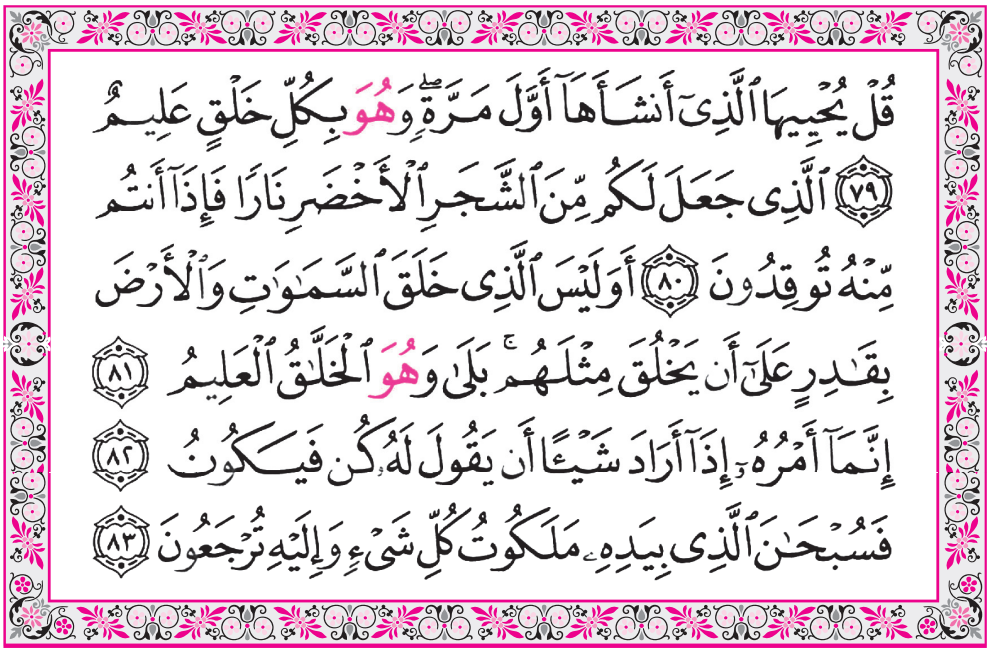
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة يسّ مكية ابتدئت بالقسم بالقرآن الكريم منوّهة بإعجازه وبمحكم آياته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من لدن العزيز الحكيم وأثبتت للرسول ﷺ الرسالة العظمى تبشّر بأنّه على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بشهادة القرآن الكريم المنزّل من لدن حكيم عليم فيه إنذار للمخطئ وتأييد للمصيب.

وفي السورة: – دعوة ملحّة لإيقاظ الغافلين. – تعداد لآيات الله العظمى التي تدلّ على عظمة الله تعالى وعظيم خلقه للأكوان. – وجمعت بشائر لطيفة للمؤمنين أصحاب الجنة وتهاني للخالدين فيها بأن لهم فيها فاكهة ولهم فيها ما يدّعون. – وفي السورة تهديد لمن يتّبع خطوات إبليس إذ أنّه يستهزئ بما جاءت به الرسل عليهم السلام. – وتأكيد بأن عاقبة المستهزئين الخلود في العذاب الأليم.

وتختم السورة بآيات تؤكد بأن الله تعالى عالم الغيب والشهادة، فعالّ لما يريد، فهو سبحانه جلّ وعلا خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير وأنّه سبحانه وتعالى بيده الملك، إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون..

﴿يسٓ ۝١﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كلمة أصل لفظها المستعمل: يا إنسان»

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ القرآن اسم لكتاب الله الموحى به إلى رسول الله محمد ﷺ المُعجز المُتعبَّد بتلاوته..

﴿ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ هو الكتاب الشامل لأحكام متقنة.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ هذه الآية شهادة للنبي ﷺ بأنّه رسول مرسَل من عند الله تعالى..

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾ أي إنّك يا محمد بفضل الله تعالى عليك، مُوفّق ماض على طريق الهداية المرضاة ..

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ القرآن منزَّل من عند الله تعالى العزيز في ملكه الرحيم بخلقه وهو أرحم الراحمين..

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ لتُنذر يا محمد أهل مكة وما حولها لسُبل الهداية ولتدعوهم لاتّباع الشريعة الحقَ ولتوقظهم من غفلتهم ليستقيم سلوكهم..

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧﴾ أخبر الله تعالى الرسول ﷺ بأنّ قومه قليل منهم آمنوا وغيرهم كافرون. قال ابن جرير الطبري: «المعنى: لقد وجب العذاب على أكثرهم وأن الله تعالى قد ختم عليهم في أمّ الكتاب أنّهم لا يؤمنون»

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨﴾ الأغلال حلقة عريضة من حديد تحيط بالعنق فتجعل المغلول ناظرا دائما إلى ما فوقه كالمشنوق لا يتحرّك. أي إنّ الذين لا يؤمنون، جعل الله تعالى لهم عذابا شديدا مُهينا..

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ جعل الله للذين لا يؤمنون ورفضوا دعوة الحق عذابا شديدا، يتمثل في سدّين الواحد كالجدار الثابت أمام من يعذّب والثاني من الوراء فيصير المعذّب عاجزا لا يستطيع التحوّل: وذلك من أشدّ أنواع العذاب للكافرين..

﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ وجعل لهم غشاوة على قلوبهم وأبصارهم وذلك

جزاء للمتكبّرين..

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾ أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بأنّ الإنذار والتحذير من عذاب الله لا ينفع العصاة المتكبّرين الغاوين، وأنّهم هم أصحاب الخلد في النار وأمّا من يتّبع الذّكر فجزاؤه مغفرة وأجر عظيم.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾

يُحيي الله سبحانه وتعالى الموتى يوم القيامة. قالا بن عاشور: «والإمام المبين هو ما يعبّر عنه بصحائف الأعمال التي يسجّلها الكرام الكاتبون»

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن القرية، مدينة أنطاكيا، كان لها ملك يعبد الأصنام فبعث الله إليه ثلاثة رسل فكذّبهم الملك وقال لهم: لو كنتم رسلا لكنتم ملائكة». وتحقيق القصة، أن عيسى عليه السلام لم يدع إلى دينه غير بني إسرائيل، ولم يكن الدين الذي أرسل به إلا تكملة لما اقتضت الحكمة الإلاهية إكماله من شريعة التوراة، ولكنّ عيسى أوصى الحواريين أن لا يغفلوا عن نهْي الناس عن عبادة الأصنام، فكانوا إذا رأوا رؤيا أو خطر لهم خاطر بالتوجّه إلى بلد من بلاد إسرائيل أو ممّا جاورها أو خطر في نفوسهم إلهام بالتوجّه إلى بلد، علِموا أنّ هذه هداية من الله لتحقيق وصية عيسى عليه السلام..

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ أكّد الرّسل أنّهم مرسلون ناصحون وأنّ مهمّتهم التبليغ والإرشاد البيّن..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ زعم الكافرون أنّهم تطيّروا بالرسل الدعاة وأنّهم مصدر شؤم لهم وسوء حالهم ..

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ قال أهل المدينة للرسل: إنّه نشأ من حضوركم بيننا شؤم وفتن، انصرفوا عنّا وإلا لنرجمنّكم رميا بالحجارة..

﴿قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ فأجابهم المرسلون: بأنّهم جاؤوا ليصلحوا عقيدتهم ولتحسين حالهم وإن تطيّرهم لم يكن من حضور النّاصحين بينهم بل كان سببه ظلمات جهلهم وطغيانهم..

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ ورد في الكشاف: «رجل يسعى: هو حبيب ابن إسرائيل النّجار، كان ينحت الأصنام وهو ممّن آمن برسول الله قبل بعثته». ذكر القرطبي قصة توضّح واقعية هذا الحوار: كان حبيب رجلا سقيما مجذوما، يعكف على عبادة الأصنام، فدعا الرّسل راجيا أن يكشفوا ضرّه، فلمّا جاءه الرّسل، دعوه إلى عبادة التوحيد، فقال لهم: هل من دليل؟ قالوا: ربّنا قدير على كل شيء، ودعوا الله، فكشف الله ما به من ضرّ، فآمن..

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال الرجل الذي آمن لقومه: اتبعوا المرسلين الذين لا يسألونكم أجرا على ما ينصحونكم به، وإنّ الله هداهم للاهتمام بكم ..

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ قال الرجل المؤمن: إنّي ملتزم بعبادة الذي خلقني وهو الذي إليه المرجع والمصير فلا أتخذ شفيعا غيره.

قال تعالى ﴿..مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ..﴿٣﴾﴾ يونس.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ والمعنى: فاسمعوا قولي فاعبدوا الله وحده.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قال ابن عاشور: «إن هذا الرجل قد أدخل الجنة فهو شهيد..» والمعنى: ادخل الجنة مع الشهداء الذين تفضّل الله عليهم بغفران الذنوب وأكرمهم بحسن الجزاء وهو أكرم الأكرمين..

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ إنّما كان الانتقام الذي أصاب قومه المجرمين بصيحة واحدة من ملك، أهلكتهم جميعا.. وفي هذه الآية الكريمة تحقير لشأن الظالمين الكافرين.

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ الحسرة هي الندم على شيء فات. أي إنّ الناس الذين لم تنفعهم المواعظ ونداء الرّسل يكونون نادمين يوم القيامة..

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾ أي ألم يعلموا أن الله تعالى أفنى مخلوقات قبلهم ولم يرجع منهم أحد؟

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾ والمعنى: إنّ كل من عاش في جميع القرون من الزمن في مختلف العصور سيُحضرون مجتمعين يوم الجزاء والعقاب يوم لا ينفع مال ولا بنون !

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣﴾ الأرض الميتة بالجفاف، إذا أمطرت بإذن الله، يخرج منها نبات يأكله المخلوقات، كما سيخرج من الأرض يوم البعث الأموات.. وهذه آية من آيات الله العظيمة.

﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤﴾ ومن آيات الله الواضحة العجيبة إنبات الأشجار وإنبات أوراقها منها وتحويل أنوارها إلى ثمرات متنوّعة مختلفة اللون والطعم، وإن كلها تسقى من عين جارية فجرها الله تفجيرا..

﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ ثمرا مختلف الطعم والنّفع..

﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥﴾ والمعنى: وكل ذلك من خلق الله تعالى وإبداعه، وما يصنع الإنسان من ذلك شيئا والله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير..

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ خلق الله تعالى من كل شيء أزواجا، من قوى تناسلية عجيبة، ممّا تنبت الأرض ومن الأنفس على اختلاف أنواعها، سبحانه ليس كمثله شيء وهو الخلاق العليم..

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ هذه الآيات تدل على

قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى....

– وفي كل شيء له آية ** تدل على أنّه الواحد –

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ ومن آيات الله العجيبة السّفن على اختلاف أحجامها تحمل أثقالا فلا يعجزها مصارعة الأمواج ولا أخطار وزوابع البحار، يتحكّم فيها الإنسان بمهارة.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قال ابن عباس «ممّا خلق الله للركوب: الإبل وأنواع أخرى كالخيل والبغال والفيلة»

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ قال ابن كثير: «الذين في السّفن لا صريخ لهم ولا مغيث لهم ممّا هم فيه ،ممّا يحدث لهم من الزّوابع، ولا يُنقذون ممّا يصيبهم إلاّ برحمة من الله تعالى».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ قال مجاهد «أي لعلّكم ترحمون من الذنوب بالغفران»..

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وإذا قيل لهم اتقوا الله، أعرضوا ورفضوا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ وعن ابن عطية: «أن النبي ﷺ أمر المشركين بالإنفاق على المساكين في شدّة أصابت الناس فشح فيها الأغنياء على المساكين ومنعوهم ما كانوا يعطونهم»

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وإذ كان استهزاء الكافرين بالمسلمين الذين يتصدّقون على المحتاجين، أعلم الله تعالى الرسول ﷺ بأن الوعد حق والجزاء ثابت وأن الكافرين في ضلال عن فعل الخيرات وستصيبهم صيحة عذابا لهم تفاجئهم فلا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، مثلما أصاب أكابر قريش يوم غزوة بدر إذ قد هلكوا وما استطاع أحد أن يرجع إلى أهله ليطمئنه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ ينسل أي يمشي مشيا

سريعا. الأجداث أي القبور. والمعنى : إنّهم يمشون مسرعين إلى ساحة الحساب..

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال «إن الكافرين ينامون نومة في قبورهم قبل البعث فإذا استيقظوا يقولون من بعثنا من مرقدنا هذا؟ فيجيبهم المؤمنون «هذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون». وقريب من هذا المعنى قوله تعالى في سورة الروم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ .. ﴿٥٦﴾﴾.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ وعند صيحة واحدة من ملك، بأمر الله تعالى، يجتمعون يوم الجمع الذي لا ريب فيه للحساب. قال تعالى في سورة التغابن ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ .. ﴿٩﴾﴾.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ إن الحاضرين سيكون جزاؤهم على حسب أعمالهم، جزاء عادلا هو عدل الله سبحانه وتعالى..

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ أصحاب الجنة يتذاكرون كلاما يسرّهم، إنهم وأزواجهم في ظلال الجنة الوارفة متكئون على سرر مرفوعة يتمتّعون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ لهم في الجنة فواكه من أنواع مختلفة من كل ما يتمنّون وما يشتهون.

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ هذه الآية تحية وتهنئة لطيفة لأصحاب الجنة بفوزهم بالرضى وأكرم بها من تحية: هو قول لأهل الجنة يوجّه إليهم عن طريق الملائكة من لدن أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وهو أسمى وأعلى نوع من أنواع التكريم، هو تعظيم لشأنهم جزاء لهم بما عبدوه وأطاعوه وكانوا محسنين.

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ يوم الحساب، يأمر الله المجرمين بأن ينفصلوا عن المؤمنين وبأن ينصرفوا إلى سواء الجحيم..

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ لمّا فاز أهل

الجنة بنعيمها الدائم، توجّه الخطاب إلى الذين وسوس لهم الشيطان في قلوبهم واتّبعوا خطواته ونسوا ما أوصاهم الله به من الالتزام بالطاعة والتقوى، وبما نهاهم الله عن عبادة عدوّهم الشيطان وأكدت الآية بأنّه عدوّ لبني آدم عداوة واضحة أكيدة..

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ أوصى الله بني آدم أن يعبدوه عبادة على الصراط المستقيم، صراط الدين القيّم ..

﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ إنّ الخلق كلهم أدركوا خطر اتباع الشيطان، فلا تكونوا غافلين واحذروا مصير من يتّبع خطواته فإنّه للناس عدوّ مبين ..

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾ الخطاب موجّه للذين كانوا في دنياهم يكذّبون بوجود النار، يقال لهم: انظروا إلى أهوالها فهي مثوى المكذّبين..

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ ورد في الكشاف: «يروى أن من بني آدم مَن يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يُختم على أفواههم وتُكلّم أيديهم وأرجلهم بما كسبوا».

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾ طمس العين مسحها حتى تصير غير موجودة. ومعنى الآية: أنه لو شاء الله تعالى لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا !.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه «أي لمسخناهم قردة وخنازير».

﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾ وفي الكشاف: «أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يستطيعون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضيّ ولا رجوع»

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ والمعنى: إن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، خلق الإنسان ضعيف الجسد لا عقل له ولا علم، ثم يجعله يتزايد وينمو ويتكامل حتى يبلغ أشدّه، ثم يجعله يتناقص وينتكس حتى تصير حاله كحال الصبى، ثم يردّ إلى أرذل العمر..

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ القرآن ليس بشعر، وإنّما هو كلام الله تعالى، لا يخضع إلى موازين الشعر ويرفض الكثير من أغراضه، إن القرآن ذكر مبين يعلّم الغافلين والجاهلين.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ لتنبّه يا محمد من كان متهيّئا لإحياء قلبه بفضائل الإيمان، ولتنذر من كفر بما جاء في القرآن من البيّنات..

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ الأنعام تشمل الإبل والبقر والغنم والمعز. إن الله أحدث الأنعام وما كان لأحد أن يقدر على خلق مثلها، خلقها للإنسان وجعلها مطواعة ذليلة تنقاد إليه مقهورة مسخّرة، وجعلها ملكا له يأكل منها ويركب عليها ويحمل أثقالا عليها ويفلح عليها الأرض وجعلها زينة له يباهي بها..

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ خلق الله تعالى الأنعام لأجل الناس وجعلهم يتصرّفون فيها تصرف المالك في ملكه وهم لها قاهرون ولو أن الله لم يسخّرها لهم ما كانوا قادرين على الانتفاع بها.

قال شاعر: – ونضرب الوليدة بالهراوي ** فلا وليّ لها ولا نكير –

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وفي الأنعام منافع ظاهرة وباطنة خفية وأزكاها ألبانها، ولهذا الفضل العظيم أوجب الله تعالى على الإنسان الشكر والحمد حمدا كثيرا..

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ اتخذ الكافرون آلهة يعبدونها ويظنّون أنها قادرة على الشفاعة عند الله! وما علموا بأن الشفاعة لله وحده ولا يملك الشفاعة غيره إلا بإذنه وأن الله جعل للكافرين جندا ليعذبوهم ..

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ والله تعالى يعلم ما يسرّون في أنفسهم من العداوة والله سبحانه وتعالى سيجازيهم على ما أسروا وما أعلنوا وهو عليم بذات الصدور..

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ في هذه الآية الكريمة العجب من حالة الإنسان الذي خلق من سلالة من ماء مهين ولم يكن شيئا مذكورا، فلمّا بلغ أشدّه تطاول على عظمة الخالق جل وعلا وصار يحاججه ويستبعد أن يكون الله قادرا على إحياء الموتى، سبحانه وهو القادر على بعثهم من القبور خلقا جديدا..

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ أمر الله تعالى النبيأن يقول للمشركين، الذين يستبعدون أن يكون أحد قادرا على خلق الإنسان من جديد، أن يقول لهم كما قال في سورة الروم ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ هو شجر مخضرة أوراقه، إذا أخذ منه عود وسحق على آخر تنقدح منه نار.. ذلك من صنع الله سبحانه وتعالى بديع الخلق..

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

قال الشيخ ابن عاشور: «الأرواح تبقى حيّة والأجساد تفنى، والله قادر على أن يخلق لها أجسادا على مثل الصورة التي كانوا عليها في الدنيا» سبحان الله الذي خلق السماوات والأرض، وهو القادر على خلق أجساد للأرواح وهو أمر هيّن عليه، سبحانه الخلاّق العليم كما يشاء ويريد..

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال «إن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى يقول: يا عبادي كلّكم مذنب إلا مَن عافيت فاستغفروني أغفر لكم، وكلّكم فقير إلا مَن أغنيت، وإني جواد ماجد واجد، إذا أردت شيئا فإنّما أقول له كن فيكون»..

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ سبحان الله أي تنزّه الله عن

الندّ والمثيل. قال تعالى في سورة الملك ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

روى الترمذي في الشمائل بسنده :«أن رسول الله ﷺ قام ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ، قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة »..

قال الحافظ ابن حجر بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يسّ»

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا

لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ
ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا
ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ
تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ
عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ
ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ

عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى

ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا

فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا

لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سورة الصافات مكية – ابتدئت بالإخبار عن أنواع من الملائكة منها: الصافات صفوفا تتْلو ذكر الله، ومنها من تبلّغ رسالات الله تعالى للرسل. – وفي السورة الخبر عن أحوال المشركين وعاقبتهم السيّئة – وفيها إخبار عن جمع من الرّسل وذكر صراعهم مع الضّالين والمشركين.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾ هي صفوف الملائكة المصطفّة باعتبار مراتبها بالعالم العلوي.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾ هي الملائكة التي تسخّر أمثالها لتطبيق أوامر الله تعالى.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ ورد في التحرير قول النبي ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنّه سلسلة على صفوان،

فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الذي قال الحقّ»..

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما: إذا كان هذا أمر عظيم فإنّ خالقهما أعظم وأقدر وأحكم.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ المشارق أماكن طلوع الشمس وهي متعدّدة تعدّد الفصول وأكثر، والمغارب أمكنة غروب الشمس.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ إنّ السماء الدنيا تزدان بالكواكب زينة للنّاظرين وإمتاعا لهم. قال تعالى في سورة الحجر ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ إنّ الكواكب والنجوم ضياء وزينة للسماء، يهتدي بها الإنسان في ظلمات الليل برّا وبحرا، وجعل الله تعالى في السماء دروعا عظيمة لحفظ المخلوقات من كيد الشيطان الرجيم.

﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ إن الله تعالى أبطل سماع الشياطين إلى الملإ الأعلى وجعل في السماء حرسا يقذفون من يسترق السّمع، وانعزل كل شيطان عن التجسّس لالتقاط أخبار السماء، فاندحر كيد كل مارد ملعون.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ والمعنى: اسأل المشركين يا محمد عن رأيهم في خلق الله السماوات والأرض وما بينهما، أفمن كان منهم سليم العقل يبدو له أن خلق آدم من طين لازب أمر هيّن بالنسبة إلى خلْق الله، سبحانه وتعالى، الأكوان كلّها ؟؟.. إنّه سبحانه على كل شيء قدير.

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ إن النبي ﷺ قد عجب ممّا يفتري المشركون ومن فساد رأيهم وسخافة عقولهم، والأعجب أنّ الكافرين يسخرون بمن هو على حقّ مبين وهم في ضلالهم يعمهون.

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ إذا وعظهم واعظ بالقرآن لا يتدبّرون معانيه ولا يرغبون في الاستماع إليه.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ وإذا استمعوا إلى آيات تُعجزهم وتفحمهم تدلّ على

صدق رسول الله ﷺ، ينصرفون عنها ويتبادلون ألوانا من السّخرية ويتغامزون ويستهزئون.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ يشيرون إلى ما ظهر من معجزات: كحال الرسول ﷺ عندما ينزل عليه الوحي، والإخبار بما هم يجهلون: مثل انشقاق القمر والحديث عن البعث والمصير: مثل هذه المعجزات يسمّونها السّحر المبين.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾ إنهم يستهزئون بالإخبار عن الحياة بعد الموت وعن الحساب والجزاء ويستبعدون وينكرون وقوعه ويكذّبون بيوم الدين.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ قال الزمخشري: «أي أيبعث أيضا آباؤنا؟» وهذا استبعاد للأمر المنتظر.

﴿قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾ قل لهم بأن البعث والجزاء واقع لا شكّ فيه ويومها سيكونون مع المنكرين العصاة الأذلاء.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩﴾ قال القرطبي: «الزجرة هي صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور فيبعث بها من في القبور».

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠﴾ وقالوا: يا حسرتنا ويا فاجعتنا هذا يوم القيامة.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١﴾ قال ابن كثير: هذا يوم يُفصل فيه بين المؤمنين والكافرين. يوم المحشر، الناس طوائف: كل طائفة مع أخرى تشترك معها في نوع الذّنب، أصحاب الرّبا مع أصحاب الرّبا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر... وكلّ ينتظر مصيره.

وعن عمر رضي الله عنه قال: «مع إخوانهم ممّن يشتركون في الذّنب»

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾ يوم الفصل يأمر الله تعالى بجمع الظالمين والمجرمين للقضاء بينهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوم الفصل فيه يُجمع الظالمون ونساؤهم وأشباههم من العصاة جماعات جماعات، كل فوج من المشتركين في الذنب الواحد، كل طائفة معها معبودها من الأصنام والأوثان وكل طائفة تنتظر مصيرها». إنّه لمشهد رهيب: يوم

تسأل كل نفس عمّا كسبت في دنياها إن خيرا فخير وإن شرا فشرّ.
إنّه يوم يُؤمر فيه الملائكة بأن يعرّفوا المسؤولين الضالين طريق الجحيم، وبئس الطريق، ثم يُؤمرون بالوقوف الرهيب وهناك يسألون عن أفعالهم وما كسبوا في دنياهم.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي احبسوهم عند الصراط حيث نتوجّه لهم بأسئلة عن سوء ما فعلوا في دنياهم من السيّئات المنهي عنها، يشعرون بمذلّة لا تعلوها مذلّة، وتخرس ألسنتهم ولا يجدون نصيرا ينصرهم ويخفّف عنهم سوء الندم والخزي الأليم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي توجّه عامّتهم إلى رؤسائهم يلوم صغيرهم كبيرهم على ما أوقعوهم فيه من السيّئات وكانوا مغرورين: هو سؤال تلاؤم بينهم واستنكار.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ أي كنتم تدعوننا إلى الانصراف عن الحقّ وإلى اتّباع الضّلال.

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي قال لهم رؤساؤهم: نحن لم نمنعكم من الإيمان بل كفرتم باختياركم!. قال ابن كثير: «أي ليس الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منصرفة عن الإيمان قابلة للكفر والعصيان»

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي ما كنّا نجبركم على اتّباعنا.

﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي كان في قلوبكم فجور وميل للكفر واستعداد للعصيان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ قالوا: بما أنّنا كنّا طاغين غافلين كان جزاؤنا جزاء العصاة المذنبين.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي إنّنا زيّنا لكم الباطل وحبّبناه إليكم.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإنّهم يوم القيامة جميعا في عذاب النار مع من أغرّهم وأضلّهم لا مناص لهم منه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ فإنّ المجرمين الغاوين مع غيرهم، مشتركون في عذاب مهين.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إنّ المشركين عندما يُقال لهم أشهدوا بأن الله واحد لا شريك له، يترفّعون عن قول كلمة التّوحيد ويتمسّكون بالبقاء على شركهم، يتباعدون عن دين الحقّ.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ ويتساءلون معاندين ضالّين: كيف نترك عبادة الأصنام ونستبدلها بعبادة الله؟.. تبّا لهم إنّهم لفي ضلال مبين!.. لا إلاه إلا الله سبحانه، إلاه وخالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ المشركون أنكروا الرسالة ووحدانية الله ووصفوا الرسول ﷺ بأنّه شاعر! وما هو بشاعر بل جاء بالحق وصدّق المرسلين السابقين.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ إنّكم مُعذّبون أشدّ العذاب وذلك جزاء المستهزئين.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ انتظروا الجزاء عن سوء عملكم وبما كذّبتم الرسول وهوالصّادق الأمين.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أما عباد الله المخلصين له الدين، فإنّ لهم الأجر العظيم.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ هو العفو عن السيّئات والخلود في جنّة النعيم، لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم ولهم فيها ما يتمنّون.

﴿فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الفواكه هي الأطعمة المتنوّعة التي يتفكّهون بها تكريما لهم: إنّهم يكرمهم الله تعالى بالتمتّع بما يشتهون من اللّذات.

قال تعالى في سورة مريم ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ إنّهم في مقام كريم بالبساتين الواسعة وحسن منظرها وطيب رائحتها بالروح والريحان وثمارها الدائمة الشهيّة الخالدة المتجدّدة.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «يعني كل أحد قبالة الآخر» والسرير كرسي واسع يمكن الاضطجاع عليه.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿٤٥﴾﴾ قال ابن عباس: «كل كلمة كأس في القرآن معناها الخمر» والمعين هي عين جارية.

﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قال الحسن البصري: «خمر الجنة أشدّ بياضا من اللّبن.

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال ابن كثير: «نزّه الله تعالى خمر الجنة من الآفات التي هي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وذهاب العقل ..»

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾ إنّ نساء الجنة، حسان الأعين، عفيفات الأبصار، لا ينظرن لغير أزواجهن حياء. قال الشيخ ابن عاشور:«معنى بيض مكنون بيض النّعام وهو أبيض فيه صفرة».

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إنّ في الحديث مع الأصحاب في الجنة لذّة مشتهاة، موضوعه أحسن الذكريات يتبادلون خواطر المسرّات التي سرّتهم في دنياهم وخواطر تشجيع بعضهم لبعض على الإسلام وعن حسن عاقبة من هدى الله تعالى وعن سوء عاقبة من أنكر وارتدّ.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ التساؤل بين أهل الجنّة المتحابّين في الله فيما حدث لهم في الحياة الدنيا: إنّه كان في الحياة الدنيا يقول الكافر لصاحبه المسلم مشكّكا له في الإيمان بالله: هل تصدّق الخبر بذلك؟ يريد بذلك محاولة إرجاعه إلى الكفر، ولكن المؤمن كان ثابتا على إيمانه متيقّنا أن يوم القيامة آت لا ريب فيه.

﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ اطلع المؤمن باحثا عن مكان صاحبه الكافر: فرآه وسط الجحيم.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ هذا توبيخ المؤمن الذي في الجنة لصاحبه الكافر الذي في النار، الذي كان في الدنيا يحاول أن يضلّه ليترك دين الإسلام

ويستبدله بدين الكفر.. فهداه الله تعالى إلى الثبات على دين الحقّ بعد أن كاد أن يغترّ إذ لو اتّبع صاحبه لكان معه في الجحيم.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ يحمد المؤمن الله تعالى الذي نجّاه بهداية منه، ولولا أنّه هداه الله تعالى لكان حاضرا يشترك في العذاب مع الضّالين.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ عن ابن كثير قال قتادة: «هذا من كلام أهل الجنّة ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز يعمل العاملون في الدنيا ليفوزوا بالجنة في الآخرة».

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ شجرة الزّقوم طعام أهل النار وفاكهتهم.

حدّث القرطبي: «لو أنّ قطرة منها في بحار الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم فكيف بمن تكون طعامه!؟ وإذا عطشوا يشربون من ماء شديد الحرارة !».

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ اقتدوا بآبائهم الضّالين فكان عذاب الأبناء كعذاب الآباء: إنّهم أسرعوا إلى سوء العذاب جاهلين مصيرهم.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي إنّ أكثر الأمم السابقة ضلّوا وتمادوا على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أرسل الله تعالى فيهم رسلا يعظونهم، ولكنّهم تمادوا على ضلالهم معاندين مصرّين على كفرهم فساء مصيرهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ فانظر يا محمد، كيف كان عاقبة المكذبين بالرّسل: فويْل لهم فإنّ مردّهم إلى الجحيم وسوء المصير.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ضلّ الأوّلون إلاّ عباد الله الذين أخلصهم الله لعبادته. قال تعالى في سورة البيّنة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ النّعمة هي أن أنعم الله على نوح عليه السلام فنجّاه هو وأهله الصّالحين. والله تعالى نِعم المجيب للدّاعي إذا دعاه. والملاحظ، أن الله تعالى ذكر في هذه السورة سبع قصص من قصص الرّسل: قصة نوح وقصة إبراهيم وإسماعيل وقصة موسى وهارون وقصة إلياس وقصة لوط وقصة يونس عليهم الصلاة والسلام، هذه القصص جمعت أخبار الرسل الستّة مع أقوامهم وهي تؤكد بأنّ النصر للصابرين والهزيمة للكفر وأهله.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ أي نجّيناه من كل الأخطار التي توقّعها. ولما خرج نوح عليه السلام من السّفينة أكرمه الله تعالى بصحبة الصالحين من أهله.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ جعل الله تعالى عمران الأرض بذريّة نوح عليه السلام.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وتركنا له ثناء وشكرا ورضى، مستمرّا له ممّن بعده، وهذه نعم دائمة على نوح عليه السلام.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ كلمة تعظيم لشأن نوح عليه السلام، إذ جعل الله تعالى له تحيّة من بعده دائمة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ وهذه تعني أنّ نوحا من المحسنين، فجازاه الله تعالى على إحسانه.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ أكرم الله تعالى نوحا عليه السلام، فأرضاه الله وجعله مختارا عنده، واستحقّ أعلى درجات التقدير من الله تعالى. قال تعالى في سورة آل عمران ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا... ﴿٣٣﴾﴾. وفي قصة نوح تشجيع وتفضيل لمن آمن ليزداد إيمانا وليستمرّ على الإحسان وما جزاء الإحسان إلا

الإحسان. قال ﷺ: الإحسان، أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أغرق الله تعالى المكذّبين بنوح عليه السلام.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ أي إنّ إبراهيم عليه السلام من أتباع نوح عليه السلام وشريعته كشريعته وهو يُناصره.

قال ابن عاشور «وكان إبراهيم من ذرية نوح ودينه موافق لدين نوح في أصله: فالدينان غايتهما محاربة الشّرك ودحره».

﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ جاء إبراهيم عليه السلام ربّه بقلب مفعم بالإيمان الخالص بأكمل معانيه، كما كان قلب نوح منزّها عن الشك والشرك.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الإفك أي الكذب. والمعنى أتظنّون بأن لله شريكا؟ هذا كذب وإثم عظيم والله سبحانه الأحد لا شريك له.. يسأل إبراهيم ﷺ قومه مستنكرا عليهم ما يعبدون من دون الله تعالى، فقال لهم: أتظنون ظنّ السوء بربّ العالمين وتدّعون أنّ له شريكا وهو سبحانه المنفرد بالألوهية؟ إنّه ظنّ كاذب وإنّ الظنّ أكذب الحديث. قال تعالى في سورة الشعراء ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾ وفي التحرير: أنّه ذكر المفسّرون أن سيدنا إبراهيم ﷺ اعتذر عن خروجه مع قومه من المدينة، يوم عيد يخرجون فيه، فزعم أنّه مريض لا يستطيع الخروج ليخلو بالأصنام فيحطّمها.

﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي ذهبوا وخلفوه وراء ظهورهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ توجّه إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام فأخذ يضربها ضربا قويا.

﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ فلما علم قومه بأن إبراهيم يكسّر أربابهم، قدموا وأحضروه واستنطقوه.

﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ إن إبراهيم تكلّم مستهزئا بقومه الذين يعبدون أخشابا صنعوها.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ والله تعالى خلقكم وخلق الأخشاب التي تعبدونها.

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ قال قوم إبراهيم: ألقوه في النّار الشديدة الحرارة!.

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ جعلهم الله تعالى مغلوبين مقهورين، ونجا الرسول إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى في سورة الشعراء ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ فكانت النار باردة لم تمس إبراهيم بسوء بل كانت سلما وسلاما عليه!.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ لما نجّاه الله تعالى من كيدهم، قال إنّي مهاجر من بلاد قومي إلى حيث يأمرني الله، فتوكّل على الله تعالى، صحبة زوجته سارة إلى بلاد الشام.

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ سأل إبراهيم عليه السلام الله تعالى، أن يرزقه ولدا صالحا يؤنسه ويواسيه فاستجاب الله دعاءه.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ البشرى هو: إسماعيل عليه السلام، فكان برا بوالده كريما جوادا مطيعا لأبيه في السّراء والضرّاء وحليما.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ قال المفسّرون: أي لمّا بلغ إسماعيل عليه السلام الثالثة عشر حيث كان قادرا على إعانة أبيه ويشركه في الرأي.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ والمعنى قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: إنّي أمرت وأنا في المنام، أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى؟ والملاحظ أنّ إبراهيم سأل ابنه إسماعيل، ليخفّف عليه ضغط الخبر وليزيده صبرا على ما أصابه وهو الشجاع البرّ الكريم.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ جواب إسماعيل عليه السلام لا يجيب بمثله إلا نبيّ، وهو جواب من يرضي الله ورسوله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فلمّا عزم إبراهيم على ذبح ولده، ورماه على شقّه ليذبحه، قال الابن: يا أبي اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك لئلاّ

ينضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن، وأحدّ شفرتك وأسرع بالذبح ليكون الموت أهون عليّ، وإذا أتيت أمي فأقرئها منّي السلام، وإن رأيت أن تردّ إليها قميصي فافعل، فإنّه عسى أن يكون أسلى لها عنّي. فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم العبد أنت يا بنيّ، فاصبر على ما أصابك»

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي أسلم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الأمر لله تعالى وتهيأ للذّبح، وطرح إبراهيم عليه السلام ابنه أرضا.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ والمعنى: إنّا نجزي المحسنين كذلك الجزاء الذي قدمته تصديقا للرؤيا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ إن هذا الإستسلام للذّبح من طرف الوالد والولد هو ابتلاء عاقبته رضى الله عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ أي إنّا فديْنا ابنك، فأمرنا بذبح كبش عظيم بدلا عنه ونجّيناه من الذبح الأليم.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨﴾ وهذه الآية تأكيد لتنفيذ أمر الله بالعفو، وهو سبحانه يحبّ العفو ويعفو عن كثير.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ هذه تحيّة كريمة من ربّ العالمين على إبراهيم عليه السلام، جزاء للرسول المؤمن المخلص المصدّق الذي امتاز بإيمان بليغ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ هذا تأكيد واهتمام خصّ الله به المؤمنين المحسنين.

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾ خصّ الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالتأكيد بأن قلبه مفعم بمعاني الإيمان الصادق.

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ بشّر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بميلاد ولد له اسمه إسحاق، وأنه نبيّ منتظر.

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ أي ومن ذرّيتهما: من يعمل الصالحات ومن هو المشرك والضّال.

قال أبو طالب في خطبة خديجة للنبي ﷺ «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعلنا رجال حرمه وسدنة بيته»

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ الكرب العظيم يتمثل في المذلّة القاهرة تحت سلطة الفراعنة.. أنعم الله تعالى على موسى وأخيه هارون عليهما السلام برفع مقامهما بين الناس إلى أعلى درجة في الدنيا والآخرة وهي نعمة النبوة، كما أكرمهما بالانتصار على من استعبدهما وقومهما وأذلّهم دهرا بكرب الاستعمار القاهر الغالب. ولما أمر موسى عليه السلام المشركين باتّباعه، كذّبوه وأرادوا قتله فنصره الله تعالى.

قال الله تعالى في سورة غافر﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ الكتاب المستبين هو التوراة: وهو كتاب كامل الصفات لا اعوجاج فيه، وكان موسى عليه السلام يوضّح ما كان غامضا من المعاني مستعينا بأخيه هارون عليه السلام.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ الصراط المستقيم هو الدين الحقيقي الواضح. قال الطبري: «وهو الإسلام، دين الله تعالى الذي انبعث به الأنبياء».

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ تركناهما في الآخرين نورا يُهتدى به.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ سلام من الله تعالى على موسى وهارون عليهما السلام، وهذه تحيّة من الله لمن أحسن عملا.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ شهادة تأييد ورضى من الله تعالى للمؤمنين به، المخلصين له الدين.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ إلياس رسول الله، بعثه الله في قوم يعبدون صنما ويتركون عبادة الله تعالى، فكذّبوه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ رجا الرسول إلياس عليه السلام من قومه، أن يتّبعوا الله تعالى وأن يتركوا عبادة الأصنام.

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي ألا تخافون الله تعالى الذي سيجمعكم يوم القيامة ويحاسبكم: إنّه تحذير من عذاب الله.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ فإنّهم قد نجوا.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ تركنا على إلياس عليه السلام خير الجزاء وجميل الثناء.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ قال الطبري: «إل ياسين إسم لإلياس» هذا وإن ذكر الرّسل الكرام عليهم السلام في هذه الآيات مدح لهم على حسن ما قدموا فكان لهم عند الله الأجر العظيم.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ لوط عليه السلام كان رسولا لجمع من القرى، التي كان يسكن في إحداها، فهو رسول لا شريعة خاصة به ولا كتاب، وكان ينهى قومه عن فعل الفاحشة.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ يونس بن متّى عليه السلام، رسول الله إلى قوم كفّار، رفضوا دعوته جهارا ومرارا ولم يجد له منهم أنصارا وعيل صبرا فقاطعهم وحاول التخلّص منهم، واتّجه إلى البحر فوجد سفينة فركبها، وهو مُليم في وضع مؤسف. قال المفسرون: «إن يونس عليه السلام، ضاق صدرا بتكذيب قومه فغضب لأنهم كذّبوه فاتجه إلى البحر حيث ركب سفينة مشحونة، أثقلها كثرة من فيها، فقال الملاحون:لا نجاة لنا إلا أن ننقص منّا رجلا، فاقترعوا فكانت القرعة عليه فرموه في البحر، فالتقمه الحوت».

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ مُليم أي فَعل ما يلومه عليه الناس. ابتلعه الحوت لأنه تخلّى عن المهمة التى كلّفه الله تعالى بها.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ أي لو لم يكن طول أيامه من المسبّحين الذاكرين المستغفرين: وكان تسبيحه لا إلاه إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة. فأجاب الله تعالى دعاء يونس عليه السلام: إنّه سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، بفضله وإحسانه.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ أي ألقيناه على الساحل بأرض خالية عارية من كل أنواع الشجر، وهو سقيم مريض يتألم من آثار ما أصابه وأنهك بدنه.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ وبلطف من الله تعالى أن أنبت له شجرة ظلها وارف ظليل يقيه حرّ الشمس وما يمسّه من تقلّب الجو ليستعيد نشاطه.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ أرسلناه إلى قومه الذين هرب منهم، وهم أهل نينوى بجهة الموصل بالعراق، وهم الذين كفروا بالله ورسوله فهجرهم يونس عليه السلام وتركهم ظالمين.

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ فتابوا وعفا الله عنهم، سبحانه وتعالى الذي يحبّ العفو ويعفو عن كثير.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ الخطاب لأهل مكة المشركين، توبيخا لهم وإنكارا وغضبا من الله تعالى، ذلك لأنهم يفضّلون الذكور على الإناث ولا يرضى الأب منهم أن يُقال له أبو البنت، ويفتخرون بنسب الولد إليهم، ولِغلظة كفرهم فإنّ الكثير منهم يئدون البنات!.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ قال أبو السعود:«الآيات المذكورة الغرض منها تعجيز المشركين وتسفيه لهم وتبكيت» والمعنى: أي شيء حصل لكم حتى حكمتم بهذا الحكم الجائر الذي يرفضه العقل والشرع ؟

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ أفلا تعيدون النظر فيما ادعيتم من خرافات سخيفة وأقوال باطلة؟!

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ هذا تعجيز لهم وإثبات بأنّ ما يدّعون بطلان واضح عند من يتدبّر.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ إن كانت لكم كتب تثبت دعواكم، فيها الخبر المدّعى، فاستظهروا بها.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ ومن غباوتهم أن جعلوا قرابة وتناسبا بين الله وبين الجن!! والله سبحانه وتعالى هو الخالِق وهم المخلوقون.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ وهذه الآية إضافة لتبكيتهم وتكذيبهم. ألا إنّهم ساء ما يقولون وإنّهم سيرون العذاب ينتظرهم يوم الحساب.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ تنزّه الله سبحانه وتعالى عن كل الأوصاف التي وصف بها الكفار الله عزّ وجلّ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ أي لكنّ عباد الله المؤمنين الصادقين ينزّهون الله تعالى ولا يجعلون لله سبحانه وتعالى أندادا.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ إنّكم أيّها المشركون، عاجزون على أن تحوّلوا المؤمنين عن عقيدتهم وإيمانهم الثّابت.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ أي إنّكم أيّها الكفار لا تقدرون على إغواء المؤمنين وتكفير أحد منهم، إلا من قدّر الله عليه وحكم، فجعله من الهالكين القابعين في جهنم يصلى بنار حامية.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ الملائكة عليهم السلام، مقسّمة بينهم أعمال، وكلّهم يعبدون الله عبادة عالية، مخلصون في مهمتهم وهم يسبّحون الله تعالى وينزّهونه، إنهم أصناف وما منهم من ملك إلا له وضيفة: منهم المكلّف بالأرزاق ومنهم الموكّل بالآجال ومنهم المكلّف بالوحي، لا يحصى عددهم إلا الله تعالى.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ إنّ من الملائكة المكلّفين بعبادة الله وتسبيحه، صفوفا.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ ومن الملائكة من يسبّح الله وينزّهه. وهذه الآيات المباركة تؤكد بأنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، سبحانه وهو السميع البصير.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ إنّ كفار مكة، قبل أن ينزّل القرآن، كانوا يتمنّون أن ينزل على أمّتهم كتابا، مثلما أنزل على أمم من قبلهم: مثل صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وأكّدوا أنّهم لو يُكرَمون بمثلها، يكونون أكثر إخلاصا وإيمانا من الذين سبقوهم بالإيمان.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ فلمّا نزل القرآن على خاتم الرسل ﷺ، لم يؤمنوا بالرسالة، وكذبوا الرسول ﷺ وازدادوا كفرا وتمرّدا، فتوالت الآيات تنذرهم وتهدّدهم بما ينتظرهم من عذاب الله وسوء العاقبة.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ والمعنى قد سبقت كلمة الله تعالى، وهي الوعد بالنّصر للمرسلين على الذين عادوهم وكذّبوهم وهذه بشارة للنبي ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ إنّهم ستكون لهم الغلبة على قهر أعدائهم، مثلما حدث في غزوة بدر وغيرها.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ المراد بالجند هم المؤمنون، وهذه بشارة للمؤمنين وتأييد لهم، وقد سمّاهم في آية أخرى بأنّهم حزب الله: في قوله تعالى في سورة المجادلة ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور «والظاهر أن المعنى: تولّ عمّن بقي من المشركين بعد حلول العذاب الذي استعجلوه، فيحتمل أن يكون الحين حينا من أوقات الدنيا وهو إنذار بفتح مكة».

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ قال ابن كثير: «أي ارتقب ماذا سيحلّ بهم من العذاب بسبب مخالفتك وتكذيبك يا محمد ﷺ».

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ استفهام إنكاري: إذ أنّهم بخطيئاتهم، وهم مذنبون، يريدون أن يُصبّ عليهم العذاب عاجلا!. إنّهم لا يعلمون شدّة العذاب الذي ينتظرهم !.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ فإذا حلّ بهم العذاب فسيعلمون شدّة سوئه، وبئس ما ينتظرون!.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾ أي ولا تهتمّ بشأنهم.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ هذه الآية تهديد للمعاندين وتأكيد بأنّهم سيرون العذاب الذي يستعجلونه. اللّهم أجرنا من العذاب العاجل والآجل.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «هذه الخاتمة جمعت خلاصة ما في سورة الصافات من تنزيه الله وتأييده رسله، وجمعت تنزيه الله والثناء على الرسل والملائكة».

﴿سُبْحَانَ﴾ كلمة من معانيها: تنزيه الله تعالى عمّا لا يَليق به. لا إلاه إلا هو

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾ إنّه كامل الاستغناء عن الغير وهو الغالِب الذي لا يُغلب.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ إنّه منفرد بكامل معاني العزّة وهو المنزّه عن المثيل لا يشاركه في معاني العزّة أحد.

﴿وَسَلَٰمٌ﴾ كلمة إكبار وتعظيم.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١﴾ الرسل والملائكة والأنبياء.

روى القرطبي بسنده إلى أبي سعيد الخذري قال: «سمعت رسول الله ﷺ، غير مرة ولا مرتين، يقول آخر صلاته أو حين ينصرف ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾.

– وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ–

سُورَةُ صٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ
مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ
ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ
خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ
وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ
مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ
۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ
﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَآبٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا

نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ
وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٖ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾
قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سورة ‹صّ› سورة مكية تشمل: توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وفيها تسلية الرسول ﷺ عن تكذيب المشركين له وأثبتت بأن البعث حقّ لا ريب فيه لجزاء العاملين بأعمالهم من خير أو شرّ ووصف أحوال الناس يوم يبعثون. وتسمّى سورة داوود عليه السلام، الخليفة في الأرض.

وفي السورة آية سجدة الغفران.

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ القرآن منزّل من عند الله تعالى لتذكير الناس بما غفلوا عنه.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ العزّة أي التكبّر. والمعنى: إن الكافرين متّصفون بأنّهم معجبون بأنفسهم منصرفون عن الحقّ ولا يرغبون في تصويب سلوكهم وإصلاح حالهم.

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾ القرن هو الأمّة. والمعنى: كم أَبَدْنا أمَما متنوّعة الأجناس والأديان فصاروا أثرا بعد عين، وسبب إهلاكهم الكبرياء والعزّة بما يفعلون من آثام، فأحاط بهم العذاب وما نفعهم نداؤهم ولا تضرّعهم.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ تعجّب الكفار من أن يكون لهم من جنسهم نبي نصوح ينذرهم بسوء مصيرهم.

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾ وقال الكافرون الذين قصرت أفكارهم وفسدت أعمالهم: إنّ النبي ﷺ ساحر ذو شعوذة.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ عجب الكفار من أنّ محمدا يدّعي أن الآلهة إلاه واحد وأنكروا أن يؤكد ذلك واستبعدوا صحة ما يقول، وزيّنوا لقومهم وأكدوا بأن التثليث والشّرك أفضل الأديان!!.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ إن المشركين تعجّبوا من أن يكون لهذا الكون إلاه واحد وعظم عندهم ذلك، فثارت في أنفسهم حميّة الجاهلية وطلبوا من قومهم بأن يستمرّوا عابدين آلهتهم وأن يحموها من انتشار دين محمد ﷺ. قال ابن جرير الطبري: قال المشركون: «إن هذا الذي يدعوننا إليه

محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشّرف عليكم والاستعلاء».

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة ملّة النصرانية، ملّة التثليث، وهذا كذب».

﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ﴾ والمعنى إنّهم يستبعدون تخصيص محمد ﷺ بنزول القرآن عليه.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾ إنّهم يستبعدون وقوع عذاب جهنم وبئس العذاب.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩﴾ إن الله تعالى يتصرّف في ملكه وهو العزيز الذي يعطي ما شاء لِمن يشاء.

وسيعلمون يوم الحساب، يوم يعزّ الله تعالى من يشاء ويذلّ من يشاء.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۝١١﴾ إن هؤلاء المشركين، إن كان لهم سلّم يصعدون عليه، فليصعدوا وهو عليهم أمر عسير، بل إنّهم سيُهزمون ويُغلبون ويُعذّبون كما انهزم قبلهم الأحزاب المكذّبون، يوم غزوة بدر. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ ۖ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ قال الزمخشري: «والمعنى إن كل واحد من الأحزاب كذّب جميع الرسل: لأنّهم إذا كذّبوا واحدا منهم فقد كذّبوا بجميع الرسل».

﴿فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾ فاستحقوا عقاب الله لذلك.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هؤلاء هم أهل مكة. الصّيحة هي النّفخة.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الصّيحة واحدة فقط لا تُثنّى ولا تردّد.»

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦﴾ القطّ أي القسط والقطعة.

أي عجّل لنا قسطنا من العذاب قبل يوم الحساب.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ فاصبر على ما يقول أهل مكة، وهو أمر يعالج بالصبر. قال تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ المدثر.

ذا الأيد: أعطي داوود عليه السلام قوّة البدن والحصافة في العقل.
قال قتادة: «أعطي داوود عليه السلام قوّة وفقها في العبادة».

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ إن الله تعالى سخّر الجبال يسبّحن مثل داوود عليه السلام بالعشيّ والإشراق وسخّر الله تعالى له الطير تأتمر بأمره، وجعل الله تعالى له مُلكا كاملا وآتاه النبوّة والقدرة على الحكم بين الناس بالعدل والإنصاف.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ المحراب بيت يتّخذ للعبادة يحيط به سور. الفزع هو الخوف، والبغي هو الظّلم الشديد. حكم داوود عليه السلام في قضيّتين متماثلتين فاهتدى في حكمه في إحداهما إلى العدل والإنصاف وحكم في الثانية بظلم فندم وتاب واستغفر ربّه على ما صنع وسجد سجدة الاستغفار.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إني رأيت النبي ﷺ يسجد إثر قراءة الآية».

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾ أدرك داوود عليه السلام بأنّ ما حدث فتنة وقاه الله شرّها، فاستغفر ربّه فتاب الله عليه وغفر له. قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه.

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾
الخليفة في الأرض: خليفة الله في إقامة شريعته، يحكم بالعدل في حدود مقاصد الشريعة الإلاهية، ويَحذر الوقوع في مزالق هوى النفس تجسيما للعدل الخالص من الزّيغ والضلال، فالهوى المنهيّ عنه هو الباطل والظّلم واتّباع الشهوة. قال ابن كثير«هذه وصيّة من الله عز وجل لولاّة الأمور أن

يحكموا بين الناس بالحقّ المنزّل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلّوا عن سبيل الله».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ في هذه الآية تحذير شديد للذين يحيدون عن العمل بالشريعة الإلاهية المنزّلة، وتؤكد بأن الذين يحيدون عن اتّباع شرع الله ويبتغون غير الإسلام دينا، جزاؤهم عذاب شديد.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ المعنى ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما للّعب.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ليس الذين آمنوا وعملوا الصالحات كمثل المشركين الفجّار.

قال تعالى ﴿... إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ يونس.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ القرآن كتاب عظيم الشأن يرشد للخير الكثير وينهى عن الشرّ والفساد، كل آياته مباركة جُعلت ليَتدبّر فيها أولو العقل ويمعنوا فيها النّظر لكشف ما ظهر فيها وما أخفي.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ وهب الله تعالى لداود عليه السلام ولدا سمّاه سليمان وكان مُفضّلا عند الله مشكورا إذ قد كان يستغفر الله ويعبده مؤمنا بالرجوع إليه حامدا أنْعُمه يرجو حسن المآب.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ الجياد أي جمع الفرس ذو الجودة. كان سليمان عليه السلام مولعا بالخيل والإكثار منها وبلغ عدد خيله آلافا وكان يحبّها حبّا جمّا ويجمعها كل مساء، يتفقّد حالها ويمسح متن سوقها بيده تكريما لها.

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ الخير أي الخيل. المعنى: عُرضت على سليمان عليه السلام خيله، الصّافنات الجياد، فاشتغل بأحوالها حبّا فيها حتى غربت

الشمس ففاتته صلاة كان يصليها قبل الغروب، فقال – عقب عرضها: إنّي شغلني عرض الخيل فغفلت عن صلاتي لله.

عن ابن عباس رضي الله عنه «طفق يمسح أعراف الخيل وسوقها بيده حبّا لها».

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ فتنّاه أي اختبرناه.

أناب أي تاب.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ قال ابن كثير: «إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى مُلكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله» سبحانه وتعالى يهب لمن يشاء ما يريد.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ لمّا انصرف سليمان عن حبّ الخيل إرضاء لله عز وجل، أعاضه الله تعالى بأحسن منها فسخّر له الريح تجري بأمره.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ سخّر الله تعالى لسليمان عليه السلام الشياطين منهم البنّاء للقصور الهائلة، ومنهم الغوّاص بالبحار لجمع اللؤلؤ والمرجان، ومن يتمرّد منهم يُصفّد بالحديد.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ والمعنى: هذا ما أعطيناك من الرّزق الواسع فلا تضنّ على ذي الحاجة والله غنيّ حميد.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ جعل الله تعالى لسليمان عليه السلام مكانة عظيمة في الدنيا. والمعنى: متّعناك بالخيرات فامدد منها للمحتاجين ممّن شئت وأطلق يدك بالعطاء مُحسنا كما أحسن الله إليك وجعلك من المقرّبين.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ أيّوب عليه السلام: تفضّل الله عزّ وجلّ عليه بالذّكر الحسن لأنّه ابتُلي بأنواع من البلايا الضّارة فحمد الله وكان من الصابرين.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ نادى أيّوب عليه السلام ربّه نداء المتضرّع المتضرّر المصاب بآلام شديدة، موقنا بأنّ كلّ ما أصابه بأمر من الله تعالى، وتأدّبا مع مقام السميع المجيب، نسب الأمر إلى الشيطان وهو يعلم أنّ الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ أمر الله تعالى أيّوب عليه السلام أن يضرب الأرض برجله فنبعت من الأرض عين ماؤها شاف بإذن الله.

﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ فاغتسل وشرب فشفاه الله تعالى.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣﴾ قال الرازي: «إنّ الله تعالى منّ على أيوب فمتّعه بصحّته وبماله وكثرة نسله وجاد عليه بفضله وبعطاء غير ممنون».

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ أيّوب عليه السلام أقسم وبرّ بيمينه رغم موانع قويّة وانتصر طائعا الله، فمدحه الله تعالى في هذه الآية لأنه آب وتاب واستغفر.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أولي الأيدي يعني أولي العمل الصالح والقوّة في العبادة والإبصار بمعنى كشف الحقائق الغامضة لمعاني الحقّ والدين».

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ قال مجاهد: «أي جعلناهم يعملون أعمالا للفوز بالآخرة»

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ أي هم أخيار مختارون.

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۗ﴾ هذا القرآن العظيم جاء فيه ذكر للأنبياء عليهم السلام.

﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩﴾ المتّقون هم المؤمنون السعداء الذين يخشون ربّهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويفعلون ما أمرهم الله تعالى ويجتنبون ما نهى عنه: هؤلاء أعدّ لهم الله جلّ وعلا مقرّا في جنّات متعدّدة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ روى ابن كثير بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ:إن في الجنة قصرا يُقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يسكنه إلا نبي أو صدّيق أو شهيد أو إمام عدل».

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ متربّعين على سرر.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ يُحضر لهم فيها كلّ ما يشتهون.

﴿وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ تأتيهم الخدم بكل ما يشتهون شرابه يتمتّعون به مع أزواجهم آمنين.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ أي: متساويات في العمر لا يلتفتن إلى غير أزواجهن.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ هذا الذي ذُكر أعدّه الله تعالى للمتّقين، وأكرم به من عطاء غير ممنون لا زوال له ولا انتهاء.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ قال تعالى في سورة النحل ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ . . . ﴿٩٦﴾﴾.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ الطّاغون: هم الذين رفضوا دعوة القرآن وأصرّوا على عصيان الله ورسوله ﷺ.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ مصير الطّاغين: جهنّم تحيط بهم نارها ويغمرهم لهيبها وهم في أسوإ حال.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ هذا النوع من العذاب بعضه شديد الحرارة وهو الحميم، أما الغساق فإنّه ما لا يُطاق برده أي في منتهى البرودة.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لو أنّ دلوا من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا».

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ قال تعالى في سورة الأعراف ﴿. . . كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ . . . ﴿٣٨﴾﴾.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ قال أهل النار لِمن سبقهم: أنتم دعوتمونا إلى هذا المقرّ، فبئس القرار فيه.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ قال ابن كثير: «هذا كمثل قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿. . . قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ . . . ﴾».

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قال ابن عباس رضي

الله عنهما: «يريدون أنّهم أصحاب رسول الله ﷺ، أي: اتخذناهم سخريا في الدار الدنيا» وهذا إنكار أهل النار على أنفسهم لأنّهم كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا، فقالوا: كنّا نسخر منهم وهم الآن يسخرون منّا لأنّهم في نعيم ونحن في حميم!.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾﴾ إنّ الكافرين كانوا في الدنيا يسخرون من المؤمنين ويحسبون أن مصيرهم النار وكان ظنّهم خاطئا، فأرداهم زعمهم في جهنّم وأنعم الله تعالى على المؤمنين بجنّات النعيم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ والمعنى: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد هو نمط من تخاصم أهل النار.

قال ابن كثير «يقولون: لعلهم معنا في جهنم ولكن لم نرهم؟ عند ذلك يعرفون أن الذين يسألون عنهم هم في الجنة العالية..» أهل النار يتساءلون عن بعض ممّن يعرفون في الدنيا ظانّين أنّهم معهم.

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾

أي: قل يا محمد للناس إنّي أنا رسول مبعوث من لدن الإله جلّ وعلا للتأكد بأنّه ليس لكم ربّ سواه وهو العزيز الذي يَغلب ولا يُغلب، الخالق لكل شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما محمد ﷺ إلا مبلّغ لرسالة الله للمتقين، ومحذر للناس من غضب الله الشديد العقاب ذي الطول لا إلاه إلا هو إليه المصير.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يخبر بأن القرآن منزّل من عند الله تعالى هدى ورحمة وأنتم عنه غافلون لم تنتبهوا إلى عظمة شأنه.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي لم أكن أعلم باختلاف الملائكة في شأن خلق آدم لولا الوحي الذي أنزله الله تعالى عليّ.

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ إنّما يوحى إليّ إلا لأنّي رسول مرسَل إليكم

لأخيفكم من عذاب الله فاخشوه واتّقوه.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ إن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنّه سيخلق بشرا من طين وطلب منهم أن يسجدوا إلى المخلوق الجديد، فامتثل الملائكة كلّهم إلاّ إبليس أبى وكان من الكافرين وتعالى على آدم، وزعم ابليس، لأنه مخلوق من نار، أنّه أفضل من آدم. فعصى إبليس ربّه فغوى، فأطرده الله من رحمته وسمّاه إبليس إذ أنّه قد أبلس من الرحمة وأنزله إلى الأرض مذموما مدحورا، فسأل إبليس ربّه أن يؤجل له العذاب إلى يوم البعث فظلّ طريدا غويا.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «إن الملأ الذين كان معهم إبليس كانوا على أكمل حسن الخُلطة، فلما طرأ على ذلك الملأ مخلوق جديد –آدم– أمر الله أهل الملأ الأعلى بتعظيمه فأزاغ ذلك قلب إبليس فتكبّر فنشأ عنه كفره بالله وعصيان أمره»

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ اللعنة هي الإبعاد عن رحمة الله وعن الجنة. كان عقاب إبليس الخروج من الجنة واللعنة الدائمة إلى يوم القيامة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ طلب إبليس من الله أن يتركه مستمرّا على إغواء الإنسان إلى يوم القيامة.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ العزّة هي السلطان الإلاهي الكامل الغالب الذي لا يُغلب. الغواية أي الضلال. أقسم الشيطان بعزّة الله تعالى وهو يعلم أن الله هو الذي يُقْدِره على إغواء من اتّبعه من الضالين ولم يطلب من ربّه أن يعينه على عباد الله المخلصين لأنّه يعلم أنّهم لا يتبعونه ويستعيذون بالله منه.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ أقسم الله بالحقّ والحقّ ضدّ الباطل. أي ولا أقول إلا الحقّ.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ والمعنى: لأملأن جهنّم منك وممّن يتبعك أجمعين من الجنّة ومن الناس.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ قل يا محمد: أنا لا أسألكم على ما أعلمتكم به من أجر ولا أنا مخبر بما ليس عندي حتى أتقوّل على القرآن.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فالقرآن ذكر مبين من عند الله تعالى لينتفع به الإنس والجن.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ وما القرآن إلا صدق وحقّ منزّل من ربّ العالمين وهو خبر ستعلمون صحّته يوم القيامة.

-اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا واهدنا وارزقنا-

- والحمد لله رب العالمين -

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ

ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ
لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلنَّارِ ٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ
وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠
قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ

وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ
فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ
يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ
يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾
أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ
لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ
إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ

ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾
۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى
لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ

إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ
نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن

رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا

ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى

ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

افتتحت السورة بالإخبارعن أركان العقيدة السليمة وأصول الدين الحنيف وأكدت بأن القرآن الكريم هو مصدر الدين وأصل شامل لأركانه وأنّه المعجزة الكبرى التي أعجزت الفصحاءَ بلاغته وأكدت بأنّه الحجّة البالغة للمتدبّرين وأنّه أعجز المعاندين والمتكبّرين وأكدت بأن عبادة الأصنام وأمثالها من المخلوقات خطأ وأبطلت أديان الكافرين بأدلة قاطعة وبيّنت أنّهم في ضلال مبين وخُتمت بالإخبار عن مشاهد عظيمة تصف يوم البعث والنّشور يوم يُساق الكافرون إلى جهنّم زمرا يدخلونها من أبواب مزعجة وأنّهم في عذابها خالدون وأنّه تُفتح أبواب الجنّة للذين اتّقوا ربّهم ويُستقبلون بسلام لطيف طيّب وهم فرحون.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، أنزله الله تنزيلا محكما شاملا للأحكام الشرعية بآياته المعجزة التي أعجزت من يحاول تبديله أو تغييره بالباطل.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي أنزلنا القرآن إليك لتدعو إلى الالتزام بالعمل بما جاء به الدين الحقّ: شريعة القرآن.

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ أي اعبد الله عبادة المخلصين إلى الله وحده، كما جاء في سورة الإخلاص ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ أمر الله عزّ وجلّ بإخلاص العبادة له وحده وبأن الطاعة له سبحانه وتعالى لا لغيره.

مثل ذلك: أن يحجّ الحاج ليُقال إنّه حاجّ: فذلك ليس بالعبادة الخالصة.

روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّه قال لرسول الله ﷺ :«إنّه ليس من بني سلمة إلاّ مُقاتل، فمنهم مَن القتال طبيعته ومنهم من يقاتل رياء ومنهم من يقاتل احتسابا، فأيّ هؤلاء الشهيد من أهل الجنّة؟ فقال ﷺ: يا معاذ بن جبل من قاتل على شيء من هذه الخصال أصلُ أمره أن تكون كلمة الله هي العليا، فقُتل فهو شهيد من أهل الجنة».

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ المشركون الذين جعلوا عبادة غير الله تعالى وسيلة إلى التقرّب إلى الله زلفى سيُبيّن لهم الله ضلالهم وكذبهم يوم القيامة لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ إن الله لا يوفّق الكافر إلى الهداية ولا يُيسر له السّعي إلى الظفَر بها.

قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا...﴿١٢٥﴾﴾.

وفي سورة الكهف قال تعالى ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ لو أراد الله أن يتّخذ ولدا لخلق الأفضل.. إن الله سبحانه وتعالى فعّال لما يريد.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ خلق الله تعالى السماوات والأرض بالحكمة. قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا

بِٱلْحَقِّ...﴿٣٩﴾﴾ سورة الدخان.

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ ألا: حرف تنبيه. هذه الآية من معانيها تحريض الغافلين إلى المبادرة بالتوبة واتباع الدين الإسلامي والتذكير بأن الله العزيز الغالب الذي لا يُغلب يفعل ما يشاء، وهو الغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى والله يعفو عن كثير.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خلقكم من نفس واحدة: أي خلقكم من نفس آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق الله تعالى لآدم حواء زوجة له.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ من الضأن اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن المعز اثنين.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أوّل المخلوقات نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق الله له عظاما ولحما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيَصير خلقا جديدا.

﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمة المشيمة التي هي غطاء للجنين ثم ظلمة الرحم ثم ظلمة البطن.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خالق كل شيء هو ربّ السماوات والأرض وما بينهما سبحانه وتعالى.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ أي لا إلاه إلا هو فكيف تعبدون غيره؟

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى قال: يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من مُلكي شيئا.».

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ أي ولا يرضيه كُفر الكافرين.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ ويُجازيكم جزاء الشاكرين بفضله.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ كل إنسان يتحمّل ذنبه ولا يتحمّل ذنب غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ يرجع الناس إلى ربّهم سبحانه فيُخبرهم بواسطة الملائكة بما كانوا يعملون وبكلّ ما

أسرّوا في صدورهم، إنّه عليم بما في الصّدور.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ والمعنى إذا مسّ الإنسان ضرّ كفقر أو مرض دعا ربّه ليفرّج عنه كربه وتضرّع إليه ليدفع عنه همّه، وإذا أنعم الله عليه بالسلامة وانكشف عنه ما أصابه نسي فضل الله تعالى عليه ونسي عفوه عنه وكفَر بِأنعمه وجعل لله العلّي العظيم شريكا من الصنم يعبده وظلّ له عابدا.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ قل يا محمد للكافر الذي جعل لله ندا ومثيلا: تمتّع بما كسبت يداك وبكفرك في الحياة الدنيا، فإنّك رفيق أهل النار تُعذَّب فيها العذاب الشديد! وفي الآية إنذار وتهديد لمن يكفر.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ القانت هو العابد الذي يخاف من سيّئاته ويرجو أن يرحمه ربّه وأن يثيبه على حسناته.

والمعنى: هل مَن هو قانت أفضل أم من هو كافر؟ والرجاء يتأكد بالسّعي وعمل الخير. قال ابن عباس رضي الله عنه: «القنوت آناء الليل أي جَوفه».

وقال قتادة: «آناء الليل: أوّله وأوسطه وآخره».

﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ روى ابن كثير بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على رجل يحتضر، فقال له: كيف تجدك فقال: أرجو وأخاف، فقال ﷺ: كلمتان لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الحال إلا أعطاه الله تعالى الذي يرجو وأمّنَه.».

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمعنى تفضيل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون. إن العلم كمال والجهل نقص وليس جاهل الشيء كمَن علمه.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ أي إنّما يتذكّر أهل العقول. قال النبي ﷺ :«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم بثّه في صدور الرجال وولد صالح يدعو له بالخير». وطالب العلم وتعليمه لِفهم معانيه لنفع الذات ونفع الناس، له ثواب جزيل.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ﴾ هذه الآية نزلت لمؤانسة وتشجيع المؤمنين الذين عزموا على الهجرة من مكة إلى الحبشة فارّين

بدينهم الإسلام من ضغوط المشركين ومكرهم وذلك بقيادة الصحابي أبي جعفر ابن عبد المطلب رضي الله عنه، وفيها أمر الله المؤمنين بمُلازمة التقوى وملازمة الاستمرار على طاعة الله والعمل بكتابه. قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ۝٣...﴾ الطلاق.

﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ آية تشير إلى أن الهجرة ممدوحة إذا كانت في سبيل الله وطاعته ونصر دينه.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾ تنبيه أن الصابر على الغربة عن الأوطان والسفر لمقاصد عالية غير سخيفة، جزاؤه عند الله تعالى أجر وافر كثير.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ قل يا محمد: إنّما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده.

﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ قال السّدي: «يعني أوّل المسلمين من أمّته ﷺ».

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣﴾ أمر الله الرسول ﷺ بأن يردّ على المشركين الذين كانوا يراودونه ليترك دينه وأن يتّبع دينهم.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ قال تعالى في سورة الأنعام ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾.

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ اعبدوا ما شئتم عبادته.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٥﴾ إنّ الخاسرين هم الذين لا يخشون من عذاب الله تعالى في الآخرة، لأنفسهم ولذويهم، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعا في الدنيا.

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ والمعنى إن أهل النار يستظلّون يوم القيامة بظلل من النّار ومن تحتهم ظلل وذلك من أشدّ أنواع العذاب.

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ ذلك العذاب يخوّف الله به عباده الذين يجتنبون السيئات ليستقيموا، ويهدّد به الظالمين.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾ نداء لعباد الله تعالى المقرّبين أن يتزوّدوا بتقواه فإن خير الزاد التقوى والعاقبة للمتقين.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ الطاغوت هي الأصنام، أناب أي تاب، والبشرى خبر فيه خير. والمعنى: إن الله يكرم عباده المؤمنين بالبشرى لأنّهم يتّبعون القوْل ثم يعملون بأحسنه ويتركون كلمة الملحدين المغرورين. قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ...﴿٢٥٧﴾﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ والمعنى أفمَن حقّ عليه العذاب أفأنت قادر على أن تُنجيه من عذاب الله؟.

قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع النبي ﷺ قال: إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراش وهذه الدواب التي تقع في النار، يقعن فيها مهما ينزعهنّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الذين هداهم الله تعالى فعملوا بما هداهم.

﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

الغرف جمع غرفة وهي البيت المعتلية على غيرها والغرف تجري من تحتها الأنهار: هذا مشهد عظيم. قال تعالى في سورة القمر ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ سلك الماء أي أدخله وأجراه في الأرض. ينابيع جمع ينبوع وهو العين الجارية. يجعل الله الزرع حطاما تبنا تذروه الرياح.

هذه الآية تشمل الحديث عن أطوار الزرع وعن أطوار لمخلوقات الله.

جاء في الصحيحين، أنّه قال رسول الله ﷺ :«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك

ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.».

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ من يشرح الله تعالى صدره بنور الإسلام يسترح نفسانيا ويتّسع صدره ممتلئا بالعزّة بما هداه الله وبالفوز برضاه، وأمّا من لم يهتد يضق صدره ممتلئا بآلام الحيرة والحرمان وشتّان بين الحالتين: حالة المهتدى وحالة الضّال الحيران.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ القاسية قلوبهم: هم الذين قلوبهم لا ترحم، فهي كالحجارة لا تلين عندما يسمعون ذكر الله أمّا عقولهم فلا تقبل المواعظ والنصائح: أولئك كتب الله لهم أقسى أنواع العذاب فويل لهم، وأمّا الذي استنار قلبه بذكر الله فإن الله يحبّب إليه الإيمان ويزيّنه في قلبه: يحبّ الله ودين الإسلام ويحبّ المسلمين ويتّخذهم إخوانا له وهو على يقين بأنّه مثاب على ذلك، فإذا مسّته نعمة فرح بها واستزاد منها وحمد الله الكريم الرحمان.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ القرآن أحسن الحديث إذا سمعه المؤمن يلين قلبه ويقشعرّ- كالقشعريرة التي تحصل عند شدة برد الجسد- جلود الذين يخشون ربّهم ويزدادون إيمانا: إنّه وحي من عند الله، مكتوب في اللوح المحفوظ لا يأتيه الباطل، إنّه منزّل على قلب رسول الله ﷺ تنزيلا من لدن العزيز الحكيم. كان رسول الله ﷺ يأمر كتّاب الوحي من أصحابه أن يكتبوا كل آية تنزل، في المقام المناسب لها. إن القرآن بيان لما يريد الله تعالى، تتكرّر أغراضه ومقاصده ليرسخ في النفوس وليحفظه الناس ويعلّموه ويبلّغوا آياته كما نزل، وأنّ أجزاءه كلّها متكافئة متماثلة في الحسن ووضوح المعاني تؤثّر على القلوب، وفي هذا قال عياض: «إنّها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه». وجاء في الشفاء «إن القرآن قارئه لا يملّه وسامعه لا يمجّه». ووصف رسول الله ﷺ القرآن بأنّه لا يَخلق على كثرة الردّ». وفي الحديث الصحيح عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ عند صلاة المغرب

بالطور ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾. فكاد قلبي أن يطير، وذلك أوّل ما وَقَر الإسلام في قلبي».

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ أي جعل الله تعالى القرآن جامعا لوسائل الهدى، يهدي به الله من يشاء هديه.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

والمعنى: أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب لأن الله أضلّه كمن نجا من العذاب لأن الله هداه؟ ويقول خزنة جهنّم للكافرين: ذوقوا العذاب لكفرانكم وعصيانكم في الدنيا فهو جزاء ما اكتسبْتموه بسبب تكذيبكم، ولا وقاية تنجيكم من نَوْق العذاب يوم القيامة.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ هذه الآية إنذار للمشركين بأنّه سيحلّ بهم عذاب مثل ما أصاب الذين من قبلهم كقوْم نوح وعاد وثمود وغيرهم الذين باؤوا بعذاب الله بسبب استمرارهم على كفرهم.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ العذاب الذي أصاب المشركين يتمثّل في قطع رقاب ساداتهم يوم بدر بسبب تكذيبهم الرسول ﷺ وسيصيبهم العذاب الأشدّ يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ هذه الآية إرشاد لكلّ متدبّر سليم العقل يدعو إلى أسباب السعادة في الدنيا والآخرة بأساليب مختلفة بليغة وبضرب الأمثال للناس بلغة عربية سليمة رجاء أن يتّعظوا ويهتدوا ويكونوا من المتقين.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ قل لقومك يا محمد ﷺ: ما تقولون في رجل مملوك اشترك فيه رجلان كلّ واحد منهما يدّعي أنّه أوْلى بأن يخدمه فيكون العبد محتارا في أمره لا يدري من أوْلى من صاحبيه بالطاعة؟.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي رجل لا شركة لأحد فيه.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ هل يستوي حالهما؟

فمتّبع الحق مرتاح البال ومن يعرض عن ذكر ربّه يظل حيران.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أكثرهم لا يعلمون أنّ الحالتين لا تستويان! فلا يستوي حال متّبع الحق وحال متّبع الباطل.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قال قتادة رضي الله عنه: «المعنى أن الله تعالى أخبر نبيّه بأنّه سيموت مثلما أنّهم سيموتون».

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ والمعنى: إنّك يا محمد سيخاصمونك جدلا فتحاججهم بأنّك بلّغت الرسالة ثم إنّهم يكذّبونك ويعاندون!. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «لقد عشنا برهة من العمر ورأينا كيف يختصم قومنا، وهو عيب أن نبيّنا واحد وكتابنا واحد، عشنا ورأينا أن بعضنا يضرب أعناق البعض!».

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ إنّ الذين كذبوا على الله وكذّبوا بسنة رسول الله ﷺ هم كافرون ومثواهم جهنّم هم فيها خالدون.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إنّ سيدنا محمدا ﷺ هو الذي جاء بالصّدق وأصحابه هم الذين صدّقوه ومن تبعهم إلى يوم الدين يخافون ربّهم ويرجون رحمته.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ لهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وتلذّه أعينهم ولهم مقام كريم.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ جاء في صفوة التفاسير: «إن هؤلاء الذين صدقوا الأنبياء سيغفر الله لهم ما أسلفوا من الأعمال السيئة فلا يعاقبهم بها ويثيبهم على طاعتهم في الدنيا، بحساب الأجر الأحسن ممّا عملوا بفضل منه سبحانه وتعالى».

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ أي الله ينجي عبده ممّن يريد به سوءا ويحميه من كيد الظالمين.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ أي إن الله تعالى يحفظ رسوله ﷺ ويعيذه من كل شرّ يُراد به.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى

﴿ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ إن الله تعالى يهدي من يشاء ومن يهده فهو المهتد ولا أحد قادر على إضلاله، فإنّه سبحانه وتعالى هو العزيز الذي لا أعزّ منه ولا أشدّ انتقاما منه من الذي يشرك بالله ويُجادل رسوله ﷺ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ روي ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ قال: من أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ومن أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتّق الله عز وجل وليشهد أن الله وسعت رحمته كل شيء».

قال تعالى ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ...﴿٣﴾﴾ الطلاق.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ قل يا محمد لقومك: إنّكم اخترتم لأنفسكم سبيل الضلال إنكم مخطئون! أما أنا رسول الله، اخترت ما اختاره الله لي وإنّي على طريق الهدى وسيكون جزاؤكم الخزي والمذلّة يوم يحيط بكم في جهنم عذاب دائم!.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ والمعنى إن الله تعالى أنزل القرآن على رسوله ﷺ ليعلم الناس أنّ عليهم آداء الواجبات والسّنن وذلك للفوز بأقْوم سبل الحياة التي تُرضي الله تعالى.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ قال الصاوي: «والمعنى ليس هداهم بيدك يا محمد ﷺ لتقهرهم عليه وتجبرهم وإنّما هدايتهم بأمر الله تعالى».

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قال ابن كثير: «أخبر تعالى بأنه هو المتفرّد في ملكه كما يشاء وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الملائكة الذين يقبضونها من الأبدان،

والوفاة الصغرى عند المنام.» وقال ابن عباس رضي الله عنه:«إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام لتتعارف ما شاء الله لها فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها».

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الشفاعة لله وحده ولا تكون للأصنام ولا للأولياء ولا لغيرهم.

قال تعالى في سورة طه ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي وإذا ذكر المسلمون اسم الله تعالى اشمأز المشركون لأنّهم لم يسمعوا ذكر آلهتهم! وإذا ذكر المشركون أصنامهم ولم يذكروا اسم الله تعالى العظيم يفرحون.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ الفاطر أي الخالق. الغيب ما لا يعلمه الناس وأخفى. أنت يا الله تحكم بالحق بين عبادك يوم الآخرة وأنت تحكم في الدنيا ولك ما في السماوات والأرض وأنت أحكم الحاكمين.

روى ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عمر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهم قال «أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت ربّ كل شيء ومليكه أعوذ بك من شرّ نفسي وشرّ الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوء أو أجرّه إلى مسلم».

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾

أي لو أن هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بسبب تكذيب القرآن والرسول ﷺ، لو كان لهم كل أموال السماوات والأرض ومثله وجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الأليم الذي ينتظرهم ما نجوا من العذاب!.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وظهر لهم من أنواع العذاب ممّا لم

يخطر ببالهم.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لو بدا لهم العذاب العسير، الذي ما كانوا يظنّونه واقعًا بهم، لهان عليهم أن يبذلوا كلّ ما اكتسبوا من عزيز عليهم لينجوا به من الهول الذي ينتظرهم! وذلك لأنّهم في دنياهم كانوا بغاة طغاة مستهزئين بما جاء به الرسول ﷺ.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ إذا خوّلناه نعمة أي إذا تفضّل الله تعالى على الإنسان بنعمة شاملة لا يطلب المتفَضَّل عليه جزاء أفضل منها، ينخذل ويكفر ويقول: إن ما أحرزت عليه من خير هو من صنعي لأنّي مدبّر حكيم، منكرا فضل الله عليه مُفتتنا بكبريائه وجهله فصار من زمرة الجاهلين في عمى وظلمة.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ الذين افتُتنوا لا ينجون من العذاب ولو أنفقوا جميع ما اكتسبوا من أموال الدنيا، إلا إذا تابوا.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ألم يعلموا بأن الله تعالى يبسط الرّزق لمن يشاء وأن الله يعطي الخير لمن يشاء ويمنع من يشاء.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ إن كلمة يا عبادي تشمل أهل المعاصي والمشركين. ومضمون الآية أنها دعوة لمن أسرف في الذنوب وأدمن عليها وأصرّ أن لا يقنط من رحمة الله: وهذه دعوة إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي فورا والندم عمّا فات. والآية تطمئن الذين آمنوا وتؤكد أن الله غفار لمن تاب.

قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي توبوا إلى الله وأسلموا وأشهدوا بأن الله واحد فعّال لما يريد وصدّقوا النبي ﷺ راجين من الله تعالى أن يتوب عليكم ويتفضّل عليكم بالعفو.

إن العذاب سببه الكفر بالله ورفض الإيمان بصدق الرسول ﷺ.

روى ابن كثير بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني! فتكون عليهم حسرة وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني ما كنت من أهل الجنة! فيشكر الله على ما أنعم عليه». أو كما قال والله أعلم بمراده.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ أمر الله تعالى عباده أن يتمسّكوا بآياته الحسني ليسلموا من مباغتة العذاب الذي ينصب على الغافلين الذين نسوا ذكر الله تعالى وتحذّر الآية من الغفلة والنسيان والتواني وتأجيل عمل اليوم إلى الغد. قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾.

وبلطف من الله ورحمته نبّه الله تعالى عباده بأن يجتنبوا التفريط والتراخي والندم يوم لا ينفع الندم ولا التحسر، يوم يرى الكافرون العذاب محيطا بهم ويتمنّون الرجوع إلى الدنيا، يوم يروْن العذاب ويساقون إلى جهنم زمرا.

﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ أرسل الله تعالى الرسل الكرام بآيات واضحات تدعو إلى التدبّر والعمل بما جاء فيها فتنكّر لها الكافرون وأعرضوا عنها واختاروا الكفر بدلها فكانوا من الضّالين.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ هذه الآية تنكر على المتكبّرين صلفهم وكبرياءهم وتبدي غضب الله عليهم وتؤكد بأن الله تعالى أعدّ لهم مقاما في جهنّم وبئس المقام مقام الطغاة المتكبرين.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١﴾ المفازة هي الفلاح والنجاة. الذين اتّقوا ربّهم يفوزون بالجنة ومن يفز بنعيم الجنة يسلم من كل سوء وينج.

قال تعالى في سورة النبأ ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾. وقال تعالى في سورة يس

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ هذه الآية الكريمة تثبت للناس بأنّهم جميعا خلقهم الله القادر على كل شيء ليعبدوه، وأن لا يشركوا بعبادته أحدا وحسبهم الله وكيلا وعليه فليتوكّل المتوكّلون.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ الله تعالى له مقاليد السماوات والتصرّف في أحوالها بما فيها وما عليها، وله مقاليد الأرض والتصرّف فيما تحتها وما فوقها مما علمنا وما خفي علينا وهذه المقاليد بيد الله تدلّ على قدرته وعلمه ووحدانيته وأنّه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء علما ومن يكفر بآيات الله أولئك هم الخاسرون.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ العرب الجاهليّون المشركون أرادوا من النبيﷺ أن يترك دينه و يتّبع دينهم دين الكفر وعبادة الأصنام، فاستنكر واستعاذ بالله ممّا قالوا، فأوحى الله إليه أن يجيبهم بهذه الآية وهي تشمل أن يقول لهم: أتريدون مني أن أعبد أحدا غير الله جلّ وعلا؟.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الشرك يبطل ثواب الأعمال الصالحة وفي ذلك حرمان من الأجر والثواب.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الشكر: العمل الصالح الذي يرضي الله تعالى، والآية فيها أمر بعبادة الله تعالى وحده وبشكره دائما، وهو أمر للنبي ﷺ ومن تبعه بالحسنى.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ما قدَروا الله قدْره الحقّ ولو اطلعوا على عظيم ملكه لقدروه جليل قدْره، ومن الأدلّة على قدرته العظيمة سبحانه، أنّه يوم القيامة يمسك الأرض والسماء ويقبض عليهما قبضة قويّة بيمينه. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «سمعت رسول الله ﷺ قال: يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك فأين ملوك الأرض؟».

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا

﴿هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الصور اسم لآلة إذا نفخ في بوقها يرتفع منها صوت عال تستعمل لجمْع الجماعات المتفرّقة كحال الناس يوم القيامة.

قال تعالى في سورة النمل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾، وقوله في سورة الحاقة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أشرقت الأرض بنور يخلقه الله سبحانه وتعالى فيها وينتشر عليها.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أحضرت الكتب التي سجلت فيها أعمال الناس.

﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ وأحضر الأنبياء والملائكة شهداء ليشهدوا على أممهم بما فعلوا في دنياهم.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وحكم على الناس بالحق والعدل بحضور الأنبياء والملائكة، ولا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ويحكم على كل نفس بما صنعت إن فعلت خيرا فجزاؤها الجنة وإن فعلت شرا فمصيرها إلى جهنّم وبئس المصير. والحكم في هذا اليوم لا رجعة فيه ولا جدال وإن الله تعالى عليم بذات الصدور.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يُساق الكافرون إلى النار أفواجا تبدو عليهم المذلة وتغشاهم الإهانة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ لمّا جاء المشركون إلى جهنّم كانت أبوابها مغلقة ففتحت فتحا مزعجا مفجعا أذهل الكافرين، فازدادوا همّا شديدا لمّا ظهر لهم سدنة جهنّم مؤنّبين لهم واستجوبوهم قائلين: ألم يأتكم الرسل منكم وأنذروكم وحذّروكم من عذاب لقاء يومكم هذا يوم الحقّ، وكذّبتم بالكتاب المبين ورفضتم أن تجعلوا دينكم الإسلام وكفرتم؟ قالوا: نعم! وهم نادمون.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ الكون كلّه

شاهد عليهم أنّهم يستحقّون العذاب الذي حكم الله به لأنّهم كانوا متكبّرين في دنياهم ورفضوا الإسلام دينا، فأعدّ الله تعالى لهم جهنم – مثوى لكل جبّار عنيد – وبئس المثوى مثواهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ إنّ المؤمنين الذين اتّقوا ربّهم وكانوا مستقيمين، تسوقهم الملائكة إلى الجنّة جماعات، كل زمرة مع من أحبّوا وكل طائفة مع مثلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ روى ابن كثير بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء».

وروى البخاري بسنده ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دُعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة وإن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد وإن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريّان».

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ إذا جاؤوها يسلّم عليهم خزنتها ويبشّرونهم بأنّهم من الطيّبين ولهم أن يدخلوها فأبوابها مفتّحة لهم فيها ما تشتهي أنفسهم وهم فيها مخلدون.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ الكهف.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ يحمدون الله الصادق الوعد الكريم الذي أنعم عليهم بأن جعلهم الوارثين للجنة ينعمون بخيراتها الحسنى.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ملائكة الرحمان يطوفون من حول العرش المجيد يسبّحون بحمد الله ويعظّمونه وينزّهونه عن النقائص والجور وهو الحاكم بالعدل بين

مخلوقاته.

قال تعالى ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الجاثية.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

نفعنا الله بأسرارها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾

وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ
بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ
قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ
لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ

ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ
وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ
ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ
دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ
وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾
۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ

مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ

وَٱلْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ

بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ

نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ
تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ
لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى
ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ
قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم

مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

سورة غافر: افتتحت بوعد الله تعالى بأنه يغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عباده وأن عذابه للكافرين شديد وأنه لا يخفى عليه شيء وهو المتصرف العفو الكريم وأكدت أن المجادلة بين الناس في الدين أمر خطير سيء العاقبة وفيها الاستدلال للتأكيد بأن البعث حق لا شك فيه وأن الساعة آتية لا ريب فيها وبشرت المؤمنين بثناء الملائكة عليهم وأنهم المنتصرون في الدارين وتشمل السورة تحديا للمعاندين في صدق القرآن الكريم وأنّه فيه دلائل واضحة لا ينكرها إلا المعاندون وفيها شكر للمؤمنين وبشائر من الله لمن آمن واتقى وإن الحكم العادل هو حكم الله سبحانه وتعالى لا يشوبه ظلم وهو أحكم الحاكمين.

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ القرآن الكريم منزّل من عند الله.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ في هذه الآية تحذير من عقاب الله تعالى ووعْد بالغفران لمَن تاب. إن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس ورحمة بالمؤمنين وهو الغفور لمن تاب واهتدى وقدّر لمن طغى العذاب الشديد.

إن الله الغنيّ عن الناس واسع الفضل الفعّال لما يريد، جعل الإنسان المسلم بين خوف ورجاء يرجو رحمته ويخاف عذابه، ينتظر جزاءه يوم المصير أي يوم مرجع الناس إلى الله تعالى إما للظّفر بالثواب أو العقاب. إن المشركين الذين

اغترّوا بكثرتهم فإنّ الغرور أضلّهم كما أضلّ الذين من قبلهم ومن اعتزّ بغير الله ذلّ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إذا رأيتم أخا لكم زلّ سدّدوه ووفّقوه وادعوا الله له أن يغفر زلّته ولا تكونوا أعوانا للشيطان».

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ الجدال في القرآن كفْر إذا أريد به غمط الحق وإطفاء نور الله، أما إذا كان الجدال لإيضاح الخفي وإيضاح المعنى الملتبس وبيان الغامض فهو مطلوب. الجدال في القرآن مذموم والخوض فيه كفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله فليس للإنسان أن يستعظم شأن المجادل فإن وراءه شقاوة الأبد وإن ما ترى عليه من النّعم يجنيها من أسفاره وضروب تجارته التي تفيض عليه بالأموال الطائلة فإنها لا بركة فيها.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ قوم نوح وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر: هذه أمم كانوا يعبدون الأصنام وأنهم كانوا يكذّبون الرسل ويؤذونهم وقتلوا بعضهم. وقد همّت قريش أن تقتل النبيﷺ ليلة هجرته من مكة إلى المدينة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ونجّى الله تعالى رسوله ﷺ وأهلك المشركين وقطع دابر أعناقهم في غزوة بدر ونصر الله تعالى رسوله، وهكذا كذّب الأمم السابقون رسل الله عليهم السلام وجادلوهم بباطل القول فأدحضت حجتهم وبطلت مكائدهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ وكذلك رأى المشركون ما أوعدهم الله تعالى به فكان جزاؤهم الخلود في جهنم وبئس المصير.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

روى ابن كثير بسند صحيح: «إن حملة العرش ثمانية: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون: لك

الحمد على عفوك بعد قدرتك سبحانك»

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ الملائكة يسبّحون الله تعالى ويقولون :«علمك محيط بجميع أفعال العباد وأقوالهم ونواياهم، وخلقت بفضلك ملائكة يقولون: سبحانك اللّهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات ونجّهم من عذاب الجحيم الشديد الأليم».

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ أي اجمع بيْنهم بالمنازل المتجاورة في جنّة النّعيم وأنت الذي يفعل ما يريد، الغفّار لمن تاب وعمل صالحا وأنت الحكيم في أقوالك وأفعالك وأنت على كل شيئ قدير.

روى ابن كثير عن سعيد بن جبير: «إنّ المؤمن إذا دخل الجنة يسأل عن أبيه وأمّه أين هم؟ فيُقال: إنّهم لم يبلغوا طبقتك في العمل. فيقول: إنّي عملت لي ولهم فيلتحقون به في الدرجة بالجنة».

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي ونجّهم ممّا وقعوا فيه بسبب السيئات واعف عنهم وأنت العفوّ الغفور.

﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ شملته رحمتك ونجّيته من العذاب وفاز فوزا عظيما.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ عفو الله ورضاه هو الفوز بالجنة والرّفعة إلى أعلى الدرجات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ المقْت هو الغضب الشديد. والمعنى إن المشركين بمكة تكرّرت دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى، واشتدّ كفرهم وصلفهم فكان مصيرهم جهنم وبئس المصير، وتستمرّ الملائكة يذكّرونهم بأن مقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تماديتم على الشرك وحرمْتم أنفسكم من نعم الجنة ورضى الله تعالى.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ الحياة الأولى تبتدئ حين كنّا في بطون أمّهاتنا والحياة الثانية التي تحصل عند البعث من القبور. نادى المشركون ربّهم وهم في عذاب جهنم، أن يخرجهم منهاويقولون: ها نحن اعترفنا بذنوبنا التي أحدثناها في الدنيا، فتب علينا وأنت التواب الرحيم. إنهم يظنون أن التوبة تكون حتى يوم القيامة، يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم، فطلبوا من الله أن يمدّهم بوسيلة تخرجهم من العذاب.

وهذا كلام منْ غلب عليه اليأس.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ ذلك العذاب الذي أنتم فيه بسبب كفركم وإعراضكم إذا دعيتم إلى التوحيد، وظللتم مستمرين على كفركم تؤمنون بتعدد الآلهة ولا تؤمنون بأن الله تعالى له الحكم في الكون كلّه لا شريك له في حكمه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ هو الذي يهديكم إلى معرفة العلامات الشاهدة المتعددة الموجودة في الكون التي تدل على عظمة الخالق وقدرته وسعة سلطانه.

والله تعالى ينزّل لكم من السماء مطرا تنتفع به جميع المخلوقات: قال تعالى في سورة المؤمنون ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ... ﴿١٨﴾﴾ ونزول الماء سبب للرزق والرحمة العامة، وما يتّعظ به ويحمد الله عليه إلا أولوا الألباب: التائبون الذين، هداهم الله التّواب الرحيم بفضل منه سبحانه وتعالى.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يا أيّها المؤمنون: اعبدوا الله وحده عبادة ليس فيها رياء، طاعة لله ورسوله وأخلصوها لإرضائه جهارا وخفية، ولو كره الكافرون وازدادوا غيظا ولو نشأ منه عنف وصراع.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ لا يعتلي عليه أحد وهو العلي العظيم، وسع كرسيّه السماوات والأرض، عظيم السلطان.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ العرش أعظم المخلوقات رفعة وعزّا وهو محيط بجميع المخلوقات.

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ يُوحي الله الشريعة على مَن يشاء، ليحذّر

عباده من أهوال يوم التلاقي يوم تقوم الساعة، يوم يبرز الناس وتظهر البواطن والخفايا التي لا يخفى على الله منها شيء، يوم ينادي الله الواحد القهّار فيقول: لمن الملك اليوم ؟ فيُجيبه الحاضرون البارزون من أهل المحشر: هو لله الواحد القهّار.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ الله سبحانه وتعالى حُكمه عادل وعاجل لا يحتاج إلى إعادة التدبّر فيه ولا إلى مراجعته ولا تعقيبه، ويوم الحكم تجزى كل نفس بما قدّمت.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ الأزفة اسم ليوم القيامة. الحناجر جمع حنجرة هي الحلقوم. كاظمين بمعنى ساكتين لا يستطيعون الكلام كأنّهم قد انسدت حناجرهم. الحميم المُشفق. والمعنى ليس لمن ظلموا أنفسهم بالشرك بالله قريب يشفع فيهم ولا بعيد ينقذهم، تراهم لا يتكلمون كأنّهم قد انسدت حناجرهم !.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ الله تعالى يعلم ما تعنيه غمزة العين الخائنة ويعلم النوايا التي في الصدور. قال ابن عباس رضي الله عنه: «يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا».

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله قادر أن يجزي الحسنة بالحسنة وبالسيئة السيئة».

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ﴾ إن الأصنام والأوثان لا يملكون شيئا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ إن الله تعالى يسمع أقوال خلقه، بصير بهم يهدي من يشاء ويُضل من يشاء، سبحانه وهوالعليم القدير.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ الخطاب موجّه إلى الذين كذّبوا برسالة سيدنا محمد ﷺ من مُشركي مكة وإنذار لهم بأنّه قد يُصيبهم مثل ما أصاب الأمم المتعدّدة الذين كذّبوا أنبياءهم فدمّرهم الله

فأفناهم، إن الله شديد العقاب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ أرسل الله موسى عليه السلام رسولا إلى فرعون وهو من أقباط مصر، وإلى هامان وهو وزير فرعون، وقارون وهو من بني إسرائيل، فكذّبوا موسى عليه السلام وقال جميعهم إن موسى ساحر!.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ لمّا جاء موسى عليه السلام بالآيات البيّنات والحجج الواضحة والحقّ البيّن الذي لا شك فيه، سخِر فرعون من دعوة الحقّ هو وأنصاره، وقالوا: إن موسى ساحر كذاب. وأمر فرعون بقتل الذكور من أطفال بني إسرائيل ثم عزم أن يقتل موسى ليخلص منه ومن بني إسرائيل كلّهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ تطاول فرعون على ربّ بني إسرائيل قائلا: لا أبالي به وقال: إنّي لا أحسب لربّ موسى حسابا. وعزم أن يقتل موسى ليخلص منه، أما موسى فإنّه لم يبال بتهديدات المجرمين وقال: إنّي عذت بربّي من كلّ متكبّر جبّار لا يؤمن بيوم الحساب.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ رجل مؤمن بالله تعالى ومصدّق بموسى، كان رجلا صالحا. قال الشيخ ابن عاشور: «كما اهتدى أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى تصديق النبي ﷺ حين سمع دعْوته فقال له: صَدقْت».

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ﴾ قال لهم رجل يريد أن يحمي موسى عليه السلام من القتل وعاب عليهم ذلك: قال لهم الرجل إن كان موسى كاذبا فتبيّنوا أكان كاذبا أو صادقا ولا تعجلوا بقتله ولعلّه يكون صادقا فينفعكم تصديقه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ آية تؤكد أن الرجل المؤمن صادق لأنّه قال كلمة حق. قال رسول الله ﷺ :«أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر».

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ يخاطب الرجل المؤمن قومه: يُحذّرهم من غضب الله القويّ ذي البأس الشديد ذي العزّة الذي يغلِب ولا يغالَب، وأن لا يغرّنّهم ملكهم الأرض والقوّة المحدودة فإن بأس الله شديد ولا ناصر لهم ينصرهم ولا أحد قادر غير الله الواحد القهار.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ قال فرعون لقومه: أشير عليكم بأن تقتلوا موسى، والتخلّص منه أفضل الحلول.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ حذّر رجل مؤمن قومَه من العذاب الذي أصاب أمما سالفة من السوء فباؤوا بغضب من الله جزاء للظالمين والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ في الكشاف عن الضحاك «أي إذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب».

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ ومن يضْلِله الله فلا هادي له.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ أي يا أهل مصر قد جاءكم يوسف رسولا راجيا اللهَ تعالى أن يُعينه على إصلاح حال أمّته وأن يحبّب إليهم العدل والإحسان وجاءهم بالبينات التي تحمل خيرا وأعلمهم بأن الله تعالى أوحى إليه فأعجبوا به، وازدادوا به إكبارا لمّا دعته امرأة العزيز فرأى برهان ربّه واعتصم بالله وكان من المتقين، وسُجن وكان في السجن يوحي الله إليه فأخبر عن الغيب وشاع في القوم امتيازه بصدق الخبر وأنه آتاه الله الحكمة فكان لديهم المدبّر الحكيم. وناداه عزيز مصر وبوّأه مقام الرئاسة وقال له: «إنك اليوم لديّ المتصرّف الأمين المدبّر الحكيم، فحَكم بالعدل».

والعدل إن دام عمّر والظلم إن دام دمّر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي حتي إذا هلك يوسف ومات، قُلتم: لن يبعث الله من بعده رسولا ولا يأتي الزمان بمثله. إنّه كان عليه السلام رسولا مرشدا حتى في السجن.

قال تعالى في سورة يوسف ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ...﴿٤٠﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ إنّه منْ كان مُسرفا كذابا شاكا في أمر الله، يُضلله الله تعالى كما أضل بني إسرائيل.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ إن جدال الذين كفروا هو سبب انحرافهم عن اليقين.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الذين يجادلون في آيات الله بغير أدلة وحجج ثابتة يغضب الله عليهم ويمقتهم مقتا شديدا، ويتبرأ منهم المؤمنون ولا يقيمون لهم شأنا.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ قال قتادة: «آية الجبابرة قتل الناس بغير حقّ».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ استمر فرعون متمرّدا ناكرا، لا يعترف برسالة موسى عليه السلام، شاكّا في دعوته، فقال فرعون لوزيره هامان: ابن لي قصرا عاليا، عازما الصّعود عليه ليرى ربّ موسى راجيا أن يرى في السماء شيئا يُثبت لقومه صدقه.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ التباب: الخسران والهلاك. والمعنى كان ما فعل فرعون دليلا على ضلاله وبعده عن الحقّ وأنّ كيده في نحره.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ إن الذي آمن

استمرّ يُزهِّد قومه في محاسن هذه الدنيا الزائلة.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ إن دار الآخرة هي دار الاستقرار، والبقاء فيها دائم.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ﴾ إن السيّئة جزاؤها سيئة واحدة مثلها.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ إن المؤمنين الذين عملوا الصالحاتِ جزاؤهم الجنة رزقهم فيها موفور دائم لا حصر له ولا مثيل له.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ يقول لهم الرجل المؤمن: يا قومي أنا أدعوكم إلى العمل الصالح لتنجوا من النار وعذابها، وأن لا تشركوا بالله أحدا وأن تصدقوا بموسى رسولا.

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ وأنا أدعوكم إلى طاعة الله العزيز الغفّار.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي يقول بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام لا ينفع ولا يضرّ.».

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ إن الذي تدعونني إليه حجر من الأصنام لا يجيب من يدعوه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ إنّ مرجعنا إلى الله يوم الحساب والله مُجاز كل عامل بمثل عمله: إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

يقول الرجل الصالح الذي دعاهم إلى النجاة: أنا أتوكّل على الله وأستعين به وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون والله يهدي من يريد.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ نجّاه الله تعالى مع موسى عليه السلام من الغرق وأنّ جزاءه في الآخرة الجنّة.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ وكان جزاء آل فرعون في الآخرة عذاب الجحيم.

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ هذه الآية تُثبت أنّ عذاب القبر حقّ. روى ابن كثير بسند: «إنّ رسول الله ﷺ قال: أيّها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حقّ».

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧﴾ قال ابن كثير: «هذا نمط من تحاجّ أهل النار، يقول الضّعفاء للذين هم كانوا من أتباعهم: «أطعناكم في الدنيا ودعوتمونا إلى الكفر والضلال فهل لكم أن تحملوا عنا نصيبا من عذاب جهنم ؟».

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾ قال الذين كفروا لأتباعهم: إن العذاب يشمل كلّ الكافرين وأتباعهم ولا مردّ لقضاء الله سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ قالوا: أو لم تسمعوا ما وعظكم به رسلكم بالحجج المقنعة؟ فانصرفتم عنها وكذّبتم بها فحقّ عليكم العذاب بما استكبرتم.

﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ قال خزنة جهنم للذين في النار: ادعوا لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم وإنّا منكم برآء.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٥٠﴾ قال خزنة جهنم: يا أيّها الكافرون إنّ دعاء الكافرين لا يُستجاب.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يقول الله سبحانه وتعالى: من يُعادي لي وليّا فقد بارزني بالحرب». وكذا أهلك الله عزّ وجلّ قوم نوح وعاد وقوم لوط وأهل مدين ومن كذّب الرّسل وخالف الحقّ، وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا وعذّب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا، وهكذا نصر الله نبيه محمدا ﷺ وأصحابه والمؤمنين على المخالفين والمكذّبين، وجعل الله كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ اللّعنة هي الطرد من رحمة الله وسوء العاقبة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ أتى الله موسى شريعة الهدى وهي الشريعة التي في التوراة وكانت هُدى لبني إسرائيل.

قال الشيخ ابن عاشور: «فيه علم ما لم يعلمه المتعلّمون وفيه ذكرى لما علمه أهل العلم منهم».

قال تعالى في سورة الصف ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: والمعنى لا تستبطئ النصر فإنّه واقع. والنّصر ما نصر الله تعالى به النبي ﷺ والذين آمنوا معه على المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين.

أمر الله تعالى الرسول ﷺ بطلب المغفرة من الله تعالى والتسبيح بحمده بالعشيّ والإبكار. العشي آخر النهار إلى ابتداء الظلمة والإبكار أوّل النهار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾ إن الذين يجادلون في آيات الله هم المشركون من أهل مكة بأنّهم رفضوا دعوة الرسول ﷺ بدافع الكبرياء والصلف تنقيصا لشأن الدعوة الحقّ لكن ليس لهم حجة تثبت صحة ما يقولون.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ أي إن الذين يكيدون لك يامحمد يريدون تعطيل دعوتك، لا تعبأ بهم إن الله قادرعلى إبطال ما يصنعون.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ الذين يجادلون في حجّة إمكان البعث من القبور ويستبعدونه مع أنّهم لا يغيب عنهم أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا

﴿ مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي لا يستوي من لا ينظر لا قريبا ولا بعيدا وهو في ظلام دائم والبصير الذي يرى البعيد من الأفق كذلك لا يستوي المؤمنون الذين فتح الله عليهم بنعمة البصر والبصيرة الكاملة والكافرون الذين عميت أعينهم وقلوبهم عن معرفة الحقّ وظلوا في ظلام الطغيان والكبرياء لا يعتبرون.

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ إن الساعة حقّ ولكن أكثر الناس لا يصدّقون أنّ الساعة آتية: أولائك هم الظالمون لأنفسهم، ويوم يرونها يخسرون الخسران المبين.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه روى عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربّه أنه قال: «أربع خصال واحدة فيهنّ لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة فيما بيني وبين عبادي، فأمّا التي لي فتعبدْني لا تشرك بي شيئا، وأمّا التي لك فما عملت من خير جزيتك به، أمّا التي بيني وبينك فمِنك الدّعاء وعليّ الإجابة، وأمّا التي بينك وبين عبادي فارْضَ لهم ما ترتضى لنفسك» رواه أصحاب السنن الستة.

روى ابن كثير بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «منْ لمْ يسأل الله يغضب عليه».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذين يستكبرون عن توحيدي وعن دعائي، سيدخلون جهنّم صاغرين في حَقار مهين.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ جعل الله الليل لتسكن فيه أجسام المخلوقات وليعملوا بالنّهار ناشطين، وجعل لهم النهار مضيئا ليتقنوا أعمالهم الصالحات، كلّ ذلك بفضل الله تعالى على عباده ولكنّهم لا يشكرون. وذلك تقصير منهم وبالشكر تدوم النعم.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ فكيف تعبدون غيره؟ وهو سبحانه وتعالى خالق كل شيئ وهو على كل شيء قدير.

﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ إنّ عبادة غير الله سبحانه وتعالى، إفك وكذب وطغيان. وقد جحد الذين كفروا ومن قبلهم من الأمم،

فعبدوا غير الله، وكانوا لا يصدّقون بآيات الله الواضحة المبيّنة بحجج قويّة دامغة، وكانوا يتعامون عن الحقّ وظلّوا في ضلال مهين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ جعل الله تعالى لكم الأرض لتسكنوا على بساط ممهّد مثمر منعش، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم ولا تصيبها زلازل إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي خلقكم في أحسن صورة تنعمون بجسم جميل وفكر سليم وفضّلكم على كثير ممّن خلق سبحانه وتعالى الحكيم القدير.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي تعالى الله وتقدّس وتنزّه سبحانه جل جلاله.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو الحيّ أبدا لم يزل ولا يزال وهو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن لا نظير له ولا عديل.

﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ روى مسلم بسنده عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول دبر كل صلاة: لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إلاه إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النّعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إلاه إلا هو مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون».

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ قل يا محمد للمشركين: إن الله تعالى ينهى أن يُعبد غيره ممّا يعبدون من الأصنام والأوثان وأنّه لا يستحقّ العبادة غيره، وكلّ ما في الكون عبيده وهو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو الذي بدأ الخلق وله يسجد من في السماوات والأرض ثم إليه المصير.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ

﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ خلق الله الإنسان وجعل له أطوارا يمرّ بها: طور الطفولة وطور الشباب وطور الكهولة وطورالشيخوخة وطور الانتظار. سبحان الله الخلاق العليم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ إذا قدّر الله سبحانه وتعالى أمرا فإنّه يتمّ فعله وقوله الحقّ.

اللّهم اختم بالصالحات أعمالنا إنّك أنت الحليم الغفور

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الذين يجادلون مكذّبين بما ورد في كتاب الله من الأدلة البيّنة والحجج البالغة ولا دليل لهم على ما يدّعون، وانصرفوا عن التّصديق بما جاء به الرسول ﷺ، جدالهم باطل عجيب.

﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي كيف ينْصرفون عن اتّباع ما جاء في كتاب الله من حجج مقْنعة؟

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي الذين كذّبوا بالكتاب والكتب التي أنزلت على الرّسل قبْله سوف يجازون يوم القيامة وسيرون ما كذّبوا به من العذاب.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الغلّ حلقة من حديد تحيط بعنق الجاني والحميم الحرّ الشديد. قال الشيخ ابن عرفة: «وإنّما تعوّض بعض العقوبات في الدنيا بالوثق من اليدين» وزيادة الحطب على ما في النار ليتواصل حريقها.

أعوذ بالله من النار ومن عذاب النار

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ فيُقال لهم: أين ما كنتم تعبدون من الأصنام والحجارة، فهل لكم أن تقيموا الحجة بها؟.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ﴾ قالوا: غابوا عنّا كنّا نحسب الأصنام شيئا فى الدنيا فإذا هي ليست بشيء يعتدّ به.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ والله يضلّ الكافرين مثل ما أضلّ هؤلاء الضّالين.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ إن ما صبّ عليكم من أنواع العذاب السابق ذكرها، كان سببها استهزاءكم بالرسول ﷺ وبالمؤمنين.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ يأمر الله تعالى المتكبّرين بأن يدخلوا أبواب جهنم مخلدين فيها، وأعلمهم بأن قرارهم فيها سيّء مذموم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى أنّهم واقعون في قبضة قدرة الله في الدنيا سواء كان ذلك في حياتك يامحمد مثل عذاب يوم بدر أو بعد وفاتك مثل قتلهم يوم اليمامة، وأمّا عذابهم في الآخرة فذلك مقرّر لهم».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾

قال الشيخ ابن عاشور: «وقد جاء في القرآن تسمية خمسة عشر رسولا وهم نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وهود وصالح وشعيب وموسى وهارون وعيسى ويونس ومحمد صلى الله عليهم وسلم، وأنبياء منهم داوود وسليمان ولقمان وإدريس وزكريا ويحي وغيرهم صلى الله عليهم وسلم».

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ قال ابن كثير: «أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على أذى الذين كفروا وعابوه ببذيء الكلمات وغليظ القول وسوء التكذيب بدعوة الحقّ، وأعلمه بأن الله تعالى سينجز وعده وسينصره نصرا عزيزا».

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ ومن عظائم أمر الله، قهر الناس بمصائب الجوع مدة سنين كسِني يوسف عليه السلام وكما قضى على صناديد قريش يوم بدر بالهزيمة والفناء وكمصائب الهزيمة يوم الأحزاب وهزيمة يوم أحد.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ وخسر من جادل في آيات الله طغيانا وكفرا.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ امتنّ الله تعالى

على الناس بما سخّر لهم من الإبل وذلّلها إليهم ولهم فيها منافع منها لحومها وألبانها وأوبارها وعلى ظهورها يسافرون إلى بعيد الأوطان ولراحة التحوّل إلى القريب وهي كالفلك التي تحمل الأثقال في البحار وهي لهم مطواعة لاقتناعها بالقليل من المرعى ومن الشراب. ومن معاني كلمة الأنعام الغنم والمعز والبقر وكلها نِعم توجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى ويشكره ويسبّحه تسبيحا جليلا.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ فبأي آية من آيات الله تكذّبون؟ وكل آيات الله تعالى تدلّ على وحدانية الله وقدرته. هذا استفهام فيه توبيخ للمنكرين هذا يدل على قصر نظرهم، وهم في الظلمات، قلوبهم عُمْي.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أفلم يتدبّر المكذّبون ويتفكّروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه لما حلّ بهم عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ قال السّدي: «فرحوا بما عندهم من العلم لأنهم يجهلون قصر نظرهم وضلّوا عن البيّنات الواضحات فلم ينفعهم استهزاؤهم واستنكارهم ولم يهتدوا إلى حق اليقين».

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي قالوا كفرنا بالأصنام والأوثان التي جعلناها معبودة بدل عبادة الله.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ﴾ ما كان ينفعهم إيمانهم لما رأوا شدّة العذاب.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾ من سنّة الله تعالى في عباده أن الإيمان لا ينفع إذا غرغر العبد وبلغت الروح الحلقوم: فلا توبة حينئذ.

اللهم أتمم بالصالحات أعمالنا

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وخسر الكافرون الجاحدون الذين جعلوا لله ندّا ولم يشهدوا بأنّه الواحد الأحد.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾
فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا

وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ

إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ
خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾
وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ
وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ
يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ
فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾
۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ

قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

سورة فصلت جاء فيها:

– أركان الإيمان ومصادر إشعاعه وهي القرآن الكريم والأحاديث النبوية السليمة والوحي.

– رسالة الرسول ﷺ وجهاده المقدّس في سبيل الله لتبليغ معاني الذّكر الحكيم وتوضيح آياته للناس باعتباره نورا من عند الله يهتدي به من يشاء الله هدايته.

– الخبر عن المكذّبين الذين ارتابوا وشكّوا فيما أنزل الله.

– استعراض أحوال بعض المكذبين وعرض مصارعهم المهينة أمما وأفرادا.
– الخبر عن المؤمنين الذين استقاموا على الطريقة وفازوا برضى الله تعالى وجنّة النّعيم.

روى ابن كثير بسنده: «أنّه استمع أعرابي إلى الرسول ﷺ وهو يقرأ سورة فصّلت، فلمّا عاد إلى قومه قال لهم: إنّي سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط! فهو والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، ما فهمت منه شيئا غير أنّه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود! فعجبوا من مقاله فقال لهم: إن هذا رأيي ودعاهم إلى الحذر ممّا قال، فقالوا له سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه!».

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ القرآن منزّل من لدن الرحمان الرحيم نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ كتاب بيّن الرسول ﷺ معانيه ووضّح أحكامه في أعلى أساليب البيان اللغوي، لغته العربية الفصيحة البليغة ليس كمثله شيء يهدي الله به من يشاء من عباده.

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ أعرضوا ورفضوا السماع.

قال القرطبي: «السورة نزلت لتقريع قريش وتوبيخا لهم إذ قالوا لقومهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه!».

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ أكنّة أي أغطية. والآية توبيخ لقريش، إذ كيف يكفرون بالله تعالى وهم يعلمون أنه هو الذي خلق السماوات والأرض ولا يريدون السماع للقرآن وكأن قلوبهم غلف؟ وجعلوا بينهم وبين الرسول ﷺ حجابا وحاجزا منيعا وقال لهم كبيرهم: اعتزلوه!.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ أمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقول للناس إنّي أنا رسول الله إليكم فاستمعوا إلي الآيات وتدبّروا معانيها وذروا الشرك بالله ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ

مبين، واجتنبوا الشرك إنّ الشرك لذنب عظيم، واستغفروا الله فإن الله لغفّار لمن تاب، أما الكافرون والمشركون فمأواهم النار.

قال تعالى في سورة البينة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ إن الذين آمنوا حقا ويقينا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة مخلصين، جزاؤهم عند الله متواصل غير منقطع.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

هذه الآية توبيخ للمشركين على إشراكهم رغم الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الله تعالى خلق كل شيء وهو القدير العليم وإنه ليس له ندّ ولا شبيه ولا شريك ولا من يقدر على أن يخلق أرضا ولا سماء، إنّه بديع السماوات والأرض وما بينهما سبحانه وتعالى عما يشركون.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ جعل الله على الأرض جبالا تثبت ولا تنتقل ولا تذوب وجعل فيها طاقة عظيمة تنشأ منها أقوات لجميع المخلوقات.

تلك الأقوات منها ما هو للإنسان ومنها ما هو لجميع المخلوقات المتنوّعة. خلق الله تعالى كل ذلك في مدّة أربعة أيام. وكلّ تلك النّعم أعدّها للمحتاجين إليها.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ أراد الله تعالى أن يخلق السماء وهي مثل الدخان، وهو دليل على عظمة القدرة الإلاهية وأن أمره مطاع.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ فصيّرهن سبع سماوات وسوّاهن في مدة يومين.

﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ وعرّف الله تعالى بعض مخلوقاته، بإلهام منه، تطبيق أوامره لضمان السلامة بين ما يتحرّك فيها من كواكب وأحوال الجاذبية بينها واستمرار التماسك بينها بحكمة منه وهو الحكيم العليم بكل شيء، القدير على كل شيء.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ المراد بالمصابيح: النّجوم والشّهب، خلقها الله سبحانه وتعالى لتضيء السماء الدنيا وتحفظها من الشياطين المسترقة للسمع وغيرها. كل تلك المخلوقات وما حولها تدلّ على عظمة الله الذي خلقها بقدرته وفق علمه وحكمته.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فإن أعرضوا معناه إن استمروا على كفرهم بعد إقامة الحجج عليهم.

أنذر الله الكافرين بأنه سيُصيبهم عذاب شديد يُحيط بهم مثل نزول الصاعقة على عاد وثمود، وذلك تخويف لقريش الذين كذّبوا الرسول ﷺ رغم شدّة حرصه على هداهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده.

﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي قال الكافرون: لو شاء ربّنا أن نؤمن بالرسل لبعث إلينا رسلا من الملائكة.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ قوم عاد، اغتروا بقوّة أجسادهم وادّعوا بأنّهم لا يغلبهم أحد، فاستكبروا وطغوا وليس من حقّهم أن يستكبروا ولا موجب له، لأن كل إنسان فيه نقص والنّاقص ليس بكامل والكمال لله والكبرياء لله لا شريك له في ذلك. إن ما كان عليه قوم عاد هو طغيان وكفر عظيم ولشدّة جهلهم نسوا أنّهم مخلوقون والخالق أعظم ممّن خُلق.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ الريح الصرصر تهبّ من جهة غروب الشمس. هي ريح عاصفة لها دويّ شديد، أرسلها الله عليهم في ثمانية أيام كانت عليهم عذابا شديدا ومخزيا ومهينا، هي جزاء من الله تعالى على سوء أعمالهم وطغيانهم واستكبارهم وكفرهم وجحودهم وهي لهم في الآخرة خِزي ولا ينفعهم ناصر ولا شفيع.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ ثمود قبيلة كافرة طاغية، أرسل الله فيهم الرسول صالحا عليه السلام

يدعوهم إلى دين التوحيد والتقوى، فكذّبوه ورفضوا دعوته فأهلكهم الله بالصاعقة وهي صيحة قصف كهربائي من احتكاك السحب مسخّرة بأمر الله لا مثيل لها! فصعقتهم فأصبحوا صرعى ونجّى الله الذين آمنوا بتقواهم وصالح أعمالهم.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ والمعنى ونجّى الله صالحا عليه السلام ونجّى الذين آمنوا معه برحمة منه.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يُحشر أي: يجمع الناس. يوم يجمع الله تعالى أعداءه المشركين ليُحاسبوا على أعمالهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الله يجمع أعداءه المشركين يوم الحشر يقتربون إلى جهنم فإذا حضروها بدت لهم أعمالهم وانكشفت فضائحهم وشهدوا بما أنكروا، شهد عليهم حواسهم: الأذن تخبر بما سمعت والعين تشهد بما رأت والجلود بما لمست.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ إن المشركين كانوا يباشرون بعض الفواحش فلمّا حضروا الحساب أنكروا بعضها طمعا في تخفيف العذاب عليهم، فشهدت عليهم حواسّهم وكذّبتهم وحقّ عليهم وعد الله،إن الله بكل شيء عليم. روى ابن كثير بسنده عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه، قال «إذا كان يوم القيامة عُرّف الكافر بعمله، فجحد وخاصم فيُقال له هذه جوارحك تشهد عليك. فيقول: كذِبت. فيُقال: احلفوا. فيحلفون ويُشهد عليهم ألسنتهم ويُدخلون النار...».

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ سبحانه وتعالى يرجعهم إلى العذاب بعد أن يتمّ استنطاقهم. أعوذ بالله من عذاب النار.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

ورد في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت مستترا بأستارالكعبة فجاء ثلاث نفر قريْشيان وثقفي، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترونْ الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن

جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. قال عبد الله بن مسعود: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قال ابن عاشور: «وحاصل هذه الآية: إن الله عليم بأعمالكم ونيّاتكم لا يخفى على الله شيء إن جهرتم أو استترتم وليس الله تعالى بحاجة إلى شهادتكم ولكنكم وقعتم في هذا الظن الأسوإ ظنكم بجلال الله».

والملاحظ أن الذي أرداهم هو سوء الظن بالله وأنّه يسمع الجهر ويسمع ما يخفى. قال رسول الله ﷺ:«إيّاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إن يستعتبوا معناه إن يطلبوا العفو والصفح.

قال الزمخشري: «فإن يصبروا لا ينفعهم الصبر ولا ينجون به من النار».

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ معنى قيّض هيّأ. قرناء جمع قرين. والمعنى: الله عزّ وجلّ، جعل للكافرين قرناء من أصحاب السوء ملازمين لهم يزيّنون لهم أعمال السّوء الخبيثة مثل عبادة الأصنام وارتكاب الفواحش فحقّ عليهم العذاب الدائم وبئس المصير، وذلك هو الخسران المبين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قال الكافرون: ارفعوا أصواتكم بأصوات ناشزة لا يفهمها أحد. وذلك لمنع السّامع من التّدبّر والتأثّر بصوت القارئ للقرآن، إنه يحمل أنوار الهدى للمؤمنين، وهم لا تميل قلوبهم بالإصغاء إليه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه ويقولون لهم: لا تسمعوا له والغوا فيه، فكانوا يأتون بالبكاء والصفير والصياح وإنشاد الشعر وما يحضرهم من الأقوال التي يصخبون بها».

وقد ورد في الصحيح أنهم قالوا: «لاتستمعوا إلى قراءة أبي بكر– وكان رقيق

القراءة – إنّنا نخاف أن يفتن أبناءنا ونساءنا».

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ الذين كفروا هم المشركون الذين قالوا [لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ] قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن العذاب الشديد هو ما حصل لهم يوم بدر» وأسوأ العذاب هو تعذيبهم في الآخرة، وذلك جزاء لهم عمّا كانوا يعملون في الدنيا ويكذّبون الرسول ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨﴾ المشركون الذين رفضوا دعوة الحقّ وكفروا، حقّ عليهم العذاب يوم لا ينفعهم النّدم وكان لهم الخلود في النار جزاء وخيما لأنّهم كانوا يجحدون فلا يعترفون للرسول ﷺ بالرسالة ولا يعترفون أن القرآن منزّل من عند الله تنزيلا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ قال المشركون: ربّنا نريد أن نرى الغاوين من الجن والإنس الذين أضلونا وحرمونا من اتباع الصراط المستقيم وذلك لنجعلهم تحت أقدامنا انتقاما منهم وإهانة لهم ولنراهم في زمرة القابعين في أسفل السّافلين في جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ المؤمنون صدعوا عن اعتقاد القلب واللّسان بكلمة التوحيد، شهدوا بأنّ الله سبحانه وتعالى ربّهم وربّ النّاس أجمعين، وذلك توكيد وإعلان بأنّهم مؤمنون مصدّقون ومخلصون له الدّين حنفاء.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ قال رسول الله ﷺ :«قل آمنت بالله ثم استقم» .كان عمل الذين استقاموا على الطريقة تطبيقا لِما في قلوبهم من العزم على الوفاء بالعهد وامتثال لما شرّعه الله تعالى.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ روى ابن كثير بسنده عن مجاهد: «أي لا تخافوا بما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلّفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال ودين».

﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ أي يبشّر الله أصحاب الجنة بذهاب الشرّ وحصول الخير والملائكة يبشّرونهم بأن الله تعالى أعدّ لهم الإقامة الدائمة بجنّة الخلد التي وعد بها الله تعالى المتّقين، ونعمت البشارة المهداة من

الله سبحانه وتعالى للمقرّبين.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تقول الملائكة للمؤمنين عند حضور الموت نحن كنّا معكم في الحياة الدنيا نوفّقكم للخير ونحفظكم بإذن الله تعالى ونكون معكم في الآخرة نؤمنكم من الوحشة في القبور ونرافقكم يوم البعث والنشور ونوصلكم إلى الجنة دار الخلود.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ ولكم في الجنّة جميع ما تشتهيه أنفسكم وما تختارون.

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ النّزل: جميع ما يعدّ لإكرام الضّيف ممّا تشتهيه نفسه وترضيه، ومن أفضل النّعم غفران الذّنوب ورضى الله. اللهم ارض عنا وأرضِنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا يستوي الذي يعتزّ بالإسلام دينا ويصدق في قوْله حسن عمله والذين قالوا أسوأ القول ويتعاملون مع غيرهم أسوأ المعاملة. والذي كان قوله ومعاملته غيره صدقا – وهو مسلم معتزّ بدين الله – أقوَم قيلا وأحسن عملا.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ هذه الآية دعوة إلى تهذيب النفس لتتجنّب حبّ الانتقام وتدعو الإنسان إلى كسب مودّة الناس بالإحسان إلى من أساء إليه فهي تحرّض المؤمن أن يدفع السيّئات بالإحسان. وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه لهذه الآية: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والصلح عند الجهل والعفو عند الإساءة».

فإذا التزم المؤمنون بما أمروا به أعاذهم الله تعالى من الشيطان ويصير مخالفهم كأنّه وليّ حميم وصديق وفيّ.

قال جبريل عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ: «يا محمد إن الله يأمرك أن تصل مَن قطعك وتعطي مَن حرمك وتعفو عمّن ظلمك»

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ هذه الآية تماثلها التي جاءت في سورة العصر، قال الله تعالى في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ

﴿لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.
الصّابر يتحمّل المكاره ويكظم الغيظ. فالصّابر هو الذي يملك كثيرا من الصّبر وهو قادر على دفع السّيئة بالحسنة فالصّابر يجمع الكثير من الفضائل والخير.
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فإذا وجد المؤمن رغبة في فعل السّيئة بدل فعل الحسنة، فتلك الرغبة وسوسة من الشيطان فعليه أن يستعيذ بالله منه ومن نزغه.
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ سبحانه لا يخفى عليه شيء وهو علام الغيوب.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ وفي تلخيص التفسير للكواشي: «وكان الناس يسجدون للشمس والقمر يزعمون أنهم يقصدون بذلك السجود لله كالصابئين، فنهوا عن ذلك وأمروا أن يخصّوه تعالى بالعبادة».
﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝٣٨﴾
فإن أبَوْا أن يخصّوا الله تعالى بالعبادة وأشركوا به غيره في عبادته سبحانه فإن الله تعالى غنيّ عنهم وإنّ الملائكة الذين عند ربّهم يسبّحون له بالليل والنهار ولا يملّون فرحين بما خصّهم الله به.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ هامدة لا نبات فيها تنتظر رحمة ربّها.
﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أنبتت نباتا متنوّعا تزهو راضية مرضية مزدانة مباركة كريمة.
﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ سبحان الله الذي خلق الموت والحياة وهو العزيز الحكيم.
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ هذه الآية تذكير للملحدين بأن علم الله محيط بكلّ كائن والله بكل شيء محيط.
﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ المشركون يُلقوْن في النار والمؤمنون يُساقون إلى الجنة أي الفريقين خير؟
اللّهم اجعلنا من الذين يُساقون إلى الجنة زمرا
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ إن الله تعالى عليم بما يعملون لا تخفى

عليه خافية وسوف يُسألون عمّا كانوا يصنعون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ إن الذين كفروا بآيات الله خصّهم الله تعالى بالعذاب الشّديد وإنهم خسروا الدنيا والآخرة لأنهم ما قدّروا كتاب الله حقّ قدره وقد أعزّ الله تعالى القرآن وأنّه يَغلب بالحجة ولا يُغلب، فهو ذِكر يذكّر الناس ويهدي إلى الصراط المستقيم.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ إن القرآن لا يشتمل على الباطل وكلّه صدق وهدى للناس، وإن ذِكره محمود مشكور لأنّه يدل على الخير فيُحمَد قارئه وسامعه وحافظه.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ الذين كذبوا الرّسل من قبلك قَولهم مردود وأنّ قومك يعيدون ما قاله الكافرون السابقون لرسلهم وسيعاقبون عقابا شديدا. قال تعالى في سورة الذاريات ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ إن المشركين يؤذون الرسول ﷺ بذم وكلام بذيء وبالطعن في كتاب الله، وذلك كلام يؤذي الرسول. قال القرطبي: «في هذه الآية يَتعزّى الرسول ﷺ ويتسلّى من أذى وتكذيب قومه ويُبشّره الله تعالى بأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وسوف يُعاقب الذين أشركوا عقابا شديدا

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ مؤلما».

﴿﴾ ولو جعل الله تعالى القرآن بلغة أعجمية، يستمرّ الكفار على كفرهم ويقولون لو بيّن الله آياته بيانا واضحا. قال فخر الدين الرازي: «إن الكفار يقولون متعنّتين هلاّ نزل القرآن بلغة العجم».

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ القرآن شفاء للمؤمنين وبشائر وتطمين للمؤمنين بأن لهم الفوز بالجنة، أما الكافرون فلا أمل لهم في حسن الجزاء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «الاختلاف في التوراة كان على نوعين: – اختلاف فيها بين مؤمن بها وكافر فقد كفر بدعوة موسى عليه السلام، فرعون وقومه وبعض بني إسرائيل مثل قارون والذين عبدوا

العجل في مغيب موسى للمناجاة. – واختلافهم بين المؤمنين بها، اختلاف عطّلوا به بعض أحكامها».

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ ولولا أن الله حكم بتأخير الحساب في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ.

قال ابن عاشور«عرض هذه الأحداث لتسلية الرسول ﷺ وإثبات للمشركين بأن وعد الله تعالى حقّ وأن الله ينصر رسله والمؤمنين».

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ﴾ من عمل صالح الأعمال، يرجع له الله ثوابا خيرا مما صنع.

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ المسيء يرجع فعله عليه وبالا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ لا يعذّب الله تعالى أحدا إلا بعد قيام الحجّة عليه ويشهد عليه سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجلده.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ﴾ لا يعلم زمان قيام الساعة إلا الله تعالى.

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ... ﴿١٨٧﴾﴾.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ﴾ جميع ما ذكر في الآية يعلم الله سبحانه وتعالى تحرّكه، وحدّد له زمان انفصاله من أصوله، برحمة واسعة وفضل عظيم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ ۖ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ يقول المشركون يوم القيامة: ليس فينا واحد يشهد بأن لله سبحانه شريكا ويعلنون إيمانهم في وقت لا ينفع فيه الإيمان ولا التوبة.. سبحانك اللهم لا شريك لك.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ ونسوا ما كانوا يعبدون في الدنيا وأيقنوا بأنهم لا مفرّ لهم من عذاب شديد.

﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ هذه الآية فيها ذم للمشركين وموعظة للمؤمنين، جاء فيها – النهي عن الغفلة عن شكر الله على نعمه – وفيها نهي الإنسان عن أنه إذا أصابته شدة وكرب دعا الله أن يخرجه

منها، فإذا سلم من سوئها قال: بتدبيري وحيلتي نجوت منها.

لا يسأم المؤمن من دعاء ربّه راجيا منه الزيادة من كل خيرمن صحة ومال و بركة.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ إذا أعاض الله للإنسان ما ضاع منه، يقول هذا خلق من كسبي ولا يقول إنّه عطاء من عند الله.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي وما أعتقد أن الساعة قائمة ولو أنّها تقوم لأجدنّ عند ربي خيرا.

قال تعالى في سورة القمر ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ هذا تهديد للذين كفروا، الذين ينكرون فضل الله تعالى ولا يحمدون الله شاكرين له فضله العظيم.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾هذه الآية وصف لنفس الإنسان وطغيانها وهي صفة منتشرة في الناس إلا من عصم الله من الرّسل، فالإنسان إذا كان ينعم في خير يتكبّر وينسى حمد الله تعالى على ما أنعم الله عليه وينسب الخير كلّه لنفسه ولا يحمد الله ولا يشكره على نعمه عليه وإذا أحلّت بالإنسان مصيبة ينزعج ولا يصبر عليها وعندها يلجأ إلى ربّه يطلب كشف الضرّ عنه. هذا وإن الدعاء إلى الله تعالى مرغّب فيه وهو من صفات المؤمنين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ الخطاب للمشركين وإنذار لهم. والمعنى إنّكم لو تدبّرتم القرآن وتأملتم في معانيه ومقاصده لآمنتم به ولاطمأنت أنفسكم ومن ينصرف عن القرآن ولا يعيد النظر، لا يهتدي ويظل في ظلام الجهالة والعصيان ويبوء بغضب من الله تعالى وله أشدّ العقوبات لإنحرافه وكفره وتباعده عن الحقّ المبين.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ وسيُعلم الله الذين كفروا بما عملوه في الدنيا من سوء، لا يخفى على الله سبحانه وتعالى شيء،

وسيصيبهم عذاب شديد أليم.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ إن الله تعالى شهد لك يا محمد بأنك صادق أمين فلا تهتم بمقالات الكافرين. قال تعالى في سورة النساء ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾.

وفي هذا المعنى: صَدَق عبدي فيما أَخبر عنّي.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ المرية هي الشك. أي إن الكافرين في شك في وقوع قيام الساعة ولا يحذرون منه ولا يعبؤون به فويل لهم وبئس ما يعتقدون.

الحمد لله أنّا نشهد بأن الله لا إلاه إلا هو وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث ما في القبور.

اللهم اختم لنا بخواتم الخير وقنا مصارع السوء.

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾
فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ١٨
ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ
١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ٢٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ٢٢
ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ
عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ
وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا
كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾
وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟

لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ
فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ
وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ
رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ
وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ
وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾

من أغراضها: إثبات الرسالة للرّسل عليهم السلام وإقرار الوحدانية لله في القلوب وإرساء الإيمان بالأدلة وإقامة الحجة على صحة ما جاء في كتاب الله

بالأدلّة العقلية والنقلية.

وفيها الإخبار عن: سيرة طغاة المشركين وإبطال دعوتهم إلى الشرك ونبذ الاستمرار على الاستهزاء بالمؤمنين وإنذار الكافرين بالعذاب الشديد.

وتدعو جميع الناس للاستجابة إلى داعي الله: نداء القرآن الحكيم إلى الطريق المستقيم.

وتنتهي سورة الشورى ببيان طرق الوحي إلى الرسول ﷺ.

قال القرطبي: «سورة الشورى دعوة المسلمين إلى الثبات على قواعد الشريعة الإسلامية: التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والثبات على مبادئ العقيدة والدفاع عنها وحمايتها».

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ يوحي الله تعالى إليك يا محمد ﷺ كتابا مثلما أوحى إلى الرسل من قبلك لطفا بعباده الأوّلين والآخرين.

روى ابن كثير بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيُفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلّمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفصم عنه وإنّ جبينه ﷺ ليتفصّد عرقا».

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ أي لا أعلى من علوّه تعالى ولا أعظم من عظمته سبحانه وتعالى، له الملك وإليه يرجع الأمر كلّه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: «يتفطّرن فرَقا خشية من الله تعالى وإجلالا».

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يستغفر الملائكة لمن في الأرض من المؤمنين راجين المغفرة لكلّ من تاب وآمن وعمل صالحا.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ قال تعالى في سورة طه ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ

وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ ﴾ أي والذين جعلوا لله أندادا شركاء له، فليعلموا أن الله تعالى رقيب عليهم لا تخفى عليه خافية، وسوف يحاسبهم حسابا عسيرا، وإنّك أنت يا محمد نذير، والله تعالى هو الوكيل الفعّال لما يريد.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ إنّما أوْحينا إليك يا محمد قرآنا مُعجزا بلغة العرب، لتعلم مَن يقيمون بأم القرى مكة المكرمة وأهل القرى الذين يقيمون حولها، بأن يوم الحساب آت لا ريب فيه، يوم الجزاء يوم لا تنفع نفس لنفس شيئا والأمر لله تعالى القوي العزيز، يوم يُساق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمرا ويُساق الذين كفروا إلى جهنّم زمرا.

﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ ولو شاء الله تعالى لجعل الناس أمّة واحدة ودين الجميع الإسلام.

وإن الله قدّر الهداية إلى الطريق المستقيم لمن اختار الإسلام، ويدخله بذلك في جنة الخلد ومن علم الله أنّه سيختار الضّلال والكفر فإنه يضلّه ويدخله جهنم وبئس المصير.. والأمر كلّه لله من قبلُ ومن بعدُ.

﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ أي والكافرون ليس لهم من يحميهم ويتولاّهم يوم القيامة ولا من ينصرهم ولا من يَقيهم عذاب الله تعالى.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ ﴾ إن الذين اتخذوا إلاها غير الله يظنّون أنّه يقدر على حمايتهم من غضب الله.

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ ﴾ الله هو الوليّ الحقّ والنّاصر للمؤمنين، وهو القادر على إحياء الموتى، وهو الحقّ الأحقّ بالولاية دون غيره، القادر لا يُعجزه شيء، وهو الخلاّق القدير.

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ إن الله تعالى أحكم الحاكمين وهو الذي بيّن أحكامه في القرآن الكريم.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ فالرسول ﷺ يعتمد على الله تعالى

ويرجع إليه في كل ما تُعرض عليه من المشاكل المعضلة ولا يتّخذ غير الله وليّا.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الله تعالى هو الذي أبدع نظام السماوات والأرض وخلقهما كما يشاء وهو الذي بيده الحكم لا شريك له.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ خلق الله تعالى في الكون من يعمره أزواجا: للإنسان من جنسه إناثا وذكورا وللأنعام أزواجا وغيرها أصنافا.

﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ وأن الأجناس تكثر بالتوالد والتناسل.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ ليس لله تعالى من يماثله ولا من يشبهه وهو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ليس كمثله شيء.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ وهو السميع لكل ما يحدث من أقوال والبصير بأفعال مَن خلق.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ بيده سبحانه وتعالى مفاتيح الأرض والسماء.

﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ فضل الله تعالى واسع يبسط الخير لمن يشاء من عباده ويضيّق العطاء على من يريد من مخلوقاته.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ إنّ علم الله شامل واسع والله سبحانه بكل شيء عليم.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ إن شريعة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ تشمل ما وصّى الله تعالى به الرسل عليهم السلام.

قال القرطبي في تفسيره «المراد من الشريعة هو التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج».

وقال الصاوي في حاشيته على كتاب الجلالين: «الشريعة هي ما جاء به أكابر الأنبياء وأولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأما بقيّة الرّسل والأنبياء، فإنّما كانوا مكلّفين بتبليغ شرع من قبلهم، ولم يزل الأمر يتأكد بالرسل ويتناص بالأنبياء واحدا بعد واحد وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها الله تعالى بخير الملل، ملّة أكرم الرسل محمد ﷺ».

إن شريعة الإسلام جمعت جميع الشرائع السابقة، وهي الخلاصة المختارة

الشاملة لصفوة أصول العقيدة وأصول الأحكام المبيّنة في كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وفي هذه الآية نهي عن الاختلاف في الدين وعن التفرّق مللا وأحزابا، يؤوّلون النصوص الواردة في القرآن والسنة كما يريدون.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي صعُب على المشركين الذين يحسبون أنفسهم أنّهم علية القوم، قبول أن يكون الرسول ﷺ من غير أمّتهم.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ إن الله يهدي من يشاء من الذين يتقرّبون إليه بالطاعات ولا يهدي الذين أشركوا وجعلوا له أندادا أو أشباها.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي ما اختلف أهل الكتاب إلا بعد أن علموا عن طريق الرسل والأنبياء دعوة الحق إلى الطريق المستقيم فرفضوها طغيانا وعنادا منهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الكلمة من ربّك: هي أن الله سبحانه وتعالى قدّر أن العذاب يؤجل إلى يوم القيامة، ولذلك تأجّل تعذيبهم ولعذاب الآخرة أشدّ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ إن الجيل المتأخر من اليهود والنصارى يشكّون في أساليب الدعوة المحمدية التي وردت في كتبهم كما شكّ أسلافهم وذلك لبعث الحيرة والظن في قلوب المسلمين ليرتدّوا عن دينهم: إنّهم مقلّدون لآبائهم وليس لهم برهان، إنّهم في ضلال يعمهون.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ قال ابن كثير: «أي فللّذي أوحينا إليك من الدين، الذي وصّينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتّبعة كأولي العزم وغيرهم، فادع الناس إليه».

قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ... ﴿٦٧﴾﴾.

﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ واستمر على الدعوة داعيا الناس إلى الإسلام.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولا تتّبع الأديان المختلفة والمخالفة للإسلام وادع الكافرين

إلى اتباع الدين الحنيف المنزّل من عند الله تعالى.

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ قل يا محمد إنّي آمنت بجميع الكتب المنزّلة.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي أمرت أن أحكم بينكم بالعدل إذا تخاصمتم.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ فلا خصومة بيننا وبينكم حتى يُحتاج إلى المطالبة بالحجة وإقامة الدليل على ما نقول.

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ أي: الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة فينتقم لنا منكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ قال مجاهد: «المحاجّون في دين الله رجال من الجاهلية ومن اليهود والنصارى يريدون إدخال الشك في قلوب المسلمين ليرتدّوا عن دين الإسلام».

ومن محاججتهم في دين الله كقولهم ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ... ﴿٧﴾﴾ من سورة الفرقان، ويقولون في مدح أصنامهم ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ... ﴿١٨﴾﴾ من سورة يونس.

ويقول اليهود والنصارى للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم ودينا قبل دينكم ونحن خير منكم وأكثر منكم مالا، فغضب الله عليهم إذ قال ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي حججهم زلّت وزهقت وليس لها مفعول وظهر للعيان أن المسلمين يتزايدون يوما فيوما ويزداد إيمانهم، قال تعالى في سورة الصف ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

وأمّا المحاجّون فقد غضب الله عليهم غضبا على غضب وأعدّ لهم العذاب الشديد.

قال الشيخ ابن عاشور: «ولعلّ المراد بالعذاب عذاب السيف في الدنيا بالقتل يوم بدر»

قال الله تعالى في سورة طه ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ إن الله أمركم بالعدل والعمل بالشرائع قبل أن يُفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه الله ويزن أعمالكم، ويُوفّي لمن أوفى ويطفّف لمن طفّف، وانتظروا الساعة: يوم لا ينفع مال ولا بَنون ولا يُستبعد أن يكون قريبا.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ﴾ فإن الذين يستبعدون قيام الساعة كأنّهم لا يؤمنون بوقوعها لأنّهم لم يروا بوادر قيامها، وكانوا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾ أي إنّ الساعة عند المؤمنين حقّ، لا ريب في وقوعها وإنّهم مطالبون بالطاعة والعمل الصالح استعدادا للنجاة والسلامة من أهوالها وإنّ الفوز فيها لمن يرضى الله تعالى عنه.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ إنّ الذين يجادلون في قيام الساعة في جهل جهيل. قال تعالى في سورة الروم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ أعلَم الله تعالى عباده بأنّه تكفّل برزقهم، ومن لطفه أنّه تفضّل عليهم برزق كريم. قال تعالى في سورة هود ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ... ﴿٦﴾﴾.

إنّه واسع الفضل الغنيّ الحميد لا يُعجزه شيء وليس كمثله شيء ومن لطفه بالمؤمنين أنّه يجازي في الآخرة المؤمن على إيمانه بالجنة، ويجازي الكافر بالعذاب الأليم لكفره.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ قال تعالى في سورة الإسراء ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ قال ابن كثير: «هم الذين لا يتّبعون ما شرّع الله من الدين القويم بل يتّبعون ما شرّع لهم

شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرّموا عليهم من البحيرة والسائبة والحام وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، وإلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليّتهم: من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة».

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ والمعنى: ولولا أن الله تعالى أراد أن يكون موعد الجزاء يوم القيامة، لعجّل بعقاب الظالمين.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ﴾ إن حال الظالمين المنتظرين الخائفين، كحال الشقيّ الذي يترقّب عذابا فيه انتقام وغلظة جزاء عمّا اكتسب.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ﴾ روضات: أي بساتين فيها ماء وشجر وخضرة ورياحين، يستقرّ بها المؤمنون مطمئنين في ضيافة ربّهم ورضاه جزاء لهم عند ربّهم لأنهم كانوا في الدنيا مؤمنين يعبدون الله تعالى مخلصين، يرجون رحمته، فيُعطيهم ربّهم ما يشتهون. قال الله تعالى في سورة القمر ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ هذه الآية تبشّر المؤمنين العاملين الصالحات بأنّ مصيرهم الفوز بنِعم روضات الجنات لهم ما يشاؤون فيها.. وأكرم بجزاء الخلد من جزاء.

قال الله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾ بشّر الله عباده الصالحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن جعل لهم ما يشاؤون عند ربّهم رفعة لشأنهم وجزاء عظيما.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ أمر الله تعالى رسوله ﷺ، أن لا يطلب أجرا على تبليغ الرسالة وله أن يسألهم المودّة في قربى الرسول. ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده ولذلك كانوا ذوي قُرباه،

فأمره الله تعالى بالإحسان إليهم».

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ الحسنة هي فعل أو صفة محمودة. والمعنى: ومن يفعل حسنة يزد الله تعالى له فيها ما يشاء. قال رسول الله ﷺ «مَن همّ بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف».

والله غفور أي يحبّ من المسيئين أن يستغفروا ويتوبوا ليغفر الله لهم، قال الله تعالى في سورة طه ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «يكون المعنى: إن الله تعالى يمحو باطل المشركين وبهتانهم ويحقّ ما جاء به الرسول».

والله سبحانه وتعالى أعلم بما في الصدور لا تخفى عليه خافية.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقبول توبتهم وأن يكفّر عن سيئاتهم والله بكل شيء عليم.

والتوبة هي الإقلاع عن عصيان الله ورسوله امتثالا لأمر الله تعالى طاعة له، والعزم على اجتناب المعاصي وتركها فورا، والعفو عن السيئات يكون بسبب التوبة النّصوح. قال تعالى في سورة طه ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

والعمل الصالح مثل العفو عن السيئات عقب أداء فريضة الحج المبرور ومثل العفو عن الصغائر باجتناب الكبائر ومثل العفو عن السيئات بالإكثار من الحسنات. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ...﴿٤٨﴾﴾

روى جابر: «أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله ﷺ قال: أستغفرك وأتوب إليك وكبّر، ولمّا فرغ من صلاته، قال له علي رضي الله عنه: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين ما التوبة؟ قال: اسم يأتي على ستّة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، وعلى تضييع الفرائض الإعادة، و ردّ المظالم، وإذابة النفس في الطاعة

كما ربّيتها في المعصية، والبكاء على كل ضحكة ضحكتها».
والله غفار لمن تاب و آمن وعمل صالحا.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ إن الله يعطي عباده التائبين أكثر ممّا يطلبون تفضّلا منه إذ جعل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويعطيهم أكثر ممّا عملوا في الدنيا فجعل لهم الحسنة تتضاعف إلى أكثر من سبعمائة ضعف ويفيض عليهم من الخيرات ما لا يعلمون لأنّهم كانوا مؤمنين بالله ورسوله ويفعلون ما جاء به كتاب الله وسنّة الرسول ﷺ.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى جازى المؤمنين بفضله على إيمانهم أمّا الكافرون فإنّ الله يشدّد عليهم العذاب.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تعرّض الأنصار للنبي ﷺ لمّا جاءه مال من البحرين فرجوا منه أن يُثيبهم منه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فوَالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن يبسط عليكم الدنيا كما بسطها على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكهم». فبسط الكثير من الرزق على العباد تحدث التنافس بينهم حبّا في التكاثر وينتشر بينهم الظلم والبغي والاعتداء على الغير.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ خصّ الله عباده المؤمنين بالخير الكثير تفضّلا منه، فجعل لهم الحسنة جزاؤها عشر أمثالها ويضاعف لهم الحسنة إلى أكثر من سبعمائة ضعف، وإنّه يستجيب دعاءهم من فضله نِعما ترضيهم، وخلق الناس أمما منهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم غني ومنهم فقير.

الناس للناس من عرب ومن عجم ** بعضا لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ إنّه اختار لعباده نظاما حكيما ينتظم به الكون كما يشاء سبحانه وتعالى المدبّر الحكيم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ الغيث هو المطر الأولى بعد الجفاف وحبس المطر في وقتها المعتاد. وما ينزّل الغيث إلا الله واسع الرحمة يغيث عباده بنزول المطر المبارك فينبت به الحبّ ويدرّ الضّرع وتخضرّ الأشجار.

سبحانه وتعالى الوليّ المحمود وبفضله تنتشر الخيرات رحمة للعالمين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

ومن آيات الله تعالى خلق الموجودات: منها خلق السماوات والأرض وما بينهما ممّا يشاهدها الإنسان وما هي خفيّة، ممّا يدبّ على الأرض وفي باطنها وما في السماوات من عوالم نشهدها أولا نشهدها، كلّ في فلكها سابحة، إنّ القادر على خلق جميع المخلوقات قديرعلى جمعهم يوم الجزاء.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي وما يصيب الناس من المصائب في الدنيا وما يسلطه الله تعالى عليهم عقاب على سوء أعمالهم. يؤكد هذا ما رواه الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «لا تصيب عبدا نكبة ممّا فوقها أو ما دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر».

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ روى ابن كثير عن علي رضي الله عنه قال: «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عزّ وجلّ، وحدّثنا به رسول الله ﷺ؟

قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾:

ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه» وفي الحديث: «لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» رواه الترمذي. وقال الرسول: «نقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة، من يحافظ عليهنّ عاش بخير ومات بخير».

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

أيّها المشركون، ما الله تعالى بعاجز عن تعذيبكم وإنّما يعفو عن قدرة، والله عزيز لا يُغلب وإنّما هو الغالب القاهر وليس لكم من وليّ ولا نصير ينصركم من دون الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ الأعلام هي الجبال وهي من المخلوقات العظيمة الدّالة على قدرة الله تعالى. يسّر الله تعالى للسفن الجرْي على سطح مياه البحر

ولو شاء لأسكنها فتبقى راكدة وفي هذا دعوة لحمد الله حقّ حمده وللاتعاظ بآياته سبحانه وتعالى.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ أو يُهيج الله الرياح ويُرسل عاصفة عاتية فيطغى البحر على السفينة فتهلك بمن فيها بسبب ما اكتسبوا من السيئات، وهذه الآية موعظة وتذكرة لمن تنفعه الذكرى والله قدير على أن ينجّيهم من الهلاك سبحانه وتعالى وهو العفوّ الشكور.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ وفي هذه الآية وعيد شديد للذين لا يؤمنون بمضمون ما في آيات الله من مواعظ ظانّين أن طغيانهم ينجيهم من عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

والمعنى: أيّها الناس إنّ ما بين أيديكم، من نِعم تجمعونها وتدّخرونها وتفتخرون بها، هو كحياتكم في الدنيا زائل وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم عند ربّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار وهم فيها خالدون، ومن يتوكّل على الله فهو حسبه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ كبائر الإثم:

الفواحش مثل القتل والجراح والشتم والضرب والقذف والبغي والاعتداء والزنى. هذه كبائر بشعة خبيثة وعقابها في الآخرة أليم والله يغفر لمن يشاء وهو الغفار لمن تاب وهو العفوّ الغفور يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا سلطان.

وعن ابن كثير عن ابن أبي حاتم قال: «كان المؤمنون يكرهون الذلّ وكانوا إذا قدروا عفَوا».

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الذين استجابوا لربّهم هم المؤمنون الأوّلون الذين بادروا بتصديق الرسول ﷺ: أبو بكر وخديجة وعبد الله بن مسعود وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم والذين بايَعوا النبي ﷺ بالعقبة، فتحوّلوا إلى المدينة فبشّروا بالرسالة ثم اجتمعوا في دار أبي أيوب الأنصاري فبادروا بنشر الدعوة في المدينة، فكانت نتيجة الشورى انطلاق الدعوة والعزم الثابت على إبلاغها ونصرتها

والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ولم يرتابوا، وأمرهم الله بإقامة الصلاة والمواظبة على الجماعة فالصلاة مع الجماعة أفضل وتبليغ القرآن وحبّب إليهم الشورى بينهم.

والشورى هي: أنّ قاصدا لعمل يطلب ممّن يظن فيه صواب الرأي والتدبير، أن يشير عليه بما فيه الفائدة المرجوّة من عمله.

نوّهت هذه الآية بمن يُنفق في سبيل الله ممّا رزقه الله تعالى كما فعل الأنصار رضي الله عنهم الذين كان لهم السبق فى جزيل العطاء.

قال الله تعالى فى سورة الحشر ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ البغي هو الظلم. والمعنى: إن الذين أصابهم البغي هم المسلمون الذين تخلّفوا بمكة من المؤمنين، أصابتهم من المشركين أنواع من الأذى: أخرجوهم من ديارهم من غير حقّ وافتكّوا أموالهم وأذلّوهم، فثبتوا رضي الله عنهم وصبروا على الظلم والإهانة والشتم والتحقير. إنّهم صبروا واستقرّوا بمكة ثابتين حتى أذن الله تعالى لهم بالخروج فنجوا والتحقوا بمن يرجون، إن الله تعالى على نصرهم لقدير.

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ المبتدئ بالسيّئة ظالم. وشرع الله للمظلوم أن يقتصّ من الظالم على أن يكون القِصاص بالمثل لا أكثر ومن عفا عن ظالمه فله عند الله أجر.

روى مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خرجت أنا وأبي لطلب العلم في هذا الحيّ من الأنصار فكان أوّل من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبي: «أرى في وجهك سنعة من غضب؟ فقال أجل: كان لي على فلان ديْن فأتيت أهله وقلت: أثمَّ هو؟ قالوا: لا. فخرج ابن له فقلت له: أين أبوك؟ فقال: سمع صوتك فدخل أريكة أمّي! فقلت: اخرج إليّ فخرج. فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ فقال: خشيت الله أن أحدثك فأكذبك وأنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت والله معسرا، قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده وقال: إن وجدت قضاء فاقض وإلاّ فأنت في حلّ».

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ من انتصر من المسلمين على من ظلمهم من المشركين الظالمين هو انتصار مشروع لا يؤاخذون عليه لأنّه دفاع على النفس والحقّ.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾﴾ السبيل هو الرّدع لكل باغ وظالم وحسابه في الدنيا شديد ولعذاب الآخرة أشدّ، وفي المثل: على الباغي تدور الدوائر. ومن صفات البغاة: الكبرياء وتحقير المؤمنين وطردهم والاعتداء على حقوقهم، وأعدّ الله تعالى للبغاة العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ العزم هو الصبر لتحمّل الأخطار المتوقعة لبلوغ العازم إلى ما يريد بثبات وحزم رجاء المغفرة من الله تعالى والجنة.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ من أراد الله أن يوفّقه للهداية فهو المهتدي ومن قدّر الله له أن يكون من أهل الضّلال فليس له غير الله تعالى ينقذه. قال الله تعالى في سورة الزمر ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ فعلى الإنسان أن يصلح نفسه بتجنّب المعاصي وأن يسلك طرائق العفو والرجاء والغفران.

﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾ هذه الآية خطاب للنبي ﷺ تسلية له لما لاقاه من الظالمين البغاة الذين رفضوا دعوته. إنّهم سيَرَوْن العذاب يوم القيامة نادمين على ما فاتهم في الدنيا بسبب كفرهم وطغيانهم، وستراهم على أرذل الحالات يتمنّون الرجوع إلى الدنيا ولا سبيل لهم ولا رجاء، ولا خلاص لهم من عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ الملائكة يُعرضون الكافرين على النّار خاشعين خائفين عاجزين عن المقاومة ينظرون نظرا خفيّا أذلاّء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾ إنّ الذين آمنوا فازوا بالجنة ولمّا رأوا الكفار في عذاب دائم خالدين في جهنّم قالوا: إنّ الكافرين خسروا الدنيا ولم يستفيدوا منها إلا

الضّلال وخسروا الآخرة وكان مصيرهم الحرمان من نعم الجنة والقرار الدائم في عذاب دائم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن كثير: «ومن يضلل الله فما لهم من خلاص ولا أعوان ينصرونهم من دون الله».

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ يدعو الله المشركين أن يعملوا بما آتاهم به الرسول ﷺ ويحذرهم من أهوال يوم آت لا ريْب فيه، يوم لا ينصرهم فيه ناصر، لا مكان يحميهم ولا خلاص لهم منه.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ فإن رفض المشركون الدعوة للإيمان،لا تأسَف عليهم يا محمد، لست على أعمالهم رقيبا، إن الله لا تخفى عليه خافية.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وما أنت مطالب يا محمد إلا بتبليغ الرسالة وقد بلّغت.

والملاحظ أن هذه الآية تسلية للرسول ﷺ.

﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ﴾ أي إذا أكرم الله تعالى الإنسان بسعة في الرزق وبسطة في الجسم أوغيرها من النعم، فرح بها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ وإن يُصبهم جدب أو نقمة أو شدّة فإنّها لسوء أفعالهم: لأنّهم يُنكرون فضل الله تعالى عليهم ويَجحدون نِعمه.

قال تعالى في سورة طه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ سبحانه وتعالى إنّه عليم قدير.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ﴾ إنّه سبحانه وتعالى لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع سبحانه وتعالى العليم القدير.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ قد يقرن الله بين رجل وامرأة فيتناسلان وقد يكون نصيب آخرين العقم، وذلك وفق إرادة الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ كلام الله تعالى: أمرٌ ونهي ووعد ووعيد وموعظة وأحكام

وحِكم، يُبلغه إلى الأنبياء بكلام يُلقى إليهم ويَعُونَه».

وصف النبي ﷺ كيفية أنواع الوحي فقال في حديث شريف رواه الحارث بن هشام قال: «سألت رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ :أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فَيُفصم عنّي وقد وَعيت وأحيانا يتمثّل لي رجلا فيكلّمني فأعي ما يقول».

سبحان الله الحكيم المُتقن لصنع العالم وإصلاح البشر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ قال ابن كثير: الروح يعني القرآن.

﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ أي ما كنت يا محمد، قبل الوحي، تعرف القرآن ولا أنت عليم بما يتضمّنه من أمور غيْبيّة ولا تعرف سبل الهداية والدعوة إلى الطريق المستقيم، صراط الله الوليّ الحميد.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ إنّك يا محمد ترشد الناس وتدعوهم إلى اتباع دين الله بديع السماوات والأرض وهو المدبّر الحكيم.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ والأمر لله من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وتعالى الفعّال لما يريد.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ الجاثية.

سُورَةُ الزُّخرُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا

لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَٰتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ

﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ

ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي
وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ
إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ
وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم
بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ
ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ

فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾
وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

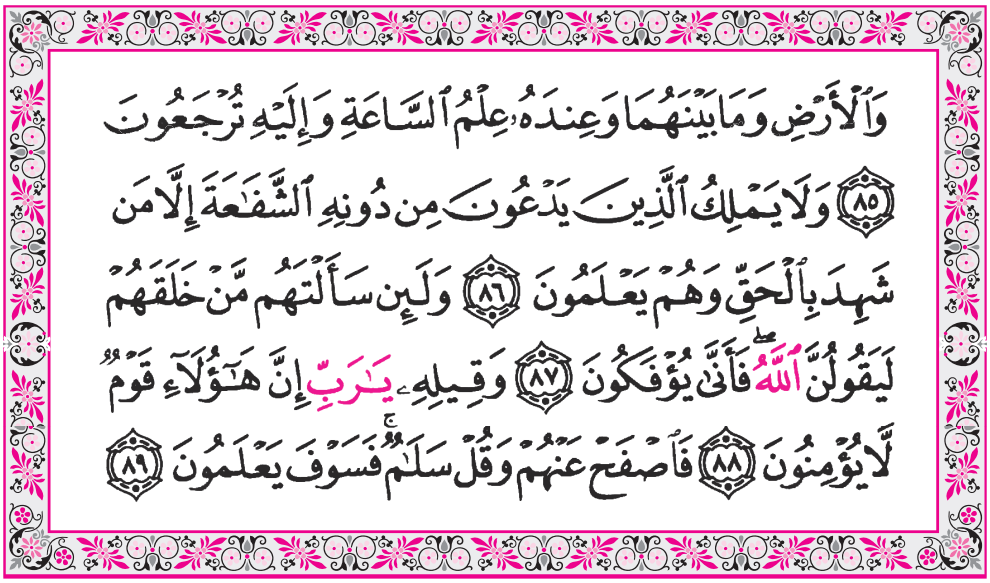
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

ورد في سورة الزخرف: التعريف بأنّ القرآن معجزة أثّر على العقول والأنفس بحجج مقنعة فأعجبوا به وأيقنوا بأنه ليس كمثله شيء من مقولات البشر وأنه تنزيل من حكيم عليم وقد جمع أخبارا عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل وخصّ بالذكر منهم في هذه السورة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وورد ذكر أحوال المشركين وإنذارهم من عذاب الآخرة بضرب الأمثال البليغة بأساليب الترغيب والترهيب.

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ الكتاب هو القرآن تنزيل من الله تعالى بأفصح اللغات على الرسول ﷺ، ليتدبّره أهل الأرض وليهتدوا به إلى الصراط المستقيم: إنّه كتاب عظيم فصيح مُحكم واضح بريء من الأخطاء، صنع الله الذي أتقن كلّ شيء صنعه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ يسّر الله تعالى القرآن الكريم للناس بلغة عرّفها لهم ليتدبّروا آياته، ليذكروا فتنفعهم الذكرى.

قال تعالى في سورة القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما:

«أي إن القرآن في اللوح المحفوظ عند الله، مكانته شريفة معظّمة محفوظ من اللّبس والزيادة والنقص والتقليد» قال تعالى في سورة الواقعة ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «والمعنى: أتحسبون أن يصفح الله عنكم فلا يعذبكم وأنتم لم تفعلوا ما أمركم الله به؟».

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾ أرسل الله تعالى رسلا متعدّدين منهم إبراهيم وموسى عليهم السلام قبل سيدنا محمد ﷺ فكذّبتهم أمَمهم وسخروا منهم واستهزؤوا بهم فكانت هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ الأوّلون من الأمم السابقة لعهد رسول الله ﷺ، أتاهم أنبياء فكذّبوا بهم فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله تعالى.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ أي فأهلكنا المكذّبين بالرّسل، ونصر الله سبحانه وتعالى رسله عليهم الصلاة والسلام.

إن هذه الآيات كانت تسلية لرسول الله ﷺ وتبشيرا له بالنّصر المبين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

وإن سألت يا محمد المشركين: من خلق السماوات والأرض؟ فإنّهم يعترفون بأنّه هو الله بديع السماوات والأرض، ومع ذلك فإنّهم يستمرّون على كفرهم ضالّين يعبدون الأوثان.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ جعل الله ظاهر الأرض منبسطا ليسهل التنقل عليها ولينتفع الناس بها وبما فيها من النبات والثمرات ووسائل الانتفاع بما في ظاهرها وباطنها وليهتدوا إلى أنّها مخلوق عظيم، ليزداد إيمانهم.

قال الله تعالى فى سورة الذاريات ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

الله سبحانه ينزّل المطر لتحيا بها الأرض وينشر عليها نباتها كمثل انشار الناس على أرض المحشر يوم النشور.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ أي خلق أصنافا من النبات والحيوانات.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي سخّرها وذلّلها للإنسان، لينتفع بلحومها وألبانها وللركوب على ظهورها.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: لولا أن الله تفضّل علينا – وهو ذو الفضل العظيم – وسخّرها لنا ما كنّا قادرين على الإنتفاع بها.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ قال تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يس.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ قال القرطبي «إن المراد بالجزء البنات» قال المشركون: إن البنات بنات الله وهذا القول مردود وهو من المشركين ترويج للعقائد الضّالة وكفر بغيض منهم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَٰتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ هذه الآية توبيخ للمشركين في تحقيرهم البنات وكراهتهم لهنّ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ وإذا أخبر أحدهم بميلاد البنت اسودّ وجهه من الغضب يتوارى من قومه ذليلا يرغب في أن لا يراه أحد فيحقّر شأنه، لأن الأمر عندهم مصيبة وبلاء كريه.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ من ينشّأ في الحلية هنّ الجواري يتزينّ بالحلى ولا يقدرن على الانتصار فى الخصام والحروب.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان، إناثا، كلا !إنهم لم يشهدوا ذلك ولم يطلعهم الله تعالى على حالهم: إنّهم كاذبون. وفي هذه الآية تهكّم بهم وإنذار لهم.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه «كان نفر من العرب يعبدون الملائكة وأقوام يعبدون الجن، وقالوا: لو أراد الله لنهانا عن ذلك» وهذا كذب منهم إنّهم يظنّون ظنّا

باطلا وبئس ما يصنعون! إنهم يكذبون وقولهم مردود، وسوف يذوقون بأس الله تعالى جزاء عمّا كانوا يفترون.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ هذا ثناء وتأييد من الله تعالى للقرآن العظيم إن القرآن لا يأتي إلا بالحق الذي يستمسك به المؤمنون، وأنّه ما أتى الله بكتاب من قبله أستمسك به.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قالوا إنّا وجدنا آباءنا على ملّة: يعبدون الأوثان فقلّدناهم اقتداء بهم !.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المترفون هم أولو النّعمة. والمعنى: إنّ ما قاله المترفون من الأمم السابقة، اتبعهم فيه كذلك اللاحقون تقليدا لهم.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ قال الزمخشري: «أتتّبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؟».

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قالوا: إنّ ما عليه آباؤنا أفضل وإنّنا كافرون بما زعمتم أنّه منزّل إليكم ليهتدي به الناس!.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ إن من يمعن النظر فيما أنكروا يرى عاقبة من لا يصدق بآيات الله تعالى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: قال إبراهيم عليه السلام: إنّي أتبرّأ من ميلكم لعبادة الأوثان، وإنّي قد هداني الله تعالى لعبادته وإنّي متمسّك بعبادته وحده لا شريك له.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ المراد بالكلمة: كلمة التوحيد:لا إلاه إلا الله، رجاء أن تكون ذريّته، من أولاد وأحفاد، على دين التوحيد لا يبغون عنه بديلا.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ الحقّ هو القرآن والرسول المبين هو محمد ﷺ الذي جاء بأفصح كلام: كتاب الله العظيم بيّنه رسول الله ﷺ للناس. قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ... ﴿١٥٧﴾﴾ أي أن الله تعالى أمهل المشركين بملذات كفرهم إلى أن بعث

فيهم الرسول ﷺ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾ ولما جاءهم القرآن قالوا هذا سحر واستمرّوا على كفرهم!.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ إن المشركين يحاولون إثبات الشك في القرآن الكريم، وقالوا: هذا سحر وقالوا: من جاء به ساحر، وقالوا: هذا الأمر قد يقبل لو نزل على رجل عظيم من رجال الطائف أو مكة!. والقريتان كانتا عندهم معدنا لساداتهم.

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ إن الله عزّ وجل قسّم للناس أسباب معيشتهم وقدّرها فجعل منهم أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء ليستعين بعضهم ببعض على قضاء حوائجهم، ولو كان الناس طبقة واحدة لهلكوا ولتعطّلت المصالح: وكان هذا التدبير الإلاهي لهذه القسمة رحمة للبشرية من أعلى درجات الرحمة.

﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ سقفا جمع سَقْف ومعارج جمع معرج وهي المصاعد التي يرقى الصاعد عليها إلى الأعلى.

﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ زخرفا أي زينة بالذهب مع الفضة. قال تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

قال رسول الله ﷺ «لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء».

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ أي: ومن يغفل عن ذكر ما جاء في كتاب الله من أوامر ونواه، فإنّه تَعمَى بصيرته، ويصير كمَن على عينيه ضباب يغشاها، فيُلهيه قرينه الشيطان عن قراءة القرآن.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾ فالذي تثاقل عن طاعة الله تعالى والعمل بكتابه، تُكلّف به شياطين يقودونه إلى الجحيم وبئس المصير!

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ إذا جاء الذي غرّه الشيطان قرينُه.

﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨﴾ يتمنى المغرور أن كان الشيطان بعيدا عنه بُعد ما بين المشرق والمغرب، واستنكر واستعاذ منه.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ إذا كان فريق ظلم فريقا آخر واستدرج صاحبه لفعل السوء، فإن الفريقين يعذّبان، أحدهما لأنه اقترف ذنبا والآخر يُعذّب لأنّه غرّ صاحبه وزيّن له ذنبا.

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠﴾ أي أنت يا محمد، لا تُسمع الصم ولا تهدي العمي، المعرضين عن الهدى، بل الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء.

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ٤٢﴾ إن الانتقام، ممّن ضل عن ذكر الله تعالى، آت لا ريب فيه سواء قبل وفاة النبي ﷺ أو بعدها، إنّ الله لا يخلف وعده.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ إن الله تعالى يأمر النبي ﷺ أن يثبت على التمسّك بالقرآن الكريم، الحقّ المبين الهادي إلى الصراط المستقيم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ وإنّه لشرف لك ولقومك.

فالقرآن شرّف لغة قريش وأثراها وألزم ذوي اللغات الأخرى أن يتزوّدوابثروة فكرية وأساليب بلاغية امتاز بها القرآن.

قال تعالى في سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾.

﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ سوف يُسأل المؤمنون:هل قرأتم مقدارا من آياته؟ هل عملتم بما أمركم به الله؟ فهل من مدّكر؟!

﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ أي ما أمرنا أحدا من رسلنا بعبادة آلهة غير الله سبحانه وتعالى ربّ الناس أجمعين.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٦﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون وبني ملّته من رجال حكمه ورعيّته من القبط وبني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده

وينهاهم عن عبادة الأصنام.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ جاء موسى عليه السلام قومه بآيات عجبوا منها ساخرين ضاحكين لكنهم أُذهلوا من هولها وكانت عليهم هما وبلاء عظيما: منها عصا موسى تحوّلت ثعبانا أبطلت سحر الساحرين، وضرب البحر فانقسم ضفتين بينهما طريق اجتازه موسى وقومه، فأتبعهم فرعون وجنوده فانضمت عليهم الضفتان فأغرقوا أجمعين وطفا عليهم الطوفان فأهلك الزّرع والضّرع ودمّرهم الله تدميرا.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ إن الله تعالى قدير على أن يصيب آل فرعون بعذاب أشدّ من العذاب السّابق لعلّهم يؤمنون بأن مَرجعهم إلى الله العزيز القدير، ولمّا استمروا على كفرهم أخذهم بالعذاب في الدنيا وهو الجراد والقحط والقمل والطوفان والضفادع والدم.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ إن الساحر عندهم هو من يزعم أنه عالم بالخفايا، سأله القوم أن يدعو الله لهم أن يرفع عنهم العذاب.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بعد رفع العذاب عنهم نكثوا، وكان النكث فيهم سجيّة!.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ نادى فرعون قومه وخطب فيهم فعرّف نفسه قائلا: أتعلمون أني ملِك مصر وأني أملك أنهارها وفروع النيل وأنا المتصرّف فيها وفي ما أنبتت؟! وهو متعاظم بكل ما يملك منها، كأنّه خلقها وبيده الموت والحياة! وفي هذه الآية تعاظمُ فرعون وكبرياؤه.

وفي هذا المعنى قال تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الشعراء.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ هذه الآية فيها تحفيز لموسى عليه السلام ذُكرت فيها عيوب فيه، يتوهّمها فرعون وقومه.

قال فرعون: «إن موسى ضعيف العشيرة ليس له قوم يعتزّ بهم وأن نُطقه فيه

تعثّر لسان، وليس فصيحا». وفي سياق كلام فرعون كأنّه يقول لقومه: أنا أفصح من موسى وأعزّ نفرا وما قومه إلا شرذمة قليلون!.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾أساور جمع سوار وهو حلقة من ذهب أو فضة تحيط باليدين بين الرسغ والمرفق، يلبسه ملوك مصر شعارا للملك. ومعنى قول فرعون: إن موسى لم يُحط بيده سوار يشهد له بأنّه ملك، وكان عليه أن يستصحب معه ملائكة يشهدون له بأنّه رسول!.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ والمعنى: استخفّ فرعون بقومه متأثّرين بخطابه فكفروا وفسقوا وعادوا إلى كفرهم !.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أي فلمّا أغضبوا الله غضبا شديدا، تمّ إغراق فرعون وقومه أجمعين.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ومعنى هذه الآية: أن العقاب الشديد للكافرين من آل فرعون قد يصيب الأمم الذين يفسقون مثلهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أجاب الرسول ﷺ قومه قريش فقال: إن مَثل عيسى عند الله كمثل آدم، وليس خلقه من دون أب بأعجب من خلق آدم من دون أب ولا أم! وقال ﷺ: إن عيسى عليه السلام بعثه الله تعالى لجميع الأمم في زمانه.

وعن ابن كثير أن النبي ﷺ قال «كل من أحبّ أن يُعبَد من دون الله فهو مع من عَبَده» وهذه الآية تشير إلى جدال جرى مع المشركين، والجدل منهي عنه. روى ابن كثير بسنده قال: إن رسول الله ﷺ قال :«ما ضلّت أمّة بعد نبيّها إلا أعطوا الجدل» وهو التنازع والاختلاف في فهم القرآن. والتنازع والخلاف في أحوال عيسى جدل.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ الخطاب لقريش قالت: ماابن مريم؟ فكان الجواب: إن هو إلا عبد الله ورسوله عليه السلام، أنعم الله عليه بالنبوّة والرسالة وجعله مثلا ومثالا لقدرة الله تعالى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي ملائكة يعمرون الأرض يخلف بعضهم بعضا، كما تخلفون أنتم بعضكم بعضا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ والمعنى: إنّ القرآن هو علم للساعة وإنّه جاء ليُخبر عنها، فهو الخاتم للشرائع كلّها ولم يبق بعد نزول القرآن إلا العلم بانتهاء العالم.

قال رسولَ الله ﷺ:«بُعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى».

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي ليس لكم أن تكذّبوا بها وبقربها.

﴿وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ اتبعوا أمر الله تعالى وإرشاده مهتدين بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ إن رفض الدين الإسلامي والتهاون به من وسوسة الشيطان: فاحذروه ولا تتّبعوا خطواته إنّه غرّ آدم عليه السلام، فأطرد مع حواء من الجنة وهبطا مع الشيطان إلى الأرض وبعضهم لبعض عدو.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور«إن عيسى نبي ورسول الله إنما جاء بالحكمة ».

والحكمة هي معرفة ما يؤدي إلى الأفعال الحسنة والكفّ عن فعل القبيح منها وهي معنى النبوءة.

جاء عيسى عليه السلام ليعلّم الناس الأخلاق الفاضلة ولبيان المعاني الواردة في التوراة التي اختلف الناس في فهمها، وطلب عيسى عليه السلام من قومه أن يتقوا الله تعالى وأن يطيعوه فيما دعاهم إليه، وهذا ما أكّده حديث سيدنا محمد ﷺ قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ أي أنا عيسى وأنتم، ربّنا واحد لا شريك له فلنعبده ولا نعبد سواه.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ هذا الذي جئتكم به طريق الهدى والاستقامة.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾ اختلف القوم إلى جماعات منهم من يعترف أنّهم عبيد من عباد الله وعيسى رسول الله وهم على الحق، ومنهم من يدّعي أن عيسى

ابن الله، ومنهم من يقول: إنّ عيسى هو الله!
تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ الآية إنذار للظالمين الذين كفروا، من مشهد اليوم العظيم.
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ إن المكذّبين للرسل ستدركهم الساعة لا محالة وهم غافلون عنها، فسيندمون يوم لا ينفعهم النّدم.
﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ روى ابن كثير عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو أنّ رجلين تحابّا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، يجمع الله بينهما يوم القيامة يقول: هذا الذي أحببته فيّ فيقول كل واحد لصاحبه: نِعم الأخ ونِعم الصاحب ونِعم الخليل، وأمّا إن كانا كافرين فيقول كل واحد لصاحبه: بِئس الأخ وبِئس الصاحب وبِئس الخليل أنت».
وقال ﷺ «المؤمن مع من أحبّ». قال ابن عباس رضي الله عنه: «كل خلّة أعداء يوم القيامة إلا المتّقون» فإنّهم ينعمون برضى الله تعالى لأنّهم تحابوا في الله.
﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ عباد الله هم المصدّقون بآيات الله العاملون الصالحات. وهذه الآية بشرى لهم بأن جزاءهم الجنة والأمن والطمأنينة والنجاة من مصائب الأحزان.
﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ هذه الآية إذن من الله تعالى بدخول المؤمنين العاملين الصالحات إلى الجنة مع أزواجهم يسعدون سعادة دائمة بدار الخلد ونعم الدار.
﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الصحاف من ذهب فيها الطعام والأكواب فيها الشراب.
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ روى ابن كثير عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال: «والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحوّل الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى».
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة له

سبع درجات وهو على السادسة و فوقه السابعة وإن له ثلاثمائة خادم ويُغدى عليه ويُراح كل يوم بثلاثمائة صحفة – ولا أعلمه إلا قال: من ذهب– في كل صحفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذّ أوّله كما يلذّ آخره ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذّ أوله كما يلذّ آخره، وإنّه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص عندي شيء! وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وأن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض».

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

لكم في الجنة كل ما اشتهيتم من الفواكه المتنوعة والمشروبات الصافية ولكم أن تتمتعوا بما تريدون وذلك جزاء على ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ إنهم في عذاب جهنم خالدون فيها أبدا، ولقد يئسوا من رحمة الله تعالى.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ إنّهم في عذاب جهنم، العذاب المستمر، وهم في يأس من رحمة الله تعالى لأنهم كانوا ظالمين مستمرين على فعل السيئات وتكذيب الرسل عليهم السلام.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال ابن عباس: «مكث مالك ألف سنة، ثم قال لهم: إنّكم ماكثون!» أي لا خروج لهم منها لأنهم خالفوا الحق وظلوا معاندين. مالك هو خازن جهنم يناديه المعذّبون: أن ادع ربّك أن يقبض أرواحنا لنستريح ممّا نحن فيه! فيجيبهم: إنّكم ماكثون وإن عذابكم مستمر ودائم.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ لقد جاءتكم الملائكة بالوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أكثر الكافرين يكرهون الحق.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المشركون الذين يعطلون دعوة محمد. ومثل معنى هذه الآية في سورة الطور ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

فكفار قريش دبّروا كيدا أشار به عليهم أبو جهل: أمرهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتل النبي ﷺ حتى لا يستطيع بنو هاشم المطالبة بديّته، لكن كيد الله تعالى كان أكبر فقد تمّ جمعهم في بدر وقُتلوا جميعا.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ النجوى ما يُراد إخفاؤه من الكلام. والمعنى: إن المشركين يظنّون أن الله لا يسمع السرّ والنجوى وهو ظنّ منهم باطل.

إنّ الله سميع بصير وملائكة الرحمان يكتبون أعمالهم ومناجاتهم شاهدين عليهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ قل يا محمد: أنا أرفض أن يُقال إن الله له ولد سبحانه، بل هو لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفؤا أحد.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ سبحان الله: أي تنزّه عن النّد والمثل، إنّه الأحد الفرد الصمد.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فسيعلمون حال مصيرهم يوم القيامة وبئس الحال حالهم !.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ هو إلاه في السماء وهو إلاه في الأرض وهو الإلاه الواحد القهار.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هو ربّ السماوات والأرض وهو الخالق المتصرّف وهو على كل شيء قدير.

﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ هو الله وحده الذي يعلم متى تقوم الساعة ويعلم مصير المبعوثين.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ إليه المرجع والمصير يوم يعلم الناس مصيرهم وجزاءهم: إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ولا يملك من دونه الشفاعة إلا من ارتضاه الله، سبحانه وتعالى، شفيعا.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ إذا سألتهم، يا محمد، من خلقكم؟ فإنّهم يعترفون بأن الله خالقهم ولكنهم صرفوا أنفسهم عن عبادة الله تعالى.

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ روى ابن كثير أن قتادة قال: «هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربّه عزّ و جل».

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ أي أعرض عنهم ولا تحزن وسينتقم الله من المكذبين.

اللّهم ارض عنا وأرضنا واعف عنا فإنّك عفوّ كريم تحب العفو

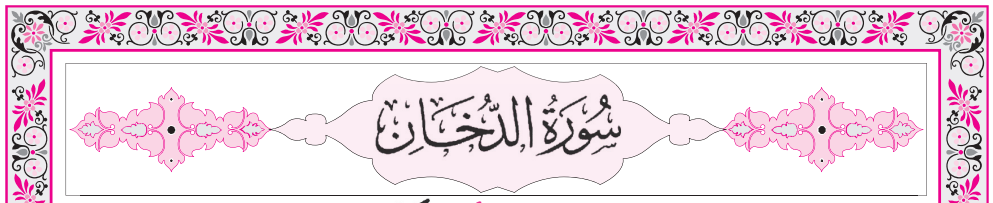

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ
﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾
وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ

بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الدخان افتتحت بالإخبار عن فضل ليلة القدر تفضيلا وتعظيما، تشريفا وتمجيدا للقرآن الكريم واحتوت على ذكر دلائل على وحدانية الله تعالى وآيات تبشير الرسول ﷺ بنصر منتظر.

وإنذار للكافرين بعذاب أليم بما أفرطوا في معاملة ضارة بالمؤمنين، فكان عذابهم سنين قحط وجوع ودخان مستمرّ أتى على الزّرع والضّرع في دنياهم،

وبشارة بكشف العذاب عن المؤمنين رحمة بهم.

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ الكتاب هو القرآن الكريم أقسم الله به لفضله وعلوّ شأنه، فيه آيات بيّنات واضحات تميّز بين الحقّ والباطل وتهدي الضالين إلى الصراط المستقيم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ ليلة القدر ليلة نزول القرآن وإنّها كانت في شهر رمضان. وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنّه قال: «اطلبوها في العشر الأواخر من رمضان في ثالثة تبقى في خامسة تبقى في سابعة تبقى في تاسعة تبقى».

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ المنذر هو الذي يُخبر غيره بشيء فيه ضرر ليتجنّبه، وهذا مثل ما ورد في آية بسورة البقرة قال تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ ... ۝١١٩﴾.

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ هذه الليلة المباركة هي التي ابتدأ فيها نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ في غار من جبل حراء.

قال تعالى في سورة البقرة ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ... ۝١٨٥﴾ وهي ليلة تسمى ليلة القدر. قال تعالى في سورة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾.

والأصح: إنّها في العشر الأواخر من شهر رمضان في ليلة وتر منها».

إن ليلة القدر ذات فضل عظيم، جعلها الله تتكرّر كل سنة في شهر رمضان وجعلها آية ممتازة لذكرى بدء نزول القرآن على رسول الله ﷺ، كتابا مبينا هدى للناس.

﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾ امتازت هذه الليلة بنزول القرآن الكريم وبأن تتنزّل الملائكة والروح فيها وبأنها تُقضى فيها بعض الأمور الإلاهية القيّمة، وأرسل الله فيها الرّسل عليهم السلام تعظيما لها.

روى ابن كثير بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وأنّه تنزّل الملائكة في تلك الليلة إلى الأرض أكثر من عدد الحصى». وروى ابن كثير بسند صحيح عن عائشة

رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر فما أقول فيها؟ قال ﷺ: قولي: اللّهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنّي».

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ إن الله تعالى أرسل الرّسل رحمة بالخلق. قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ إن كنتم تقرّون جازمين بأن الله تعالى تفرّد بالوحدانية والخلق فلا تعبدوا غيره من المخلوقات بل اعبدوه ولا تشركوا به شيئا.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ إن الله تعالى تفرّد بالإحياء والإماتة وهو أمر معلوم لا يشك فيه عاقل، فكيف تعبدون الأصنام وغيرها وأنتم تعلمون أنها تفنى؟!.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ إنّهم لا يفارقهم الشك في وحدانية الله تعالى وضلوا هازئين وظل حالهم كحال اللاعبين يشغلهم اللعب عن إصلاح أحوالهم!.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن قريشا لمّا غلبوا على النبي ﷺ واستعصوا عليه قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنون أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد والجوع حتى جعل أحدهم يرى ما بين الأرض والسماء كهيأة الدخان». روى أبو عبيدة رضي الله عنه «إنّ هذا الدخان يتصاعد من الأرض رمالا تذروها الرياح الهوجاء».

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ كان بين كفار مكة مسلمون لم يهاجروا فدعوا الله بما معناه: ربّنا اجعلنا في أمن من العذاب، فأجاب الله الدعاء، سبحانه وتعالى الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ويكشف السوء.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ والمعنى: كيف تحصل لهم الذكرى والانتفاع بتذكير رسول الله ﷺ وقد رفضوا دعوته وشكّوا في صدقه واستكبروا استكبارا؟.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «إن الله كشف

عنهم القحط بعد استسقاء النبي ﷺ فعادت الحياة والرخاء بنزول غيث نافع فكفروا وعادوا إلى طغيانهم وعاودهم القحط بعد كمال سبع سنين».

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ البطشة الكبرى: المراد بها بطشة بدر التي كانت غزوة سحقت صناديد قريش وقادتهم وباؤوا بغضب من الله تعالى وذلك جزاء الظالمين!.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ هذه الآية إخبار عما حدث لموسى عليه السلام مع قوم فرعون وهي قصة شبيهة بحال مشركي قريش مع رسول الله محمد ﷺ: عصى المشركون من قريش ربّهم فسلّط عليهم الله تعالى البطشة الكبرى انتقاما منهم لأنّهم عصوا الله والرسول ﷺ كما عصى فرعون وقومه ربّهم فأغرقهم في البحر. وقوم فرعون هم طائفة من أقباط مصر جاءهم موسى عليه السلام وطلب منهم أن يحرروا بني إسرائيل الذين استعبدهم فرعون.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ أي أنا رسول الله بُعثت إليكم مؤيَّدا بحُجج إلاهية مقدّسة بأمر من الله العزيز الحكيم.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ وإنّي معتصم بالله العزيز الحكيم وهو سبحانه يحميني من كل سوء.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ فإن لم تؤمنوا بي ولم تستجيبوا لأمر الله تعالى، فكفّوا عني منخذلين.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ دعا موسى عليه السلام ربّه أن يكفّ شرّ المجرمين عن بني إسرائيل، فأمره الله تعالى بأن يسري ليلا بأتباعه لكي لا يدركهم المجرمون أتباع فرعون.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ومن معاني الآية : إنّه لمّا وصل موسى عليه السلام إلى شاطئ البحر أمره الله تعالى أن اضرب بعصاك البحر! فحدثت به طريق بين المياه يسّرت لموسى عليه السلام وقومه المرور

إلى شاطئ النجاة، فأتبعهم فرعون بجيشه فلمّا توسّطوا البحر انطوت عليهم الأمواج فأغرقتهم!.

قال الشيخ ابن عاشور: «البحر هو بحر القلزم ويدعى اليوم البحر الأحمر».

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ روى ابن كثير بسنده قال: «كانت الجنّات بحافتي نهر النيل من أوّله إلى آخره لا ينقطع عنها شيء. هذه الجنات تشمل بساتين وعيونا وآبارا تنتشر فيها خيرات وافرة من أنواع الفواكه المتنوعة».

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ والمعنى أنّهم أهلكوا كما أهلك غيرهم غير ممهلين وغير مأسوف عليهم.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ نجى الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل من العذاب والإهانة والاستعباد: من ذلك أن فرعون كان يبني المدن وكان يكلّف بني إسرائيل باستحضار مواد البناء اللازمة يلتقطونها من الأرض ولا ينفكّ عنهم العذاب حتى تُبنى. إن فرعون كان مسرفا في عذابهم ساخرا منهم متعاليا عنهم، من المتكبّرين الطغاة.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ اختار الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل على أمم عصرهم إذ ذاك، ولما عثوا في الأرض فسادا دمّرهم تدميرا وسلّط عليهم أمما مدى قرون تفعل بهم مثلما يفعل العدو بعدوّه!.

﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ الآيات التي اختص الله تعالى بها موسى عليه السلام فأيّده الله تعالى بها: هي تحوّل العصا ثعبانا فبطل بها كيد السحرة، وانفلاق البحر الذي أحدث الله به طريقا فتيسّرله بذلك اجتياز البحر بسلام، ومعجزة الانتصار على الأعداء، وتحطيم أماني الطغاة والنجاة من كيدهم. وفي هذه الأحداث ابتلاء متنوّع متجدّد فاز فيه من اعتصم بالله وكان من الصابرين.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ إن هؤلاء، كفار قريش، ينكرون البعث من القبور وينكرون أن

بعد الموت حياة، ويحتجّون بأن الأموات السابقين من آبائهم لم يبعث أحد منهم من قبره!.

ذكر الله تعالى في سورة الصافات قول الكافرين أمثالهم ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ قوم تبّع كانوا يسكنون اليمن، وتبّع كان ملكا يملك بلاد اليمن وضواحيها، وكان على دين إبراهيم عليه السلام قبل بعثة النبي ﷺ بألف سنة. قوم تبع كفروا بالله وأجرموا وانصرفوا عن دين تبّع فدمّر الله تعالى شأنهم بسبب طغيانهم. وفي هذه الآية إنذار وتحذير لقريش بأنّهم ليسوا خيرا من قوم تبّع وبأنّهم إذا استمروا على عنادهم فإن جزاءهم سيكون كمثل جزاء من كفر من الأمم السابقة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحكمة والحقّ وأنّه سبحانه ما فعله للعب أو لغير غاية، وإنّه خلق الخلق ليعبدوه ويسبّحوه. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ إنّه سبحانه وتعالى خلق جميع الخلق ليُجازي كل عامل عن عمله بالحكمة والحقّ يوم الجزاء، قال تعالى في سورة فصلت ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ إن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، يجمع الله تعالى الخلائق ليُجازيهم بما كانوا يعملون.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ لا ينفع القريب قريبه ولا يملك أحدهم شيئا ولا يسأل أحدهم عن الآخر، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه!

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ﴾ أي لا تنفع يومها إلاّ رحمة الله وعفوه إنّه عفوّ كريم.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ إنّه سبحانه وتعالى وسعت رحمته كلّ شيء، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء وهو أرحم الراحمين.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ إنّ شجرة الزقوم طعام الفاجر ليس له طعام غيرها! قال مجاهد: «لو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معيشتهم».

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ المهل: النحاس المُذاب، شديد الحرارة، يغلي في البطون.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ يؤخذ الكافر سحبا ويدفع دفعا مُهينا!

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ إلى وسط جهنم.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ أي كمثل قوله تعالى في سورة الحج ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ أي أنت الذليل المهان: وهذا تهكّم بالذين في سواء الجحيم إذ ليس فيهم من أعزّه الله ولا من أكرمه!

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي إنّ هذا العذاب هو جزاء عمّا كنتم به تكذبون.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ المقام مكان السكنى، ساكنه مطمئن البال متمتّع بالنّعم الدائمة في جنّة النعيم.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ المقام فيه وسائل النزهة والرفاهة.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يلبسون على أجسادهم، ما هو ليّن من سندس وإستبرق، لباسا وثيرا: إنّ لباس الجنّة نعيم على نعيم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي إنّ مع هذا العطاء الكريم الذي تقدّم ذكره في الآيات السابقة، فإن الله تعالى يمنح المكرمين أزواجا يخلفهن الله تعالى في الجنة هنّ اللاّت كنّ أزواجا في الدنيا.

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي من صفاتهن أنّهن ذوات عيون حوراء أي واسعات.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ يتمتّعون فيها بكل الثمرات في طمأنينة وراحة بال، تأتيهم الفاكهة ولهم ما يشتهون.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة

السابقة التى أصابتهم فى الدنيا وهذه الآية تأكيد بأنّ من في الجنة خالدون.

﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦﴾ أي مع النّعم العظيمة التي يتمتّع بها أهل الجنة تأكيد للنجاة من العذاب الأليم.

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧﴾ إنّ النعم العظيمة التي تفضّل الله تعالى بها على أهل الجنة الخالدة هي إحسان منه كريم لا يعادله إحسان.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ يسّر الله تعالى القرآن، إذ أنزله بلسان عربي مبين بلغة العرب كي يَتيسّر لقومك – يا محمد – فهمه وتبليغه ويتذكّر من يبتغي الذكرى. قال تعالى في سورة القمر ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩﴾ فانتظر يا محمد النصر المبين إنّهم منتظرون الهزيمة يوم البطشة الكبرى ببدر. وفي هذه الآية تهديد وسخرية بالمجرمين. قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾.

اللّهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمد
والحمد لله ربّ العالمين

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
۞ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ

وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا

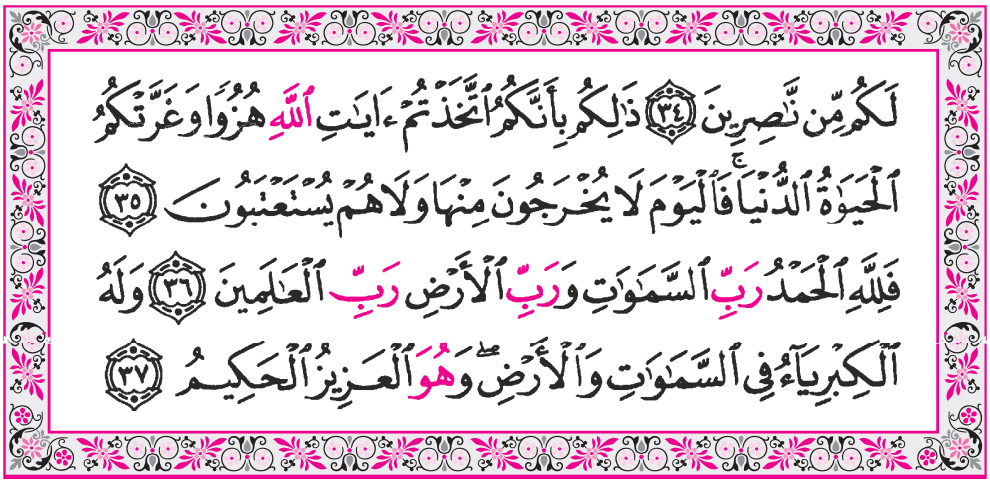
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

في سورة الجاثية بيان يؤكد أن القرآن الكريم وحي منزّل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ، لا ريب فيه، وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل وليس كمثله كتاب وهو محفوظ دائما وغير زائل وفيها تثبيت المؤمنين على الصبرعلى إساءة الكفار لهم وأنّ النصر للمؤمنين.

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ القرآن وحي من الله إلى رسوله ﷺ ولا منازع في تنزيله أعجزت حكمه كل حكيم.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ والمعنى: إن العاقل من المؤمنين الذين شرّفهم الله تعالى بالإيمان بالله وبرسله عليهم السلام وكتبه هم المؤمنون الموقنون، وكل هذه الآيات تدلّ على قدرة الله العظيم. فخلق السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات المختلفة من الإنس والجن والملائكة والطيور والوحوش والسحاب وإرسال الرياح أنواعا ورزقا كريما ومنافع كثيرة للناس وما في البحار من نِعم وفلك تجري بالرياح: كل هذه الآيات وأمثالها تدلّ على قدرته وحكمته وجميل صنعه:

وفي كل شيء له آية ** تدل على أنّه الواحد

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ إن آيات الله

الدالة على عظم خلق الله تعالى وقدرته وحكمته وما في القرآن من حُجج لإثبات الحق المبين إن من لا يؤمن بها قلوبهم غلف وفي بصيرتهم عمى.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ العذاب لكل كذاب كافر بآيات الله منافق في قوله وفعله.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي إذا استمع لآيات القرآن تتلى اتخذها هزؤا وأعرض عنها.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ أي إن العذاب ينتظرهم يوم الجزاء.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾ جزاء المستهزئ بما عرف من القرآن عذاب وإهانة.

﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ مصيرهم إلى جهنم.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي لا ينفعهم أموالهم ولا تنفعهم شفاعة أبنائهم.

﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾ أي لا تغني عنهم آلهتهم التي يعبدونها.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾ أي هذا القرآن هدى يهدي الناس الذين يؤمنون بالله تعالى. ومن لم يؤمن به فله العذاب الشديد، فالقرآن نعمة من الله تعالى تهدينا إلى الصراط المستقيم ومن استكبر ولم يتب فإن الله تعالى غني عن الظالمين. قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢﴾ البحر مخلوق عظيم يسّره الله تعالى للناس فاستخدموه مطواعا للمنتفعين بالسفر وحمل أثقالهم وللتمتع بخيراته غذاء وتجارة ولمآرب أخرى كل ذلك بفضل الله – وبشكر الله تعالى تدوم النّعم –.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾ سبحان الله إنه خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم. وهذه أدلة على أنه تفرّد بالخلق وبما أعطاهم من نعم وهي آيات لمن يتدبر من ذوي العقول.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قل للذين آمنوا أن يصفحوا عن المشركين وأن يتقبلوا آذاهم وكان هذا في ابتداء الدعوة للإسلام ليكون ذلك تأليفا لقلوبهم، ثم لما أصروا على العناد والشّرك، شرع الله للمؤمنين الجهاد في سبيل الله».

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي ليجزي الله كل قوم بما عملوا في دنياهم من خير وشرّ وهذا تهديد للمشركين الذين آذوا المؤمنين بسوء عاقبتهم ووعد للمؤمنين الصالحين بحسن الجزاء يوم الميعاد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ أنعم الله على بني إسرائيل نعما كثيرة، أرسل من بينهم الرسل وأنزل لهم كتاب التوراة والإنجيل فيهما تعاليم وحِكم بيّنها لهم الرسل، فاختلفوا بعد ذلك البيان وبغى بعضهم على بعض فكانوا قوما خاسرين وفي هذا تحذير لأمة محمد ﷺ من أن يسلكوا مسلك بني إسرائيل كي لا يصيبهم مثل ما سبق أن حدث لبني إسرائيل.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾

قال الشيخ ابن عاشور: «ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة يونس ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾».

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ سيفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه بحكمه العادل وهو أحكم الحاكمين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ أي احكم بما أنزل الله تعالى عليك من الوحي ولا تعبأ بما يقوله الكافرون.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا تتبع ما يقوله الكافرون إنهم يتبعون ما يهوون لأغراض سخيفة لأنهم يجهلون ويتعامون عن سبيل الحقّ.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن هذه الآية نزلت لما دعا كفار قريش النبي ﷺ إلى دين الشرك». والمعنى أعرض عن الضالين من مشركي قريش واستمسك بالله تعالى فإن الله معك ولا تتبع ما يشتهون إنهم ظالمون والله ينصرك وينصر المؤمنين ونعم النصير.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم قال تعالى في سورة الزخرف ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ البصائر جمع بصيرة وهي حاسة من الحواس الباطنية تلهم الإنسان إلى اختيار مسالك الخير وتصرف المؤمن إلى رفض مسالك الكفر والعصيان، كذلك القرآن الكريم هو كتاب البصائر وهدى للمتقين يصرفهم عن السوء ويحبّب إليهم اتباع سبل الفلاح.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال ابن كثير: «أي ساء ما ظنوا بنا أن نسوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة» وقال رسول الله ﷺ «لا تجتنى من الشوك العنب» بمعنى لا ينال الفجار منازل الأبرار.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إذا اختار المشرك إلاها غير الله يعبده رغم أنه يعلم بسمع أو بإدراك أنه على باطل سخيف، يغالط نفسه وإنه لا يرجو من الله الهداية، قال تعالى في سورة الزمر ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وفي التنوير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح».

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الدهرية نظرية فلسفية ابتدعها قدماء فلاسفة اليونان وشاع معناها بين طائفة

من مشركي قريش. تزعم هذه الطائفة أن الكون حركة دهرية طبيعية ليس لها بدء ولا نهاية وليس لها خالق خلقها تخضع إليه وأنه ليس ثمة حياة أخرى بعد هذه الحياة: وهذه بدعة ضالة ابتدعوها وهم جاهلون ليس لهم معرفة ولا علم صحيح درسوه، وصاروا ينكرون وجود الخالق والميعاد رافضين، وهم في ضلال مبين قال تعالى ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ إنهم يتخيلون ويتوهمون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي إذا قرأت عليهم آيات القرآن الكريم واضحات بيّنات تشمل معاني البعث من القبور وذكر النشور تضطرب أفكارهم حيارى ويقولون: إن كان هذا صحيحا فأحيوا لنا موتانا الأولين.

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ قل يا محمد لهؤلاء: إن الله الذي بدأ خلقكم في بطون أمهاتكم هو قادر على أن يميتكم إذا جاء أجلكم.

﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثم بعد الموت يبعثكم يوم الحساب والجزاء الذي لا شك فيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أكثر الناس لِقصور نظرهم وجهلهم لا يعلمون بأن الذي كان قادرا على بدء الحياة لا يصعب عليه بعد إماتتهم أن يبعثهم من القبور للحساب والجزاء.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ والله تعالى هو المالك لجميع الكائنات: السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ويوم القيامة يخسر الكافرون الجاحدون الذين لا يؤمنون.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وترى كل أمة من تلك الأمم الجاثية على ركبها تدعى إلى قراءة صحائفها المسطورة بها أعمالهم، ويقال لهم اليوم تجزون على ما قدمتم في دنياكم من أعمال. قال الله تعالى في سورة الانشقاق ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ هذا كتابكم يشهد

عليكم، كتبته الملائكة بأمر من الله تعالى لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالكم إلا أحصاها قال ابن عباس رضي الله عنهما «تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء فيقابل الملائكة الموكّلون بديوان الأعمال ما كتبه الحفظة كل ليلة قدر، فذلك هو الاستنساخ الذي لا يكون إلا من أصل».

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الذين آمنت قلوبهم وأيقنت أنفسهم وعملوا الواجبات والسنن وتركوا الموبقات امتثالا للشريعة الإسلامية يدخلهم الله تعالى جنات النعيم برحمة منه. قال ابن كثير إنه جاء في الصحيحين: «أن الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بها من أشاء».

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ يفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوزا واضحا كريما.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١﴾ يقال للذين كفروا توبيخا لهم: ألم نبلّغكم آياتي لتسمعوها فترفعتم عن اتباعها وكنتم قوما تُكذبون بما جاء فيها من البيّنات فأعرضتم عن سماعها واستمرت أفعالكم أفعال المجرمين الفاسقين العصاة المتمردين ثم رفضتم مواعظ القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾. المراد بالساعة: ساعة البعث لمن في القبور. إنّ الكفار أنكروا وقوعها ولم يصدقوا بها وقالوا في استهزاء منهم باطنه النكران، إنهم لا يصدقون بأهوال يوم القيامة.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣﴾ وظهرت لهم عاقبة أعمالهم وأحاط بهم العذاب بسبب استهانتهم بوعيد الله.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ يقال لهم ستهملون في عذاب جهنم خالدين فيها.

﴿كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ لأنكم نسيتم حضوركم يوم الجزاء لتُجزوا بما كنتم تعملون.

﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ جاء في الحديث الصحيح الخبر عن هذا الموقف الرهيب: إن الله يقول لبعض العبيد يوم القيامة: ألم أزوجك ألم أكرمك ألم

أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب! يقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا! فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله تعالى عليكم سخريا، مستهزئين بها.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي خدعتكم الحياة الدنيا وكنتم غافلين.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ أي فالكفار لا يخرجون من النار.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي فإن الله لا يرضى عن الكافرين وبئس المصير مصيرهم.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ الحمد لله المالك لما في الأرض وما في السماوات وما بينهما وما فيهما وهو السلطان المجيد وكل شيء خاضع ساجد له يسبّح بحمده. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ روى مسلم بسنده عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما أسكنه ناري» فالكبرياء من صفات الله لأنّه سبحانه وتعالى: العليم بكل أمر، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، الغنيّ عن جميع ما خلق وهو رازقهم وهو الفعّال لما يريد.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ وهو الغالب الذي لا يغلب المتصرف في ملكه بحكمته سبحانه وتعالى.

قال تعالى في سورة غافر ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾.

ولله الحمد حمدا طيّبا مباركا سبحانه لا إلاه إلا هو.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَٰوَٰتِ ۖ
ائْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾
وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ
كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي
ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ
لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن

قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾
۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ۘ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ۖ فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ
بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾
وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ

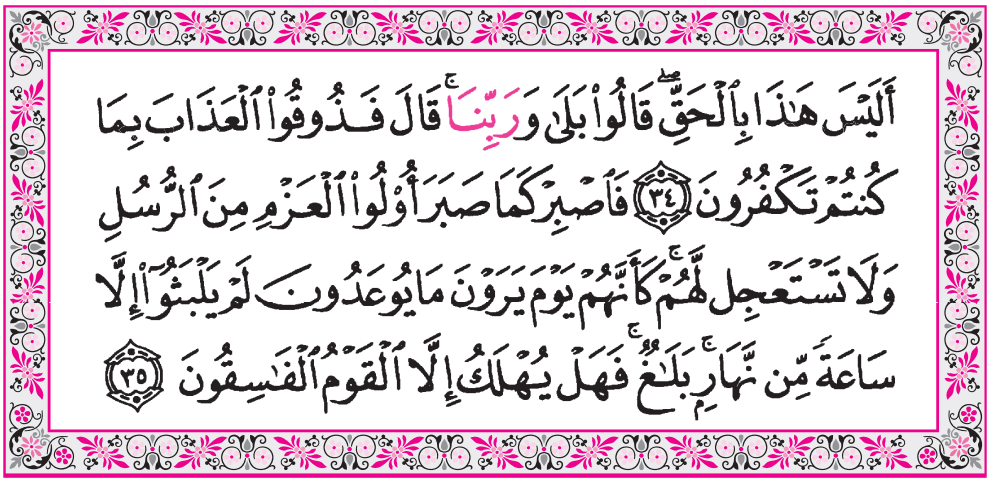
أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

من أغراضها: – التأكيد إلى الرسول ﷺ بأنّ شرْع الله تعالى سيتعرّض إلى عناد الكافرين مثلما تعرّضت له التوراة من قبله وأن ذلك لا يقدح في القرآن وأنّه على الرسول ﷺ أن لا يعبأ بمقالات المعاندين.

– وفيها تهديد المشركين الذين اتخذوا آلهة أحدثوها في خيالهم وهم في ذلك يختلفون مذاهب.

– وفيها دعوة المسلمين للإعراض عن المشركين.

– وتوعّد المشركين بأن الله تعالى سيخزيهم وإخبار المؤمنين بأن العاقبة للمتّقين.

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ إنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالى هدى للناس لا شكّ فيه.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ إنّ الله تعالى خلق السماوات والأرض وهي دليل على قدرته وأنّه حكيم في أقواله عزيز قادر يَغلب ولا يُغلب، وأنّه يَعجز على خلق مثلهما أو جزء منهما المعاندون، سبحان الله وتعالى لا خالق سواه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ أما الذين كفروا فإنّهم رافضون لكلّ ما يخالف دينهم المزعوم وسوف يشهدون على أنفسهم بأنّهم لا يعقلون. قال تعالى في سورة الملك ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ والمعنى: أبَقِيَت لكم حجّة على صحّة ما تقولونه من كتب سابقة أو أثر علم؟ إنّكم عجزتم عن ذلك! فأنتم إنّما تتّبعون هواكم!.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ والمعنى: إنّه من يستنجد بالأصنام وينتظر منها جوابا فهو في غفلة وضلال بعيد:إن الأصنام جماد لا ينفع ولا يضرّ ولا يجيب.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ والمعنى يُحيي الله الأصنام فتتبرّأ من عابديها، وتقول: تبرّأنا إليك ممّن يعبدنا وإنّا بعبادتهم لنا كافرون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ إنّ آيات القرآن تتلى على الضالين الغافلين الرافضين للقرآن الكريم تُبيّن لهم عجز الأصنام وأمثالها فلا يفهمونها ولا يتدبّرونها فيُغالطون أنفسهم وغيرهم بأنّ ما فهموه هو الحقّ، وهم عن الحقّ مُبعدون، والأعجب من ذلك أنّهم يدّعون بأنّ القرآن سحر واضح فبئس ما يقولون!.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ قال الشيخ بن عاشور: «والمعنى لا تقدرون على دفع ضرّ الله عني إن افتريْته، ولا تستطيعون دفع عقابه والله أعلم بحال ما تُفيضون فيه» إن رسول الله ﷺ فوّض الحكم بيْنه وبينهم إلى الله تعالى وفي هذا تهديد وتحذير لهم من الخوض في الباطل، قال الله تعالى في سورة التين ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما «أي ما أنا بأوّل الرسل الذين جاؤوا من قبلي إنّما جئت بما جاء به الرّسل الأوّلون».

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ قال الله تعالى في سورة يونس ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ . . .﴿٤٩﴾﴾.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي لا أتّبع إلا ما أنزل الله تعالى إليّ وأنا لا أفتري.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ إنّ كلّ ما أخبر به الرسول ﷺ هو وحي وهدْي من

الله، ولا يعلم من الغيْب إلاّ ما علّمه الحكيم العليم، وكلّ ما يبلّغ من القوْل هو بإذن الله تعالى: مثل الخبر بالفتح، والنصر ببدْر وبما هو غيْب كالإخبار عن البعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ هذا القرآن كتاب منزّل من عند الله تعالى، آمنت به أمم من قبلكم بأنّه وحي من عند الله تعالى، آمن به كبراء من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام كان وقورا عندهم وجيها، وقد اهتدى به من أمثاله الذين يتدبّرون القرآن واستكبرتم! فماذا تظنّون أن الله صانع بكم من أنواع العذاب جزاء بما استكبرتم وكفرتم وظلمتم أنفسكم؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين!.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ ومعنى الآية: حيث إن الكافرين لم يهتدوا بالقرآن وسيستمرّون على أن يقولوا هو كذب قديم والحال إنه قرآن نزل بلغة عربية، أفصح اللغات وأنفذها في نفوس السامعين، إنّها أشرف اللغات وأفصح من اللغة التي جاء بها كتاب موسى عليه السلام ومن اللغة التي تكلم بها عيسى عليه السلام. والذين ظلموا هم المشركون الذين ظلموا أنفسهم وظلموا المؤمنين الأتقياء إنه كتاب جاء ينذر الظالمين بسوء العاقبة ويبشّر المحسنين بجنّة الخلد أبدا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ إنّ الذين قالوا ربّنا الله يشهدون بأن الله واحد لا شريك له ويؤمنون بالرسالة ويعملون بها ويخشون الله ويتّقونه، ولا يمسّهم حزن ولا يصيبهم أسف على ما تركوا في الدنيا من أموال وبنين وآمال.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ﴾ أولئك المؤمنون المستقيمون في الدنيا، هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أهل الجنة وخاصتها.

﴿فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ذلك النّعيم الدائم نالوه جزاء لهم على سلوكهم

طرائق الخير، يخافون ربّهم ويرجون منه رحمته.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ أمر الله تعالى الإنسان بأن يُحسن لوالديه وأن يدعو الله تعالى أن يرحمهما وأن يغفر لهما وأن ينعم عليهما برحمته الواسعة وفي ذلك رضى الله تعالى وتنفيذ لما أوحى به سبحانه وتعالى ووصى به.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ تحمّلت حمله بمشقة دائمة تسعة أشهر أو أقل بمشقة لا مناص لها منها.

﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وتحملت آلام وضعه بشجاعة متوقّعة أخطاره بخوْف مُريب.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ مدّة حمله ورضاعه عامان ونصف وهو زمن فيه آلام وحرمان وتضحية، ورغم كل ذلك إنّها تجد في ذلك لذة وانتصارا وزينة لحياتها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ روى ابن كثير بسند صحيح عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفّف الله تعالى حسابه وإذا بلغ الستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه وإذا بلغ السبعين سنة أحبّه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبّت الله له حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وشفّعه الله تعالى في أهل بيته وكُتب في السماء أسير الله في أرضه».

إنّ سنّ الأربعين تنبيه للإنسان بأن يأخذ حذره ويحاسب نفسه وأن يتوب توبة نصوحا فعليه أن يحافظ على ما اكتسب من الحسنات ويتّقي السيئات ويخشى الله ويتّقيه وأن يدعو الله تعالى أن يلهمه ما فيه الهداية وصلاح حاله وحال نسله إلى طاعة الله وأن يديم الله عليه نعمه ويكرمه بقلب خاشع وثقة بالله بأنّه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ جاء في صحيح سنن أبي داوود رضي الله عنه عن ابن مسعود رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ: «إن في هذه الآية إرشادا لمن بلغ أربعين سنة بأن يجدّد التوبة إلى الله تعالى ويعزم على تجنّب المعاصي رجاء أن يمدّه الله بالإعانة على ترك الذنوب وأن يعزم على نبذها وأن

يتعوّذ منها وقال: إن الرسول ﷺ أوصى المؤمن بأن يواظب على الدعاء الآتي: اللهم ألّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا وأهدنا سُبل السلام».

وعلى الإنسان أن يرجوَ من الله تعالى أن يُعينه على الإحسان للوالدين وعلى الإحسان للأولاد وعلى أن يجدّد توبته إلى الله تعالى حامدا شاكرا فضل الله على أن جعله من المؤمنين المسلمين العاملين.

ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهن دعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم».

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ هؤلاء المذكورون في الآيات من الذين بلغوا الأربعين، وجدّدوا التوبة، وأنابوا إلى الله، وعزموا على المثابرة على أن يشكروا نِعم الله تعالى عليهم، ويتجنّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، هم الذين يتقبّل الله تعالى منهم أحسن ما عملوا.

روى ابن جرير بسند صحيح عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال: «يُؤتى بحسنات العبد وسيّئاته فيقتصّ بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسّع الله تعالى له في الجنة».

﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ هذا وعد من الله تعالى لهم بتقبّل الحسنات والتّجاوز عن السيئات.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ هذه الآيات تمثل والدين ينصحان ولديهما ويدعوانه إلى الإيمان بأنّ يوم البعث واقع لا ريب فيه، فسخر منهما واستهان بقولهما، ورغم الحاحهما عليه، استمرّ على كفره وطغيانه، وقال: ما الإخبار عن يوم البعث إلا خرافة كتبت في بعض صحف الأوّلين!

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ أولئك الذين لم يؤمنوا بالبعث هم الخاسرون خسارة متمكنة منهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ ولكلّ من الأشقياء

الفاسقين درجات ومراتب بالتفاوت بينهم في أنواع العذاب التي يستحقّها المنكرون الرافضون للإيمان بالبعث والجزاء، ولا يُظلمون.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ هذه الآية، فيها توبيخ واستهزاء بالذين كانوا ينعمون في الدنيا بأنواع المآكل والمشروبات وسكنى القصور الشامخات، منكرين أنعم الله عليهم! هؤلاء سيُعرضون على النار يوم القيامة، فيشتدّ بهم البأس ويطمعون في العفو ويتوسّلون بما قدّموا من قليل الحسنات في الدنيا، ويُقال لهم: إن طيّباتكم ذهبت بها سيّئاتكم في الحياة الدنيا! وممّا يُذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تورّع عن التمتّع بالكثير من طيبات المأكل والمشرب وتنزّه عنها قائلا: «إنّي أخاف الله تعالى أن أكون كالذين حرمهم من نعم الآخرة بسبب ترفهم».

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ أخو عاد هو الرسول هود عليه السلام وقوم عاد هم أوّل الأمم العربية الذين جاءهم رسول بعد رسالة نوح عليه السلام، وكانوا يسكنون الأحقاف، وهو مكان يشرف على البحر بين عُمان وعدن.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ بُعث الرسول هود عليه السلام إلى قومه لينذرهم ويدعوهم إلى أن لا يعبدوا إلا الله تعالى.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي قد سبقت الرّسل من قبله داعين إلى التعبّد بوحدة الله وأنّه لا إلاه غيره وأن يُقلعوا عن الشّرك.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ لتأفكنا: أي لنترك ما نعبده من الأوثان. رفض المشركون دعوة الرسول إلى عبادة غير الأوثان وكذّبوه وقالوا له: فأتنا بما تعدنا، وأرنا أهوال هذا اليوم إن كنت صادقا فيما تقول!.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي إنّما أنا رسول من عند الله أبلغكم ما أرسلت به إليكم ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولكني أراكم لا تعلمون!

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ أي فلمّا رأوا العذاب: ريحا عاتية تتّجه إلى أوديتهم وسهولهم تدمّرها تدميرا عجيبا، تهلك كل شيء ممّا تنبت الأرض والمساكن والحيوان، أيقنوا بأنّ الهلاك أحاط بهم!

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي فلمّا رأوا العاصفة مقبلة عاتية ظنوا أنّها ستهلك كل شيء، فأصبحوا وقد أهلكت الريح ما يحيط بهم إلا مساكنهم، فبكفرانهم بوعد الله ووعيده كان جزاؤهم في الدنيا الفناء الرهيب، ولهم في الآخرة عذاب شديد!.

وفي هذه الآية تنبيه خفي لعصاة قريش بأنّ حالهم شبيه بحال قوم عاد، وتحذير لهم بأنّه لا يبعد أن تكون عاقبتهم كمصير قوم عاد!

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾ والمعنى: إنّا جعلناكم قادرين على حمد الله وشكره، ممتثلين لأمره غير جاحدين لفضله، وعلى أن تسبحوه بكرة وعشيا على نعمة السمع والبصر التي بسلامتها تحلو الحياة، وعلى أن تعظّموه وتمجّدوه على نعمة العقل التي أنعم الله به على الإنسان وفضّله على سائر المخلوقات، تلك النّعم تفرض على الإنسان الرشيد أن يعبد الله ولا يجحد فضله سبحانه.

وما بنعمة من أنعمك نكذّب يا الله وبئس من يهزأ بها ويجحدها إنّه لفي ضلال مبين.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يرى الشيخ ابن عاشور: «إن الخطاب موجه لأهل مكة تحذيرا لهم من أن يصيبهم من العذاب مثلما أصاب قوم عاد وغيره». ولقد أهلك الله الأمم المكذّبة السالفة في الدنيا كعاد وثمود والذين كذّبوا شعيبا، أولئك كذّبوا بآيات الله واتخذوا من دون الله قربانا ألّهوها واتخذوها آلهة يعبدونها وذلك إفك وكذب وضلال.

إن في الآيات تعجيزا للمشركين الذين يستنصرون بآلهتهم المزعومة وهم

كاذبون، إنّها كانت عاجزة عن نصرهم فخابت ظنونهم فيما كانوا يعبدون!

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عن ابن كثير: «روى الحسن البصري عن ابن عباس رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ ما شعر بأمر الجنّ حتى أنزل الله عليه خبرهم».

وأورد ذلك الدعاء الحسن «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين وربّ المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدوّ يتجهّمني أم إلى صديق قريب ملّكته أمري؟ إن لم يكن لك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله».

روى ابن كثير بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «إن النّفر من الجن سمعوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ببطن نخلة بمكان في الطريق لمّا رجع من الطائف إلى مكة».

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ قال الجن «صه!» وكان عددهم تسعة. فأنزل الله تعالى﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ صرفنا أي بعثنا، ومعنى النّفر عدد من الجنّ قليل حضروا وسمعوا ثم انصرفوا إلى قومهم وبلّغوا لهم ما سمعوا ليفيدوا أمثالهم.

هذه الآية إخبار بأن الله هدى الجن للإيمان بالله تعالى وبالقرآن الكريم وهي معجزة للنبي ﷺ وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «افتقدنا النبي ﷺ ذات ليلة وهو بمكة فبِتنا ننتظر عوْدته، حتى إذا أصبحنا إذا به عائد، فقال: أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن» وهذا الحديث معجزة للرسول ﷺ».

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ سخّر الله تعالى الجن للاستماع إلى القرآن وآمنوا به وأيقنوا بأنه من عند الله تعالى، وأفادوا قومهم بما فهموا ممّا تُلي عليهم من الآيات وأخبروهم بما فيه، وبأنّه دعوة إلى سبل الهدى وإلى الحق وأنّه من لم

يؤمن به يكن من الخاسرين. قال ابن عاشور: «إن الذين بلغتهم دعوة القرآن مؤاخَذون إن لم يعملوا به».

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

انصرف النّفر من الجن الذين استمعوا الرسول ﷺ وأخبروا قومهم بما سمعوا وطلبوا من قومهم أن يجيبوا داعي الله وأن يؤمنوا به، وفي هذه الآيات تخويف لمن لا يؤمن بالله وبالرسالة وتحذير لمن لا يعمل بها، وأنّه وعد الله مَن يؤمن بالله تعالى ويعمل الصالحات بأنّه يعفو عنه ويقيه من العذاب، ومن لم يطع الله فإنّه لا يسلم من غضبه ويظلّ في ضلال مبين، ليس له من دون الله ناصر.

والله وليّ المؤمنين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ هذه الآية نذير وإبطال لرأي الذين ينكرون البعث، ويستبعدون خروج الأجساد من قبورها! أيتعجبون من حدوث هذا الأمر وهو أمر هيّن على الله؟ فالله تعالى الذي خلق السماوات والأرض ومن فيهن، قادر على خلقهم من جديد، وبعث الأجساد أمر هيّن بالنسبة إلى خلق الكون وإفنائه! إنّه سبحانه القدير على كل شيء، قال تعالى في سورة يس ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الخطاب للذين يستبعدون خروج الأجساد يوم البعث إنّهم في ضلال.

وفي هذه الآية تهديد بالعذاب وتخويف لمن لم يؤمن بالبعث وأنّ العبد سيحضره مُكرها رضي أم لم يرض. قال تعالى في سورة مريم ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ﴾ أمر الله تعالى الرسول ﷺ بالصبر على ما يلقاه من الذين كفروا من أذى، صبرا مثل صبر الرسل الذين سبقوه، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وأمره ﷺ بأن لا يطلب لهم التعجيل

بالعذاب لهلاكهم لأنّه واقع بهم لا محالة ولا شكّ.

﴿بَلَٰغٌ﴾ أي إعلان للناس لمن آمن أو ظل على ضلاله.

﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ الهلاك هو سوء الحال الذي يصيب المشركين، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون.

روي أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من قرأ سورة الأحقاف، كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا»

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ

مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ
أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ
لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ
﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ
وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾
وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي
لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ

ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

من معاني السورة: – ترغيب المسلمين في ثواب الجهاد وصف الجنّة وذكر نعيم المؤمنين فيها وتحبيبهم للعمل لما يقرّب منها وعد المسلمين بالفوز بالسلطان على المخالفين. – إن استقاموا وأن الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه

الله تعالى لعباده وأن الدّين عند الله الإسلام. – وفيها تعاليم طرائق التحرّك في ميدان الحرب وقانون التصرّف في شأن الأسير وبيان أساليب التعامل مع المشركين عند نهاية المعارك.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الذين كفروا وصدّوا: هم المشركون الذين يمنعون الناس من الدخول في الإسلام.

﴿أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ جعل الله أعمالهم ضائعة ليس لها من ثواب، فهي مرفوضة إذ أنّها كيْد للرسول ﷺ، فأبطلها الله تعالى ونصر دينه على الأديان كلّها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وهم أنصار الدّين الصّادقون الذين وفّقهم الله تعالى وهداهم إلى صالح الأعمال، مقتدين برسول الله ﷺ.

﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ للإيمان سبل متكاملة وأعلاها الإيمان بالوحْي الذي نزل على محمد سيّد المرسلين ﷺ، تعظيما لشأنه.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ إن ما نزل على محمد ﷺ هو الحقّ، تنزيل من لدن حكيم حميد.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ غفر الله تعالى للتّائبين سيّئاتهم وسترها، لأنّهم آمنوا وعملوا الصالحات وأصلح حالهم ووفّقهم الله تعالى وأيّدهم بالنّصر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قال مجاهد: «إن الباطل هو الشيطان». فالكافرون اتّبعوا الشيطان فأضلّهم عن الحقّ فليس لهم ثواب ولهم سوء العاقبة، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ازدادوا إيمانا وطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، فكان جزاؤهم أن غفر الله تعالى لهم سيّئاتهم وأعدّ لهم أجرا عظيما.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ يضرب الله تعالى للناس الأمثال ليعتبروا ويتوبوا، فالكفار اتّبعوا الباطل فخابوا، والمؤمنون فازوا لأنّهم اتّبعوا دين الحقّ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ اضربوا رقاب الذين كفروا بقوّة وشدّة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الوثاق: اسم حبل يقيّد به الأسير كي لا يفرّ ولا يعود إلى صفّ العدوّ ويُشدّ على الأسير شدّا قويّا لا خلاص منه، حتى تنتهي الحرب. فإذا وضعت الحرب أهوال الصّراع وخلا الميدان

ممّا فيه، ينظر وكيل الحرب في أمر الأسير: إمّا أن يمنّ عليه بإطلاق سراحه مقابل سراح الأسير المسلم عند العدوّ، أو استرقاقه عبدا، وإن استحقّ القتل يُقتل.

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ ولو يشاء الله تعالى لانتصر من الكافرين وابتلاهم بعقوبة من عنده، ولكن ليختبر المؤمنين شرّع لهم الجهاد، وليَعلم الكفار بأنّ المؤمنين ذوو بأس وقدرة على الانتصار على أعدائهم، وذلك لتكون لهم الهيبة والهيمنة على الكافرين.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ جزاء الذين قاتلوا في سبيل الله أن يهديهم الله تعالى إلى سُبُل الجنّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ أي: ينصركم الله على الكافرين، ويُعينكم بتثبيت أرجلكم في مواطن الحرب لكي لا تزلّ بكم ولا تفشلوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ إن الله يَتعس الذين كفروا فلا يفلحون. قال ابن عباس رضي الله عنه: «نصيبهم في الدنيا القتل وفي الآخرة النار».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ كرهوا ما أنزل الله تعالى من الأحكام، واستهزؤوا بها واتّبعوا الشهوات وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فاستحسنوها فشقّ عليهم تجنّبها، فهلكوا وكانت عاقبتهم الخسران.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ دمّر أي أهلك كفار مكة. والمعنى أهلك الله تعالى كفارهم مثل ما أهلك الكفار من قبل يوم بدر ويوم حنين بالسيف وسلّط عليهم الريح يوم الخندق والرعب يوم فتح مكة. وذلك مثل ما سلّطه على الأمم الذين كفروا بالله ورسله من قبل وذلك نصر من الله للرسول ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ قال الله تعالى في سورة غافر ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ إن الله سبحانه وتعالى، مولى المؤمنين ووليّهم، يعطيهم النّعيم الخالد في جنة الخلد بعد أن نصرهم في الدنيا على أعدائه وأعدائهم، أما الكافرون فحظّهم في الدنيا أكل وتمتع كحظّ الحيوانات، ونصيبهم

في الآخرة العذاب والنار مقرّهم، وبئس المصير.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ القرية هي مكة، أهلها آذوا الرسول ﷺ وقاوموا انتشار الدين الإسلامي بينهم، وأخرجوا النبي ﷺ من قريته، فهاجر إلى المدينة فاحتضنته وأكرمت مثواه. وكان عقاب الله للذين أخرجوه أن أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولم يجدوا لهم نصيرا ينصرهم، لأن أنصارهم قبائل المشركين الذين أصابهم الرعب وخافوا من الهزيمة.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾﴾ قال ابن كثير: وهذا كقول الله تعالى في سورة الحشر ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

البيّنة هي الحجّة على حقّ موثوق به، بهداية من الله تعالى.

إنّ مَن هو على بيّنة من ربّه وهو على صراط مستقيم، مرضيّ عليه لدى الصَالحين، ليس مثله كمثل من مسيرته مستمدّة من هواه: يعيش طوع رغبة نفسه: فمن اهتدى أفضل وأعزّ ممّن ضلّ.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ مثل صفة الجنّة التي وعد المتّقون فيها أنهار من ماء صاف لا كدر فيه، وفيها أنهار من لبن أبيض سائغ للشاربين، وفيها أنهار من خمر لذيذ طعمه لا يصدع الرأس ولا كدر فيها، وفيها أنهار من عسل مصفى حسن الطعم والرائحة واللون شهيّ لا يُملّ، وفيها جميع ما خلق الله تعالى من الثمرات دانية قطوفها، وفيها بشائر بالمغفرة والرضوان، وفيها البشرى بالخلود الدائم ونِعم لا تُحصى.

وفي الصحيح «إذا سألتم الله تعالى فاسألوا الفردوس فإنّه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة ومنه تفجّرت عين الجنة، وفوقه عرش الرحمان».

وفي مقابل هذه النّعم الجليلة، فإن أهل النار محرومون من هذه الخيرات ومن جميع اللذائذ: فهم يسقون نارا تقطّع ما في بطونهم من أمعاء وأحشاء.

أعوذ بالله من غضب الله

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يهتمّون به تهاونا منهم، فإذا خرجوا قالوا وهم يستهزئون لأولي العلم من الصحابة: ماذا قال في مجلسه هذا؟!.

أولئك الذين لا يتدبّرون القرآن ولا يعقلون وقلوبهم غلف عليها أقفالها!.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ الذين شرح الله صدرهم وامتلأت قلوبهم إيمانا بالله وبرسوله ﷺ وعملوا الصالحات، يهديهم الله ويزيدهم على إيمانهم إيمانا ويوفّقهم للتقوى، ذلك لأنه تغلّب إيمانهم على شهواتهم وهواهم، وقد لطف الله تعالى بهم و يسّر لهم كلّ أمر عسير.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ بغتة أي فجأة. والساعة تأتي بغتة ولها أشراطها ومنها: الأمراض والشيخوخة، وقيل منها انتشار شهادة الزّور وقطع الأرحام وقلّة الكرام وكثرة اللئام وتنوّع الفتن ومنها فتنة الأموال والأولاد. والمعنى: فإذا جاءت الساعة لا تنفع الذكرى يومئذ.

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه «إذا مات الميّت، عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ: فمن كان من أهل الجنّة فهو من أهل الجنّة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويُقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» قال الشيخ ابن عاشور: «ومعنى الكلام أن الساعة موعدهم وأن الساعة قريبة منهم فحالهم كحال من ينتظر شيئا فإنما يكون الانتظار إذا اقترب موعد الشيء». ونهاية المرء قريبة وإن طال العمر.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ اعلم أنه لا إله إلا الله واطلب المغفرة من الله تعالى لك يا محمد وللمؤمنين والمؤمنات.

جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منّي اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطيئتي وعمدي، وكلّ ذلك عندي».

وفي الصحيح إنّه كان ﷺ يقول في آخر الصلاة: «اللهم اغفر لي ما قدمت

وما أخّرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت».

وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «يا أيّها الناس توبوا إلى ربّكم فإنّي أستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة».

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ أي يعلم تصرّف الإنسان في نهاره ومستقرّه في ليله ويعلم ما أخفى وما أعلن، وهذا كقوله تعالى في سورة هود ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ أي لولا نزّلت سورة تشمل أحكام القتال.

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۖ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ المؤمنون طلبوا من الله تعالى سورة تصف سُبُل الجهاد وطرائقه، فلما أنزلت، رأيت الذين في قلوبهم غيْض لم يُرضهم ما جاء فيها، وظهر عليهم الخوف من القتال وذلك لجُبنهم وفزعهم وخوفهم من لقاء الأعداء.

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ أي: كان عليهم أن يتقبّلوا الأمر بشجاعة، وأن يطيعوا أمر الله وهم فيه راغبون.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي وإذا كان لا بدّ من القتال جهادا في سبيل الله.

﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: نفّذوا أوامر الله تعالى بنيّة صادقة، وثقة بالله تعالى.

﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾ فإذا كانوا صادقين فيما عزموا عليه من القتال ففي ذلك خير. قال تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ هل نَكلتم ولم توفّوا بما عاهدتم عليه الله تعالى بأن تجاهدوا في سبيل الله وكنتم جبناء؟ إن هذه الآية عتاب وتوبيخ لقوم من المؤمنين انسحبوا جبناء وأخلفوا وعدهم بعد أن تهيؤوا للجهاد، فهم جبناء أذلاء لأنّهم اختاروا أن يعودوا إلى نفاقهم وكفرهم، مُحدثين العداوة والبغضاء بين قومهم، يقطعون أرحامهم وأنسابهم، وبئس ما يفعلون!.

هذا وإن الإسلام ينهى عن قطيعة الأرحام ويأمر بصلة أولي الأرحام

والإحسان إليهم. وفي الصحيح عن ثوبان رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من سرّه النسأ في الأجل والزيادة في الرّزق فليَصِل رحِمه» وروى ابن كثير بسنده عن عبد الرحمان ابن عوف رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله: «الأرواح جند مجنّدة، ما تعارف ائتلف وما تناكر منها اختلف، فمن يصِلها أَصِلُه ومنْ يقطعها أقطعه».

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ لعن الله الكافرين الذين في قلوبهم مرض، وهم المفسدون في الأرض القاطعون لأرحامهم، فالواحد منهم يُرى أصمّ كفاقد السمع لا ينتفع بالمسموعات التي تحيط به، وكالأعمى المضطرب الذي لا يُفرّق بين الضّار والنّافع. وفي الحديث: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله إنّ لي ذَوي أرحام أَصِل ويقطعون وأعفو ويَظلمون وأُحسن فيُسيؤون أفأُكافئهم؟ قال ﷺ: لا! إذَن تُتركون جميعا! ولكن جُد بالفضل وصِلْهم فإنّه لن يزال معك ظهير من الله عزّ وجلّ ما كنتَ على ذلك».

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ إن من يتدبّر القرآن يشرح الله تعالى صدره للإسلام، ويعلمه الله ما لم يعلم، والذين لا يتدبّرون القرآن قلوبهم مقفلة، لا يخلُص إليها شيء من معاني القرآن ولا يتّعظون به وتقسو قلوبهم، وويْل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله!.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ ارتدّوا على أدبارهم أي رجعوا إلى الكفر بعد الإيمان، ورضوا بما فعلوا واتّبعوا ما أملى عليهم الشيطان. والذين ارتدّوا هم الذين فرّوا من القتال في غزوة أحد، وذلك لأن الشيطان استدرجهم إلى الضّلال وغرّهم وأغواهم. وفي الآية تنبيه للمغرورين وتحذير من وسْوسة الشيطان واتّباع خُطاه.

ومن يستعذ بالله تعالى وبآياته من الشيطان الرجيم ويتدبّر القرآن الكريم يسلم من شرّ الشيطان ويعصمه الله ويشرح قلبه للإيمان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ إن المرتدّين بعد أن هداهم الله تعالى وسعدوا بالهدى كرهوا القرآن ورفضوا ما جاء فيه وتقرّبوا للمشركين وباحوا لهم بأسرار عن المؤمنين كانوا

يجهلونها، وقالوا لهم: سنطيعكم في ما جاء به دينكم عوضا عن طاعتنا لدين الله! فأطلع الله تعالى رسوله ﷺ على ما باحوا به للكافرين وغضب الله عليهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ كيف حالهم حين تتوفّاهم الملائكة؟ وماذا يصنعون إذا جعلت الملائكة يضربون وجوههم وأقفيتهم؟.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ إن ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة لأنهم أعرضوا عن دين الله تعالى وكرهوا رضوانه واتّبعوا هواهم، فساءت عاقبتهم وباؤوا بغضب شديد من الله تعالى. تلك عاقبة الذين لم يرضوا بالإسلام دينا فكانت عاقبتهم الخسران المبين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ الأضغان هي الحقد والبغضاء وهي مرض خفيّ يسكن القلب.

والمعنى: أن المنافقين يظنّون أن الله لن يُخرج الأضغان المخفية في القلوب! أوَ لم يعلموا أن الله يعلم ما فى الصدور وما هو أخفى؟

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ ولو يشاء الله تعالى لأطلع النبي ﷺ على أحوالهم واحدا بعد واحد بعلامات يمتازون بها.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: ولتعرفن قولهم إذ قد يكون ظاهره إيمانا وباطنه كفرا ورفضا وعنادا.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ إن الله تعالى لا تخفى عليه أعمالكم، وأنّه يجازيكم بحسب نواياكم وهو يعلم الظاهر والخفيّ قبل وقوعه.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ إن الله تعالى يختبر الناس بتكليفهم بمشاق صعبة، ليُجازى كل عن عمله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ إن الكفار عاجزون لا قدرة لهم على الضرّ، والله غالب على أمره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ الإبطال: جعل الشيء باطلا لا فائدة فيه. قال الحسن البصري والزهري: «لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي الكبائر».

وفي التحرير: «والذي جاء به القرآن وبيّنته السنّة الصحيحة أن الحسنات يذهبن السيئات ولم يجئ أن السيئات يذهبن الحسنات».

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾ أي إن الذين جحدوا آيات الله وكرهوا من يهتم بها وحاولوا إخفاءها وظلوا على التهاون بها وحقّروا شأنها وماتوا على كفرهم، لن يغفر الله ذنوبهم.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي فلا تضعفوا وتطلبوا السلم والمهادنة والصلح مع الكفار، والحال أنكم أنتم الغالبون.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بشّرهم الله تعالى بأن الله معين لهم ولا غالب إلا الله وجنده.

﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾ إن الله تعالى لا يُنقصكم من ثواب جهادكم وخير أعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ إنّ الدنيا وما فيها من الحظوظ العاجلة زائلة محدودة الزّمن كاللعب، سريعة الزوال، وخير ما في الدنيا الحزم والجد للفوز بسعادة الآخرة.

﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ والمعنى وإن تؤمنوا بالله تعالى وتتّقوه يؤتكم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يكلفكم الله تعالى بما ليس في وسعكم.

﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ الأضغان معناه العداوة. أي: إن يسألكم الله تعالى إعطاء جميع أموالكم تبخلوا بالبذل في سبيل الله تعالى. قال الشيخ ابن عاشور «وهذا مراعاة لحال كثير ممّن هاجر إلى المدينة وكانوا حديثي عهد بالإسلام وكانوا قد بذلوا الكثير من أموالهم للمهاجرين فيسّر الله عليهم بأن لم يسألهم زيادة على ذلك».

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ أي أنتم تُدعون لتُنفقوا في سبيل الله لتدفعوا عنكم الأعداء، لا لله تعالى، وهو الغنيّ وأنتم الفقراء، ومن يبخل فإنّه يبخل

عن نفسه بحرمانه من ثواب الإنفاق.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ أي إنّكم إن ارتددْتم وكفرتم فإن الله تعالى يبدلكم بقوم غيركم لا يستبدلون الدين الإسلامي بدين غيره. قال تعالى ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ... ﴿٥٤﴾﴾ المائدة.

أستغفرك اللّهم وأتوب إليك
والحمد لله رب العالمين

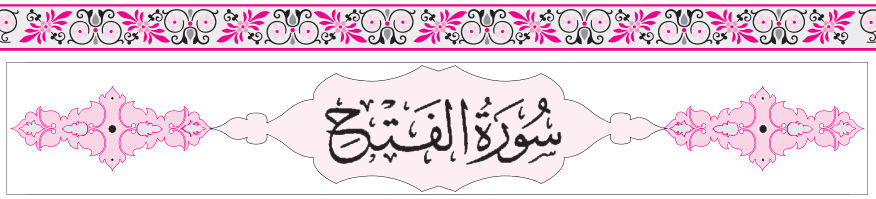

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ
ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾
قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ

تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ
مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ
لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ

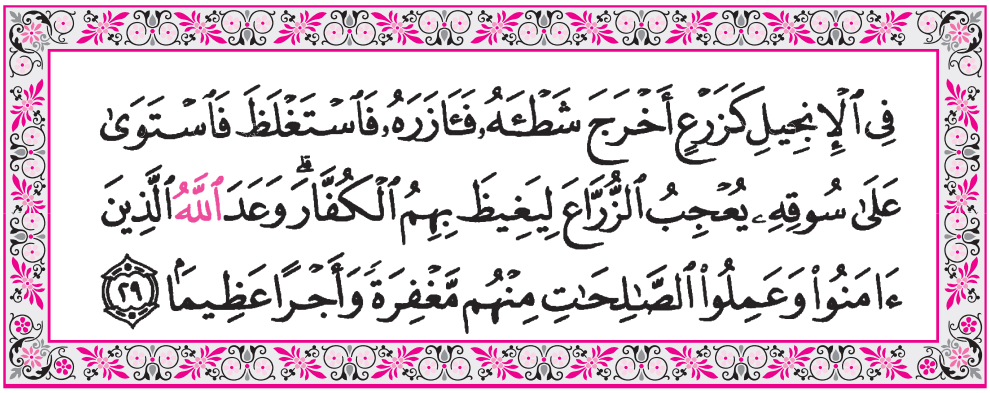

الفتح هو فتح مكةُ. ذكر ابن هشام: «إن فتح مكة كان لعشر ليال خَلَيْن من شهر رمضان سنة ثمان للهجرة».

فتح مكة فتح عظيم: تفضّل الله تعالى به على رسوله ﷺ، فكان نصرا عزيزا لا يُدانيه نصر. كان فتح مكة بشائر بيّنة كريمة بغفران الذنوب كلّها، وإتمام نعم الله على رسوله ﷺ بالهداية إلى الصراط المستقيم.

روى البخاري بسنده أن النبي ﷺ قال: «نزلت عليّ البارحة سورة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها» هي سورة الفتح.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ أي قدّرنا لك الفتح ويسّرناه لك.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ النبي ﷺ لم يقع منه ذنب ولم يذنب أبدا، والمقصود من هذه الآية الخبر عنه بأنه بريء من الذنوب وهو تمجيد له ﷺ وبشرى له بالجزاء العظيم بالفوز بإتمام جميع أركان الرسالة، وبالفوز برضى الله تعالى، وبشرى بإتمام نعمة الله تعالى عليه رحمة منه وفضلا.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ ويهديك إلى الدّين الحقّ.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ وهو النّصر العظيم المنيع الذي وعد الله به الرسول ﷺ، وهوالمنصور بعزّة الله تعالى ومناعته.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ السّكينة هي طمأنينة تحصل في النّفس بعد اضطرابات بعض الخواطر أو شكّ مريب

أو غموض في بعض النّوايا، مثل ما حصل للمؤمنين لمّا تأجّل فتح مكة وهم بالحديبية، فلمّا بيّن رسول الله ﷺ للمؤمنين خير هذا التأجيل اطمأنّت أنفسهم وسرت الطمأنينة في أنفسهم وكانت بردا وسلاما : هذه الطمأنينة – وهي السكينة المهداة من الله تعالى– رسّخت ودعّمت الإيمان في قلوب المؤمنين فازدادوا إيمانا كريما وألّفت بين قلوبهم ودعّمت صفوفهم.

إنّ صلح الحديبية هو اتفاق بين أهل مكة والمدينة: اتفق فيه الخصمان على تأجيل فتح مكة لعام قابل حقنا للدماء، هو اتفاق جنح فيه المؤمنون إلى السّلم ورضى به أهل مكة بالاستسلام وتسليم مقاليد الولاية على مكة إلى الفاتحين بقيادة الرسول ﷺ: كان هذا الفتح المبين نصرا عزيزا للإسلام والمسلمين.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ الجنود جمع جند وهو اسم للمقاتلين. وجنود الله تعالى متنوّعة منها إنزال السكينة في القلوب لتكون باعثا لتحقيق الغايات، ومنها إنزال الملائكة يوم بدر، ومنها إرسال الرياح يوم معركة الأحزاب على جند العدو ففرّقتهم وانهزموا خزايا. والله سبحانه وتعالى الغالب الواحد القهار العليم بأسباب النّصر، نعم المولى ونعم النصير.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها أبدا. روى ابن كثير بسنده عن أنس رضي الله عنه أنّه: لمّا قال المؤمنون: هنيئا لك يا رسول الله هذه البشائر كلّها لك – وهي الفتح وغفران ما تقدّم وما تأخّر من الذنوب وإتمام نعمة الله والهداية إلى الطريق المستقيم والنّصر المبين – فهذه الخيرات كلّها لك يا رسول الله ﷺ، فما لنا نحن يا رسول الله؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها دائما. وأكرم ببشرى الخلود في الجنة!.

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ ليعفو الله عن المؤمنين والمؤمنات ويغفر لهم خطاياهم، وهذا هو الفوز العظيم!.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ ومن فضائل النّصر أنّه فرح به المؤمنون، ويزيد من فرحهم أنّه يعذّب الله به الأعداء عذابا

زائدا على تعذيبهم الذي استحقّوه بسبب الكفر والنّفاق وبسبب ما جنوه من سوء فعلهم، كما ازداد عذابهم بغضب الله عليهم ولعنِهم، وتوعّده سبحانه لهم بعذاب جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ أي إنّ الله تعالى مالك الملك لا يغلبه غالب.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ أراد الله من إرسال رسوله محمد ﷺ أن يكون شاهدا ومبشّرا ومنذرا. والشاهد: هو المكلّف بتصديق أحد أو تكذيبه: أي أرسلناك لتشهد على الأمة أنّك بلغت الرسالة وبأنك مبشّر للمطيعين وبأنك نذير للعاصين حتى لا يكون لأحد عذر بعد الإنذار المبين.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ أي أرسلناك شاهدا ومبشّرا ونذيرا لهم ليؤمنوا بالله ورسوله. والمعنى: عظموا الله تعالى ووقّروه وانصروه وسبحوا الله أوّل النهار وآخره وأكثروا من تسبيحه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ قال ابن كثير: «هذا كقوله تعالى في سورة النساء ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ...﴿٨٠﴾﴾».

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ أي إن الله تعالى حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم: أي إنّ الله تعالى هو المبايَع بواسطة رسول الله ﷺ.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ نكث معناها نقض: كالتي غزلت ثم حلّت غزلها. فكأنّ الذي عاهد، قيّد نفسه بما عاهد عليه الله، ولمّا نقض العهد فقد أبطل ما عاهد الله عليه، وذلك النقض لا يضرّ الله شيئا والنّاقض لا يضرّ إلاّ نفسه بما استحقّ من العذاب وغضب الله تعالى.

والذي أوفى بما عاهد الله عليه فإنه أرضى الله سبحانه وتعالى.

دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. قال ابن اسحاق في كتابه السيرة: «ونادى منادي رسول الله ﷺ ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى

فبايعوه. فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفرّوا أبدا، فأرهب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا إلى الموادعة والصلح».

وروى جابر رضي الله عنه قال: «كنّا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ:أنتم خير أهل الأرض اليوم».

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ المخلّفون من الأعراب هم سكان بدو، يسكنون حول المدينة المنوّرة، إنّهم قوم آمنوا إيمانا سطحيا لم يتمكن من قلوبهم :إنهم مؤمنون لكن ليس في قلوبهم دافع قوي إلى الإسراع إلى الوفاء بالعهد، ولقد بدا منهم ذلك لما دعاهم الرسول ﷺ إلى الجهاد لفتح مكة: فتباطؤوا ولم يسارعوا إلى تلبية دعوة الرسول ﷺ، واعتذروا بأنهم مشغولون بأموالهم مهتمون بمصالح أولادهم واكتفوا بأن طلبوا من الرسول ﷺ أن يطلب لهم المغفرة من الله تعالى، وهو قول لهم ليس على سبيل الاعتقاد واليقين الصادق والإيمان القوي بل هو تقيّة منهم وخوف.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ إن الله تعالى يفعل ما يشاء، فإذا أراد الله أن يضرّ أحدا أو ينفعه فلا رادّ لحكمه وهو العليم الخبير الفعّال لما يريد. قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ...﴿١٧﴾﴾.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ إن الأعراب اعتقدوا أن المجاهدين قلّة وأن جيش الفتح لا يصمد أمام كثرة جموع قريش وكنانة وأحلافهم وغيرهم، وأنّهم ظنّوا أن انتصار المجاهدين مستحيل لذلك اختاروا التخلّف عن الالتحاق بالمؤمنين، وهذا الظنّ ظنّ سوء جرّهم إلى الهلاك وسوء العاقبة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ إن الله سبحانه وتعالى هو المالك المتصرّف الفعّال لما يريد في كامل السماوات والأرض ومن فيهن.

﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ والله تعالى غفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا، وهو الفعّال لما يريد، الغفور الرحيم.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ ﴾

المخلّفون: طائفة من الأعراب تخلّفوا عن اتباع النبي ﷺ ورغبوا عن صحبته، وكان عملهم هذا ذنبا عظيما، فلم يحضروا صلح الحديْبية فعصوا الرسول ﷺ فندموا عما فعلوا، ولما عزم النبي ﷺ واستعد لفتح خيْبر، رغبوا في صحبته فرفض النبي ﷺ دعوتهم وحُرموا من الحضور بغزوة خيْبر: من حضور النّصر بها ومن كسب خيرات غنائمها. وخصّ الله تعالى المؤمنين بغنائم خيْبر وكان ذلك جزاء لأهل بيعة الرّضوان.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يريدون أن يغيّروا ما أمر الله به المؤمنين.

﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ قل يا محمد: لن تخرجوا معي أبدا لأنّكم رغبتم عن الصحبة أوّل مرة فاقعدوا مع القاعدين.

﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ وقالوا: إنّكم تحسدوننا ولا تريدون أن نشرككم في المغانم التي وعد الله بها: إنّه ظنّ سوء سخيف يدلّ على بساطة تفكيرهم.

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ ﴾

قل للمخلّفين الذين تخلّفوا عن الحديْبية – وكان عقابهم بالحرمان عن مرافقة المجاهدين إلى غزوة خيْبر–: «هذه بشارة لكم بأنّكم عفا الله عنكم وأنعم عليكم بالدّعوة إلى مرافقة المجاهدين في غزوات مقبلة» كان هذا لتأديبهم وتهذيب طباعهم وتعميق إيمانهم.

والمراد بالقوم أولي البأس :هم أهل الرّدة لأنّهم قبائل العرب المعروفة بالشّدة والبأس وهم الذين ارتدّوا عن الإسلام ورفضوا أداء الزكاة في عهد سيدنا أبي بكرالصديق رضي الله عنه، فأرغمهم على أداء الزكاة ولم ينفك عن قتالهم حتى جدّدوا إسلامهم.

﴿ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾

إن تستجيبوا وتستعدّوا للجهاد يؤتكم الله تعالى أجرا حسنا، وإن دعيتم

فتخلّفتم يعذّبكم الله عذابا شديدا.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ هذا بيان لأسباب جواز التخلف عن الجهاد منها العمى والعرج المستمرّ والمرض، مرضا يطرأ ثم يزول.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ نِعم الجزاء جنّات وأنهارا ورضى من الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ أي ومن يعرض-لا يستجيب دعوة الخالق- ولم يستجب الدّعوة للجهاد في سبيل الله تعالى، فمصيره جهنّم وبئس المصير.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من أجل مبايعتهم للرسول ﷺ على نصرته وتحفزّهم لقتال المشركين. ثم حدث أن وقع الصّلح بين أهل مكة وبين المؤمنين – وكفى الله المؤمنين القتال- وهو حدث عظيم سَرّ الخصميْن. لكن بعض المؤمنين أسفوا لذلك لأنّهم استعدّوا ورغبوا في لقاء عدوّهم ليصرعوه ويرضوا الله تعالى والنبي ﷺ، فأعلمهم الله تعالى بأنه رضي عنهم جميعا.

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الشجرة هي التي جلس في ظلّها الرسول ﷺ – تسمّى شجرة الطلح- كانت معروفة للمسلمين يصلّون عندها تيمّنا، فأمر عمر رضي الله عنه بقطعها، ولما كان عهد أبي جعفر المنصور بنى مسجدا- في ذلك المقام – سمّي مسجد البيعة وجدّده محمود خان العثماني سنة 1254م وهو قائم إلى اليوم: وهو مسجد بيعة الرضوان.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ منّ الله على المؤمنين بسكينة في قلوبهم واطمئنان لنفوسهم وبالفوز في مستقبل أيّامهم وأعطاهم ثوابا ووعدهم بفتح قريب ومغانم كثيرة: وهذا الفتح هو فتح خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ والمغانم هي أرض خصبة وأنعام ومتا ع وبساتين، وبشرّهم الله تعالى بأنّه لا يهلك منهم أحدا، وهذا من أثر عزّة الله تعالى التي لا يتعاصى عليها صعب.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أي ولكم مغانم أخرى لا

يحرم منها المتخلّفون عن الحديبية، وهي المغانم التي ستحصل في الفتوحات الأخرى في المستقبل.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي لم ينلكم سوء ممّا أعدّه لكم الأعداء من أنواع المصارعة والقتال.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لتكون عبرة للناس الذين يؤمنون بعزّة الله وعظمته وقدرته، ذلك لأن الله تعالى حفظهم ونصرهم على جميع أعدائهم رغم قلّة عددهم، وأن الخير فيما يختاره الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وإن كرهوه: قال تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ سورة البقرة.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ أي يهديكم الله تعالى لمصالح ومنافع لكم ليزداد إيمانكم، ويكفّر عنكم سيئاتكم وتحقّ لكم الجنّة.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ والمعنى أن الله قادر على ما لا تقدرون عليه، وأن الله تعالى جمع لكم مغانم لم تقدروا على تحصيلها وأعطاكم إياها، وأنّه تعالى وعدكم بمغانم أخرى كثيرة لم يعيّن لكم وقتها. قال الشيخ ابن عاشور: «ولعلّها مغانم يوم حنين وبلاد فارس والروم والبربر».

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ قال تعالى في سورة يس ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ لو أنّ الذين كفروا قاتلوا جيش المؤمنين، لانهزم المشركون فارّين لا ناصر لهم. قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴿٥١﴾﴾.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي هذه سنّة الله في خلقه، ما تقاتل الكفر والإيمان إلا انتصر الإيمان على الكفر ولو بعد حين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ تفضّل الله تعالى على المؤمنين فكفّ أيدي المشركين عنهم ولم يقاتلوا فلم يحصل لهم ضرّ، وأوْجد بينهم صلحا فيه خير للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ هم المشركون من عرب قريش الذين منعوا المؤمنين من ذبح الهدي بمنى، وتطبيقا لصلح الحديبية – الذي تمّ فيه الاتفاق على تأجيل الدخول إلى المسجد الحرام بعد عام – ظلّ الهدي ماكثا إلى أن بلغ محلّه وذبح بالحديبية بدلا عن ذبحه بمنى المبارك وكان الهدي سبعين ناقة.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ المعرّة من عرّه أي أصابه بما يكره. أي لعلّ أن يكون رجال من المؤمنين ونساء يتخفّون عند أقاربهم فتقتلونهم فتكونوا آثمين. وثبت أنّهم كانوا سبعة رجال وامرأتين.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ رحم الله المؤمنين والمؤمنات بالنجاة من الهلاك تحت أقدام المشركين.

﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ أي لو انقسم الجمع إلى مؤمنين وكافرين لعذّب الله تعالى الكافرين عذابا شديدا.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ إذ خُلقوا والحميّة جعلها الله في قلوبهم فكانوا لا يراعون المفسدة ولا المصلحة.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ أي جعل الله تعالى في قلوب المؤمنين السّكينة أي التثبّت والتأنّي والصبر، وأقدرهم على الوفاء بالعهد، والتزموا بكلمة لا إلاه إلا الله محمد رسول الله وبما فيها من معان جليلة انطوت عليها قلوبهم.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أرى الله تعالى رسوله رؤيا صادقة: وذلك أن رسول الله ﷺ رأى رؤيا كأنّه هو وأصحابه دخلوا مكة آمنين وحلّقوا وقصّروا. وقصّ ﷺ عليهم القصّة فاستبشروا، لإيمانهم بأنّ رؤيا الأنبياء حقّ واقع لا محالة وهي وحي من عند الله وصدق، وتصديق وتطمين لهم بأن النصر آت لا محالة.

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ لتدخلنّ المسجد الحرام في

المستقبل آمنين لا تخافون غدر العدوّ وجعل الله لكم فتحا قريبا بعد هذا، وقد ثبت بعدُ أنّه فتح خيبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾ الهُدى هو الوصول إلى معرفة شرائع الإسلام وتركيزها بالأنفس ليكون سلوك المسلم مرضيا. والدين الحقّ هو شرائع الدين وفروعها، وهو الدين الذي أعلاه الله تعالى على جميع الأديان وشرّفه الله بالشهادة له بأنّه أرفع الأديان وجعله مهيمنا عليها وأعزّه الله تعالى.

قال تعالى في سورة آل عمران ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ... ﴿١٩﴾﴾ وكفى بالله شهيدا.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ محمد رسول الله ﷺ رسول حقا ولا ريب، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة على أكمل الأحوال. ثم أخبر الله بأنّ الصحابة الذين آمنوا بمحمد ﷺ وصدّقوه كانوا أكفّاء فرضي الله عنهم وأرضاهم وهم قوم يحبّهم الله ويحبّونه، وصفهم رسول الله ﷺ بأن قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» ووصفهم القرآن بالجدّ في العمل والصبر والإخلاص وبأنّهم يكرهون الكفر وأنصاره وأنّهم لا يخشون في الله لوْمة لائم وإذا لَقُوا الذين كفروا كانوا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقدر ما هم شداد على الأعداء فهم للمؤمنين حبّ ورحمة.

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ تراهم مواظبين على الصلاة وهي خير الأعمال مخلصين لله وحده راجين من الله الرضوان والفوز بالجنة.

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ يبدو عليهم الخشوع والتواضع رضي الله عنهم، نيّتهم طيّبة وأعمالهم ماجدة، فكلّ من نظر إلى أعمالهم أعجب بهم. وعن الطبراني أن أبيّ بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ أي النور يوم القيامة. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيّته».

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ في ذلك إشارة إلى أنهم ذكروا في الكتب المقدّسة كما ورد في التوراة الصحيحة وفي الإنجيل الصحيح. قال الشيخ ابن عاشور: «ومعنى هذا التمثيل شبيه بحال المسلمين ونمائهم حين كثروا، بدأ الإسلام ضعيفا وأخذ يتقوّى يوما فيوما حتى استحْكم أمره و تغلّب على أعدائه».

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ هذه الآية تعظيم لفضل الصحابة رضي الله عنهم ونهي عن الإساءة إليهم بالقول وبالفعل، ويكفيهم أن الله سبحانه وتعالى رضي عنهم، وأنّهم بلّغوا الرسالة وحموها حماية بالقول والفعل من مكائد الكافرين المغتاظين من انتشار الإسلام في المغارب والمشارق.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ وعد الله سبحانه وتعالى كل من كان مع النبي ﷺ بالمغفرة لأنّهم جميعا آمنوا وعملوا الصالحات وكلّ من عمل الصالحات من المؤمنين.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصيفه».

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ
وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن
قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

في سورة الحجرات آيات لإرشاد المؤمنين إلى: مكارم الأخلاق وتهذيب الأنفس الضّالة لترجع إلى سلوك الطريق المستقيم وتلطيف الخطاب مع النبي ﷺ مع اختيار ما يناسب المقام. ووعظ وإرشاد وتذكير بصفات الله تعظيما وإكبارا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في هذه الآية إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق تأدّبا مع الرسول ﷺ وترشد المؤمنين إلى أن يخاطبوا الرسول ﷺ خطابا أفضل. قال الله تعالى في سورة النساء ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ... ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ واتقوا الله تعالى فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ إنّه سميع لما يقولون، عليم بما في الصدور سبحانه وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ قد نهى الله عزّ وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ وأمَرهم

أن يخاطبوه بلطف ووقار. روى ابن كثير بسنده عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «أنّه سمع رجلين في مسجد رسول الله ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فقال: من أين أنتما؟ قالا: من الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا.». وبناء على هذا الحديث، فإنّه يُكره رفع الصوت عند زيارة قبر الرسول ﷺ، فهو محترم حيّا وفي قبره ﷺ.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ إنّما نهاكم الله تعالى عن رفع الصوت خشية أن تُحبط أعمالكم وتُحرموا من الأجر العظيم: فإنّ التهاون بالمقدّسات تدحرج بها إلى الانصراف عنها. إنّ في ترك التأدّب مع رسول الله ﷺ إثما عظيما. قال الشيخ ابن عاشور: «وذلك كفر» وفي هذا تنبيه إلى الحذر من الآثام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ في هذه الآية أمر بخفض الصوت بحضرة النبي ﷺ ونهْي عن رفع الصوت تأدّبا مع الرسول ﷺ، والله سبحانه وتعالى العليم بأحوال المتّقين. قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن معنى امتحان القلوب: «إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك امتحن الله قلوبهم».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الحجرات مفردها حجرة وهي رقعة مخصّصة بالمنزل. وعدد حجرات النبي ﷺ تِسْع، وهي من جريد النخل، يفصل بين الواحدة والأخرى حاجز وعلى أبوابها ستار منسوج من شعر أسود.

قال الحسن البصري: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأتناول سقوفها بيدي»

وفي هذه الآية تربية وتهذيب لسلوك الذين يخاطبون رسول الله ﷺ ولوم على غلظة معاملة الذين لا يعقلون.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ﴾ لو صبروا حتى يخرج النبي ﷺ من حجراته لكان صبرهم خيرا لهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ يغفر الله تعالى ما سلف من الذّنب ويقبل التّوبة برحمة منه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ إذا أتاكم رجل فاسق تشكّون في صدقه، بخبر من الأخبار، فتثبّتوا في صحة الخبر لكي لا تتّهموا النّاس بما ليس فيهم.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ العنت أي المشقّة. في الآية تعليم المسلمين وترويضهم على اتباع ما شرع الله تعالى لهم من الأحكام، وعلى اتباع الرسول ﷺ وهو في معنى قوله تعالى في سورة النساء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ زيّنه أي حسّنه في قلوبكم: فكنتم مؤمنين الإيمان المتأصّل فيكم، الحبيب إليكم، تحبّونه حبّا لا ترضون عنه بديلا، وبغّض إليكم الكفر وكبار الذنوب وجميع المعاصي، وجعلكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر متمسّكين بالقرآن والسنّة وهذا من أنعم الله تعالى. والمتّصفون بهذه الصفات الجميلة هم المهتدون الراشدون في سيرتهم وحسن معاملتهم للمخلوقات: إنّهم هم الراشدون لا غيرهم.

قال ابن كثير: «والمراد بالفسوق الذنوب الكبار وبالعصيان جميع المعاصي.»

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ أي إن هذا الكمال لأخلاقكم وحسن السلوك هو من فضل الله عليكم وجليل أنعمه.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ طائفة من المؤمنين أي جماعة مؤمنة حصل بينها وبين أختها في الإيمان نزاع وكادوا أن يقتتلوا. روى قتادة: «أنها نزلت عند فتنة بين الأوس والخزرج بسبب خصومة بين رجل وامرأته أحدهما من الأوس والثاني من الخزرج، فانتصر كل منهما لقومه فتدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال والعصيّ، فنزلت الآية، فجاء النبي ﷺ فأصلح بينهما».

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال ﷺ :أن تمنعه

من الظلم فذلك نصرك إيّاه». وقد أكد المعنى قول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي أجبروهم على الصلح إذا خشيتم الفتنة فمن يأبى ذلك من الخصمين فهو ظالم.

﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ الإصلاح بين الخصمين المؤمنين واجب قبل الشروع في العنف والصراع. قال الله تعالى في سورة النساء ﴿..وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ...﴿١٢٨﴾﴾.

﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ أوجب الله تعالى على المسلمين القسط بما فيه من معاني العدل المفضّل وأمرهم أن يصلحوا بين إخوانهم في الإسلام ورغّبهم في الرجوع إلى أخوّة المؤمنين الصادقة وفرض التحذير من الظلم، فإن الظلم ظلمات.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ لتوطيد الأخوّة بين المؤمنين، يجب دعمها بتنمية مشاعر التعاطف بينهم بالحبّ الزكيّ المتبادل تعاطفا مستمرّا كتعاطف أعضاء الجسد في السرّاء والضرّاء، تعاطفا تلقائيا يتمثّل في التعاون والتناصر بينهم.

قال ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسلِمه» ويُسعفه بجميع طاقاته لإمتاعه بما يرضيه وقد أوصى رسول ﷺ المؤمنين بأن لا يتقاطعوا ولا يتباغظوا ولا يتحاسدوا ولا يتنابزوا وبأن لا يهجر المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام وخيرهم من بدأ أخاه بالسلام.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي إنّكم إذا اتّقيتم الله ترجون رحمة من الله تعالى والعون وصلاح أمانيكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ السّخرية: الاستهزاء وإساءة الأقوال. نهى الله تعالى عن سخريّة البعض من البعض فإنّها تقطع أسباب الاحترام وتثير الضّغائن والأحقاد والقطيعة.

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ روى عكرمة: «أن الآية نزلت لمّا سخرت

بعض النسوة من أم سلمة رضي الله عنها بقصر القامة «وقيل نزلت لمّا عيّرت بعض النساء صفية رضي الله عنها زوج الرسول ﷺ بأنّها يهودية الأبوين.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ اللّمز منهيّ عنه وهو الكلام البذيء يرمي به الفاسق غيره ويصفه بأوصاف يكرهها. والنّبز وصف الغير بكلمات تحطّ من شأن المخاطَب. وهذه الألفاظ تثير الغضب والحقارة بين الناس وقائلها مذموم حقير.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ بئس: كلمة ذمّ ولوْم. والفسوق صفة للفاسق وهو الذي يرتكب الذّنب عمدا ويظل مصرّا عليه ولا يتوب.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ والمعنى: إن السخرية من الناس والاستهزاء والنّبز والهمْز واللمز المنهي عنها فاعلها فاسق ظالم إن لم يتب من قريب: فإنّ الظالمين لهم عذاب أليم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث». إنّ الظنون السيّئة والتّهم الباطلة تنشأ عنها الغيرة الخبيثة والمكائد الهالكة والقطيعة والإغتيالات والطعن في الأنساب، وهي ظنون آثمة. هذا وإنّه من الظنّ ما هو مرضي والعمل به ليس إثما كظنّ الحذر من مكائد العدوّ في الحرب وكظنّ الخير في الأخ المؤمن.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ التجسّس البحث خُفية عن أخبار الغير لإيقاع الضّرر بهم وهو كبيرة، أمّا إذا كان المراد به نفع المسلمين أو لدفع السوء عنهم فذلك من الإحسان.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ روى ابن كثير بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل يا رسول الله: ما الغيبة؟ قال ﷺ:ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ:إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه».

وعن ابن كثير بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله حسبك من صفية –زوجة النبي ﷺ– كذا وكذا تعني قصيرة القامة، فقال لها رسول الله ﷺ: قلتِ يا عائشة كلمة لو امتزجت بماء البحر

لمزجته» وفي رواية: لقد اغتبتيها.

وفي هذا ما يفيد أنّ الغيبة ذنب كبير تهدّم الأخوة وتزرع الأحقاد وتثير الفتن ما ظهر منها وما بطن، والفتنة داء فتّاك عاقبته سوء ودمار.

أمّا الغيبة التي فيها مصلحة عامة كأداء الشهادة وما فيه نصرة للحق وسبيل لإصلاح ذات البيْن فهي خير.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تشبّه الآية صنيع المغتاب بالأخ يأكل لحم أخيه الميّت: وفي ذلك تشنيع بالمغتاب وبئس ما يفعل وهي كبيرة من كبائر الذنوب. روى ابن كثير بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم ينفذ الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم فإنّه من يتّبع عورات المسلمين يتّبع الله عوراته ولو في جوف رحله».

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ إنّكم إن لازمتم الطاعة واجتنبتم المعاصي فإن الله يفيض عليكم رحمته ويتوب عليكم وهو التوّاب الرحيم. قال تعالى في سورة الطلاق ﴿.. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... ﴿٣﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ المراد بالذكر والأنثى آدم وحواء قال ﷺ «أنتم بنو آدم وآدم من تراب». والشّعب القبيلة التي تنحدر من جدّ واحد، والله تعالى جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا بينهم لتعمير الكون.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ التقيّ هو من يزكي نفسه ويدرّبها على الالتزام بتطبيق المبادئ الشرعية ويتجنّب الذنوب، وللتّقوى مراتب يعلمها الله تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ إن الله سبحانه بكل شيء عليم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الأعراب اسم لسكان البادية من العرب.

الإيمان تصديق يحلّ بالقلب يدفع المؤمنين إلى إنجاز أركان الإسلام في أوقاتها طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

فالإسلام عمل بالبدن يتمثل في القيام بأركان الإسلام الخمسة: الشهادة بأن

لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله وأداء الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام على من استطاع إليه سبيلا.

روى عمر رضي الله عنه قال: «إن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة فأجاب ﷺ: إن الإسلام أن تشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا ﷺ رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج إلى بيت الله الحرام».

قال الشيخ ابن عاشور: «إن الإسلام بدون إيمان نفاق».

وقال ابن عاشور: «وقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا...﴿١٤﴾﴾ تعليم لهم بالفرق بين الإيمان والإسلام كما ورد في قوله تعالى في سورة الفتح ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ...﴿١١﴾﴾.

﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ إنّ ادعاءكم بأنّكم آمنتم إيمانا تعتزّون به ليس إيمانا، وإن الإيمان تصديق ثابت بلا ريب يستقرّ في قلب المؤمن استقرارا ثابتا يدفعه إلى القيام بفروض الإسلام. فالأعراب لم يحرّكهم دافع الإيمان وإنّما كان دافعهم الخوف من أضرار الحرب بينهم وهذا لأنهم مسلمون وليسوا مؤمنين وأن الإيمان الحقيقي لمّا يدخل إلى قلوبهم.

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ﴾ لا يلتكم أي لا ينقصكم. والمعنى إنّكم إن آمنتم إيمانا صادقا خالصا لله تعالى، يتقبّل الله أعمالكم ويُثبكم عليها ثوابا كاملا غير منقوص.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ إن الله تعالى برحمته الواسعة يغفر الذنوب لمن يشاء ويتجاوز عن السيّئات لمن يشاء.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ إنّما المؤمنون حقّا هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينفقون أموالهم في سبيل الله ويؤمنون بما في كتاب الله تعالى إيمانا لا ريْب فيه، ولا شكّ لهم في دين الله تعالى وبالآخرة هم يوقنون.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ ليس الله سبحانه وتعالى بحاجة أن يعلّمه أحد، فالله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وهو العليم بما في الصدور، إذ قد أحاط سبحانه بكلّ شيء علما.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ معنى المنّ: ذكر إحسان أحسنه المرء لغيره وإعادة ذكره للّوم عليه أو لينقص من شأنه. ومعنى الآية: أتظنّون أن انتسابكم للإسلام هو مزيّة منكم؟ بل إنّه نعمة أنعمها الله عليكم وهو ذو المنّة والفضل.

كقول الشاعر:

أتنسى دفاعي عنك إذ أنت مسلم *** وقد سال من ذلّ عليك قراقر

أي كقول المانّ إلى صاحبه: أتنسى دفاعي عنك يوم كنت مغلوبا دمعك سائل على خدّيك؟.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ هو الله العليم بالغيب وبما في الأرض وما عليها وما تحت الثرى ويعلم علم اليوم وعلم الأمس وما يحدث في كل زمان ومكان.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ غافر.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ
﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾
رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ
لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ

لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ
وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ
﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ
عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

روى ابن كثير بسند صحيح: «أن رسول الله ﷺ يقرأ بسورة (ق) في المجامع الكبار كالعيد وخطب الجمعة وذلك لاشتمالها على ذكر بدء الخلق والبعث والنشور والمعاد والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب».

﴿قٓ﴾ حرف من حروف الهجاء اسم للسورة، كقوله تعالى (ص) و(ن) و(حم).

وقيل: إنّه اسم جبل خلق الله بعده بحرا وبعد البحر سبعة أبحر تحيط به!!.

قال ابن كثير: «هذا القول من خرافات بني إسرائيل أضيفت إلى

بعض التفاسير لتلبيس الحق بالباطل لبثّ الشّك في أنفس الغافلين» فحذار من خرافات طوائف من شياطين الميدان الذين يكيدون للكتب السماوية السليمة، بما يُراد به صرف المؤمنين عن التصديق بما هو لا ريب فيه.

والحقّ، إن القرآن الكريم بيّنه الرسول ﷺ تبيانا كافيا يُغني عن خرافات القصّاصين من مختلف النِّحَل. قال تعالى في سورة النَّحل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ هذا قسم بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف والكمال العالي.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ تعجّبَ المشركون من إرسال رسول من البشر مختار منهم يُخيفهم من عذاب الله.

﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ قال الكافرون من مُشركي مكة: هذا حدث غريب وأنكروا صحّة ما حدث رافضين الدعوة، مستهزئين.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي أئذا توفّينا وتحوّلت أجسادنا ترابا، سنحيا ونرجع كما كنّا؟

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ الحياة بعد الموت: حدث بعيد التصوّر عن أذهانهم.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي تُعاد الأجسام بعد عدمها بأن يخلق الله تعالى أجسادا، مثل الأجساد الأولى، تودع فيها الروح التي كانت في الدنيا في الجسم الفاني. قال الشيخ ابن عاشور «قال جمهور أهل السنة: تُعاد الأجسام بعد عدمها أما جسم الدنيا فإنّه يتفرّق أجزاء».

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ وعند الله كتاب به علم الله الشامل، هو الكتاب الذي تُحصى فيه المعلومات والخبر عن كل شيء. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ كذّبوا بالقرآن وبما جاء به القرآن: منه الأمر بتوحيد الله تعالى ورسالة رسول الله ﷺ. واختلطت أقوالهم فقالوا: سحر مبين وقالوا: أساطير الأوّلين ووصفوا الرسول ﷺ مختلفين فقالوا: شاعر! وقالوا: مجنون. فقد اضطربت أقوالهم وساء ما يقولون.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ السماء ما تراه العين، تبدو كالقبّة متّصلة الأجزاء، تحيط بالأرض ليس فيها خرق ولا انخفاض ولا ارتفاع، تدلّ على عظمة الصّانع الذي خلق سبع سماوات طباقا ليس فيها تفاوت ولا انحراف.

تبارك الله خالق كل شيء، سبحان الذي زيّن السماء بالشمس والقمر والنجوم.

وفي كل شيء له آية *** تدلّ على أنّه الواحد

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ بسط الله تعالى الأرض وأثبتها بالجبال وخلق عليها أنواعا من النبات والثمرات، وجعل عليها أنواعا من الحيوانات أزواجا.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ التبصرة: إدراك الإنسان لشيء كان خفيّا عنه، والذكرى تجعل الإنسان يذكر شيئا كان نسيَه ومشتبها فيه، والمنيب هو التائب الراجع إلى الله تعالى مستغفرا، متّعظا بما علم، يتّقي الله تعالى ويخشاه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ ينزل من السماء ماء فيه البركة والخير الكثير.

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ الجنة أرض أنبت الله تعالى فيها أشجارا من النخيل والزيتون وأشجار الفواكه وغيرها. وحبّ الحصيد هو الزرع المحصود يُعطي نباتا، غذاء لخلق الله تعالى.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ النخل من أهمّ الأشجار، لها خير كثير، ثمرها يؤكل بسرا ورطبا وتمرا ويُدّخر زادا للمقيم والمسافر، فيه طعم لذيذ وغذاء مبارك.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ جعله الله تعالى قوتا ونِعما تكريما لعباده.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ البلدة الميْتة اسم للقطعة من الأرض جدباء لا نبات فيها، يُحييها الله تعالى إذا أنزل عليها الأمطار المباركة، فتخرج منها مراعي للأنعام وتستقيم بها حياة الناس.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ أي كما يُحيي الله البلدة الميتة الجدباء، كذلك يُحيي الله

تعالى الناس، ويُخرجهم من الأرض بعد موتهم. قال تعالى في سورة المعارج ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ... ﴿٤٤﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ فكان عذابهم بالغرق.

﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾ من قبيلة ثمود وكان عذابهم بالصواعق من السماء.

﴿وَعَادٌ﴾ وكان عذابهم بالريح.

﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ وكان عذابهم بالغرق.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ وهم كنعانيّون وكان عذابهم بخسف الأرض، أما لوط فإنه عبراني ليس من قبيلتهم.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم من أصحاب شعيب.

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهم من أهل اليمن.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ كلّ الأمم المذكورة كذّبوا الرسل، وصدق وعيد الله تعالى فيهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ. وفي هذه الآية تهديد لمن يكذّب بالرسل ويهزأ برسالاتهم. قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ قال ابن كثير: «وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يقول: لن يُعيدني الله كما بدأني! وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته». قال تعالى في سورة الروم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ولقد خلقنا جميع الناس والله يعلم باستمرار ما يجول بخواطر الإنسان. قال ابن كثير: «وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله تعالى تجاوز لأمّتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل».

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ حبل الوريد: في الجسم وريدان وهما عرقان ينتهيان إلى الرأس. والمعنى، إن ملائكة الرحمان أقرب إلى الإنسان من حبل وريده.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعلّه يسبّح أو يستغفر» رواه أبو نعيم في الحلية وغيره.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ أي وجاءت أيّها الإنسان سكرة الموت: وهذا الذي كنت تفرّ منه. ذكر ابن كثير: «ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لمّا تغشّاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: سبحان الله إن للموت سكرات». والسكرة هي الحالة التي لا يطمع الإنسان في امتداد الحياة بعدها. قال ﷺ «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه» أي إن المؤمن إذا حضرته الوفاة يرى ما أعدّ الله تعالى له من خير، فأحبّ لقاء الله.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ أي يوم ينفخ في الصور: ذلك حلول يوم الوعيد.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ مع كلّ نفس ملكان أحدهما يسوق النفس إلى المحشر والآخر يشهد عليها بما في صحيفة أعمالها.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ يقال هذا الخطاب للمشركين توبيخا وللنفس الكافرة التي كانت غافلة ناسية يوم الحشر والجزاء: هذا يوم يُكشف فيه غطاء الغفلة والنسيان، وفيه يرى الغافل ببصر حادّ كلّ ما قدّم وأخّر من سوء أعماله.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال مجاهد: «هذا كلام الملك السائق يقول: هذا الذي تمّ توكيلي به، قد أحضرته».

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ يُلقى الكافر بالله، المكذِّب بدعوة الحقّ، في جهنم.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ معناه: إنّه لم يؤدّ ما عليه من حقوق.

﴿مُعْتَدٍ﴾ يتجاوز حدود الله تعالى.

﴿مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ ينشر الشكّ في عقائد الناس وآرائهم.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ العذاب لمن أشرك بالله تعالى.
قال ابن كثير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من لهيب النار يتكلّم يقول: وُكّلت اليوم بثلاثة: بكلّ جبّار عنيد ومن جعل مع الله إلاها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس، فتنطوى عليهم النار فتقذفهم في غمرات جهنّم» أعاذنا الله من النار وما يقرّب منها.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾﴾ الطغيان هو التعاظم على الغير بالظلم والعصيان وهو كفر. قال قتادة: «إنّ هذا القرين المذموم هو شيطان الكافر الذي كان يزيّن له الكفر ويزيّن له الشّرك بالله».

﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «هذا حكاية كلام يصدر يومئذ من جانب الله تعالى للفريقين الذين اتَّبَعوا والذين أُتُّبِعوا: فإنّ خصامكم وإلقاء التبعيّة لا يُنجيكم من العذاب، لقد تمّ إنذاركم ونهيكم عنه، فاستخففتم بأمره فلا تلوموا إلاّ أنفسكم».

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ أي ما يُغيَّر كلام الله ولا يُبدَّل حكم الله، فإنّه لا مناص للكافر من العذاب ومن الخلود في النار، وللذين آمنوا وعملوا الصالحات الخلود في الجنة، ولا يَظلم الله تعالى أحدا.

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾﴾ أي هل مِن جماعة آخرين يُلقَوْن في جهنم؟ إنّها تمْتثل لأمر الله تعالى.

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ﴿٣١﴾﴾ أي جُعلت الجنة قريبا من المتّقين: فالوصول إليها ميْسور.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾﴾ أوّاب أي منْ يمتثل لأمر ربّه: إذا أخطأ استغفر وتاب. حفيظ: أي محافظ على الطاعة.

﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ بحيث إنّه لا ينتظر أن يشكره أحد ولا يخاف أن يسمعه أحد ولا يخاف عقاب أحد، فلا يخشى إلا الرحمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه و تفرّقا عليه، و رجل دعته امرأة

ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» متفق عليه.

﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾ أي ولقي الله تعالى يوم القيامة سليما من الآثام برحمة منه، وكان في دنياه خاضعا حامدا شاكرا محافظا على الطاعة، إذا أذنب ذنبا أعقبه بالتوبة مسرعا.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ أدخلوا الجنة بإذن من الرحمان الكريم سالمين من كلّ ما أصابكم من تعب وأذى، تفضّلا من الله تعالى وكرما منه. إن هذه البشرى لكلّ من خشي الرحمان بالغيب وجاء بقلب منيب: هذه دعوة من الرحمان للمؤمنين الخاشعين للدخول لرحاب الجنة، والملائكة تُسلّم عليهم، وهي بشرى للمؤمنين بالخلود في دار النعيم لا يموتون أبدا ولا يبغون عنها حولا.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ روى ابن كثير بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «ياجبريل ما يوم المزيد؟ قال عليه السلام: إن ربّك تبارك وتعالى اتّخذ في الفردوس بالجنة واديا أفْيح، فيه كُثُب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوْله منابر من نور عليها مقاعد النبيّين، وتحلّت تلك المنابر من ذهب مكلّلة بالياقوت والزّبرجد عليها الشهداء والصدّيقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله عز وجلّ: أنا ربّكم قد صدَقتكم وعدي فاسألوني أعطكم فيقولون: ربّنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنّيتم ولديّ مزيد..». وفي هذا المعنى قوله تعالى في سورة يونس ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ...١٦﴾

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ أهلك الله الظالمين الطغاة، السابقين لهم، بأن أفناهم ولم يُبق لهم على الأرض ديّارا: إنّهم كانوا أشدّ منهم بطشا، أي أكثر منهم بغيا على الغير، بما كان لهم من قوّة وغلظة.

﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ أي أثار القوم الأرض واستخدموها بالحفر والغرس واتخذوا من الجبال بيوتا وعمّروها.

﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾ أي فلا تخلّص لهم من الهلاك.

وفي هذا الخبر عن السابقين، تهديد للظالمين وتسلية للرسول ﷺ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ إنّ في التفكير فيما جرى لذوي البطش، تحذيرا شديدا لمن لا يستمعون القرآن ولا يتدبّرون في آيات الله: إنّهم لا يهتدون. قال تعالى في سورة الملك ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ إن من قَدَر على خلق السماوات والأرض في ستة أيام ولم يعْي بخلقهنّ، قادر على خلق الناس خلقا من جديد، فخلقهم أمر هيّن عليه سبحانه وتعالى: إنّه خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ اصبر على ما يؤذيك يا محمد، من أقوال المشركين وسخريّتهم واستخفافهم بالرسالة ومن أنواع أذاهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ ومن معاني التسبيح: الصلاة. قريب من هذه الآية قوله تعالى ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ الإنسان.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ ومن الليل فصلّ لله تهجّدا وأعقاب الصلوات المفروضة. ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء فقراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: وما ذاك؟ قالوا: يصلّون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدّقون ولا نتصدّق ويعتقون ولا نعتق، قال ﷺ: أفلا أعلمكم شيئا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل ما فعلتم؟ تسبّحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، قال: فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال ﷺ:ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ أي: استمع يوم ينادي مناد من الملائكة وهو الملك الذي ينفخ النفخة الثانية فتتكوّن الأجساد وتحلّ فيها أرواح الناس للحشر. قال تعالى في سورة الزمر ﴿...ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ...﴿٦٨﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ أي: النفخة الثانية يخرج الناس

من الأجداث مسرعين كأنهم جراد منتشر.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي يُحيي ويُميت، وهو الحيّ الذي لا يموت، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهْون عليه، وهو الذي له مصائر الخلق كلّهم.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ قال ابن كثير «ذلك أن الله عز و جل يُنزل مطرا من السماء يُنبت به أجسام الخلائق. قال ﷺ: أنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض. قال ابن كثير: فترجع كل روح إلى جسدها فتدبّ فيه، فيقوم الخلائق مسرعين إلى موقف الحساب ممتثلين إلى أمر الله عز وجل».

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ ذلك بعث وجمع لا يحتاج إلى عناء وما ذلك على الله بعزيز.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ إنّ الله عليم بذات الصدور، فهو أعلم بما يقول كفار قريش من إنكار البعث والسخرية والاستهزاء.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ وما أنت يا محمد بمُجبر الكفار على الإيمان. قال تعالى في سورة القصص ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ... ﴿٥٦﴾﴾.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ أي فذكّر يا محمد بالقرآن من يخاف وعيد الله. وفي الآية تطمين للرسول ﷺ بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم وهذا كقوله تعالى في سورة الغاشية ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

نستغفرك اللهم ونتوب إليك
والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾
۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ
بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

ابتدئت هذه السورة بالحديث عن الرّياح والمراكب في البحار وعن السّحب الحاملة للأمطار وعلى الملائكة المكلّفين بتنفيذ شؤون الأوامر والنواهي وتدبير شؤون خلق الله وعن عواقب الضالّين ومآلهم وعرضت أنواع النعيم التي أعدّها الله للمتّقين الذين كانوا في الدنيا مُحسنين.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ روى ابن كثير أن الصحابي ابن الكوّاء قال لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين ما معنى قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال علي رضي الله عنه: الرّيح، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال رضي الله عنه: السّحاب، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ قال السّفن تجري بسهولة، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال رضي الله عنه: الملائكة».

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ إنّ وعد الله خبر صادق.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ الدين يوم الحساب. لواقع: يوم الحساب آت لا ريب فيه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: «السماء ذات الجمال والبهاء والحسن والإستواء».

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾ قال قتادة: «أي إنّكم لفي قول مختلف بين مصدّق ومكذّب».

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ إنه قول باطل يصدّق به من لا عقل له وكل من ضلّ عن الحقّ ولا فهم له.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ الخرّاصون هم المكذّبون الذين يقولون لا نُبعث من القبور يوم القيامة. والمعنى لُعن المُرتابون وهلكوا.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ الذين هم منغمسون في ظلمات الشكّ والكفر وعن الحقّ غافلون.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ إنّهم يستبعدون وقوع يوم القيامة وهم بين شكّ وتكذيب.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ أي يوم يُحرقون على النار. قال مجاهد: «كما يُفتن الذهب على النار».

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾ أي ذوقوا أيّها المكذّبون عذاب الحريق الذي كنتم به تكذّبون، يُقال لهم ذلك تحذيرا وتوبيخا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ هم في بساتين فيها عيون جارية تَسقي نباتها، أعدّت لمن يتقى الله ويخشاه.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ راضين بما أعطاهم الله من خيرات ونِعَم، شاكرين.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ إنّهم كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات رحماء بينهم ابتغاء رضوان الله تعالى.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ كانوا ينامون قليلا من الليل وفي غالب ساعات الليل يتهجّدون مُصلّين ومُستغفرين.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ وفي آخر الليل يستغفرون الله تعالى من ذنوبهم

ومن تقصيرهم.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ والمعنى: يجعلون في أموالهم نصيبا للسائل المحتاج وللمتعفّف الذي لا يسأل الناس ولو كانت به خصاصة.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ قال ابن كثير: «أي وفي الأرض من الآيات الواضحة الدّالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته، للموقنين بالله، وبعظمة خالقها وقدرته الباهرة ممّا فيها من صنوف النباتات والحيوانات والجبال والقفار والبحار والأنهار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما بينهم من التقارب في العقول والسعادة والشقاوة وبما في تركيبهم من الخلق البديع».

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما «وفي أنفسكم التي خلقها الله عجائب تبدو في اختلاف صور الناس والألوان والطبائع والسمع والبصر والعقل». قال قتادة: «مَن تفكّر في خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، عَرف أنّ الإنسان إنّما خُلق للعبادة».

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وفي السماء رزقكم أي المطر، وما توعدون أي الجنة».

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ أي إن ما وعد الله تعالى به من أمر يوم القيامة والبعث والجزاء حقّ لا ريب فيه.

وعن الحسن البصري قال: «بلغني أن رسول الله ﷺ قال: قتل الله أقواما أقسم لهم ربُّهم ثم لم يصدّقوا».

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ أي: هل وصل إلى سمعك يا محمد خبر ضيوف إبراهيم المعظّمين عند الله؟

﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الضيوف يُراد بهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، قدِموا في صورة إنسان، دخلوا عليه فقالوا: سلام عليك يا إبراهيم فردّ عليهم السلام وقال في نفسه بحيث لا يسمعه الأضياف: إنّهم غرباء. وإنّما أنكرهم لأنّهم دخلوا عليه في صورة شباب حسان عليهم المهابة العظيمة».

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ﴾ أي ذهب إلى أهله خُفية.

﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ اختار لهم العجل سمينا إكراما لهم، قدّمه لهم مشويّا. قال تعالى في سورة هود ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾ فأدناه منهم وقال لهم بلطف وحضّهم على الأكل، فأعرضوا عن الطعام.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ وفي نفسه الخوف منهم.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾ فطمْأنوه وقالوا له: إنّا رسل ربّك.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨﴾ وبشّروه بولد، يولد من زوجته سارة يكون عالما من العلماء وهو اسحاق عليه السلام.

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩﴾ فأقبلت سارة تصيح وتضجّ ولطمت وجهها متعجّبة. قال ابن عباس رضي الله عنهما «لطمت وجهها تعجّبا من الخبر الغريب وقالت أنا عجوز عقيم لا ألد».

جاء في تفسير الجلالين: كان عُمر سارة حين ذاك تسعا وتسعين سنة وعُمر إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة.

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾ قالوا لها: هكذا حكم ربّك الحكيم في صنعه العليم بمصالح خلقه.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١﴾ قال لهم: ما هذا الأمر العظيم الذي أُرسلتم من أجله أيّها المرسَلون الكرام؟.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾ قالوا: إنّا أُرسلنا لإهلاك قوم فاسقين يرتكبون أفحش الجرائم، إنّهم يلوطون عِصيانا وفِسقا: إنّهم قوم لوط.

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣﴾ لتُصبّ عليهم من السماء حجارة تُطبخ كما يُطبخ الآجر حتى تصير صلبة.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ عليها علامة من عند الله تعالى، على كل واحدة منها اسم صاحبها الذي يهلك بها.

﴿لِّلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾ أي لمن يتعدّى حدود الله ويتردّد على الفواحش.

قال الصاوي في كتابه «إنه كان في قرى لوط ستمائة ألف ساكن، فأدخل

جبريل عليه السلام جناحه تحت الأرض، فاقتلع قراهم ورفعها ثم قلبها سافلها عاليَها».

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥﴾ أخرج الله تعالى بإذنه من كان في قرى لوط من المؤمنين.

﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾ لم يكن فيها من المسلمين غير بيت واحد. قال مجاهد «هم لوط وابنتاه» وصفوا بالإيمان والإسلام لأنّهم مُصدّقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم.

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٣٧﴾ وفي ذلك عبرة للذين يخافون العذاب الأليم إيمانا واحتسابا. قال الإمام الرازي: «إنّ في قصة إبراهيم عليه السلام تسلية لقلب النبي ﷺ».

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ وجعلنا في قصة موسى عليه السلام آية و عبرة بحجج بالغة، فاستهزأ فرعون ورفض الدّعوة وادعى الربوبية حتى أنّه لم يعترف بوجود إلاه في الكون غيره.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ قال مجاهد: «اعتزر عدوّ الله لأصحابه وجنوده وركن إليهم واحتمى بركنهم كما يعتمد السّقف على الأركان».

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾ ووصف فرعون اللّعين الرسول موسى عليه السلام بأنه ساحر أو مجنون: ساحر لأنه أتى بخوارق العادات كانقلاب العصا ثعبانا أو مجنون لأنّه ادّعى الرسالة.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ أي فطرحناهم خاسئين في البحر، فأغرقوا ملعونين وأدخلوا نارا وظل فرعون منبوذا مُلاما على تكفيره موسى عليه السلام ورفْضه الدين الحقّ.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ وفي قصة عاد: أنّ قومه عصوْا هودا عليه السلام، واستكبروا عن الامتثال إلى أمر الله فأرسل عليهم ريحا صرصرا عقيما استمرّت عليهم أيّاما متتابعة لا تحمل المطر، شبّهت بالمرأة العقيم التي لا تحمل ولا تلد فلا بركة فيها.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ قال ابن عباس: «الرّميم هو الشيء

الهالك» هي ريح تدمّر كلّ شيء وتتركه كالرّماد.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ قال الألوسي: «إن صالحا عليه السلام توعّدهم بالهلاك بعد ثلاثة أيام، وقال لهم: تصبح وجوهكم مصفرّة وبعد محمرّة وفي اليوم الثالث مسودّة ثم يصبحكم العذاب، فلمّا رأوا الآيات التي بيّنها صالح عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجّاه الله تعالى، وفي اليوم الرابع أتتْهم الصاعقة وهي نار من السماء».

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فاستكبروا ولم يمتثلوا لأمر الله تعالى فأصابتهم الصاعقة وهم يشاهدونها.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ فما قدروا على الهروب والتخلّص من العذاب بالصاعقة ولم يجدوا نصيرا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أهلك الله تعالى قوم نوح بالطوفان من قبل أن يهلِك أقوامَ الرّسل السَابق ذكرهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ اشتهر قومه بعبادة الأوثان وأكثروا من البغي والظلم والعصيان والكبرياء واستمرّوا على ذلك، فدعا نوح عليه السلام على قومه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ سورة نوح، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلك جميع مَن على الأرض من الكافرين بإغراقهم أجمعين.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي جعل الله السماء سقفا مرفوعا محفوظا قد وسّع الله أرجاءها ورفعها بغير عمد، سبحان الله القادر على كل شيء.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي جعلنا فراشا للمخلوقات ممهّدا.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبحر وبرّ وضياء وظلام وإيمان وكفر.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ لتستيْقنوا أن الله هو الواحد لا شريك له سبحانه.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الجؤوا إليه وتوكّلوا عليه واعتمدوا عليه، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ إنّي أخوّفكم من عذاب الله وأحذّركم من انتقامه

ولا ملجأ للظالمين منه.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أي لا تشركوا بالله فتجعلوا له شريكا من البشر أو الحجر ولا شيئا من المخلوقات.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ هذا تنبيه إلى أن الشّرك بالله أمر عظيم: فإن الله تعالى لا يغفر لمن جعل له شريكا.

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ والمعنى: إنّه ما جاء رسول إلى قوم أمثال الأقوام المذكورين إلا وصفوه بأنّه ساحر أو مجنون وذلك لكبريائهم وطغيانهم وأنّهم يحسبون أنفسهم أعظم منه.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ كأنّهم أوصى بعضهم الآخرين منهم، بأن يصفوا الرّسل بأنّ بعضهم ساحر والبعض مجنون.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ اترك جدالهم ولا تحرص حرصا شديدا على إيمانهم، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ كقوله تعالى في سورة النمل ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ وذكّر يا محمد أي دُم على التّذكير وجدّده. والذّكرى هي رسوخ المعرفة بإعادة التذكير لما يسمع.

﴿خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الجنّ طائفة من خلق الله لا يراها الناس ومنهم الشياطين، قال تعالى عن إبليس في سورة الكهف ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ...﴿٥٠﴾﴾. والإنس هم الناس وجميعهم خُلقوا ليعبدوا الله تعالى وحده لا ليعبدوا غيره. قال البيضاوي: «وكأنّ المعنى: ما يريد الله أن يستعينَ بهم كما يستعينُ السّادة بعبيدهم وإنّما خُلقوا ليعبدوا الله وحده».

ومن الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي واملأ صدرك غنى، وإلاّ تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدَّ فقرك» رواه الترمذي.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ إن الله سبحانه وتعالى هو الغنيّ عنهم وهم الفقراء إلى الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ قال ابن كثير: «ومعنى الآية أنّه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتمّ الجزاء

ومن عصاه عذّبه أشدّ العذاب».

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ الذّنوب هي الدّلو الملأى العظيمة يَستقي بها الناس من البئر. والظلم هو الشّرك بالله.

والمعنى: الذين ظلموا من العرب مثل الذين ظلموا ممّن سبقهم، لهم دلو ملأى بأنواع العذاب.

وفي هذا التشبيه توبيخ وإنذار بالعذاب للظالمين أوّلهم وآخرهم سواء.

قال الشيخ ابن عاشور: «ولعلّ هذا التشبيه يشمل قول النبي ﷺ حين وقف على القُليب الذي وضعت فيه جثث الهالكين يوم بدر: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا...﴿٤٤﴾﴾ الأعراف».

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ سيُصيب الذين كفروا سوء العذاب يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقانا الله شرّ العذاب وشرّ أنفسنا وشرّ الظالمين وهدانا إلى الصراط المستقيم

ولله الحمد حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾
أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ

فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ورد في سورة الطور تهديد المشركين بالعذاب يوم القيامة ووعد المؤمنين المتّقين بالجزاء الأوفى.

إبطال أقوال المشركين بتكذيب الرسول ﷺ وبكون الملائكة بنات الله ونكرانهم البعث تسلية النبي ﷺ وأمره بالصبر وشكر الله تعالى ووعده بالنصر والفوز.

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ﴾ الطور اسم للجبل المسمّى طور سيناء وقد شرّفه الله تعالى بنزول كلام الله فيه وبنزول الألواح على موسى عنده وبنزول التوراة.

﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ والمراد بالكتاب: التوراة كلّها التي كتبها موسى عليه السلام بعد نزول الألواح وتشمل كل ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ممّا أمره الله بتبليغه في مدة حياته وهي الأسفار الأربعة المعروفة عند اليهود.

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ وهو الكعبة وهو معمور لا يخلو من طائف يطوف به تعبّدا في كل وقت.

﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾ وهو السماء. قال تعالى في سورة الرحمان ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا... ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ قال الشيخ ابن عاشور «والظاهر عندي أن وصف البحر

بالمسجور للإيماء إلى الحالة التي كان بها هلاك فرعون بعد ان فرق الله البحر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل ثم أَسْجره أي أفاضه على فرعون ومَلئه».

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ أي إن عذاب ربّك محقّق. روى جبير بن مطعم قال: «قدمت المدينة على رسول الله ﷺ لأكلّمه في أسرى بدر فدُفعت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب، فسمعته يقرأ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فكأنما صدع قلبي فأسلمت خوفا من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب».

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ موْر السماء: اضطرابها واضطراب الكواكب واختلال نظامها: وذلك يوم البعث.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ تنتقل الجبال من مواقعها بسبب الزلازل.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ الويل: السوء العظيم، للذين يكذّبون بما جاءهم به الرسول ﷺ من الأمر بتوحيد الله تعالى وبالبعث وبالجزاء.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ الخوض أي المبادرة بتكذيب ما جاء في القرآن والدعوة إلى الانصراف عنه. قال تعالى في سورة فصلت ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾، يقولون مثل ذلك وهم يستهزئون.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ يُساقون إلى جهنم بغلظة، تدفعهم الملائكة إلى النار.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ يُقال للمكذّبين: انظروا إلى سوء هذا العذاب الشديد بأعينكم، وفي هذا تنبيه إلى أهل الدنيا وإنذار لمن يكذّب بأهوال يوم الجزاء الأسوإ.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ هذا تنبيه للغافلين وإخبار بأن ما يقوله المشركون عندما يسمعون القرآن: هذا سحر، ويُعرضون عنه. وفي الآية تهكّم منهم لخطئهم وخذلانهم.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ فإن الجزاء من جنس العمل سواء صبرتم أم لم تصبروا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧﴾ المتّقون هم الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ

وآمنوا بما في القرآن الكريم والسنة المحمّدية جزاؤهم أن أكرم الله مثواهم بالجنّات يتمتّعون بالخيرات.

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ إن الله تعالى تفضّل عليهم بنعم سَرّتهم وأتمها عليهم بما نجّاهم من العذاب وأسكنهم جنّات الخلد يتمتّعون بما يشتهون من المسرّات: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ جزاء المتّقين، عن العمل الصالح في الدنيا، بأن يتفضّل الله عليهم وأن يأذن لهم أن يأكلوا ويشربوا ما يشتهون في جنّات النعيم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ السّرير: فراش يُضطجع عليه. والمعنى أنّهم يأكلون متكئين مجتمعين متآنسين برفقة قرينات حُسنيات.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ «إن الله يرفع ذرّية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه لتقرّ بهم عيْنه» رواه القرطبي. روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربي أنّى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك». وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به بثّه في صدور الرجال أو ولد صالح يدعو له».

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ أَلَتْناهم أي نَقصناهم، يُقال أَلَتَه حَقّه إذا أنْقصه من حقّه. فالمحسن إحسانا خالصا لله تعالى، يُضيف الله بفضلِه عليه إلى إحسانه إحسانا، جزاء مشكورا.

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ أي لا يُؤخذ أحد بذنب أحد.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

وزدناهم على ما ذكر من فضائل النعيم، ما يشتهون من الفواكه واللحوم المختلفة المذاق والملذات، ويتداولون كؤوس شراب فيه لذة للشاربين ولا إثم فيه، فهُم حكماء علماء. قال تعالى في سورة الإنسان ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ

سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ الغلام: الخادم الذي سنّه دون الرّشد، والغلمان هم الخدمة لأهل الجنة وليسوا مملوكين لهم. واللؤلؤ هو الدرّ المخزون يُتحلّى به في المحافل، لونه أبيض لمّاع شُبّه به الغلمان لبهاء طلعتهم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قال ابن كثير: «أي يتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا».

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ يذكرون أهليهم مشفقين من أجلهم يترقّبون عفو الله عنهم ويرجون لهم الغفران.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ فأجارنا الله تعالى ممّا نخاف واستجاب دعاءنا ووقانا عذاب حرارة النار.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي كنّا نتضرّع إليه ونستجير به فنجّانا ممّا نخاف.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ عن ابن كثير بسنده عن عائشة رضي الله عنها لمّا قرأت هذه الآيات ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ قالت «اللهم مُنّ علينا وقِنا عذاب النار إنك أنت البرّ الرحيم».

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالدّوام على التذكير المستمرّ وهو ذكرى ورحمة للمؤمنين، وفي هذه الآية براءة من الله للرسول ﷺ ممّا يرميه به الجاهلون من الكهانة والجنون، وتسلية له ولطف به وتعظيم لشأنه.

قال الله تعالى في سورة النجم ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ نتربّص أي ننتظر. والمنون أي الموت والمعنى: إنهم قالوا لبعضهم: دعنا ننتظر هلاكه بالموت أو بأحداث الدّهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ والمعنى انتظروا هلاكي فإني معكم من المنتظرين هلاككم بعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ الأحلام أي العقول والمعنى: أم تأمرهم عقولهم أن يقولوا مثل هذه الأقاويل في مَن أعزّه الله تعالى: محمد ﷺ. ألا بئس ما يقولون.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي خالط الطغيان عليهم الحقّ وزاغت قلوبهم، فدفع الزيغ أنفسهم لقول الباطل.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ تقوّل الكذاب إذا وصف غيره بما ليس فيه. والمعنى: إنّ المشركين تقوّلوا على الرسول ﷺ وزعموا أن القرآن ليس قوْلا منزّلا عليه ﷺ، بل هو من قوْل كاهن أو قوْل مجنون وظلّوا على كفرهم لا يؤمنون.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بهذه الآية تحدّى الله بُلغاءَ العرب وفُصحاءَهم بأنّه عليهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين في تقوّلهم على الرسول ﷺ.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ والمعنى هل خُلقوا من عدم أم هم الخالقون أنفسهم.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ والمعنى أن الله تعالى خلق السماوات والأرض قبل أن يخلقهم وأنه سبحانه لا يعجزه خلق صغائر الأجساد بعد موتها وفناء الخلق. قال الله تعالى في سورة الإسراء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ... ﴿٩٩﴾﴾.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ والمعنى بأن ما يقولونه باطل: فإنهم لم يخلقوا من غير شيء ولا خلقوا السماوات والأرض بل إنّهم ينكرون بعث الخلق بعد فنائهم.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ والمعنى أيملكون خزائن ربّك التي يملكها سبحانه وتعالى؟

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي إنهم لا يملكون التصرّف فيما هو لله تعالى وهو المصيطر في مُلكه وحده.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ﴾ أي: ألهم مرقاة للصعود إلى الملأ الأعلى لإستماع ما فيه؟ ألهم دليل على صحّة ما يقولون؟

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي فليأت الذي يدّعي أنه سمع خبرا من أعلى السماء بحجّة على ما يدّعيه.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إنّه من المنكر والسخيف أن نسبوا لله بنات هنّ الملائكة وعبدوهنّ، وخصّوا أنفسهم ببنوّة الذكور.!.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: هل تسألهم أجرا لأنك بلّغت لهم الرسالة من عند الله تعالى؟

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي ليس لهم عذر في رفض رسالة محمد ﷺ وما كلّفهم أحد بدفع أجر على تبليغها.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ إنهم لا يعلمون شيئا من الغيب فلا يعلم أحد من أهل الأرض ولا مَن في السماء الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ الكيْد من معانيه المكر، فالمشركون يظهرون أمرا نافعا ويُخفون ما فيه من الضّرر.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ إن الله سبحانه وتعالى يدفع عن رسول الله ﷺ وعن المؤمنين وعن دينه كلّ كيْد. قال تعالى في سورة الأنفال ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ في هذه الآية توبيخ للمشركين وإنكار شديد لجعلهم إلاها غير الله شريكا له، وهو منزّه عن الشّريك والنّد والمِثل سبحان الله العظيم وحده لا شريك له.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ الكسف القطعة والمركوم أي المجموع. وساقطا أي نازلا من السماء. المقصود: إنّهم يقولون ذلك عنادا وتقوّلا: وذلك صلف وكبرياء.

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ نرْهم يا محمد فسيفاجئهم يوم القيامة: ذلك يوم البعث يصعق فيه كل من في السماوات والأرض.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ إن كيدهم الذي كادوه في الدنيا لا يحميهم من العذاب يوم القيامة الذي فيه يُصعقون ولا يتخلّصون منه.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الذين ظلموا هم

المشركون. قال تعالى في سورة لقمان ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ والمعنى: إن شركهم يتمثل في إنكارهم نزول القرآن من عند الله تعالى وأنّه من قول كاهن أو مجنون واستعظموا أن يكون القرآن منزّلا من لدن العزيز العليم، أولائك لهم عذاب في الدنيا أقلّ شدة من عذاب الآخرة: إنّهم في غفلة عن ذكر الله يعمهون.

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: اذكر الله تعالى واعبده بالصلاة في الليل. حِينَ تَقُومُ: أي حين تستعدّ للصلاة. وَمِنَ اللَّيْلِ: معناه بعض الليل وقت القيام للتهجّد. وَإِدْبَارَ النُّجُوم: أي زمن احتجاب النجوم.

قالَ رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدّ تعاهدا منه على ركعتي الفجر». وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «إن ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها».

والحمد لله رب العالمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي

شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُوا۟ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ
أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ
وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سورة النجم بها حجج تؤكد أن القرآن: وحي من عند الله تعالى تمّ تبليغه الرسول ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام وأنّه أبطل قول المشركين الذين يعتقدون أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى.

قال ابن عطية: «إنّ السورة نزلت لتكذيب أقاويل المشركين، قالوا إن محمدا ﷺ يتقوّل هذا القرآن، معاذ الله، إنّه بلّغ القرآن للناس وبيّنه لهم».

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بحالة النجم حين يتحوّل من مكان إلى مكان آخر، إنّه قسم عظيم بهذا الجسم الذي يدلّ على عظمة الله سبحانه وقدرته وحكمته.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ أقسم الله تعالى بأن القرآن وحْي منزّل من السماء على الرسول محمد الصادق الأمين ﷺ الذي لا يخطئ ولا يقول إلا

حقا منزّها عن الباطل.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ قال ﷺ: «لا أقول إلا حقّا».

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ قوله وحْي أمَر الله تعالى الرسول ﷺ أن يبلّغه إلى الناس، وهذه كيفية من صور الوحي حدّث عنها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: «دخل علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منّا وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ودارت بينهما محادثة ثم اختفى فقال النبي ﷺ: أتدري من السائل يا عمر؟ فقال عمر: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: إنّه جبريل أتاكم ليعلّمكم دينكم».

وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث ابن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيُفصم عني وقد وعيت عنه، وأحيانا يُمثّل لي الملك رجلا فيُكلّمني وأعي ما يقول» وقالت عائشة رضي الله عنها: «لقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفصم عنه وأنّ جبينه ليتصبّب عرقا».

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ جبريل عليه السلام ذو قوة شديدة وعزيمة بالغة وطاقة عالية تهيأ بها لتحمّل الرسالة من الله تعالى ليبلّغها إلى خير خلق الله. هذا الملك استوى لقبول الرسالة من عند الله تعالى ثم ينزل من أعلى آفاق السماء إلى العالم الأرضي.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ الأفق كناحية من أجواء السماء.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ أخذ يتحوّل من طبقة بالسماء إلى أخرى حتى بلغ مقام الرسول محمد ﷺ واقترب منه.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ القوس آلة من عود مقوّسة ومقدار طولها ذراعان والمعنى: إن جبريل عليه السلام كان بعيدا عن رسول الله ﷺ بُعد أربعة أذرع أو أقرب.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ أوحى الله تعالى إلى عبده محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ هذه الآية ردّ وإبطال لما يقوله المشركون الذين كذّبوا بإمكان نزول الوحى.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ هذا استفهام إنكاري. تُمارونه أي تُجادلونه. والمعنى أتكذّبونه فيما يرى بعيْنيه وفيما يدركه بعقله وتجادلونه فيما لا تعلمونه؟

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ إن محمدا ﷺ رأى جبريل عليه السلام على الأرض في نزلة أولى ثم رآه في العالم العلوي وهي رؤية ثانية لمّا عرج ﷺ مع جبريل إلى السماء السابعة ليلة المعراج، إكراما له ودليلا على عظيم منزلته ﷺ.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ جاء في حديث الإسراء والمعراج: «حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى غشيتها ألوان لا أدري ما هي».

سدرة المنتهى اسم أطلقه القرآن على مكان علوي فوق السماء السابعة انتهى إليه جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ إلى موضع لم يبلغه أحد.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ إنها جنّة الخلد مأوى المتقين. قال ﷺ: «ثم أُدخلت إلى الجنة».

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ وفي الحديث: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، رأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبّح الله تعالى».

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ رأى الرسول ﷺ جبريل عليه السلام رؤية صادقة لا ريب فيها ولا شك ولا خطأ.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ لقد رأى ﷺ آيات عند سدرة المنتهى منها جنة المأوى وما غَشي سدرة المنتهى من البهجة والجلال. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول ﷺ: رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح».

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ اللات حجرة عظيمة بيضاء منقوشة كائنة بالطائف لها سدنة وحولها فناء معظّم عند المشركين. والعزّى شجرة كبيرة أو صنم على شكل شجرة وهي بين مكة والطائف معظّمة عند من يعبدها من المشركين، قال ابن اسحاق في سيرته: بعث إليها رسول الله ﷺ أثناء

الفتح خالدا ابن الوليد رضي الله عنه فهدّمها وجعل يقول: يا عزّى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ قال ابن عطية: كانت مناة أعظم هذه الأوثان الثلاثة وأكثرها عبّادا.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ هذا استفهام للتّهكّم والتّسفيه لأنهم يعتقدون أن الأصنام الثلاثة بنات الله وأن الملائكة بنات الله – سبحان الله تعالى عمّا يصفون– وقوْلهم هذا وهْم وخيال ضالّ اخترعه سفهاء المشركين.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي جعلتم الملائكة بنات الله والذكور لغيره وهي قسمة جائرة خاطئة لا دليل عليها والخطاب تسفيه لسذاجة ما يعتقدون.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي ليست هذه الأصنام إلا أسماء ليس لِمسمّياتها وجود:إنّكم أيّها المشركون وضعتم الأسماء تعظيما لمخلوقات جامدة لا تنفع ولا تضرّ: وفي هذا الزّعم ما يُزري بمُبدعه.

قال تعالى في سورة يوسف ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ... ﴿٤٠﴾﴾.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الظن هو الاعتقاد الباطل. قال ﷺ:«إيّاكم والظّن فإن الظّن أكذب الحديث» والظن منه محمود ومنه مذموم.

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ ويتّبعون ما تشتهيه أنفسهم تقليدا لِمن يعبدون الأصنام، يُحيون مواكب زيارتها ويميلون لما يحدث فيها بُغية التّرفيه على أنفسهم بما يحدث فيها من لغْو ولهْو.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ في الآية تعجّب من حال الذين يستمرّون على اتّباع الظنّ والهوى والحال أنّهم على علم بما جاءت به آيات الهدى للمتّقين.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ يرغب الإنسان أن يحصل له كلّ ما يتمنّى، لكن ما يتمنّاه الإنسان بيد الله تعالى وعلى الإنسان أن يرضى.

هذا تأديب وترويض للنّفوس لتتخلّق بفضيلة الرضى ولتقتنع بأنّ لكل أحد نصيبا.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ الآخرة ما بعد الموت والأولى الدّنيا. أي إنّما الأمر

كلّه لله تعالى: ما شاء الله كان، مالك الدنيا والآخرة.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ هذه الآية كقوله تعالى في سورة طه ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾. إنّ المشركين يعبدون الأصنام ويقولون نعبدهم ليقرّبونا إلى الله تعالى! والحقّ أنّه لا شفاعة إلا لمن يشاء الله تعالى ويرضى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧﴾ أنكر الله تعالى على المشركين أن ادّعوا أن الملائكة إناث وسمّوهم بنات الله! بل إنّهم عباد الرحمان.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۚ﴾ إنّهم يقولون كذبا وعن سوء ظنّ وجهل.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ الظن هو الاعتقاد الباطل ولا يقوم أبدا مقام الحقّ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾ إن الظنّ بعيد عن معنى الحقّ وإنّ بعض الظنّ إثم.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩﴾ أي: اترك يا محمد الاهتمام بمن أعرض عن ذكر الله تعالى وفضّل الدنيا على الآخرة. قال تعالى في سورة النساء ﴿...فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ...٦٣﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ إنّهم يجهلون ولا يؤمنون بما ينتظرهم في الآخرة: إنّ علمهم محدود قاصر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ والمعنى: إنّ الله يا محمد هو أعلم منك بحالهم فلا تحزن عليهم وهو أعلم بحال المؤمنين الذين هداهم الله.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إن الله تعالى هو مالك السماوات والأرض وهو الحاكم في خلقه وهو أحكم الحاكمين.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ أي يجازي الإنسان بعمله إن خيْرا فخيْر وإن شرّا فشرّ.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال ابن جرير بسنده عن مجاهد في قوله تعالى (إلّا اللّمَمَ) قال: «الرّجل الذي يميل إلى فعل الذنب ثم ينزع عنه».

يُسمّي علماء الشريعة اللّمم صغائر والفواحش كبائر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ تسع مغفرة الله الذنوب كلّها برحمة منه. قال تعالى في سورة الزمر ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأ الله تعالى الإنسان من الأرض وهو عنصر ضعيف، قال تعالى في سورة النساء ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

وبفضل الله تعالى أنعم على المتقين بالغفران وكان بهم رحيما. قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾...﴾.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أجنّة مفردها جنين وهو نسل الإنسان ما دام في الرحم مستورا، والله عليم بمصيره في كل مراحل حياته من طور الرضاعة إلى الطفولة إلى طور الشباب ثم يصير كهلا ثم شيخا والله تعالى عليم بمستقبل أطوار الإنسان.

روى أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يَجمع من لا عقل له».

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تحسبوا أنفسكم أزكياء ولا تبقوا الظنّ فيدخلكم العجب بأعمالكم ولا تذكروا أعمالكم الصالحة للتفاخر بها.

في حديث أم عطية حين مات عندها الصحابي عثمان ابن مظغون رضي الله عنه ودخل عليه رسول الله ﷺ فقالت أم عطية: «رحمة الله عليك يا أبا عثمان فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لها ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقالت إذا لم يكرمه الله فمن يكرمه الله؟ فقال ﷺ: أمّا هو فقد جاءه اليقين وإنّي لأرجو له الخير وإنّي والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي؟ قالت أم عطية: فلا أزكي أحدا بعد ما سمعت هذا من رسول الله ﷺ».

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ أي إن الله تعالى هو أعلم بحال من اتّقى.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ روى الطبري بسنده عن مجاهد: «أن المراد بالذي تولّى هو الوليد بن المغيرة، لقد كان يجلس يسمع النبي ﷺ يقرأ القرآن فمال قلبه إلى الإسلام، فلامه أحد المشركين من شيعته وقال له: لماذا تترك دين أشياخ قبيلتك وتزعم أنّهم في النار وكان عليك أن تنصرهم؟

فقال الوليد: إنّي خشيت عذاب النار فقال له المشرك: أعطني شيئا من المال وأنا أحمل عنك كل عذاب كان عليك فأعطاه الوليد قليلا ولمّا سأله المشرك أن يزيد، شحّ وبخل وأكدى ورجع الوليد إلى الشّرك».

إنّ هذا الخبر عن الوليد فيه تحقير له، وفيه ذمّ لمن يعد بالعطاء ويكدى ولا يؤدّي ما وعد به رغم أنّه ذو مال.

﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ هذا استفهام انكاري، والمعنى: إنّه ما يعلم من الغيب شيئا وأن الله تعالى هو وحده علاّم الغيوب.

﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ روى ابن حيان عن أبي ذر رضي الله عنه: أنّه سأل النبي ﷺ عن الكتب التي نزلت على الأنبياء فذكر له منها صحائف عشرة أُنزل على ابراهيم ما هو مكتوب فيها ومنها التوراة وهي تشمل بيانا لأركان الشريعة والدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله والعمل بما فيها فحرّفها اليهود وضلّوا ضلالا بعيدا.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨﴾ أي كلّ نفس ظلمت نفسها بكفر أو بشيء من الذنوب فإنّما عليها ذنبها لا يحمله عنها أحد، ومثله كالمرأة الحبلى يثقل عليها حمل الجنين في بطنها ولا يستطيع أحد من الأقارب والأباعد أن يُعينها على التخفيف من ثقل حملها.

قال تعالى في سورة فاطر ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓ ١٨﴾... أى لا ينتفع أحد بعمل غيره ولا يؤاخذ أحد بعمل غيره.

﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ أي لا يحصل أجر للإنسان إلا ما كسب لنفسه. روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إذا مات الإنسان ينقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له بالخير أو صدقة جارية من بعده أو علم بثّه في صدور الرجال» إنّ هذه الثلاث هي في الحقيقة من كسبه.

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له أجر مثل أجور من اتّبعه من غير أن ينقص من أجورهم».

والرجاء في الله تعالى أن يقبل النّيابة في الصدقة والدعاء وقضاء الدين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يُعوّذ نفسه بالمعوّذات فلما ثقل به المرض كنتُ أنا أعوّذه بهما وأضع يده على جسده رجاء بركتها».

﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ أي إنّ سعْي الإنسان لا بدّ أن يراه ويجازى عليه وفي ذلك تشريف وإكرام للمحسنين وتعذيب للمسيئين بكشف ما فعلوا من سوء.

﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ الجزاء الأوفى الكامل.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ إنّ الرجوع إلى حكم الله وهو أحكم الحاكمين وإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وفي الآية تحذير من مخالفة أمر الله ونهْيه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣﴾ قال ابن عاشور: «ذكر الضّحك والبكاء يفيد الإحاطة بأحوال الإنسان بايجاز ويرمز إلى أسباب الفرح والحزن ويذكّر بالصّانع الحكيم المتصرّف».

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤﴾ انفرد الله سبحانه وتعالى بالإحياء والإماتة وهو سبحانه الذي خلق الموت والحياة. قال تعالى في سورة الملك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ...﴿٢﴾﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ أي خلقهم أزواجا.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾ النطفة هي اسم لماء قليل مصبوب. والمعنى: إن خلق الإنسان يكون بانصباب نطفة على أخرى وعند اختلاط الماءين يحصل النسل بإذن الله تعالى.

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧﴾ يوم القيامة ينشئ الله الخلق وهو القادر على ذلك كما كان القادر على بدء خلقهم من عدم.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله أغنى من شاء من خلقه وأفقر من شاء منهم».

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩﴾ الشّعرى اسم لنجم وضّاء كانت طائفة من العرب يعبدونه وبئس ما فعلوا، والحق إن الله تعالى هو ربّ المخلوقات جميعا ولا معبود سواه.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢﴾

عاد وثمود وقوم لوط هم أمم بائدة مشهورة عند العرب. وقد ورد ذكرها في

القرآن تسلية للرسول ﷺ بأن الرّسل من قبله، لقوا من أممهم طغيانا وغلظة أكثر ممّا لقيه المصطفى ﷺ من أمّته.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ المؤتفكة هي قرى لوط. والمعنى أنّه كان عذابها شديدا بأن رفعها الله تعالى في الجوّ ثم أسقطها في باطن الأرض وفاضت عليهم مياه غمرت بلادهم وصارت بحرا.

قال تعالى في سورة هود ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ الآلاء أي النّعم والتّماري أي التّشكيك. ومعنى الآية: لا يستطيعون أن يشكّكوك في حصول نعمة الله عليك التي منها النبوّة ورؤية جبريل عند سدرة المنتهى.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ النذير هو الخبر عن حدوث حدث مضرّ بالغير. والمعنى: إن هذا القرآن من معاني الشرائع الأولى كقول النبي ﷺ: «إن ممّا أدرك الناس من كلام النبوءة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أزف معناه قرُب والآزفة يوم القيامة. والمعنى: إن الله تعالى هو العالم بوقت وقوع يوم القيامة ولا يعلمه أحد غيرُه.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ المراد بهذا الحديث هو ما ذكر في السورة من الأخبار عن الذين كذبوا الرّسل.

والمعنى: أتستبعدون ولا تصدّقون بأن أمر الله تعالى واقع ليس له من دافع؟ أتستهزئون بكلام الله ضاحكين ولا تخشوْن الله أن يُصيبكم مثلما يصيب الضّالين الذين أعرضوا عن ذكر الله؟.

ألا تتدبّرون القرآن وتظلّون سامدين رافعين رؤوسكم شامخين معتزّين وأنتم لا تعقلون؟

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ أمْر بالخضوع إلى الله سبحانه وتعالى والكفّ عن تكذيب رسوله ﷺ وبأن يسجدوا لله وأن يعبدوه عبادة كاملة.

روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سجد النبي ﷺ

بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس».

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ آل عمران.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾
خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ
الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ

أَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُمۡ بَرَآءَةٞ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾
وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴿٥٥﴾

سورة القمر سورة مكّية نزلت سنة خمس قبل الهجرة.

في الصحيح أن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإنّي لجارية ألعب، آية ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ من سورة القمر». وعائشة عقد ﷺ عليها قبل الهجرة بثلاث سنوات وهي يومئذ بنت ست سنين.

من أغراض السورة – إنذار المشركين باقتراب الساعة وبما ينتظرهم من أنواع العذاب مثل الذين أشركوا وكذّبوا الرسل من قبلهم – والخبر بأن الله سبحانه وتعالى سيجازي المؤمنين الجزاء الأوفى.

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾﴾ ورد في صحيح البخاري أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يُريَهم آية فأراهم انشقاق

القمر. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «انشقّ القمر ونحن مع النبي ﷺ بمِنى: انشقّ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال ﷺ: اشهدوا، اشهدوا!».
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «شاهدنا نصفه على أبي قبيس ونصفه على قيقعان!». إنّه كان خبرا مستفيضا أما المشركون لمّا رأوا انشقاق القمر قالوا: هذا سحر محمد المستمر وإنّه سحر معروف متكرّر.

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ﴾ اتّبعوا ما زيّن لهم الشيطان ورفضوا دعوة الحقّ ابتغاء استمرار الرئاسة فيهم وما استبطنوا من حسد المؤمنين على ما آتاهم الله ورغبة في الحفاظ على أنَفتهم وكبريائهم.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ قال قتادة: «معناه أنّ الخير واقع بأهل الخير والشرّ واقع بأهل الشرّ».

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ ولقد علموا من الأخبار التي وردت عليهم عن قصص الأنبياء والرّسل مواعظ تحذّر المكذّبين ممّا ينتظرهم من عواقب الطغيان والكبرياء، فلم يتّعظوا ولم ينزجروا واستكبروا استكبارا.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ﴾ إنّ ما في القرآن من الأخبار عن الأمم السّالفة من شأنها أن يتّعظ بها كلّ مَن هداه الله تعالى.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ قال تعالى في سورة يونس ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ﴾ أي: اترك يا محمد مجادلتهم فإنّهم لا تفيدهم الدعوة، وإنّك قد بلّغت الرسالة فلا لوم عليك. والملاحظ أنّ في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ يوم يدعو إسرافيل إلى شيء منكر، فكرهته النّفوس: وهو يوم القيامة وأهواله وفجائعه.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ۖ﴾ أبصارهم ذليلة ذابلة من شدّة ما أصابهم.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ يخرجون من القبور مسرعين منتشرين في الآفاق كأنّهم جراد، في كثرة وذهول.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ﴾ لا يخالفون ولا يتأخّرون.

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ يقول الكافرون: إنّه يوم عبوس قمطرير شديد،

تشيب من أهواله الولدان.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ تجرّأ قوم نوح على الرسول نوح عليه السلام فكذبوه ورفضوا دعوته بغلظة وهدّدوه وسخروا منه. قال تعالى في سورة هود ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ... ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ قال نوح عليه السلام: «يا ربّي إنّي ضعيف عن مقاومة هؤلاء المكذّبين، فانتصر يا ربّي أنت لدينك».

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ ففتح الله تعالى أبواب السماء فانصبّ منها ماء غزير صبّا متتابعا.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ نبعت جميع أرجاء الأرض، ينابيع طغت منها أودية عارمة.

﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ التقى ماء السماء وماء عيون الأرض بأمر مقدّر من الله تعالى.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ يسّر الله تعالى لنوح عليه السلام صنع سفينة من ألواح موثوقة بمسامير، لإنجاء نوح ومن تبعه من هول الطوفان العارم.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ تجري السفينة بإذن الله تعالى، تمخر البحر حاملة نوحا عليه السلام والتّابعين، منتصرين إلى موطن النجاة.

﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ قال الألوسي: أي جعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنّه شكر أنعم الله تعالى عليه، وجعلها خزيا لأمّته لأنهم كفروا.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ ولقد تركنا واقعة الطوفان بما فيها من أطوار عجيبة، عبرة لمن يعتبر.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ أي كيف كان عذابي لمن كفر بالله تعالى، ولم يتّعظ بما جاء به من النّهْي عن الكفر بآيات الله، ولمن لا يتّقي الله تعالى، ولا يخشاه؟.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ هل من متّعظ بالقرآن راغبا في التدبّر؟ فإن الله تعالى يجازيه بتيسير ذلك له.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ كذّبت عاد رسولهم هودا عليه السلام فعذّبهم الله تعالى عذابا شديدا وأنذرهم فلم يرتدعوا، فأرسل عليهم ريحا

صرصرا، عاصفة شديدة البرد في يوم شؤم ونكير، فأهلكهم.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ريح صرصر شديدة البرد شديدة الصوت».

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ تنزع الناس: أي تقلعهم وتصرعهم بعنف، تترك رؤوسهم منفصلة عن أجسادها. قال الخازن في تفسيره: «كأنّما الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتنفصل الرؤوس عن الأجساد كعجز النخلة المنفصلة عن الأرض!».

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١﴾ إنّ عذاب الله كان مذهلا لا يبقي ولا يذر.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾ إن الله يسّر حفظ القرآن ليتدبّر القارئ ويتّعظ.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾ ثمود أمة كذّبت الرسول صالحا عليه السلام، واستبعدوا أن يكون بشر منهم نبيا وكبر عليهم أن يستمعوا إليه واستكبروا وتعالوا وكذّبوه. قال ابن عباس رضي الله عنه: «سُعُر أي جنون».

﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥﴾ هذا استفهام انكاري. وكأن ثمود يعجبون من اختيار صالح عليه السلام رسولا عليهم دون غيره من أكابرهم فكذّبوه واعتبروه شرّ الكذّابين.

﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦﴾ أي سيعلمون أنّهم هم الكذّابون الأشرون.

﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ هي ناقة عجيبة ومعجزة كبرى تمخّضت عنها صخرة فولدت الناقة. فكانت كشاهد ومعجزة وفتنة لتأييد الرسول صالح عليه السلام، إذ أنّهم كذّبوه شرّ تكذيب!.

﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧﴾ أمْر الله تعالى لنبيّه صالحا عليه السلام أن يصبر على تكذيبهم ولا ييأس من الانتصار عليهم.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ وأخبرهم بأنّ ماء القرية، الذي يشربون منه، للناقة نصيب منه.

﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨﴾ أي إنّ للناقة أن تشرب يوما معلوما وأنّه لها أن تشرب

في ذلك اليوم ماء البئر كلّه. فاغتاظ القوم وهمّوا بقتلها فنهاهم صالح عليه السلام عن ذلك.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ عقر الناقة أي كسّر للناقة عراقيب رِجليها لتسقط على الأرض ليتمكّن النّاحر من نحرها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ هذا إنذار وتخويف وتهديد من عصيان الله تعالى ومعصية الرسول عليه السلام.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ الصيحة هي الصاعقة العظيمة، نزلت على قوم صالح عليه السلام فهلكت القبيلة كلّها هلاكا ساحقا فصاروا كالهشيم وهو ما خفّ من النبات ومن الشجر يصنع منه حظيرة للغنم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ سهّل الله تعالى حفظ القرآن ويسّر فهْم معناه: فهل من طالب علم يُعان عليه؟.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ قوم لوط أمّة كذّبوا رسولهم لوطا عليه السلام ورفضوا رسالته، ولم يتّعظوا بآيات الله تعالى التي شاهدوها، وبما علموا من أخبار عن الأمم الماضية الذين أشركوا بالله تعالى.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ أمطر الله تعالى على قوم لوط حاصبا ساحقا عذابا لهم، ولم ينْج من القوم إلا لوط عليه السلام وبناته ومن آمن به، سالمين من كل سوء.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ﴾ نجاة من آمن من قوم لوط عليه السلام نعمة من عند الله تعالى على عباده الصالحين، أنعمها عليهم لأنّهم كانوا شاكرين لأنعمه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ الله سبحانه وتعالى يجازي الشاكرين على شكرهم وهو الشكور الحليم.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي ولقد أنذرهم الله تعالى قبل حلول العذاب بهم وحذّرهم بأس الله الشديد وعذابه فلم يصغوا إليه.

﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ فشكّوا وكذّبوا بالبطش.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ طلبوا منه أن يسلّم أضيافه الملائكة!.

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أغلق لوط عليه السلام دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسْره

بالعنف، فطمس الله تعالى أعيُنهم ولم يروا شيئا، وسلم ملائكة الرحمان، ونصر الله وسلّم رسوله عليه السلام، إنّه نِعم المولى ونعم النصير.

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ ذوقوا أيّها المجرمون العذاب الأليم الذي أنذركم الله تعالى به.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ ذلك أن جبريل عليه السلام قلع بلادهم كلّها فرفعها عالية ثم قلبها عليهم، وأُمطروا بحجارة فأصبحوا أثرا بعد عين.

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ ذوقوا أيّها المجرمون العذاب الأليم الذي أنذركم الله تعالى به.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ هذه الآية تنويه بشأن القرآن ودعوة لِحفظه ونداء لأهل الذّكر وتهديد للمشركين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ النذر موجّهة إلى آل فرعون الطغاة، الذين بأيديهم تسيير الدولة الفرعونية.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ ذلك بأنّ فرعون وقومه جاءهم رسول الله موسى عليه السلام وأخوه هارون عليه السلام، وأيّدهما الله تعالى بمعجزات عظيمة، فكذّب فرعون وآله بها كلّها، فأخذهم الله تعالى أخذ العزيز الذي يَغلب ولا يُغلب القادر على كلّ شيء. ومن الآيات التي كذّبوا بها، آيات موسى عليه السلام: انقلاب العصا حيّة وظهور يده بيضاء وسنو القحط وانفلاق البحروفتح الطريق فيه.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ والمعنى: هل إنّ ما أصاب الكفار السابقين من أمثال أمم عاد وثمود وفرعون لن يصيبكم مثله؟.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ أي هل لكم براءة في الكتب القديمة مكتوب فيها أنّكم مبرّؤون من أن تصابوا بالعذاب؟.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ ورد في الأثر أن أبا جهل قال يوم بدر: «نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه». وهذا غرور بأنفسهم وادعاء منهم بأنّهم غالبون محمدا وأصحابه واستخفاف بهم، وما يعلمون أن الله منجز وعده وناصر رسله والذين آمنوا.

﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ والمعنى: سيُهزم المشركون وتراهم يفرّون من ميدان المعركة وظهورهم منحنية يتعثّرون منكبّين لا يمشون سويّا يملأ قلوبهم الرّعب وقد عُذّبوا يوم بدر وفرّوا هاربين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن هذه الآيات نزلت قبل يوم بدر».

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ ساعة عذاب الدنيا أخفّ وطء من ساعة عذاب الخلود في جهنم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ إنّ الضّالين في خسران وخواتم سوء، مصيرهم جهنّم يُسحبون فيها على وجوههم إهانة لهم في عذاب شديد، يُقال لهم: ذوقوا عذاب النار.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ أفادت هذه الآية أنّ إحاطة علم الله تعالى بكل مخلوق مستمرة قبل أن يوجد الخلق وبعده. ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضرّوك، جفت الأقلام وطويَت الصحف».

إنّ كل شيء خلقه الله تعالى جلّ وعلا، خلَقه بضبطٍ جارعلى الحكمة، وكل شيء مخلوق هو بعلم الله وإرادته.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ إذا ما الله تعالى أمر فإنّما يقول قوله: كُن فيكون. قال الشيخ ابن عاشور: «قد أفادت هذه الآية إحاطة علم الله بكل موجود وأنّه أوجد الموجودات بحكمه وصدورها عن إرادة وقدرة».

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ الشيعة: الجماعة الذين يتّبعون رجلا يقودهم إلى غاية. والمراد بهم هنا شيعة المشركين الذين قاتلوا المسلمين في غزوة بدر بزعامة أبي جهل وهو القائل عندما التقى الجمعان لشيعته: «إنّكم اليوم منتصرون على محمد وأصحابه» فلم يَجُل الخيلُ في ميدان الحرب جولة حتى شاهد شيعته الصناديد صرعى كأنّهم أعجاز نخل منكسر إنّه مشهد إنكسار شيعة الشرك

الذين أهلكهم الله سبحانه وتعالى.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١﴾ أمر لأهل الذكر بإعمال النّظر واتباع شرع الله تعالى.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ كل ما يفعله الضّالون من كفر وشرك مكتوب في كتبهم، حيث سُجّلت أعمالهم.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ۝٥٣﴾ كل عظيم وحقير هو في علم الله تعالى وهو مسجّل في كتاب مسطور باللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤﴾ إنّ المتّقين في جنّات دار كرامة الله تعالى ورضوانه في نعيم الخلود ومتعة الأنهار المختلفة وما يحيط بها من ريحان وأنس لطيف.

﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ في إقامة مرضية فيها استقرار ومتعة بكمال أحوال الجنّة.

﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ عند المالك الخالق القادر، الفعّال لما يريد، أكرم الأكرمين، ذي الفضل العظيم، سبحانه وتعالى.

ولله الحمد والمنّة وبه التوفيق والعصمة

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ

وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا
شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ
إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ
تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ

زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ
ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سورة الرحمان معظمها تعداد للنّعم الإلاهية، وتجمع الكثير من أحوال العقيدة: تستعرض أنواع النّعم الإلاهية على الإنسان ومن أفضلها أن علّم الإنسان القرآن.

ذكر أنواع الخير المنتشرة في البرّ والبحر.

ذكر النّعم الكبرى التي وعد الله بها صالح المؤمنين.

الخبر عن أنواع الجنّات التي وعد بها الله تعالى من يخاف مقام ربّه.

فيها بشائر بالخير وآلاء الله تعالى في الآفاق الواسعة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ صفة من صفات الله الحسنى تشمل جميع معاني الجود والإحسان والفضل، وتشمل الخبر عن فضائل الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء في الكون.

﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ علّم الرحمان الإنسان فأكرمه بالعقل السّليم ويسّر له النطق بالحروف من مخارجها ومواقعها بالحلق، وباللّسان والشفتين وهداه النجدين، ويسّر له القراءة والكتابة وأعدّ الإنسان لحفظ القرآن وفهمه، وأرشده إلى تعليم غيره القرآن.

قال ﷺ «بلّغوا عنّي ولو آية» وقال تعالى في سورة القمر ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾.

﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ ألهم الله تعالى الإنسان النطق ليستطيع أن يبين عن مقاصده وهو فضل من الله تعالى على الإنسان عظيم، إذ بالنطق امتاز عن سائر الحيوانات. البيان هو النطق الفصيح المُعرب عمّا في الصدور.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ خلقهما بتقدير سويّ مضبوط جعلهما يجريان في بروجهما ومنازلهما لا يختلفان ولا يتماسّان.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ النجم: النّبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر نبات له ساق. يسجدان: أي يطيعان فلا يمنعان أحدا من الانتفاع بهما انقيادا لأمر الله تعالى.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ السماء خلقها مرفوعة. قال تعالى في سورة الملك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ...۝٣﴾.

الميزان ما يوزن به الأشياء وتُعرف به مقاديرها كالمكيال والمقياس وهي آلات للتعديل وللتسوية عند الأخذ والعطاء، بالعدل.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ لكي لا تطغوا في الوزن والقيس والكيل، ولينال كل واحد حقّه لا أكثر ولا أقلّ، وهذا هو العدل الواجب في المعاملات بين الناس. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «خمسٌ بخمس قيل يا رسول الله ما خمس بخمس؟ قال ﷺ: ما نقض قوم العهد إلا سلّط الله عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طفّفوا الكيل إلا منعوا من النبات وأخذوا بالسنين، ولامنعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾ وفي هذا المعنى قال تعالى في سورة الشعراء ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢﴾. أي أصلحوا ميزانكم وقوّموه بالعدل واحذروا التّطفيف والنقصان.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ الأنام: الخلق. رفع الله تعالى السماء ووضع الأرض وأرساها بالجبال ومهّدها ويسّر الحياة فيها لمن خلق، في سائر أقطارها وأرجائها.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ من عنب ورطب ورمّان.

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١﴾ والنخل ثمرها التمر، وذِكر النخل تشريف للتمر لأن نفعه عظيم سواء كان رطبا أو يابسا في الحضر أو السفر.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ وفي الأرض أنواع الحبوب كالقمح والشعير وفيها أنواع من النبات ذات الروائح الطيّبة كالخزامى والفلّ والياسمين وفيها نبات ليقتاته الحيوانات من أنواع العشب والتّبن: كلّ هذه الخيرات نِعم لا تحصى – سبحان الله.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ روى مسلم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمان على أصحابه فسكتوا، فقال: «ما لي أسمع الجنّ أحسن جوابا لربّها منكم؟ ما أتيت على قول الله – فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ– إلاّ قالوا: لا بشيء من نِعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.».

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ الصلصال: الطين اليابس والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف وأصل الطين التراب.

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾ والجان هو إبليس والمارج هو لهب النار.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ بمعنى: أي نعمة من نعم الله تعالى تنكرون؟.

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧﴾ المشرق جهة شروق الشمس والمغرب جهة غروبها وبينهما مسار الشمس في درجات.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨﴾ بأي نعمة من نعم الله تعالى تنكرون؟ ومن أنكر نعم الله أشرك بالله.

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾ من معاني هذه الآية ما ورد في صفوة التفاسير: «أرسل البحر المالح والبحر العذب يتجاوران ويلتقيان ولا يمتزجان، بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ اللؤلؤ هو الدّر والمرجان هو الخرز الأحمر. قال الشيخ ابن عاشور «والمرجان حيوان بحري ذو أصابع دقيقة ينشأ ليّنا ثم يتحجّر ويتلوّن بلون الحمرة ويتصلّب كلما طال مكثه في البحر ويتّخذ منه حلية».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤﴾ الجواري هي السّفن التي أنشأها الناس بإلهام من الله تعالى، وسخّر لها السير في البحر تبدو فيه كالجبال شموخا، وجعلها تتحرّك بالرياح المرسلة، تحمل المسافرين وأثقالهم وأمتعتهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ وفي هذه الآية تذكرة للناس وموعظة لهم بأنّ الله تعالى كتب على الدنيا بما فيها الفناء، وعليهم أن يستعدّوا لما بعد الموت، والدوام والبقاء لله تعالى.

قال تعالى في سورة القصص ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ... ٨٨﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٨﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الله يسأله ملائكة السماء الغفران لمن في الأرض، ويسأله البشر الرضى والنجاة في الآخرة والفوز بنعيم الجنة.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ وفي الأثر: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقيل له: وما ذلك الشأن يا رسول الله؟ فقال ﷺ: شأنه أنّه يغفر ذنبا ويفرّج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين» روى الحديث أبو الدرداء رضي الله عنه.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ سنفرغ لكم أي سنحاسبكم وستعلمون حكم الله تعالى. الثقلان: اسم للإنس والجن.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ والمعنى: إن قدرتم على الإنفلات من محيط السماوات والأرض فأفلتوا، لكنّكم لا تستطيعون إلا بقدرة الله تعالى. وفي هذه الآية تعجيز وتخويف.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ شواظ: سيْل من نار تسيل، من النحاس المذاب. أي: لو فررْتم هاربين لردّتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللّهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ انشقّت السماء: أي تكون كثيرة الشقوق كأوراق الوردة متلوّنة كلون دُرْديّ الزيت فيه خضرة في صفرة.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ قال ابن كثير: «وهذه كقوله تعالى في سورة المرسلات ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾».

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ روى ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّه يُؤخذ المجرم بناصيته وقدميْه فيكسّر كما يكسّر الحطب».

نعوذ بك ربّنا من عذاب النار

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي هذه النار التي كنتم تكذّبون بوجودها حاضرة تشاهدونها.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ هم يتعاقبون بين الجحيم والحميم. والحميم شراب شديد الحرارة من النحاس المذاب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ يعطي الله تعالى من يخافه جنّتين تحيطان بقصر في الجنة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ الفنن هو الغصن الكثير الأوراق والثّمار.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ لكل جنّة منهما عين جارية تسقي الأشجار.

ثبت عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يصف شجرة السدر في الجنة فقال ﷺ: يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة وكأن ثمرها القلال» رواه ابن كثير.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ فواكه الجنّة أنواع لا مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ الإستبرق نسيج غليظ من الحرير وخيوطه منه. إنهم مضطجعون على الجنب متكئون على المرفق على سرر عليها فراش وثير.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ ثمار أهل الجنة سهل المنال.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ فيهنّ أوانس صالحات غضيضات الأبصار أبكار عرب أتراب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ وجوههن في صفاء الياقوت وحمرة المرجان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن أنس ابن مالك «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية و قال: هل ترون ما قال ربّكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلاّ الجنة؟».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أي من دون تيْنك الجنّتين الموعودتين للمقرّبين جنّتان لمن دونهم من أصحاب اليمين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ جنّتان تمتازان بخضرة بديعة تميل إلى السواد.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ نضّاختان أي فوّارتان ماء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ فيهما فاكهة وثمر النخل والرّمان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ مفرد الخيرات خيْرة وهو إسم للمرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه والصفات. روى ابن كثير بسنده عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكلّ مسلم في الجنة خيْرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب وله كل يوم تحفة وكرامة وهديّة». وروى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال :«إن في الخيمة خيمة من لؤلؤ قدر عرضها ستون ميلا، من كل زاوية منها أهل ما يرَوْن الآخرين».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ حور مفرده حوْراء وهي ذات بياض العينين الناصع وأسودها شديد وهو وصف لمحاسن النساء. والمقصورة وصف لمن تعتزّ بزوجها وتؤنسه ولا تفارقه

ولا تختار عنه سواه، تلازم خيمتها محصّنة حصينة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ متكئين على بُسط خضراء اللون يزدان بها الفراش.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد.

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ تعالى الله العلي العظيم وجلّ جلاله الذي فاضت بركاته وكثرت خيراته وهو ذو الفضل، أكرم الأكرمين.

قال رسول الله ﷺ: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام».

أي أكثروا من هذه الدعوة.

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا

مَّمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾
إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة الواقعة سورة مكية وممّا جاء فيها: التذكير بيوم القيامة وأنّه واقع لا ريب فيه. وصف ما يقع على الأرض وما عليها عند قيام الساعة. وصف أهل النار وما يلاقونه من العذاب يوم القيامة. الاستدلال على أنّ الله قدير على كل شيء.

الاستدلال على أنّ الله تعالى ينزع الأرواح من الأبدان وهو القادر على إرجاعها متى أراد وأن النشر والحشر حقّ.

التأكيد على أن القرآن منزّل من عند الله وأنّه نعمة من نِعم الله تعالى. وصف أحوال أهل الجنّة والنّعم العميمة ووصف لعذاب أهل النار. الرسول ﷺ لا يخلو زمانه من تسبيح الله وتعظيمه وإجلاله.

عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبدا». وروى أحمد عن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الفجر الواقعة».

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة. قال ابن كثير: «ليس لوقوعها إذا أراد الله تعالى كوْنه، دافع يدفعها ولا مانع يمنعها».

﴿خَافِضَةٌ﴾ أي يحصل عند وقوعها خفض شأن أقوام كانوا في الدنيا مرتفعين كالجبابرة والمفسدين.

﴿رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ وعندها يرفع شأن الصالحين الذين كانوا في الدنيا مغمورين لا يُعبأ بأغلبهم وأنّه يرتفع عندها ما كان منخفضا بسبب زلزلة الأرض.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ إذا تحرّكت الأرض تحرّكا شديدا بسبب زلزال شديد.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ إذا تفرّقت الجبال أجزاء مبعثرة مرتطما بعضها ببعض.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ الهباء دقيق الغبار تراه العين منتشرا في الجو.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ الأزواج بمعنى

الأصناف. والأصناف في الجنة ثلاثة: الصنف الأول أصحاب الميْمنة الميمنة أي البركة وأصحاب الميمنة هم الذين يجعلون في الجهة اليمنى من الجنة. الصنف الثاني أصحاب المشأمة وهم أصحاب السوء والشؤم ومصيرهم عذاب النار. والصنف الثالث هم السابقون وهم الصنف الأفضل من الثلاثة وهم السابقون إلى الإيمان بالله والرّسل، المبادرون إلى فعل الخيرات وأولائك هم المقرّبون في جنات النعيم. قال ابن كثير: «والأنواع الثلاثة ورد ذكرها في سورة فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿٣٢﴾﴾».

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ الثلّة اسم للجماعة قلّ عددهم أو كثر والمراد بالأوّلين جماعة من الأمم الماضية وبالآخرين القليل من هذه الأمة.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ قال ابن جرير: «السّرر من الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ».

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض وليس أحدهم وراء أحد.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ الطّواف هو المشي المكرّر حول شيء، والولدان مخلوقات في شباب غضّ دائم يناولون أهل الجنة ما يشتهون.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب جمع كوب وهو إناء لا عروة له وله خرطوم وفيه استدارة، فهو كالقدح. والأباريق جمع إبريق وهو إناء لصبّ الخمر في الأكواب له خرطوم.

﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ المَعين المراد به الخمر يجرى في المجاري مثل السواريط لكثرتها. قال تعالى في سورة محمد ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿١٥﴾ ...﴾.

لا يُصدّعون أي لا يصيبهم الصداع وهو وجع الرأس. ولا يُنزِفون أي لا تختلط عقولهم.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ يطاف عليهم بثمار يختارونها ولحم طير ممّا تشتهيه أنفسهم.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ تطوف عليهم النساء ذوات سعة في العين كأمثال اللؤلؤ المكنون وهو الدّر المخزون، وهنّ أزواج السابقين في الجنة. عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنة لمجتمعا لحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنّا له».

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إن النّعم التي ينعم بها أهل الجنة كانت جزاءهم، لأنهم كانوا مؤمنين يعملون صالح الأعمال.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ لا يسمعون في الجنة كلاما سخيفا ولا كلاما مرفوضا يجرّ إثما.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ قال تعالى في سورة يونس ﴿..وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ...﴿١٠﴾﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ هم من المقرّبين.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ وتكرار اللفظ للتنويه بأصحاب اليمين.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السدر شجر ينبت على ضفة النهر، رائحة ورقه طيّبة تجعل غاسولا تغسل به الثياب وتفوح به، ويتفكّه بثمره الجيّد وهو حلو الطعم لذيذ.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ الطلح شجر ينبت في بطون الأودية شديد الطول غليظ الساق، أوراقه شديدة الخضرة كثيرة الظل من التقاء أغصانها، وثمرها جيّد ولها نَوْر طيّب الرائحة. والمنضود: المتعانقة أغصانه المتراصّة أوراقه.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ هو ظل حاصل من التفاف شجر الجنة، ظلّ مستمر دائم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام».

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ ماء يجري بقوّة، ونعم الماء ماء الجنة.

قال الله تعالى في سورة محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ وفي الجنّة فواكه كثيرة، متنوّعة ألوانها متشابهة في

الشكل، ولكن الطعم غير الطعم.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ فواكه دائمة كلّما طلبوا وجدوا، وإذا تناول أهل الجنة الفاكهة عادت مكانها أخرى.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ فرش: جمع فراش أي فرش مرفوعة على الأسرّة.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾﴾ ينشئ الله للمؤمنين رفيقات منهن نساء كنّ في الدنيا أزواجا مؤمنات وينشئ نساء خُلقن في الجنة لإتمام نعيم أهلها.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ جعل الله تعالى للمؤمنين نساء أبكارا من صنفين: رفيقات كنّ مؤمنات في الدنيا ورفيقات ممّن خُلقن في الجنة.

﴿عُرُبًا﴾ العُرب جمع عَروب هي المرأة الطروب المتحبّبة إلى زوجها بأن تكثر المساهلة في مجالسته والتدلّل لتشير إلى زينتها.

﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ أي إنّهن في سنّ الشباب، محاسنهنّ غير متفاوتة.

﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ أي أنشأ الله تعالى نساء في الجنة، وجعلهن لأصحاب اليمين جزاء لهم بما كانوا يعملون في حياتهم الأولى بالدنيا.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال ابن جرير ورد عن ابن العباس رضي الله عنهما بسند صحيح قال في (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) «قال رسول الله ﷺ: هم جميعا من أمّتي».

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ والمعنى: وأيّ شيء فيه أصحاب الشمال؟.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ السموم هو الهواء الحار والحميم هو الماء الحار.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ ظلّ من الدخان الصاعد من جهنّم.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ هبوب كَرِه ومنظر مُنكَر ليس فيه محاسن الظلال: هو ظلّ حار ضار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ كانوا في الدار الدنيا منغمسين في الملذّات لا يهتمون بما جاءت به الرّسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الحِنث أي الكفر بالله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحنث العظيم هو الشّرك بالله واليمين

الغموس» أي إنّهم يستمرّون على الذّنب تعمّدا ولا يتوبون عمدا.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ إنّهم كانوا مستبعدين البعث لمن في القبور والحشر والنشر والجزاء والعقاب.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ إنهم يشكّون في إمكان الجمع بين السابقين والمسبوقين يوم القيامة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأوّلين والآخرين سيُجمعون في وقت محدّد لا يتقدّم ولا يتأخّر ولا أحد يغيب من السّابقين ولا مَن كان بعدهم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ الضّالون لأنهم ضلّوا عن الحق وكذّبوا بيوم البعث.

﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ من شجر العذاب.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ كما كانوا يملؤون بطونهم في الدنيا بالطعام والشراب بأنواعه ونسوا مصيرهم.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ الحميم ماء يغلي.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ الهيم: الإبل العطاش والمعنى: المكذّبون من أهل جهنم يشربون من الحميم شرب الإبل العطاش ولا يروُون!.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ قال ابن كثير: «هذه ضيافتهم عند ربّهم يوم الحساب». أعاذنا الله منها.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ هذه الآية تذكير وتحضيض على الإيمان ببديع الخلق والتصديق بالبعث والنشور والمصير.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ والمعنى: أتظنّون أنفسكم أنّكم قادرون على خلق النّطفة التي تدفق في الأرحام؟. قال تعالى في سورة يس ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي نحن قدّرنا حياتكم وإماتتكم.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي نحن قادرون على أن نجعل أمثالكم بدلا عنكم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ هذه الآية كقوله تعالى في سورة فاطر ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي أنتم تعلمون أن الله تعالى أنشأكم بعد أن لم تكونوا موجودين: أفلا تتّعظون؟.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الحرث هو الأرض التي يُزرع فيها أو يُغرس. وتزرعون من زرع أي بذر، أي الزارع يدفن الحبّ في الأرض وينتظر نزول المطر بإذن الله تعالى.

قال الله تعالى في سورة ق ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الحطام الشيء الذي تكسّر فهو المحطوم وتفكّهون بمعنى تندمون وتحزنون. والمعنى: لو نشاء لجعلنا ما ينبت من الأرض حطاما يابسا بما نسلّط عليه ما يحطّمه من برد أو حشرات أو ريح، فيصير الضّالون المكذّبون نادمين في حزن وحسرة جزاء إنكارهم البعث والحساب.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي إنّا لهالكون وخاسرون، وفي هذا المعنى قوله تعالى في سورة القلم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي الماء العذب الذي تشربون هو من أنعم وأعظم النّعم على الإنسان والمراد به ماء المطر. هو ماء حياة الزّرع والشجر وحياة الإنسان. أنزل الله تعالى الماء من المزن وهو السحاب ولو يشاء الله لأمسكه في سحاباته.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي لو نشاء جعلناه غير نافع لكم. وفي هذه الآية دعوة إلى ترك الكفر والطغيان وأمرٌ بالحمد والشّكر لله تعالى وهو الشكور العليم.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ يُقال أوْرى النار إذا أوقدها. تُقدح النار من أعواد شجر، موجود في بلدان شرقية اسمها شجر الزّند، إذا احتكّ عود بعود منه تخرج النار، وهو أمر عندهم عجيب ومعجزة كبرى. قال تعالى في سورة يس

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠﴾.

﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢﴾ أي بل إن الله تعالى هو الذي أنشأ شجرتها وأودع فيها طاقة النار.

﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ﴾ لمن تنفعه الذكرى وإنذارا للكافرين.

﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما «يعني بالمقوين: المسافرين». قال ابن كثير: «إن الجميع محتاج إلى النار الحاضر والبادي والغني والفقير». روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار».

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ التسبيح تنزيه لله عن النّد والشريك وأنّه تعالى ليس كمثله شيء. والتسبيح باسم الله تنزيه له سبحانه عمّا يقوله الظالمون الجاحدون لوحدانيّته، الكافرون بنعمته. كان رسول الله ﷺ يسبّح ويأمر بالتسبيح امتثالا لأمر الله تعالى.

روى ابن كثير بسند صحيح «أن رسول الله ﷺ كان يأمر الجالس إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إلاه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

وروى الإمام أحمد بسنده عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: «لمّا نزلت (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) قال لنا رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قال ﷺ اجعلوها في سجودكم».

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ هذا القسم بمواقع النجوم جاء للرّد على أقوال المشركين في القرآن بأنّه شعر أو سحر أو أساطير الأوّلين أو قوْل كاهن. قال الشيخ ابن عاشور: «والمواقع هي أفلاك النجوم تسير في أفق السماء في بروجها ومنازلها».

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ أي: إن القسم الذي أقسمتُ به لقسم عظيم.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ أي: إن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ لكتاب عظيم.

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ في كتاب معظّم محفوظ. والمعنى أنّ القرآن الذي بلغهم وسمعوه من النبي ﷺ هو كلام الله تعالى حقّا وأنّه لم يصنعه بشر.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا يمسّ القرآن إلا طاهر».

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ إن هذا القرآن منزّل من الله ربّ العالمين وليس هو من صنع البشر كما يدّعون ولا قول ساحر أو شاعر أو كاهن. قال تعالى في سورة المائدة ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ... ١٦﴾. قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى إن هذا القرآن مطابق لما عند الله الذي لا يشاهده إلا الملائكة المطهّرون».

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ الحديث هو القرآن ومدهنون أي مكذّبون ومتهاونون. والمعنى: أتكذّبون وتتهاونون بالقرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ بدل المسارعة بالتصديق بما جاء فيه والتدبّر فيه وبدل شكركم الله على هذه النّعمة الكبرى؟. قال الحسن: «بئس قوم ما أخذوا لأنفسهم ممّا رزقوا من كتاب الله إلا التكذيب».

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح بها فريق من الناس بها كافرين: ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا!».

صدق الله سبحانه وتعالى وكذب الكافرون.

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣﴾ فلولا إذا بلغت الروح الحلقوم ساعة الاحتضار.

﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤﴾ أي وأنتم تشاهدون المحتضر يُكابد سكرات الموت.

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥﴾ والملائكة أقرب إليه منكم ولكن لا تروْنهم.

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧﴾ إن كنتم غير مصدّقين بأن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب العظيم على الرسول ﷺ ليخرجكم من

الظلمات إلى النور، وأنه هو الذي يرزقكم بالغيث النافع ويُمسك، فإن كنتم قادرين على مثل ذلك، فما لكم لا ترجعون الروح إلى الجسد بعد بلوغها الحلقوم؟ تبّا لكم اعلموا أن الله تعالى هو المبدئ والمعيد وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ المقرّبون هم الذين فعلوا الخير والواجبات والمستحبّات وتركوا المحرّمات والمكروهات، فجزاؤهم الخلود في جنة النعيم ينعمون بالراحة والفرح والريحان والرحمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي وإن كان المحتضر من أصحاب اليمين.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ قال عكرمة رضي الله عنه: «تسلّم عليه الملائكة وتخبره بأنّه من أصحاب اليمين» وهذا المعنى كقوله تعالى في سورة فصلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ له إقامة في النار التي تغمره من جميع جهاته.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: إن هذا الخبر هو الحقّ الذي لا شكّ فيه ولا ريب ولا محيد عنه.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ هذا أمر بتسبيح الله والثّناء عليه تعظيما وحمدا له لنعمه وهدايته.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

أكرم بهذا التسبيح تسبيح رسول الله ﷺ.

اللهم أختم لنا بخواتم الخير وقنا مصارع السّوء ونجّنا من النار وأنزلنا منزل أصحاب اليمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ
وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ
وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا
ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١
يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم
بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا
فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ
أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
١٥ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ
فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦

ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ

ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

تسمى هذه السورة سورة الحديد لذكر كلمة الحديد فيها.

ومن مقاصد هذه السورة:

التذكير بآيات الله وبواسع رحمته والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتسبيحه.

وفيها التحريض على الإنفاق في سبيل الله والصّبر على النوائب وتمجيد فضائل الجهاد لنصرة الحق وحماية الدين.

وفيها وعد من أحسن عملا والدعوة إلى تقوى الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سبّح أي نزّه عن السوء بأنواعه، ومن معاني الآية أن جميع الموجودات نزّهوا الله تعالى عن أن يكون له شريك في ملكه وفي أفعاله وصفاته وأثبتوا له الوحدانية المطلقة العامة.

قال الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ﴿... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

وقد أمر الله تعالى بالتسبيح في سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ وفي سورة الطور ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

وقد ورد في البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم يدبر أمور الكون وهو خبير عليم.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ له ملك العوالم كلها: العوالم العليا والسّفلى، له الملك وله الحمد وهو بكل شيء عليم.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ﴾ هو وحده القادر على إحياء الكون وإماتته وأن جميع الكائنات عاجزون. قال تعالى في سورة الفرقان ﴿..وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ سبحانه وتعالى خالق كل شيء.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ هو الأول الأزلي قبل كل شيء وهو الموجود الدائم بعد كل شيء.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الظاهر: كلمة ضدها الخفاء إن الله تعالى ظاهر ظهورا بيّنا تدلّ عليه جميع صفاته له الأسماء الحسنى فهو القادر المريد العليم الحيّ القيوم السميع البصير المتكلم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو الخبير البصير لا تخفى عليه خافية.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ إنه محجوب لا تدركه الأبصار.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ يعلم الجهر وما يخفى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لو شاء سبحانه وتعالى لخلقهما في أقل من لمح البصر. من الحديث الذي أخرجه مسلم: «أنت الأوّل فليس قبلك شيئ وأنت الآخر فليس بعدك شيئ وأنت الظاهر فليس فوقك شيئ وأنت الباطن فليس دونك شيئ».

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ الآيات تأكيد لبيان عموم علمه وهي تتمة للآيات السابقة وتأكيد لبيانها.

إن قوله سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ وقوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ وقوله تعالى ﴿..وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ..﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ وقوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ إنها تنبيه إلى أن الله سبحانه وتعالى عليم بأخفى الخفايا وبما يخفى عن الخلق كعلمه بما في صدور المخلوقات ممّا تخفيه الأنفس.

قال الشيخ ابن عاشور: «وقد اشتملت هذه الآيات الكريمة من أول السورة إلى مجموع الآيات السابقة على ستّ عشرة صفة من صفات الله وهي من الأسماء الحسنى: الله العزيز الحكيم الملك المحيي المميت القدير الأوّل الآخر الظاهر الباطن العليم الخالق البصير الواحد المدبّر».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن اسم الله الأعظم في ستّ آيات من أوّل سورة الحديد» فهو يعني مجموع هذه الأسماء.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ صدقوا بأن الله لا إلاه إلا هو وأن محمدا رسول الله ﷺ

أرسله الله تعالى بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ إن الأموال التي اكتسبتموها هي أموال الله الذي خلقها: أنفقوها فيما أمركم الله واتقوا الله فهو الذي جعلكم تتصرّفون فيها وحدّد لكم مصاريفها فأدّوا الأمانة إلى أهلها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ فالذين كان إيمانهم صادقا وعملهم صالحا وأنفقوا فى سبيل الله ابتغاء وجهه الكريم لهم أجر عند ربّهم عظيم.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ استفهام فيه توبيخ واستنكار ولوْم مَنْ ترك الإيمان بالله ولم يُلبّ دعوة الرسول ﷺ والحال أنه لا عذر لهم في عدم الإيمان بالله ورسوله وهم يعلمون أن الإيمان بالله حقّ لله تعالى ثابت بالعقل والنّقل. وفي الآية الكريمة أمر من الله تعالى بإيجاد الإيمان بالقلب والعمل لتحقيقه وتثبيته.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ الخطاب للمؤمنين بأن القرآن الكريم آيات بيّنات واضحات تُخرج الإنسان من ظلمات الجهل والكفر إلى أنوار الهدى والإيمان وإن الله تعالى أنزل الكتاب رحمة للعالمين.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى أنفقوا ولا تخشوا فقرا. قال تعالى في سورة سبأ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ قال ابن كثير «الآية إشارة إلى أنكم يا أصحاب المال، المال لله وسيكون بعدكم لمن يخلفكم».

روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي! وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت؟ وما سوى ذلك فذاهب وتاركه!».

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ النفقة والجهاد قبل فتح مكة أفضل لأن حاجة الإسلام إلى الجهاد والإنفاق كانت أشدّ، أما بعد الفتح فقد اعتز الإسلام بالفوز والنصر إذ دخل الناس في دين الله أفواجا، وكلّ مَن أنفق قبل الفتح وبعده له أجر عظيم.

إن فتح مكة كان في شهر رمضان لسنة ثمان للهجرة: خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان في عشرة آلاف من المسلمين مدجّجين بالسلاح فرسانا وركبانا، فلمّا اقترب جيش رسول الله ﷺ من مكة لقيَهم أبو سفيان مبعوثا من قريش طالبا الصلح والعفو من رسول الله ﷺ، فعفا ﷺ وأصلح على أن تترك قريش الكعبة المقدسة للإسلام والمسلمين.

جاء في تهذيب سيرة ابن هشام أن رسول الله ﷺ وجيشه دخل مكة ولزمت قريش ديارها آمنين بأمره، ثم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة خطيبا وقال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط أوالعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب».

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ الله عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ القرض الحسن هو سَلف عن طِيب نفس وبشاشة في وجه المحتاج ويكون القصد منه طاعة الله ونيل رضاه والله يجازي عليه جزاء مضاعفا.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ النور جعله الله للمؤمنين وللمؤمنات في مسيرهم من مكان الحشر ليهتدوا به إلى طريق الجنة ويقال لهم بشراكم، وأكرم بهذه البشرى بالخلود في الجنة التي تجرى من تحت قصورها أنهار متنوعة! قال الله تعالى في سورة محمد ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ... ١٥﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ إشارة إلى خطى التدرج في المسيرة من النشور إلى الحشر إلى الفوز بالبشرى بالجنة والخلود فيها وهو الفوز العظيم.

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ إن الله يأذن للمؤمنين والمؤمنات الأوّلين بأن يسيروا إلى الجنة في نور مضيء يسعى بين أيديهم وأرجلهم فرحين بما آتاهم الله تعالى وترى المنافقين والمنافقات يسعون وراء المؤمنين يطمعون أن تشملهم النعمة، يطلبون من المؤمنين أن يجودوا عليهم بقبس من نورهم فيضرب بين الفريقين سور حصين له باب باطنه فيه الرحمة بالمؤمنين وظاهره من قبل المنافقين فيه العذاب. قال ابن كثير :«هو سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه فإذا استكملوا دخولهم إليه أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في حيرة وظلمة وعذاب». قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا استهزاء كان جزاء على استهزائهم بالمؤمنين».

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إذا خطرت في أنفسهم خواطر خير وخواطر كفر اختاروا خواطر الكفر والبغضاء مرتدّين. لحق واخترتم غيرها.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ تردّدتم وحصل لكم الشك في سلامة الإسلام وسلامة مصير من يتّخذه دينا بعد الإلحاد.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ حصل في أنفسكم أنكم على الحق وأن انتصار المسلمين مستحيل وأن حسن العاقبة لكم.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ حتى جاء الموت وأنتم تترددون بين الكفر والإيمان.

﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ ظللتم منخدعين بخدعة من الشيطان حتى قذفكم في نار جهنم . فالغَرور هو الشيطان ومن تبعه والتغرير هو اظهار الضار في صورة النافع. قال قتادة: «ما زالوا على خدعة واغترار من الشيطان».

قال الله تعالى في سورة لقمان ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «من حق المؤمن أن لا يغتر متعظا بالآية الكريمة ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾».

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بمثل الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قُبل منه.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس أنه قال: «استبطأ الله تعالى قلوب بعض المؤمنين الذين سهوا عن الخشوع والتذلل والإنصات الواعي وقت صلاتهم وعند تلاوة القرآن فعاتبهم في هذه الآية الكريمة» والمعنى حان الوقت للمؤمنين أن تلين قلوبهم عند استماعهم لذكر الله وإذا قرئ القرآن وإذا كانوا في صلاتهم خشوعا وامتثالا. قال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾.

﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بدّلوا كتاب الله الذي بين أيديهم – التوراة والإنجيل– فأضافوا له ما ليس منه كما يشتهون واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقست قلوبهم ففسقوا وكفروا وبئس ما يفعلون.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ أي يُلين الله تعالى القلوب بعد قسوتها فيجعلها مُنيبة مُخبتة وذلك يكون بالتأمل في آيات الله المنزلة تنزيلا كمثل الغيث ينزل في الأرض المجدبة فتعود بعد إجدابها خصبة بإذن الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨﴾ المصدّقين والمصدّقات هم الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ. والقرض الحسن هو العطاء للفقراء والمساكين عن طيب نفس غير ممنون ابتغاء الأجر الحسن عند الله، هذا العطاء مبلغه يُضاعف عند الله الحسنة بعشر أمثالها ونِعم هذا العطاء الكريم من عند أكرم الأكرمين.

قال رسول الله ﷺ «الصدقة تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار».

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ قال

ابن كثير بسند عن عبد الله ابن مسعود، رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ «هم ثلاثة أصناف المصدّقين والصّديقين والشّهداء». قال تعالى في سورة النساء ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ ...﴿٦٩﴾﴾ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من بين المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ وحال الأشقياء الكافرين بالله وبالقرآن العظيم يُساقون إلى جهنم وبئس المصير.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الحياة الدنيا أطوار منها اللعب واللهو والزّينة والتكاثر والتفاخر إنها زهرة فانية ونعمة زائلة ومتاع قليل وفي هذا تزهيد فيها وتحذير من الاغترار بشأنها.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ شبّهها القرآن بنبات نبت ثم استغلظ وظهر خيْره أعجب الزّراع من حسن استوائه ثم يصفرّ ويذبل ثم ييْبس ويتحطم، هكذا الحياة الدنيا إذا اكتملت تتحوّل حالها إلى النهاية.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ في الآخرة للكافرين عذاب غليظ وللمؤمنين مغفرة من الله ورضوان بفضله تعالى.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ هي متاع يغترّ بها المخذول. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في ميدان السباق للظفر بغفران الله لذنوبكم بالإكثار من تحصيل أسبابه.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال السدّي: «العرض كعرض سبع السماوات وسبع الأرضين أما طولها فهو أكثر والله يخلق ما يشاء».

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ جاء التعريف بكلمة المؤمنين فى سورة الحجرات قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ إن الله سبحانه وتعالى يسّر للمؤمنين الفوز بالجنة وهذا التيسير هو من فضله وإحسانه إليهم يُنعِم به على مَن يشاء من عباده.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ في الصحيح، أن فقراء المهاجرين قالوا: «يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات والنعيم المقيم قال ﷺ: وما ذاك؟ قالوا: يصلّون كما نصلّي ويصومون كما نصوم و يتصدّقون ولا نتصدّق ويعتقون ولا نعتق قال ﷺ: أفلا أدلّكم على شيئ إذا فعلتموه سبقتم مَن بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، تسبّحون وتكبّرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ﴾

قال الإمام أحمد بسند صحيح أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» أي أن كل مصيبة في الأرض مثل السنين الجدباء وما في أنفس الناس كالأمراض وكل مصيبة بين السماء والأرض هي مكتوبة في الكتاب من قبل أن يبرأ الله الخلق وهو البارئ الخالق وهو سبحانه الذي قدّر الكائنات قبل وجودها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ إن ما هو عسير عند المخلوقات هو عند الله تعالى أمر هيّن يسير وما ذلك على الله بعزيز.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

إذا علمتم أن كل شيء مقدر في الأزل وأنه أمر واقع لا محالة فلا فائدة في الأسف على ما فاتكم إذا لم تظفروا بمرادِكم، ومن خُلُق المسلم أنه لا يتخبط في الجزع إذا أصابه مُصاب ولا أن يختال ويتطاول إذا ناله أمر محبوب.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ﴾ المختال الفخور يتعالى على الناس ويفرح بما عنده ولا يكفيه ما يفعل فإنه يحمل الناس على البخل والشحّ يريد

أن يراهم مطبوعين على الإمساك وحرمان الناس من الإحسان.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ ومن يعرض عن أمر الله تعالى فإن الله غنيّ عن إنفاقه فهو تعالى محمود في ذاته وصفاته غنيّ عن طاعة الطائعين وعن شكرهم. ومن هذا المعنى قوله تعالى في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . . ﴿٥٤﴾﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أرسل الله تعالى الملائكة رسلا إلى الأنبياء بالحجج الواضحة والمعجزات للدلالة على أنّ ما يدعو إليه هو الحق.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أنزل الله تعالى الكتاب على الرسول ﷺ ليبلّغ ويبيّن معانيه للناس وأنزل الميزان للعدل بين الناس ليأخذ كل ذي حق حقه.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ والقسط هو العدل وبه تستقيم أعمال الناس على شريعة الحق والإحسان المبيّنة بالكتاب.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ خلق الله تعالى معدن الحديد وألهم الناس لاستعماله. ولفظ أنزل تعبير مجازي كقوله تعالى في سورة الزمر ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ . . . ﴿٦﴾﴾ أي خُلق لأجلكم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح».

الحديد معدن قوي صلب ينتصر به الغالب ويُدافع به المغلوب وهو وقاية من أسباب الهلاك وهو ركن لبناء الحضارات.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ والمعنى ليعلم الله تعالى مَن ينصر دين الإسلام ومَن ينصر القائمين بدينه. قال الشيخ ابن عاشور: «وأعظم رجل نصر دين الإسلام من بعد وفاة الرسول ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله أهل الرّدة».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ القويّ العزيز من أسماء الله الحسنى.

القويّ أي يَنفُذ أمره ولا يُرَدّ قضاؤه شديد العقاب، العزيز المتّصف بالعزّة الغالب الذي لا يُغلب. قال تعالى في سورة يونس ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴿٦٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ أرسل الله تعالى

نوحا ﷺ رسولا في قومه فعصوه ورفضوا الدعوة فغضب عليهم، قال تعالى في سورة نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾.

ومن المعجزات أن ألهم الله تعالى نوحا عليه السلام إلى صنع سفينة بتأييد من الله ليحمل فيها الصالحين من قومه لينجيهم من الغرق عند الطوفان وهم الذين نشأ من ذريّتهم الأنبياء والرسل مُؤيَّدين بالكتب المقدسة منها صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام. قال تعالى في سورة الأعلى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فمِنهم من وفّقه الله وهداه وكثير منهم من ضلّ وغوى.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ قفّينا أي أتبعنا الرسول بالرسول كذلك أن عيسى عليه السلام جاء آخر الرسل قبل سيدنا محمد ﷺ بعد نوح وإبراهيم وذريتهما عليهم السلام. والإنجيل هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام وكتبه الحواريّون أصحابه من بعده أثناء تدْوين سيرته: فيه دعوة لتهذيب نفوس اليهود لاقتلاع القسوة من قلوبهم التي تخلقوا بها إذ كانت قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشدّ قسوة.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ وفّق الله تعالى أتباع عيسى عليه السلام وأغدق عليهم حبّ التّراحم بينهم لتليين قلوبهم وليجتنبوا أسباب الفتن.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية في مصطلحهم دعوة إلى الإعراض عن اللذائذ الزائلة ليتركوا الشهوات المختلفة الجسدية والروحانية وهو سلوك اختاروه فاستصعبوه وأهملوه وتفرقوا، فمِنهم مَن ظلّ على الرهبانية ومنهم من تحوّل إلى مذاهب أخرى. وفي الآية لوْم وذلك لأنّهم أحدثوا في دينهم ما ليس منه ولم يثابروا عليه.

قال رسول الله ﷺ «أحبّ الدين إلى الله أدْوَمه».

قال الشيخ ابن عاشور: «وفي الآية حجّة لانقسام البدعة إلى البدعة المحمودة والبدعة المذمومة».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا جمع الناس على قارئ واحد في قيام

رمضان: «نعمت البدعة هذه».

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ما حفظوا شؤون الرهبانية التي التزموا بها وهذا لوْم على تقصيرهم فيما التزموا به.

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث» وهم الذين آمنوا وصدقوا الرّسل ابتغاء رضا الله فتفضّل الله تعالى عليهم بأجر عظيم وأما الفاسقون فقد هلكوا وضلّوا ضلالا بعيدا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ كلمة كفلين مفردها كِفل، والمعنى النصيب: أي إن الذين آمنوا من أهل الكتاب، اليهود والنصارى، يؤتيهم الله كِفلين من رحمته كفل لأنهم آمنوا بعيسى عليه السلام وصدّقوه وكِفل لأنهم عندما جاء محمد ﷺ آمنوا به وصدّقوه و ظلّوا يخشون الله تعالى.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يجعل لكم دليلا تهتدون به إلى الحق واتباع الصراط المستقيم.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ يغفر الله تعالى للذين آمنوا من أهل الكتاب لأنهم استجابوا إلى أمر الله ولأنهم اتقوا الله وآمنوا برسوله ﷺ. وفي الأثر: إن الإسلام يَجُبّ ما قَبله.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأن يعلم أهل الكتاب أن الله تعالى هو الذي أنعم عليهم بالهداية والغفران.

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ قال المفسّرون إن أهل الكتاب كانوا يقولون إن الوحي والرسالة فينا والكتاب والشّرع ليس إلا لنا فردّ القرآن عليهم بهذه الآية الكريمة: أنّ أمر الرسالة والرحمة والغفران بيَد الرّحمان يتفضّل الله تعالى به على مَن يشاء من خلقه والله تعالى ذو الفضل والإحسان.

عن ابن حجر بسند إلى أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنّ مَن قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله».

والحمد لله رب العالمين

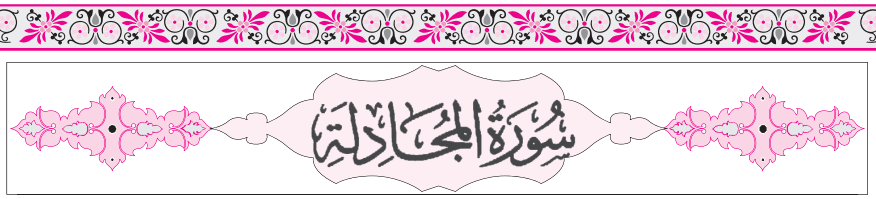

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ
إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ
ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

في هذه السورة ذكر ما كان في الجاهلية من تشريعات باطلة:

–منها تحريم المرأة وفكّ عصمتها إذا ظاهرها زوجها كأن يقول هي عليه كظهر أمّه: فقد أبطل الإسلام هذا الحكم.

–ومنها الإخبار عن أحوال المنافقين الظالمين الذين يخادعون الله والرسول ﷺ.

– ومنها النهي عن موالاة اليهود لأنهم أهل الفتنة والخيانة والغدر.

– ومنها تعليم المؤمنين الآداب الفاضلة المناسبة لمجلس الرسول ﷺ.

– ومنها الترغيب في التصدّق على المحتاجين قبل الحضور في مجلس الرسول ﷺ.

–ومنها تحذير المؤمنين من موالاة المشركين تجنّبا للفتن.

– ونوّهت السورة بحزب الله لما فضّلهم الله تعالى بما أتاهم من العلم وبما هداهم للإستقامة.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ مطلع السورة يؤكد وقوع جدال بين زوجين هما الصحابي أوس بن الصامت والزوج خولة رضي الله عنهما: موضوع الجدال أن الزوج ظاهر

زوجه وحرّم ظهرها عليه كما حَرُم عليه ظهر أمه.

وكان في الجاهلية التصريح بهذا الصنيع يقتضي فكّ العصمة بين الزوجين ويفرّق بينهما فتصبح المرأة مطلّقة ويقع أبناؤها في خطر الإهمال وتنهار دعائم الأسرة في أسوإ حالة بفقد الوافد والرّافد. جاء في التحرير والتنوير: إن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وكان هذا الصنيع في الجاهلية تحريما للمرأة مؤبّدا وعمل به المسلمون في المدينة، فجاءت خولة رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك فقال لها: حَرُمْت عليه. فقالت للرسول ﷺ: إن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فقال: ما عندي في أمرك شيء فقالت: يا رسول الله، ما ذكر طلاقا؟ وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ. فقال حرُمت عليه قالت: أبثُّ أمر فاقتي ووَجْدي إلى الله تعالى، كلّما قال رسول حرُمْت عليه، هتفت وشكت إلى الله فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قد سمع معناه :استجاب للمطلوب. ومعنى المجادلة:المحاججة. ومعنى تشتكي: تبالغ في الإشتكاء لطلب إزالة الضّرر. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قد سمع الله كلام خولة بنت ثعلبة وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك.. قالت: فما برحت حتى نزل قوله تعالى»: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾. إن الله تعالى عالم بكل مسموع وبكل مرئيّ وبكل ما في الصدور ... الحمد لله الذي وسِع سمعه الأصوات كلّها...ذكر ابن كثير – من حديث عن أبي يزيد – قال: «لقيَت امرأة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، يُقال لها خولة بنت ثعلبه، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها حتى قضت حاجتها، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبَستَ رجالات قريش على هذه العجوز؟ فقال عمر رضي الله عنه: ويحك ويحك! أو تدري من هي؟ قال: لا قال: هذه امرأة سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة بنت ثعلبه والله لئن لم تنصرف ما انصرفتُ عنها حتى تقضي حاجتها إلاّ أن تحضر صلاة فأصلّيها وأعود إليها».

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ كان الظهار في الجاهلية طلاقا، فأبطل الإسلام مضمون هذا القول عندهم فجعله قولا فاحشا وزورا وأنه تشريع باطل لا يفسد عقدة الزواج، وكان إبطاله استجابة لدعاء المُجادِلة خولة–التي دعت سميعا مجيبا يجيب دعوة الداعي إذا دعاه–وجعل القول المنكر بتشبيه الزوجة بالأم باطلا وجعل فيه كفارة الظهار زجرا لمن يحتكم به وقال إن المرأة ما تصير أُمّا لمجرد قولهم المنكر: إن الأم هي التي ولدت الإنسان وهي البشر المفضّل المنزّه عن الأقاويل.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

روى ابن كثير: «أن المرأة المجادِلة خرجت حتى جاءت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت من زوجها وجعلت تشكو إليه من سوء خُلُقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتّقي الله تعالى فيه فقالت: فوالله ما برحتُ حتى نزل فيّ قرآن فتغشّى رسول الله ﷺ ما كان يتغشّاه ثم سري عنه فقال لي: يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا ثم قرأ عليّ الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ فقال ﷺ: مُريه فليعتق رقبة، قالت : فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال ﷺ: فليصُم شهرين متتابعين، قالت: فقلت يا رسول الله إنّه لشيخ كبير، إنّه ما به من صيام قال ﷺ: فليُطعم ستّين مسكينا وَسْقا من تمر، قالت: فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ: إنّا سنعطيه عرْقا من تمر، قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأُعينه بعرق آخر قال ﷺ: قد أصبت وأحسنت فاذهبي وتصدّقي به عنه ثم استوْصي بابن عمّك خيرا، قالت: ففعلت».

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ إن الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة الإسلامية لا ينجون من البلاء ولهم عذاب أليم في

الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يُحادون أي يُعاندون ويُعادون الله تعالى والرسول ﷺ وينكرون شريعة الإسلام: كان جزاؤهم أن كُبتوا أي أهلكوا ولعنوا وباؤوا بالخزي والمذلة ونالهم من العذاب مثل ما نال الذين كفروا يوم غزوة الخندق..

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ أنزل الله تعالى آيات بيّنات على الرسول ﷺ دالّة على صدق الرسول ﷺ وصحّة ما جاء به، ومن يكفر بها سيعذّب يوم القيامة عذاب الخزي والإهانة..

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾

أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن قتادة، أن صفوان بن محرز قال: «كنت آخذا بيد ابن عمر رضي الله عنهما، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ فأجابه: إن الله تعالى يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرّره بذنوبه ويقول له: أتعرف الذنب كذا؟..أتعرف الذنب كذا؟.. أتعرف الذنب كذا؟.. حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنّه قد هلك، قال تعالى: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يُعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: إنّ هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظالمين»... سبحان الله الذي يُحيط علمه بكل شيء وهو السميع البصير..

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ إن الله تعالى مطّلِع على أخبار خلقه لا يغيب عنه من أسرارهم شيء.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ النجوى: ناجى أحد غيره أي أخبره بسرّه. قال ابن عاشور: «والمعنى كلّما أسرّ ثلاثة من الناس يكون الله مطّلعا على أسرارهم كرابع لهم، ولا خمسة إلا هو كسادس لهم، ولا أدنى ولا أكثر إلا هو كواحد منهم»

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ أي فيُخبرهم يوم الحساب بما صنعوا من خيرأو شرّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ إن الله تعالى يسع علمه كل شيء. قال تعالى في سورة غافر ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وقتادة: «نزلت في قوم من اليهود والمنافقين نهاهم الله تعالى عن التناجي بحضرة الرسول ﷺ والمؤمنين، فلم ينتهوا» فكانت عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها عصيانا للنبي ﷺ ومشاقّة للمسلمين إنّهم يصرّون على معصية الرسول ﷺ ويتواصون بها قال: «إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد إلاّ بإذنه فإن ذلك يُحزنه» وبناء على هذا، فإن التناجي مَنهيّ عنه بين اثنين إذا كان ثالثهم معهم فإن ذلك يُغيضه ويُغضبه...

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يستنكف المنافقون أن يحيّوك بما حيّاك به الله تعالى ويريدون أن يحيّوك بغير كلمة السلام التي حيّى الله تعالى بها الرسول ﷺ حين قال في سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾.

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ يقول اليهود والمنافقون بعضهم لبعض: لو كان محمد نبيئا لعذّبنا الله بما نقول في شأنه!

﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يكفيهم حرّ جهنم والخلود في حرّ الجحيم.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ تعس المرجع السيئ الذّميم!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هذا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم وفي قلوبهم الإثم.. قال الشيخ ابن عاشور: «ويجوز أن يكون هذا الخطاب للمؤمنين الخلّص» والمعنى: إذا تناجيتم، فلا تتشبّهوا بأولائك المنافقين وفي هذه الآية تحذير من التناجي بالسوء والإثم.

﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ وهذا الأمر مستعمل في إباحة التناجي إذا كانت الغاية منه البرّ والإحسان في كنف تقوى الله تعالى وإذا كان لا يُؤذي أحد الحاضرين.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾ واخشوا الله تعالى الذي إليه مرجعكم وإليه

المصير.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهذه الآية سَلْية للمؤمنين وأمر لهم بالصّبر على أذى المنافقين وتأكيد لهم بأن الضرّ والنفع من عند الله تعالى لتطمئن قلوب المؤمنين.

قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى أن الشيطان لا يضرّ المؤمنين بالنجوى أكثر من أنه يُحزنهم».

قال تعالى في سورة الحجر ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ المؤمنون إذا توكّلوا على الله تعالى توكّلا حقّا واستعانوا بالله على تيسير الصعوبات فإن الله يحفظهم من كيد الشيطان.

قال تعالى في سورة الطلاق ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ... ﴿٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾ تفسّحوا في المجلس بأن يفسح بعضكم عن بعض، وكان الصحابة يتضامّون ابتغاء القرب من رسول الله ﷺ حرصا على استماع كلامه. قال قتادة: «نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ذلك أن الصحابة إذا رأوا أحدهم مقبلا تمسكوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض».

﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ توسّعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا والله تعالى يوسّع عليكم في الرزق والمسكن والصدر والقبر..

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ انشزوا أي انهضوا: هذا أمر للذين آمنوا أن ينهضوا ليتّسع المقام للمقبلين على رسول الله ﷺ وأن لا يطيلوا الجلوس إلا بإذنه.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ يرفع الله تعالى، بهذا الكتاب، الذين رسخ إيمانهم في قلوبهم لأنهم يعلمون أركان الإيمان الثابتة ويعملون بما يعلمون عن دراية وصدق وإيمان ويتواصون بالحق والصبر. عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين»

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ يسع علم الله تعالى السرّ والنجوى والله بكل شيء عليم. قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين، إذا أراد أحدهم أن يخبر النبي بسرّ، أن يقدّم صدقة تطهّره وتؤهّله لمقام هذا الإخبار.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فمن عجز عن ذلك فإن الله تعالى يغفر لمن يشاء.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الإشفاق هو حصول أمر في نفس الإنسان يَكرَهُه. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان المسلمون يقدّمون بين يَدَيْ النجوى صدقة فلما نزلت آية الزكاة نُسخ هذا الأمر»

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ هذاتوسيع للمؤمنين ودفع للحرج عنهم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمر الله تعالى بطاعته وبطاعة رسوله ﷺ وبذلك يفوزالمؤمنون.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا تحذير عن التراخي والتفريط في القيام بالواجبات والله سبحانه وتعالى يعلم السرّ وأخفى..

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ هؤلاء قوم غضب الله عليهم لأنهم كانوا يجالسون النبيﷺ ويرفعون أخباره إلى اليهود: هذه الآية تصف حالة من أحوال المنافقين الذين يتقرّبون إلى اليهود بالتودّد إليهم بنيّة الإنتفاع برضاهم في حين أن اليهود أشدّ الناس عداوة لكل من يخالفهم.

وفي الآية إخبار بصفة من صفاتهم وهي الكذب فيما يقولون ويؤكدون بالأيْمان الحانثة بأن قولهم الحقّ. قال الشيخ ابن عاشور: «هذه الآية تصف حالة من أحوال المنافقين الذين يتقرّبون إلى اليهود ويتولّونهم مع أنهم يعلمون أن اليهود ليسوا على ملّتهم»

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ إن الله تعالى أعدّ للمنافقين والضالين عذابا شديدا لأنهم كانوا يكذبون ويحلفون إنهم صادقون: إنهم

كانوا يصنعون السوء لقضاء شؤونهم وبذلك يزرعون الفتنة مكرا بالمسلمين فباؤوا بغضب من الله بما اجترحوا من السيئات..

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾ الجُنّة السُّترة والوِقاية. والمعنى: إن المنافقين والكفار ثبت لديهم أن الإسلام ينتشر وأن المسلمين يدخلون في دين الله أفواجا فساءهم النصر وصاروا يخافون بأس المسلمين، فاتخذوا النفاق سبيلا لنشر الفتنة بين المسلمين، ويؤكدون صدقهم باليمين الغموس الكاذبة وإذا خلوا إلى شياطينهم دبّروا المكائد بالدعوة إلى الإنصراف عن سبيل الله.

وممّا يذكر أنه كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع الأخبار إلى اليهود وبينما كان النبي ﷺ في حجرة من بيته قال ﷺ لأصحابه: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبّار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبيل، فقال له الرسول ﷺ: لماذا تشتمونني أنا وأصحابي؟ فحلف بالله ما فعل! فقال له ﷺ: فعلتَ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه فنزلت الآية أعلاه.

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾ كان المنافقون من أهل المدينة في السنة الأولى من الهجرة قوما أثرياء وكانوا يفخرون على المسلمين بالأموال وكثرة العشائر ويزعمون أنه ستكون لهم الغلبة يوم القيامة على المسلمين، فقال شيخ القبيلة – المرشّح ليكون ملكا على المدينة قبل الهجرة– «لننتصرنّ يوم القيامة بأموالنا وأنفسنا وأولادنا، إن كانت قيامة» فنزلت هذه الآية.

والمعنى إنه لن تُنجيَهم يوم القيامة العشيرة ولا الأولاد من بأس الله وأليم عذابه.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾ يوم يبعثهم الله يوم القيامة فيحلفون لله أنهم مسلمون وإنهم كانوا على الهدى والإستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا كاذبين وأنهم يحسبون أنّهم مُصدَّقون، والله تعالى العليم الخبير بما كانوا يُخفون وما يُعلنون. قال تعالى في سورة المنافقون ﴿وَٱللَّهُ

﴿يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يحسبون أنّ لهم نفعا ينجرّ لهم بحلفهم، وينسون أن الله تعالى أنذرهم بطريق البيّنات والرّسل ليصدّوهم عن سوء ما يصنعون.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ إنهم يعلمون أن خبرهم زائف وأن الله عليم بما أسرّوا في أنفسهم: إنها هي اليمين الغموس!

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي ملكهم الشيطان فصاروا من جنده وأنصار حزبه لا يعصون له أمرا، خنس في صدورهم واستولى عليهم وزيّن لهم أعمالهم فكانوا من الخاسرين، لهم المذلّة في الدنيا بما انقادوا رعيّة لعدوّهم وعدوّ الله ولهم في الآخرة العذاب المهين، ذلك لأنهم نسوا ذكر الله ورفضوا العمل بكتابه وعميت قلوبهم فهم صمّ بكم لا يعقلون..

أخبر ابن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلاّ قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب الشاة القاصية من الغنم» وفي هذا الحديث أمر أكيد بأداء الصلاة والمحافظة عليها في مواعيدها وفي فرائضها وسننها وفي هيأتها وأدائها مع الجماعة إنها سمة من سمات المؤمنين: فهي العبادة الشاملة لذكر الله باللسان وبالقلب وبسماع تلاوة الذكر وبالحضور بالمساجد مع جماعة المؤمنين.

قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ...﴿٤٥﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ والمعنى إن الذين يعادون الله تعالى ورسوله ﷺ خفية ويتظاهرون بالمودّة والموالاة والإنتماء: إنّهم المنافقون كتب الله عليهم وقضى سبحانه بأنهم في المذلّة والخزي يتعذبون بمرارة الخيبة والندم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ حكم الله تعالى حكما لا مردّ له بأن الغلبة لله

ورسله الكرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ إن الله هو الغالب الذي لا يُغلب بالحجّة والسّيف أو بهما إذ قد وعد سبحانه بأن النصرة لله ولرسله، قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ جاء في التحرير والتنوير: «كان للمنافقين قرابة بكثير من أصحاب النبي ﷺ وكان نفاقهم لا يخفى على بعضهم فحذّر الله تعالى المؤمنين الخالصين من مُوادّة الذين يعادون الله ورسوله ﷺ»... فالمُوادّة عمل يحصل بين طرفين يتمثل في تبادل الإحسان والملاطفة بالقول وإظهار المحبّة وقد حذّر الله تعالى المؤمنين من مُوادّة المخالفين ذوي البدع الضّالة ولو كانوا من أهلهم وعشيرتهم ودعاهم إلى الإبتعاد عن معاملة أعداء الله تعالى بالحسنى إلا لاتقاء شرّهم، قال تعالى ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ...﴿٢٨﴾﴾ آل عمران.

قال الشيخ ابن عاشور«قد أخذ العلماء من هذه الآية أن أهل الإيمان الكامل لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كان من أقرب الأقربين الذين يعملون ما يؤذن بقلة الإكتراث بالدين ويستخفون بحرمة الإسلام مثل المتجاهرين بالكبائر والفواحش الساخرين من الزواجر والنواهي والمواعظ».

ومن هذا موقف أبي بكر الصديق مع أبيه– رضي الله عنهما– أن أباه، أبا قحافة، سبّ رسول ﷺ فصكّ أبو بكر أباه صكّة سقط منها، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ فعلت؟ قال: نعم فقال له: لا تعُد فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته».

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ من اتصف بأنهم لا يعادون الله ورسوله ﷺ، زيّن الله تعالى في قلوبهم الإيمان وكتب لهم السعادة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي قوّاهم الله على الطاعة بالصبر وعلى العبادة، بلطف

منه ورحمة».

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ثبتهم الله تعالى بعنايته بلطف ورحمة وهداهم إلى سبيله.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خلق الله للمؤمنين جنّات متعددة: قال تعالى في سورة الرحمان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ وقال سبحانه في سورة الرحمان ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وقال تعالى في سورة الحج ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴿١٤﴾﴾

وقال تعالى في سورة محمد ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ... ﴿١٥﴾﴾ تبارك الله والحمد لله إنها لجنات كثيرة تجري من تحتها الأنهار الكثيرة بما لذّ وطاب.

روى الحافظ المقدسي بسنده عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ذكرت عند النبي ﷺ طوبى، فقال ﷺ: يا أبا بكر، هل بلغك ما طوبى؟ قال: الله ورسوله أعلم! قال ﷺ: طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله! يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا، ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت!».

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضي الله عنهم لأنهم ثبتوا في الدنيا على دينهم وفرحوا بما أنعم الله تعالى عليهم بالفوز بالجنة وبنعمة الخلود فيها. قال تعالى في سورة الزمر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ حزب الله هم الذين زيّن الله قلوبهم بالإيمان وأيّدهم بروح منه، هم الذين هداهم الله تعالى وتواصوا بالحق والصبر، هم أنصار الله وأسرة الدين والعقيدة، هم الذين يأتمرون بأمره ويأمرون بالمعروف، هم الذين يجتنبون السيئات وينهون عنها، هم الذين كتب الله تعالى لهم الفلاح وبشّرهم بالخلود في الجنة.. فشتّان ما بين الحزبيْن حزب الله وهم المفلحون، وحزب الشيطان وهم الخاسرون.

قال تعالى في سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾

اللّهم هب لنا خاتمة الخير وقنا مصارع السوء وتجاوز عن سيئاتنا يوم التّناد واسترنا يوم الميعاد إنّك أنت الجواد الكريم الرؤوف الرحيم..

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الحَشۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
(١) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ
لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ (٢) وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلۡعِقَابِ (٤) مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٥) وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ

دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا
غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى
مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ

هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سمّيت سورة الحشر لكونها ذُكر فيها خبر حشر يهود بني النضير الذين أُخرجوا من قريتهم القريبة من المدينة المنورة لأنهم أخلفوا الوعد وخانوا العهد، وكان ذلك سنة أربع من الهجرة..

وفي هذه السورة- تعظيم لشأن المهاجرين وشأن الذين يجيئون من بعدهم من المؤمنين.

- تعظيم لشأن الأنصار أصحاب الدّيار بالمدينة الذين يحبّون من هاجر إليهم.
- الأمر بطاعة الرسول ﷺ والعمل بسنّته.
- كيفية قسمة الغنائم وبيان مقاصدها الشرعية.
- تعظيم القرآن الكريم وذكر أسماء الله الحسنى.

منازل اليهود بني النضير كانت ظاهر المدينة على أميال شرقيّها. خرج إليهم رسول الله ﷺ ليَستعين بهم على قبيلة بني عامر، الذين قتلوا صحابيَيْن مسلميْن، وذلك ليأخذ منهم ديّة المُغتالين، وكان بنو عامر متحالفين مع اليهود وبينهم عهود، فلمّا طلب منهم الرسول ﷺ المعونة قال اليهود له: نعم نُعينك على ما أحببت. وبينما كان الرسول ﷺ متكئا على جدار بيت أحدهم يستريح،

تهامز اليهود وقال أحدهم لقومه: أليس فيكم رجل يصعد على سطح الدار فيلقي على رأس محمد ﷺ صخرة فيريحنا منه؟ فقال أحدهم: أنا لذلك وصعد ليُلقي الصخرة، فأتى جبريل بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فانصرف إلى أصحابه رضي الله عنهم فأخبرهم أن اليهود أرادوا الغدر به.. ولدفع كيْدهم أمر الرسول ﷺ المسلمين أن يتهيؤوا لحرب اليهود.

تحرك جند الإسلام حتى نزلوا بحيّ اليهود فحاصروهم فتحصّن اليهود بحصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم، فأمر الرسول ﷺ بقطع بعض نخيلهم وإحراقها وشدّد عليهم الحصار ففزع اليهود واستنجدوا بحليفهم عبد الله بن سلول وأحلافه فلم يُنجدوهم،فنزل في قلوبهم الرّعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويتركهم يخرجون من ديارهم والتزموا بترك ما بها من مكاسب على أن يحمل الواحد منهم حمْل بعير: فكان الرجل منهم يجمع بعض متاعه ويخرب بيته بيده ويحمل معه بابها واتجهوا فارّين إلى أراضي الشام وتركوا غنائم هامة كانت الفيء الذي أنعم الله تعالى به على المهاجرين الأوّلين..

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «وكأن المعنى سبّحوا لله كما سبّح له ما في السماوات والأرض». وهذا تذكير للمؤمنين ليسبّحوا تسبيح شكر وحمد على ما آتاهم من نعمة الإسلام وفضّلهم على سائر المخلوقات بالفوز العظيم والفتح المبين.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ وهو الغالب ولا يُغلب، المدبّر فيما يقدّر ويشرّع.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ المراد بالكافرين من أهل الكتاب يهود بني النضير وهم قبيلة استوطنوا بلاد العرب وبنوا لأنفسهم قصورا..

﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ الحشر: جمع ناس في مكان واحد. قال الشيخ ابن عاشور: «والمراد به هنا حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها». وقد أوصى النبي ﷺ قبيل وفاته إذ قال ﷺ: «لا يبق دينان في جزيرة العرب». وقد أنفذ الوصيّة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين أجلى اليهود من جميع بلاد العرب.

﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي كان المسلمون يظنون أنه يتعذر ويصعب إخراج بني النضير من قريتهم لأنها ذات حصون

منيعة فاغترّ اليهود وظنّوا أنهم في حصون مانعة من كل بأس.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ إنّ حالهم كحال من اتخذ حذره من عدوّه وأحكم حراسته من جهاته فأتاه عدوّه من جهة لم يكن قد أقام حراسة بها.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الرعب: شدة الخوف. قال الشيخ ابن عاشور: «وقذْف الرّعب في قلوبهم هو من أحوال إتيان الله تعالى إياهم بسلاح خفيّ من حيث لم يحتسبوا» وهذا معنى قول الرسول ﷺ: «نُصرت بالرّعب».

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإخراب والتخريب، تهديم البناء. خرّب اليهود بيوتهم بأيديهم تحت تأثير الرعب وحمل كل واحد من أمتعته حمْل بعير وبعض الأخشاب والأبواب. وكان المؤمنون يخربون بقيّة تلك البيوت التي تركها بنو النضير.

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ إن إخراج اليهود بالرّعب من دون قتال عبرة لمن يتدبّر في عظيم قدرة الله تعالى: لقد سلّط الله تعالى المسلمين على من خان وغدر. فسبحان الله تعالى القدير الذي نصر رسوله ﷺ وأنصار الحق من أهل اليقين على المنافقين الضالين إنها لعبرة عجيبة بأن كان تخريبهم بيوتهم بأيديهم وأيدي عدوّهم وخروجهم من غير قتال.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الجلاء الخروج من الوطن بدون رجعة. قدّر الله تعالى عليهم الجلاء من ديارهم بلا قتال و هو أمر من حكمة الله تعالى وهي أن يرث المسلمون أرضهم وديارهم سالمة من الإتلاف وفي ذلك نعمة على المسلمين وعذاب نفساني للغادرين الخائنين العهد ولو لم يعذب الله اليهود بالجلاء لكان عذابهم بالقتل والأسر لأنهم استحقوا العذاب بما فعلوا.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ إنهم تعذّبوا في الدنيا بالقهر ولا مفرّ لهم من عذاب الآخرة بنار جهنم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ المشاقة هي المخاصمة والعداوة. فاليهود اشتدت عداوتهم للأنصار لأنهم استقبلوا المهاجرين بكل خير، وحسدوا المهاجرين على نعمة الله تعالى عليهم، واشتد حقدهم على الرسول ﷺ واستعر بهم غضبهم إلى حدّ أن عزموا على قتله فأعدوا صخرة

واختاروا مجرما منهم ليصعد على سطح دار كان الرسول ﷺ متكئا على حائطها وشجّعوه على أن يرمي بها على رأس المصطفى ﷺ فأحبط الله تعالى عملهم بايحاء من اللطيف الخبير ونجا الرسول ﷺ وانتصر الحق وانهزم اليهود. قال الله تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

حدث في حصار بني النضير أنهم قبل أن يستسلموا اعتصموا بحصونهم القوية وظنوا أنها مانعتهم من أهوال القتال فكان أن حاصر المسلمون ديارهم وظلت حوائط بساتينهم خارج قريتهم فعمد بعض المسلمين إلى قطع بعض النخيل من كرائم التمور تدعى لينة – وقيل إن ما قطع ستّ نخلات – وكان ذلك لتوسيع مكان المعسكر الإسلامي ولإلقاء الرعب في قلوب الأعداء وإذلالهم وهم يروْن مكاسبهم عرضة للإتلاف.. وكان قطع النخيل والإبقاء على الكثير– بإذن الله تعالى ورضاه – ليخزي الفاسقين وليهين الغادرين وفي ذلك عزّة للمؤمنين وفيه مذلة للخائنين وخزي للغادرين.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ الفيء: هو ما يظفر به الجيش من العدوّ بدون قتال، كشأن غزوة بني النضير: إذ كان فيها النصر بالرعب أنزله الله تعالى في قلوب اليهود الغادرين، وهذا الفيء رزق ساقه الله تعالى للمؤمنين بدون ركض على الخيل ولا امتطاء جمال. قال الشيخ ابن عاشور: «وما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ إنما هو بتسليط الله تعالى رسوله ﷺ عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم والله تعالى يسلّط رسله على من يشاء» وهذا الفيء يشمل حصونا بما فيها والواحة من النخيل والثمار، خصّ الله تعالى به رسوله ﷺ ليتصرف فيه كما يريد: فوزّعه على المهاجرين من مكة إلى المدينة لأنهم هاجروا وتركوا ما كانوا يكسبون في مكة بأيدي المشركين كما أعطى منه نصيبا للمحتاجين من الأنصار وهم ثلاثة: أبو دجانة وسهل والحارث. قال

الشيخ ابن عاشور: «وهذا التصرّف باجتهاد من رسول الله ﷺ».

رحم الله الأنصار لقد فرحوا بصنيع الرسول ﷺ فيما اختار وآثروا المهاجرين على أنفسهم برضى وطيب نفس: إنهم يحبّونهم ويؤثرونهم على أنفسهم فآووهم وأسعدوهم بكرم عظيم: فقد كان كل واحد من الأنصار أخا لمهاجر وكانت بيوت الأنصار سكنا للمهاجرين مليئة بالمكرمة والرحمة ومن ذلك الكرم ما فعله سعد ابن الربيع الأنصاري كان أخا في الإسلام للمهاجر عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنهما فعرض سعد عليه أن يقاسمه ماله وأن يتنازل له عن إحدى زوجتيه فاختار ابن عوف الكسب بيديه ودخل السوق تاجرا، فأغناه الله تعالى ورزقه زوجة أمهرها نواة من الذهب.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ خصّ الله تعالى الرسول ﷺ ببعض الفيئ ليتصرف فيه وجعل بقية الأموال تُصرف فوائدها لعامّة المسلمين لسدّ حاجاتهم الخاصة والعامة، كي لا يتداول الأغنياء الأموال بينهم للكنز والإثراء بل لينال من المال أهل الحاجة نصيبا منه. قال تعالى في سورة الأنفال ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ روى ابن كثير أنه قد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ أي لا تخالفوا أوامر الله تعالى ولا تتهاونوا وامتثلوا وبادروا وسارعوا ففي ذلك المغفرة والجزاء واتركوا ما نهاكم عنه فإنه تعالى شديد العقاب لمن عصاه وخالف أوامره.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ هذه الآية تابعة للآية قبلها تُبيّنها. قال الشيخ ابن عاشور: «فكأنه قيل: ولِذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الفقراء

منهم» اهـ. وفيها التنبيه على أن ما أفاء الله تعالى على المسلمين من أهل القرى يشمل الفقراء من المهاجرين والأنصار والذين آمنوا بعدهم من الفقراء.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الذين سكنوا المدينة قبل المهاجرين وآمنوا.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ يحبون المهاجرين ويواسونهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي ولا يجد الأنصار في أنفسهم حاجة ولا حرجا للمهاجرين فيما فضّلهم الله تعالى به عليهم.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي يُقدّم الأنصار المحتاجين من المهاجرين على حاجة أنفسهم.

روى البخاري بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجُهد فأرسل الرسول ﷺ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي ﷺ: ألا رجل يُضيّف هذه الليلة رحمه الله؟. فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله وقال لإمرأته: هذا ضيف رسول ﷺ فلا تدّخريه شيئا.. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوّميهم، وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت.. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله عز وجل من فلان وفلانة وأنزل الله تعالى﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ أي من سلم من الشحّ فقد أفلح. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش والتفحّش وإياكم والشحّ فإنه أهلك من كان قبلكم: أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا».

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم التابعون بإحسان لسلفهم الصالح الذين هداهم الله تعالى للصراط المستقيم فاهتدوا.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ التابعون بإحسان

يرجون من الله تعالى الرؤوف الرحيم أن يغفر لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان. قال الله تعالى في سورة الواقعة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ قال الشيخ ابن عاشور شملت هذه الآية كل من يُوحّد من المسلمين».

وفي البخاري : لمّا قرأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية قال:«ما بقي أحد من أهل الإسلام إلا وقد دخل في ذلك».

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدعون الله تعالى أن يطهّر قلوبهم من الحسد والبغضاء للمؤمنين السّابقين. قال ابن عاشور: «وقد دلّت هذه الآية على أن حقّا على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير وأن حقا عليهم محبة المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان». قال الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ سبحان الله تعالى إنه هو الرحمان الرحيم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم يهود وعدوا إخوانهم بالنصر وكذبوا عليهم بأن قالوا لهم:﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١﴾ هذه الآية تصف أحوال المنافقين لِبني النضير ليعلم المسلمون أن اليهود لا ينفكّ عنهم النفاق ولا يتخلّون عنه، ولئن أخرج اليهود قبيلة بعد قبيلة فإن أنصارهم خاذلوهم في جميع الأحوال.

قال الشيخ ابن عاشور: «المقصود تثبيت أصحاب رسول الله ﷺ وتأمين لهم من بأس أعدائهم».

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾ والمعنى لينهزمنّ اليهود ولا تنفعهم نصرة المنافقين منهم.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الرّهبة هي الخوف. أخبر الله تعالى المؤمنين بأن المنافقين وأحلافهم يخشون المسلمين خشية أشدّ من خشيتهم الله تعالى.

وكانت رهبتهم من المسلمين مصيبة نزلت عليهم أوْهنت عزيمتهم، وأن رهْبتهم كانت سلاح النصر للمؤمنين. قال الرسول ﷺ «نُصرت بالرّعب مسيرة شهر».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ إن المنافقين لا يفقهون لأنهم يخافون ممّا يشاهدون من هول الحرب ولكنهم لا يعلمون أن الله أحقّ أن يخشوه.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ إن اليهود والمنافقين لا يقدرون على مجابهة المسلمين جميعا إلا إذا كانوا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق ولا يتشجعون على مبارزة المسلمين خارج الحيطان لأن الله تعالى قذف في قلوبهم الرعب.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إن ما يملكون من بأس شديد، إنما هو في الصراع بينهم إذا اقتتلوا.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ تحسبهم متّحدين متضامنين.

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ إن بينهم عدوانا فلا يتآلفون إذ في قلوبهم غلّ يفرّقهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ بينهم خلافات عقائدية تمنعهم من التدبّر وإعمال العقل.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ مثلهم كمثل المشركين من أهل بدر في زمان قريب ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ فذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ والمعنى إذ قال الشيطان في الدنيا للإنسان أكفر فلما كفر الإنسان واستمرّ على كفره إلى يوم القيامة عندها يقول الشيطان يوم القيامة للإنسان: إني بريء منك فيعاقب الله تعالى الإنسان وقرينه الشيطان بالخلود في جهنمَ: وهذا مثل يؤكد أن عاقبة السوء تكون لمن لا يخشى الله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ افعلوا ما أمر الله تعالى به واتركوا ما نهاكم عنه. وفي الأثر عن ابن كثير: «لا خير في قول لا يُراد به وجه الله تعالى ولا خير في مال لا يُنفق في سبيل الله ولا خير فيمن يغلُب جهلُه حلمَه ولا خير فيمن خاف في الله لومة لائم».

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتأمّلوا

فيما ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم يوم لا ينفع مال ولا بنون: إنه يوم قريب كقُرب يوم غد من اليوم.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ التحذير من شدائد يوم الحساب رجاء حسن العاقبة والفوز بمنازل المتقين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ إن الله تعالى عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم وما تسرّون وما تعلنون لا تخفى عليه خافية. روى أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئ ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم يوم القيامة». والمعنى من سنّ سنّة وعمل بها أتباعه وقته أو بعده، يعلم بها الله تعالى يظلّ الجزاء عليها مسطورا: إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ لا تنسوا ذكر الله تعالى واعملوا لصالح أنفسكم أعمالا تنفعكم يوم معادكم.

جاء في خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم؟ فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله تعالى عزّ وجلّ فلْيفعل». إن الذين يغفلون عن ذكر الله نسوا حقّ الله تعالى عليهم فجعلهم الله ناسين حق أنفسهم فلم يَسْعوْا لها سعيا ينفعهم، فيُريهم الله تعالى يوم القيامة أهوالا جزاء بما كانوا يكسبون.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ أصحاب الجنة يتنعّمون وأصحاب النار يتعذّبون.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ والمعنى: لو أن هذا القرآن العظيم نزل على جبل فإنه يندكّ خاشعا لله خافضا له جناح الذل، والعجب من الإنسان يقرأ القرآن ولا يخشع، ويسمع القرآن ولا يتّعظ وكأن في أذنيه وقرا. والغرض من هذا المعنى توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن الكريم.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ قال الشيخ ابن عاشور:

«وهذا مثل لقسوة الذين نسوا الله ولا يتأثرون بقوارع القرآن».

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ هو: مبتدأ واسم الجلالة: خبر للمبتدإ. أخبر الله تعالى أنه لا إله غيره ولا ربّ سواه وكلّ ما يُعبد من دونه باطل وأنه يعلم ما يظهر للناس وما يغيب عنهم من كل غائب : فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ هذان وصفان مشتقان من كلمة رحِمَ ورحم مصدرها رحمة. فمن اتصف بها كان رحيما فهو رفيق بالمرحوم، دائم الإحسان إليه، يدفع عنه الضّرر ويعينه على المشاقّ. فالرحمة هي محبة ايصال الخير إلى الغير وهي صفة ممدوحة يكتمل بها خُلُق الإنسان. قال الشيخ ابن عاشور: «صفة الرحيم والرحمان صفتان تدلاّن على المبالغة في اتصاف الله تعالى بالرحمة». وقال الجمهور: وكأن الرحمان أبلغ من الرحيم.

ووَصْفه بالرحمان سبحانه وتعالى تنبيه إلى أن رحمات الله تعالى وصلت إلينا بالرّفق واليُسر كتمهيد الأرض وتيسير منافعها.

وفي تفسير أحكام القرآن للجصاص «أن الرحمان والرحيم اسمان من أسماء الله المخصوصة به لا يسمّى بهما سوى الله عزّ وجلّ».

قال رسول الله ﷺ: «جعل الله الرّحمة أجزاء عددها مائة جزء، تسعة وتسعون جزءا أمسكها الله تعالى عنده وأنزل في الأرض جزءا فبذلك يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس رجلها عن رجل ولدها خشية أن تصيبها».

روى ابن كثير: «أنه كان رسول الله ﷺ في مجلس مع أصحابه، فقال أحدهم: إننا نرحم أزواجنا وأولادنا فقال الرسول ﷺ: ما هذا أريد إنما أريد الرحمة العامة بين الناس «وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حقّ كبيرنا فليس منا». وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمان. ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء» وقال ﷺ: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقي».

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ أخبر الله تعالى أنه هو الإلاه وحده ولا ربّ غيره ولا إلاه للوجود سواه. وهو الخالق المالك له الملك وله الحمد وهو على كل

شيئ قدير.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المبارك تُقدِّسه الملائكة.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الكامل في صفاته وأفعاله.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال ابن عباس: الذي أمن خلقه من ظلمه.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ هو الذي بسط سلطانه على خلقه وهو عليهم شهيد رقيب، قال تعالى في سورة المجادلة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ هو الغالب الذي لا يُغلب.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ المُكره غيره على طاعته.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ صفة لا شريك له فيها. ومن الحديث القدسي روى مسلم سنده عن أبي هريرة رضي الله حديثا قدسيا ورد منه إن الله تعالى قال: «العزّة إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذّبته».

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ تنزّه الله تعالى عن أن يكون له شركاء.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ قال الله تعالى في سورة النحل ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المميّز ما خلقه عن بعضه بالأشكال المختلفة.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ المكوّن لصور جميع المخلوقات.

قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۝٦﴾

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما – مائة إلا واحدا – من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحبّ الوتر».

هو الله الذي لا إله إلا هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ المَلك القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمنُ العَزيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّر الخَالقُ البَارِيءُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفتَّاحُ العَليمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخافضُ الرَّافعُ المعزُّ المذل السَّميعُ البَصيرُ الحكَمُ العَدْلُ اللّطيفُ الخَبيرُ الحَليمُ العَظيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ العَلِيُّ الكَبيرُ الحفيظ المُقيتُ الحسيبُ الجَليلُ الكَريمُ الرَّقيبُ المُجيبُ الْوَاسِعُ الحكيمُ الوَدُودُ المَجيدُ البَاعِثُ الشَّهيدُ الحق الوَكيل القَوِيُّ المَتينُ الوَلِيُّ الحميدُ المُحْصِي المُبْدِئ المُعِيدُ

المُحْيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ الوَاجِدُ المَاجِدُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَالِي المُتَعَالِي البَرُّ التَّوَّابُ المنتَقِمُ العَفُوُّ الرَّؤُوف مَالِكُ المُلْكِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام المُقْسِط الجَامِعُ الغَنِيُّ المُغْنِي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الهَادِي البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُور..

قال الشيخ ابن عاشور «إن في قراءة أسماء الله الحسنى البركة والحفظ» ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ قال ابن كثير: «وهذا كقوله تعالى في سورة الإسراء ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ وفي هذا شهادة تدل على أن الله تعالى منزّه عن النّد والمثل، الغالب الذي لا يُغلب، المدبّر الحكيم في حكمه وفي شرعه.

روى الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث آيات من خواتم سورة الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ...﴾ إلى آخر السورة، وَكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتى يُمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة» قال علقمة رضى الله عنه: «إني قرأت على النبى ﷺ سورة الحشر، فلما بلغت ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢١﴾﴾ قال لي: ضع يدك على رأسك فإن جبريل لما نزل بها عليّ قال: ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السّام» والسّام هو الموت. وفي التحرير والتنوير: أن هذا الحديث أغرُّ مسلسل إلى جبريل عليه السلام.

وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخر السورة، قال «هي رُقية الصُّداع».

وفي الكشاف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال عليك بأواخر الحشر فأكثر قراءتها».

–نفعنا الله بأسرار كتابه–

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ
مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ

بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

وردت في هذه السورة أحكام شرعية وأخلاقية وسياسية لإصلاح سلوك الإنسان مع غيره من خلال نواهي وأوامر، منها:

– نهي المؤمنين عن اتخاذهم أعداءهم أولياء وأصدقاء وإخوانا لهم.

–تحذير المؤمنين من الأعداء المشركين لأنهم لو يتمكنون منهم سيسيؤون إليهم بالتجسس والخيانة والغدر.

– تنبيه المؤمنين بأن علاقات النسب والصداقة لا تنفع إذا كان الخصم عدوا.

– الترخيص للمسلمين بمعاملة الكافرين إذا لم يقاتلوهم قتال عداوة في الدين.

– وجوب التثبت في هوية المهاجرين من مكة إلى المدينة لأسباب مختلفة مع معاملتهم معاملة خاصة تعتمد الإحسان والحذر حتى لا تتكرر حادثة حاطب ابن أبي بلتعة المسلم البدري والجاسوسة المشركة الضعينة.

اللهم اكتب لنا السلامة في الضعن والإقامة.

روى البخاري بسنده: «أن مَوْلاة لابن هاشم أتت رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يتجهّز لفتح مكة، فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا!. قال أمهاجرة جئت؟ قالت: لا!. قال: فما جاء بك؟. قالت: كنتم الأهل والعشيرة وقد ذهبت الموالي–

قُتلوا يوم بدر- فاحتجت حاجة شديدة، فجاد عليّ بنو عبد المطلب فكسوني وحموني وزوّدوني، فأتاني حاطب ابن أبي بلتعة و أعطاني عشرة دنانير وكساني بُردا واستحملني كتابا إلى أهل مكة، جاء فيه :«من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أهل مكة: اعلموا أن رسول الله ﷺ يُريدكم فَخُذوا حذركم!» فخرجت الضّعينة، ونزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ عليّا وعمّارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد - رضي الله عنهم - وكانوا فرسانا، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ضعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها». فأدركوها فجحدت وحلفت، فهمّوا بالرجوع. فقال علي رضي الله عنه: «ما كذبنا وما كذب رسول الله ﷺ وسلّ سيفه وقال: أخرجي الكتاب أو ضعي رأسك» فأخرجته من عقاص شعرها» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد وفي السِّيَر باب الجاسوس.

قال الشيخ ابن عاشور: «إن هذه السورة نزلت في شأن كتاب حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين من أهل مكة، ومن أغراضها أنها اشتملت على تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء لأنهم كفروا بالدين الحق وأخرجوهم من ديارهم».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ من معاني الآية: إن الذين أخرجوكم من دياركم وأهليكم أعداء الله تعالى وأعداؤكم فلا تتقربوا إليهم بإفشاء أخبار رسول الله ﷺ تودّدا وتقرّبا، إنه من يفعل ذلك منكم فقد أخطأ الطريق المستقيم.

إن أعداء الله تعالى كفروا برسالة الحق وأخرجوكم من مكة لأنكم آمنتم بالله ربّكم ولأنكم جاهدتم بأنفسكم وأموالكم تبتغون رضا الله تعالى، فمن العجب أن تتقربوا إليهم بالمودة بقول أو بفعل وأن تُظهروا إليهم ولاءكم كيف توالون من بدت منهم العداوة والبغضاء لأنكم آمنتم بربّكم؟. والمعنى: لا يَحسن منكم اتخاذ عدوّ الله تعالى وعدوّكم أولياء ترجون منهم المودة

مع أنهم كفروا بما جاءكم من الحق وأخرجوكم لأجْل إيمانكم بالله تعالى ولأنكم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فكيف توادّون من أخرجوكم وتقدّمون لهم أسرارا تودّدا إليهم؟ إنه من يفعل ذلك منكم فقد أخطأ الطريق المستقيم ولا يخفى على الله تعالى ما يسرّون وما يعلنون.

قال ابن كثير في تفسير عدوّي وعدوّكم: «يعني الكفار الذين هم يحاربون الله تعالى ورسوله والمؤمنين» وهذا تحذير جاء مثله في كتاب الله في سورة المائدة قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ... ﴿٥١﴾﴾.

قال ابن كثير: «هذا تهديد شديد».. روى أحمد بسنده: «أن حذيفة قال: ضرب الرسول ﷺ لنا مثلا فقال: إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبّر وعداء فأظهر الله تعالى أهل الضّعف عليهم.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

إنهم إن يتمكنوا منكم يُظهروا لكم العداوة ويسلطوا عليكم أيديهم بالضرب وألسنتهم بفاحش القول وهم يتمنون أن ترتدّوا عن دينكم وبذلك تخسرون الدنيا والآخرة.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ أرحامكم: أي قرابتكم مثل الأمهات والأخوة ومن انحدر ومن اعتلى. والمعنى: إن ذوي الأرحام قد ينفعون القريب في الدنيا وينصرونه ولكنهم لا يستطيعون أن يدفعوا عنه عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ يوم القيامة يوم فصْل القريب عن القريب: فريق في الجنة وفريق في السعير. قال الله تعالى في سورة عبس ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ والله تعالى يعلم ما تخفون وما تعلنون.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ إن إبراهيم عليه السلام اقتدى به صحبه فكانوا خير من اقتدى إذ أنهم تبرؤوا معه من المشركين وأظهروا للمشركين العداوة والبغضاء وعزموا أن يقاطعوهم أمدا

حتى يؤمنوا بالله تعالى ولا يشركوا به أحدا: إبراهيم عليه السلام مثل في الإيمان بالله تعالى والغضب له. قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى قد كان لكم في ابراهيم والذين معه أسوة في حين قوْلهم لقومهم لا لذواتهم وأنفسهم».

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي لا يُقبل الإستغفار للمشركين حتى يؤمنوا بالله تعالى وحده. وإن استغفار ابراهيم لأبيه قد لا يقبله الله.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: فوّضنا أمرنا إليك ربّنا ونرجو رضاك ولا نصنع ما لا يرضيك وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ الإنابة هي التوبة إلى الله تعالى والتوبة هي ندم المذنب على ما فعل والإقلاع عن الذنب حالا والعزم على عدم الرجوع إليه.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ إليك المرجع يوم المعاد. سبحانه إنه تعالى يحيي ويميت.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال مجاهد: «معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقول الذين كفروا لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا العذاب».

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ أي: ارض عنا واستر عيوبنا عن غيرك أنت الذي لا يُغلب من احتمى بك وأنت ربّ العزّة الحكيم في أقوالك وأفعالك وشرعك.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذه الآية القصد منها زيادة الحثّ والتحريض على اتباع سيرة ابراهيم ومن معه وتحذير من العودة إلى فعل ما تمّ النهي عنه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ أي ومن يخالف ما أمر الله تعالى به أو يتركه فإن الله تعالى غنيّ عنه وهو سبحانه المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إلاه غيره.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ أمر الله تعالى المؤمنين، بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين، أن يتآلفوا مع من آمن من الكافرين- بعد النفرة - ليُصبحوا بنعمة الله تعالى إخوانا. قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

إِخْوَٰنًا...﴿١٠٣﴾. وفي الحديث «أحبب حبيبك هَوْنا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هَوْنا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

روى أحمد بسنده: «تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة فلانت عند ذلك عَريكة أبيها أبي سفيان وهو مشرك واسترخت شكيمته في العداوة – والملاحظ أن أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله ابن جحش إلى الحبشة فتنصّر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها الإسلامي ولما مات زوجها بعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه إليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها أبا سفيان فقال – معجبا بالرسول ﷺ – : «ذلك الفحل لا يُجدع أنفه».

سبحان الله تعالى القادر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة.

وردت القصة في الكشاف: إنّ أبا سفيان أسلم ليلة فتح مكة، وقد كان قبلها خصْما مشركا عنودا للمسلمين فصار عضدا بطلا مجاهدا. روى ابن كثير قال: «إن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان عاملا على بعض اليمن، فلما قُبض رسول الله ﷺ، أقبل أبو سفيان فلقي في طريقه مسلما ارتدّ عن الإسلام اسمه ذو الخمار فقاتله فكان أبو سفيان أوّل من قاتل في الرّدة وجاهد المرتدين عن الدين». وهكذا تحوّل عدوّ الإسلام، ودودا مجاهدا يقاتل أعداء الدين وارتفع مقامه بعد إسلامه، وكان ابنه معاوية كاتبا بين يدي رسول الله ﷺ ثم خليفة وكانت ابنته أم حبيبة زوجة الرسول ﷺ. فسبحان الله القدير الذي يؤلف بين القلوب المتنافرة إنه الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أجاز الله تعالى الإحسان للذين أمسكوا عن قتالكم في دينكم ولم يُسيئوا إليكم ولم يُخرجوكم من دياركم ولم يُعينوا على إخراجكم، أجاز لكم أن تُعاملوهم بالبرّ والإحسان.. أخرج الطبري عن مجاهد: «إن هؤلاء هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا».

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ لكم أن تعاملوهم بالبرّ والإحسان. روى ابن كثير بسنده عن ابن الزبير أنه: «قدمت أم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وهي مشركة – ضرّة

أم عائشة –واستصحبت هدايا لابنتها من طعام وسمن وإقط، فرفضت أسماء أن تقبل الهدية من أمها وأبَت أن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي ﷺ فأمر أسماء أن تدخل أمها بيتها وأن تقبل هديتها».

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ القسط هو العدل في الحكم. قال الزمخشري: «هذه وصية الله تعالى المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين وهذه إشارة إلى أن المسلم لا يجترئ على ظلم أخيه المسلم مطلقا».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ قال ابن كثير: «ورد في الحديث الصحيح: المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولّوا».

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ ينهى الله تعالى المؤمنين عن الإحسان والتقرّب إلى الأعداء وعن أن يتولوا الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم وغرّبوهم عن وطنهم لأنهم تمسّكوا بدين الله تعالى، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يتبرؤوا من أعداء الله وحذّرهم من أن يجعلوا منهم عليهم سلطانا، وأنه من يفعل شيئا من ذلك فهو من الظالمين. قال الشيخ ابن عاشور: «أي إن ظلمهم لشدّته ووقوعه بعد النّهي والتنبيه على الأخطاء، ظلم لا يُغتفر لأنه اعتداء على حقوق الله تعالى وحقوق المسلمين وعلى حق الظالم نفسه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ كان صلح الحديبية سنة ستّ للهجرة، انعقد بين النبي ﷺ وبين المشركين في مكة، ومن فصوله: أن كان الاتفاق على أنّ من أتى محمدا ﷺ من قريش بغير إذن وليّه يُردّ إلى موطنه. هاجر نساء كثيرات إلى المدينة وكان النبي ﷺ يمتحنهنّ في إيمانهن. جاء في التحرير: «أن زينب بنت النبي ﷺ جاءت مسلمة فلحق بها زوجها أبو العاص بعد سنتين مشركا فأسلم، فردّها النبي ﷺ إليه».

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾ في صحيح البخاري: «عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنين». عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

«كانت المتحنة تستحلف أنّها ما خرجت بُغضا لزوجها ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا لالتماس دنيا ولا عشقا لرجل ولا بجريرة جرتها، بل جاءت استجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فإذا حلفت بالله تعالى الذي لا إلاه إلا هو على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردّها». وكان النبي ﷺ يأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتولى تحليفهن فإذا تبيّن إيمان المرأة لا يردّها النبي ﷺ إلى دار الكفر تطبيقا لصريح الآية الكريمة ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «وهذه الآية أوجبت التفرقة بين المرأة المؤمنة وزوجها الكافر».

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ وأعطوا للمشركين ما دفعوه لنسائهم اللائي أسلمن وتحرّرن من عقدة الزواج بالمشركين. قال الشيخ ابن عاشور: «والمكلّف بإرجاع المهور لأزواج المشركين هم وُلاّة أمور المسلمين من أموال المسلمين العامة»

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المطلوب ممّن يُريد من المسلمين أن يتزوج امرأة مهاجرة أن يمْهرها وأن تستبرئ ثلاثة أقراء.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ نهى الله تعالى المسلمين عن تزوّج الكافرات أو البقاء معهنّ كما حرّم تزوّج المشركات. قال الشيخ ابن عاشور: «فلمّا نزلت هذه الآية طلّق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه زوجتيه المشركتين اللتين بقيتا بمكة وهما قُرَيْبة وأم كلثوم».

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ قال ابن كثير: «أي طالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللائي ذهبن إلى الكفار وللكافرين أن يطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاّت هاجرن إلى دار الإسلام».

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ هذا حكم الله تعالى يحكم به سبحانه بين خلقه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ إن الله تعالى عليم بالحكم الذي يُصلح بين عباده بحكمته العالية وهو العليم بذات الصّدور.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾

عن ابن كثير: «أن المعنى: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وللكفار أن يُطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاّتي هاجرن

إلى دار الإسلام».

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بالتقوى والوفاء بما أمر الله به وأن يكونوا منصفين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ هذا الخطاب موجّه للمؤمنات من النساء والمعلوم أنه يشمل الرجال. وفي صحيح البخاري: «عن عبادة ابن الصامت قال: كنّا عند النبي ﷺ فقال: أتبايعونني على أن لا تُشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا؟ ومن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

روى مسلم بسنده عن عائشة أن رسول ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ أي : فاقبل منهنّ ما بايعنك عليه.

وفي رواية الطبري بسند صحيح: «عن ابن عباس رضي الله عنهما وصف شامل لمظهر بيْعة عظيمة حضرها النساء والرجال بمحضر النبيﷺ. وكانت من بين الحاضرات هند زوجة أبي سفيان جالسة مع النساء متنكرة – خوفا من رسول الله ﷺ أن يقتصّ منها لأنه ثبت عليها أنها هي التي شقّت بطن حمزة رضي الله عنه وأخرجت كبده يوم غزوة أحد – نطقت هند لما سمعت الآية الكريمة ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ قالت: «وكيف نطمع أن يقبل منا شيئ لم يقبله من الرجال؟

فلمّا قال: ﴿وَلَا يَسۡرِقۡنَ﴾ قالت هند: والله إني لأصيب من مال زوجي أبي سفيان هنات فما أدري أتحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيئ فيما مضى وفيما غبُر فهو لك حلال! فتبسّم رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها فأتته، فعاذت به وقالت: فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك!

فقال ﴿وَلَا يَزۡنِينَ﴾ فقالت: أوَتزني الحرّة؟

قال ﴿وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ فقالت هند: ربّيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم

وهم أعلم، إنها تريد أن المسلمين قتلوا ابنها حنظلة ابن أبي سفيان يوم بدر- فتبسّم رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾ فقالت: إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرّشد ومكارم الأخلاق.

فقال ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيئ».

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ أي فاقبل منهنّ ما بايعنك عليه.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ اطلب الغفران لهنّ عمّا فرط منهنّ في الجاهلية مما حصل منهن مما يخالف شروط البيعة. وشروط البيعة تشمل: النهي عن الشرك بالله تعالى والسرقة وعن الفاحشة وعن قتل الأولاد وعن البهتان وعن عصيان الله تعالى ورسوله ﷺ.

والمراد بقتل الأولاد أمران: أحدهما وأد البنات الذي كان يفعله بعض أهل الجاهلية، وثانيهما الإجهاض. ومعنى البهتان هو الخبر المكذوب والافتراء هو اختلاق أخبار لم تقع. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾ هو نهي عن ادعاء الحمل المجهول أمره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر الواحدي في كتابه أسباب النزول: «إن هذه الآية نزلت في أناس من فقراء المسلمين، كانوا يعملون بالمدينة عند يهود خيبر لينتفعوا بأجر عن عملهم: نهاهم الله تعالى عن التودّد لليهود بإخبارهم عن أحوال المسلمين عن غفلة وقلّة حذر.

وفي هذه الآية نهي للمسلمين جميعا عن التقرّب لليهود والتودّد إليهم وأمرهم أن يحذروا كيدهم. قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا مثل قوله تعالى في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ...﴿٥٧﴾﴾.

إن القوم الذين غضب الله تعالى عليهم هم اليهود لأنهم في ضلال، ذلك لأنهم يفضّلون الفوز بزخارف الدنيا على رضى الله تعالى ولا يؤمنون بالآخرة ويهزؤون برسالة محمد ﷺ رغم أنها ممدوحة بالتوراة ويرفضون القول بالبشارة بهذه الرسالة ولا يؤمنون بأن هذه الرسالة جاءت لتكمّل الرسالات

السابقة وخاتمة لها.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ لا يرجون خيرا في الآخرة فأهملوا الاستعداد لها.

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ يئس المشركون لأنهم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث والنشور. قال قتادة: «إن اليهود قد يئسوا من الآخرة كما يئس المشركون أن يرجع إليهم أصحاب القبور».

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ سورة آل عمران.

-والحمد لله رب العالمين -

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا
زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
(٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ

عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

في هذه السورة: – تمجيد للجهاد في سبيل الله وأن الله تعالى شرع للإنسانية دينا بلّغه الرّسل عليهم السلام وأكمله برسالة محمد ﷺ – وفيها أخبار عن الرسول موسى عليه السلام وظلم قومه – وأخبار عن عيسى عليه السلام والحواريين المؤمنين به وأن إنجيل عيسى عليه السلام جاء مبشّرا برسالة أحمد وهو محمد ﷺ – وفي السورة دعوة للجهاد ونصرة الدين واتباع الرسول محمد ﷺ.

قال تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يسبّح لله تعالى جميع مخلوقاته وينزّهونه عن النّد والشريك والمثل.

قال الله تعالى في سورة الإسراء ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَب.

﴿ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ الذي لا يخطئ فيما يدبّر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد، يقولون وددنا لو أن الله تعالى دلّنا على أحب الأعمال إليه فنعمل بها؟ فأخبر الله تعالى أن أحب الأعمال لله إيمان به وجهاد في سبيله. فكره ذلك ناس من المؤمنين وشقّ عليهم».

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ المقت: البغض الشديد. أي إنّ قولكم ما لا تفعلون أمر ممقوت مبغوض لا تسامح فيه. وهذه الآية نزلت لتنذر المتباطئين والمخلّفين وتستنهضهم للمبادرة والطاعة قولا وعملا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ أي إن الله تعالى يحبّ الذين يبتغون رضاء الله: أي يحب الذين يقاتلون مصفوفين ثابتين منتظمين عن تدبّر ومعرفة وطاعة لا تنازع بينهم، متلاصقين متكاتفين كصفّ المصلين يبتغون فضلا من الله تعالى والخلود في الجنة.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ موسى رسول الله ﷺ أرسله إلى بني اسرائيل وكانوا يؤذونه بذكر عيوب ليست فيه واستنقصوه وعصوْا أمره وسخروا منه وكذبوه وهم يعلمون صدقه: قال الله تعالى في سورة الزخرف ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٦ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ٤٧﴾ وقد قابلهم موسى عليه السلام باللوْم والحجّة لما استمرّوا على أذاه رغم أن أكثرهم على علم بأنه أُرسل إليهم رسولا وهو أمر يستحق التعظيم والوقار.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ الزيغ: الميل عن الحق ضلالا وتضليلا. وذلك لمّا فضّلوا الباطل عن السّداد جعل الله تعالى في قلوبهم زيغا وبعدا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ إن الذين زاغوا عن الحق لا يلطف الله تعالى بهم ولا يهديهم إلى الصراط المستقيم.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ

﴿بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ لقد كانت رسالة عيسى عليه السلام تأييدا لجملة ما في التوراة وأبطلت ما زاد القوم فيها وما أنقصوا، وذكّرت بأنباء عن أنبياء سابقين وبشّرت برسول من بعده اسمه أحمد.

وفي الكشاف: «عن كعب رضي الله عنه: إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: يا رُوح الله هل بعدنا من أمّة؟ قال نعم، أمّة محمد ﷺ، إنّهم حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم بالفقه أنبياء يرضون من الله باليسير في الرزق ويرضى الله تعالى عنهم باليسر». وأحمد اسم من أسماء رسول الله ﷺ.

روى ابن كثير بسنده عن ابن جبير قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» رواه مسلم.

قال ابن كثير: «إنه جاء في كتاب السيرة، أن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ونحن نحو ثمانين من الصحابة- رضي الله عنهم- فأتينا النجاشي فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ فخطب نيابة عنا الصحابي العظيم جعفر رضي الله عنه قال: نقول كما قال الله تعالى، هو كلمة الله ورُوحه ألقاها إلى العذراء مريم البتول التي لم يمسسها بشر»، فخطب الملك في جلسائه قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشّر به عيسى بن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه لأتيْته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأعينه على وضوئه».

ومن الأخبار عن مريم قال ابن كثير: «هي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيّب في بني اسرائيل وكانت خادمة بيت المقدس».

وهي أم سيدنا عيسى عليه السلام، قال الله تعالى في سورة آل عمران

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ
ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الزخرف ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

قال الشيخ ابن عاشور: «إن ما ذكر في القرآن من تبشير عيسى عليه السلام بشأن مجيئ الرسول أحمد ﷺ وبما أوذي به موسى عليه السلام من قومه وبما أوذي به عيسى عليه السلام هو لتأييد محمد وتثبيت فؤاده وتسليته».

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ﴾

المشركون هم أظلم الناس ظلما شنيعا ظلموا الرسول ﷺ لأنهم رفضوا دعوته الحقّ وكذبوه وقالوا إنه ساحر، وظلموا أنفسهم لأنهم حرموها من السعادة وظلموا الناس لأنهم أخفوا عنهم ما بُشّر به عيسى عليه السلام من أخبار جاءت لتثبت صدق رسول الله ﷺ وأخطؤوا عندما رفضوا الدعوة للإسلام وكان عليهم أن يشكروا الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ فكان عقابهم أن حُرموا من هداية الله تعالى وظلوا في طغيانهم يعمهون.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ يزعم المشركون والكافرون من أهل الكتاب أنهم قادرون على إطفاء نور الله وهم بذلك كمن ينفخ على نور الشمس لإطفائه. وقد ضلوا ضلالا بعيدا ولم يبلغوا مرادهم بل إن الإسلام سيتم إنتشاره. وفي الحديث «والله لَيَتُمَّنَ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

إن الكافرين من المشركين والظالمين يكرهون انتشار الإسلام، دين الله

تعالى، لئلا يُغطي الأديان الأخرى وفعلا فقد تمّ وعد الله تعالى وظهر هذا الدين وملك أهله أمما كثيرة، ولما فرّط المسلمون في هذا الدين غلبت عليهم أمم. ولا سبيل لهم إلى العزّة والتمكين إلّا بالتمسّك بالدّين.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ معنى الدين هو الشريعة الإسلامية ومن معاني هذه الآية أن الله تعالى أرسل رسوله محمدا ﷺ مبشرا بالإسلام دينا وأنه انتشر انتشارا واسعا وأنه لا يستطيع أحد أن يزيله أو يعطّل سبيل انتشاره وأن الله تعالى أراد إظهار دينه على جميع الأديان وَوَعَد وَوَعْدُه الحق. قال الشيخ ابن عاشور: «وإظهار أهله على أهل الأديان بنصر أهله على الذين يشاقّونهم» وقد تمّ وعد الله تعالى فأظهر هذا الدين وملك أهله أمما كثيرة، ثم عرضت عوارض الإنصراف عن إقامة الدين على وجهه فغلبت عليهم أمم، أما الدين فلم يزل عاليا يشهد له أهل الأمم المنصفون بأنه قيّم عزيز في كتاب محفوظ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن جماعة من المؤمنين قالوا: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملناها؟ فدلّهم الله تعالى على تجارة نافعة وهي الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس للظفر بخير الدنيا وخير الآخرة». قال ابن كثير «إن فعلتم ما أمركم به الله يغفر لكم الزّلات ويدخلكم الجنات ويسكنكم المساكن الطيّبات» وبشّر الله تعالى المؤمنين بنعم كثيرة منها: فتح مكة والنصر على الأعداء الذين أخرجوهم من ديارهم وحرموهم من أموالهم ومن النعم الفوز بنصرة الدين الإسلامي على أعدائه أئمة الكفر، ومن النعم العظمى على المؤمنين أن ألّف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخوانا. قال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا. . .١٠٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ

﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ الأنصار: جمع نصير وهو النّاصر الشديد الوفي للصاحب. والحواريون إسم أطلقه القرآن على أصحاب عيسى عليه السلام. والآية الكريمة خطاب للمؤمنين: والمعنى: يا أيها الذين آمنوا أجيبوا دعوة الرسول إذا دعاكم إلى نصر دين الله تعالى كحالة قول عيسى بن مريم عليه السلام، إذ قال للحواريين: كونوا أنصارا لله فآمنت طائفة من بني إسرائيل فكانت من الفائزين وكفرت منهم طائفة فكانت من الضالين. ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ قال الزمخشري «الحواريون هم أصفياء عيسى عليه السلام وهم أوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا». أيّد الله الحواريين وأنزل عليهم صبرا حتى أظهر الله دين النصرانية وانتشر في الأرض. قال الشيخ ابن عاشور: «إن عيسى بن مريم عليه السلام لم يجاهد مَن عاندوه ولا كان الحواريون ممّن جاهدوا ولكنهم صبروا حتى أظهر الله تعالى دين النصرانية وانتشر في الأرض ثم دبّ إليه التغيير حتى جاء الإسلام فنسخه من أصله».

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

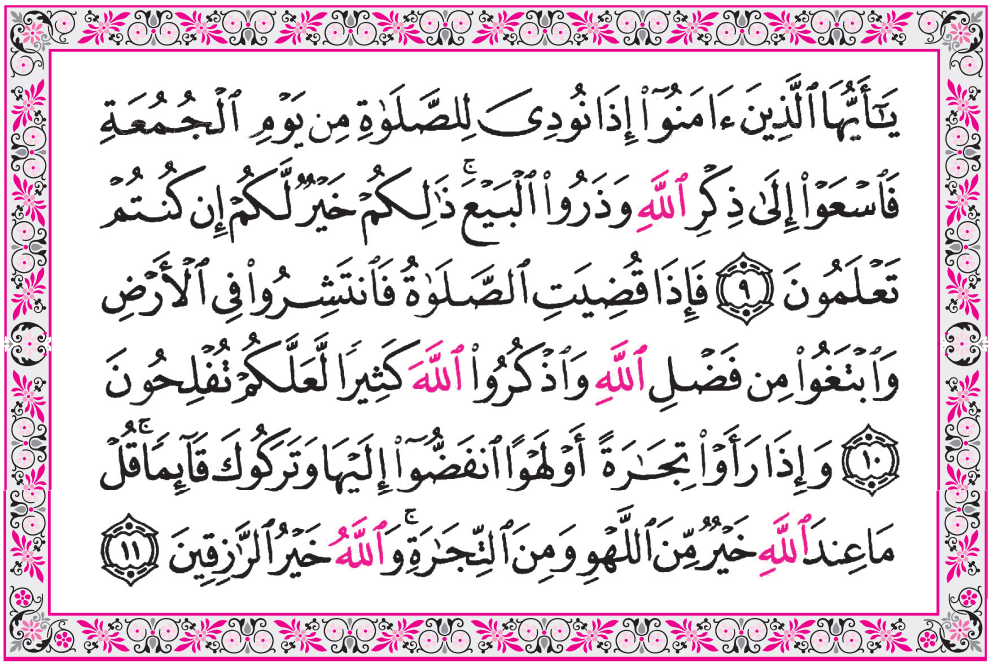
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ
فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١

قد أمر الله المؤمنين بالإجتماع لعبادته يوم الجمعة فأداؤها فرض مؤكد. وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل». كما ثبت عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم». وروى الإمام أحمد بسنده عن أوس الثقفي قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول مَن اغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها» وروى الترمذي عن أبي هريرة من حديث عن فضل الجمعة قال: «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

وروى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

قال الله تعالى في سورة الجمعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ... ۝٩﴾ يوم الجمعة يوم مجيد مفضّل: روى

أحمد بسند صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة». روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: «كنّا جلوسا عند النبي ﷺ فأنزل الله تعالى سورة الجمعة».

امتاز هذا اليوم بأن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يجتمعوا فيه لأداء صلاة الجمعة بالمساجد الجامعة اجتماعا خاصا، والسّعي إليه فرض، وذكر الله فيه واجب، واللهو فيه منهي عنه.

ذكر ابن كثير أن الإمام أحمد روى بسند صحيح عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول : من اغتسل يوم الجمعة ومسّ من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولا يؤذي أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه وصلّى، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى».

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه الله إيّاه».

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ يسبّح الله: أي ينزّه المخلوقاتُ الله تعالى عن الشريك والندّ تنزيها مستمرا متجددا والملك من له ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي وبيده الإحياء والإماتة والنشور وهو المتصرف بالحكمة في السماء والأرض وما بينهما.

القدّوس: المنزّه عن نقائص الملوك ممّا يصيبهم من الغرور ونقائص النفوس وهو الموصوف بصفات الكمال. قال ابن كثير: «الملك القدوس أي هو مالك السماوات والأرض المتصرف فيهما بالحكمة». العزيز: الذي لا يغلب وهو الغالب.

الحكيم: الحكيم فى تدبيره وتقديره.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ لقد بعث الله تعالى رسولا أمّيا هو محمد ﷺ، في قبيلة أمية لا تقرأ ولا تكتب. ذكر الجصاص في كتابه أحكام القرآن أن رسول

الله ﷺ قال: «إنما نحن أمّة أمّية لا نقرأ ولا نكتب».

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو سيدنا محمد ﷺ يعلمون نسبه وأحواله.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقرؤها عليهم مع كونه أمّيا مثلهم ما عرفوا عنه أنه قرأ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من الشرك والكفر.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ قال ابن كثير: «إن من العرب من كانوا قديما متمسّكين بصحف ابراهيم الخليل ﷺ ثم طرأ على الصحف تبديل وتغيير وكذلك حصل للكثير من الصحف المتتالية، فضلّ - مختلف أتباعها - عن سبيل دعوة الحق واختلطت عليهم السّبل وطفق علماؤهم يؤوّلون بعض ما بقي منها لتحقيق مصالح مختلفة وبلطف من الله تعالى بخلقه أن أرسل الله تعالى، بعد رسلهم، خاتم الرسل سيدنا محمدًا ﷺ بكتاب مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم: هو القرآن الكريم الموجّه إلى خلق الله أجمعين يدعوهم إلى الصراط المستقيم».

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ روى ابن كثير بسنده عن سعد بن سعيد الساعدي قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن في صلب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب».

قال الشيخ ابن عاشور: «إن هذه بشارة غيبية بأن دعوة النبي ﷺ ستبلغ أمما ليسوا من العرب وهم فارس والأرمن والأكراد والبربر والسودان والروم والترك والتتار والماغول والصين والهنود وغيرهم وهذا من معجزات القرآن الكريم من صنف الإخبار بالمغيّبات».

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ من حكمته تعالى أنه مكّن إنسانا أمّيا بأمر عظيم هو الرسالة العظمى واختاره لتبليغها من بين كافة البشر وأعانه عليها بعزّته.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ ذلك الفضل هو أن يكون محمد ﷺ رسولا لأبناء عصره وأبناء العصور الأخرى وذلك عطاء كريم.

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ فضل أعطاه الله تعالى محمدا ﷺ اختصت به أمّته.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ رسالة موسى ﷺ مرجعها التوراة، ثم إن اليهود حرفوها وأضافوا إليها ما أفسدها وأنقصوا منها ما جعلها مبتورة، الأمر الذي جعلها عاجزة عن تبليغ رسالة التوراة الأصلية – مرجع اليهودية الأولى– وذلك ما جعل العلماء يشكّون في صحة أخبارها ومدلولاتها وارتابوا في نسبة مضمونها إلى خالقها، فصارت تقرأ ولا يعمل بها فساء حالها بما فعلوا وبئس ما يفعلون. ولقد مثّل القرآن الكريم، أن الذي يحمل كتابا ولا يعمل بما فيه، مثّله بالحمار يحمل أسفارا ولا حظّ له ممّا على ظهره إلا مشقة الحمل، لقد ساء حال اليهود بما فعلوا بالتوراة وباؤوا بغضب من الله تعالى بما كذبوا بآيات الله تعالى وتفرقوا قِددا، وذلك ظلم عظيم باؤوا به بغضب من الله تعالى وحرمانهم من الهداية.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كلمة هاد يهود أي تاب ورجع إلى الحق وكان اليهود يقولون إنهم أولياء الله وأحباؤه فضّلهم الله على الخلق.

جاء في التنوير: «إن اليهود الموجودين زمن نزول القرآن تطاولوا على كتاب التوراة الأصلي بجهل منهم وتجرؤوا على محو الكثير فيه فأدخلوا فيه ما جعله كتابا مخلوطا بأخطاء وضلالات وتركوا العمل بما فيه: إنهم ضلّوا عن الحق فأزا غ الله تعالى قلوبهم عن الهدى فامتلأت شكا وحيرة» وصف حالهم القرآن فقال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ قال ابن كثير: «إنهم، على ما هم عليه من الضلالة، زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس فكذبهم القرآن».

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ أي تمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم إلى الدار الآخرة. وفي صحيح الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ ولن يتجاسروا أن يتمنوه خيفة أن يصيبهم ما يكرهون يوم الحساب. قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى إن كنتم صادقين

في زعمكم أنكم أولياء الله فتمنوا الموت ولكنهم لا يتمنونه أبدا لأنهم يعلمون أنهم ضالون مغضوب عليهم».

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ والله يعلم ما يصنعه الظالمون وهو بكل شيئ عليم.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ لا فرار من الموت، قال تعالى في سورة النساء ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ...﴿٧٨﴾﴾ والمعنى: إنه لا مناص من البعث والحشر والحساب ليجزي الله تعالى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هذه آية فرضت صلاة الجمعة على كل مسلم بدلا عن صلاة الظهر بخطبة بعدها صلاة بركعتين. وسمّي يوم الجمعة لأنه زمن يجتمع فيه الناس وتقام فيه الصلاة الجامعة وفيه يتلى القرآن الكريم في الخطبة والصلاة. والنداء هو الآذان. والسعي هو السير بحرص لإدراك الوقت الباكر.

والذكر هو القرآن الكريم بما يشمله من دعوة إلى التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر والعمل بما دعت له الرسالة المحمدية. وفي الحديث: «إذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ البيع والشراء وقت صلاة الجمعة منهيّ عنه لأنه يشغل الناس عن أداء الصلاة. وكل ما يمنع عن آدائها منهي عنه.

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾ ذلكم إشارة إلى أن السعي إلى ذكر الله تعالى يوم الجمعة واجب موقوت مفضّل، فيه خير عظيم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في هذه الآية تنبيه للمصلين بأنه إذا قضيت الصلاة، لهم متسع من النهار يقضون بها أسباب العيش على أن لا يأخذ ذلك من وقت الصلاة.

﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ ولكم بعد تمام الصلاة أن تكتسبوا من المال الحلال رزقا لكم ولا تشغلنّكم الدنيا عن الذي ينفعكم يوم الحساب.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ أي لا تنسوا ذكر الله تعالى أثناء بيعكم

وشرائكم ولا يغرّنُكم الاهتمام بالكسب فإن السعي إلى مرضاة الله تعالى خير ممّا تكسبون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ جاء في الصحيحين عن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ يخطب قائما يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فخرج من الحاضرين حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية».

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يعظ الناس بأن ما عند الله تعالى من الثواب على حضور الجمعة خير من ربح التجارة ولذة اللهو.

قال الزمخشري: «المراد باللّهو الطبل والتصفيق». روى ابن حبان:«كان البعض من أهل المدينة إذا قدمت العير محمّلة ببضائع من الشام استقبلوها بالطبل والتصفيق».

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ الله يرزق خير الدنيا وخير الآخرة ولا يقدرعلى ذلك إلا هو سبحانه وتعالى. وفي الكشاف عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين».

– ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة –

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ

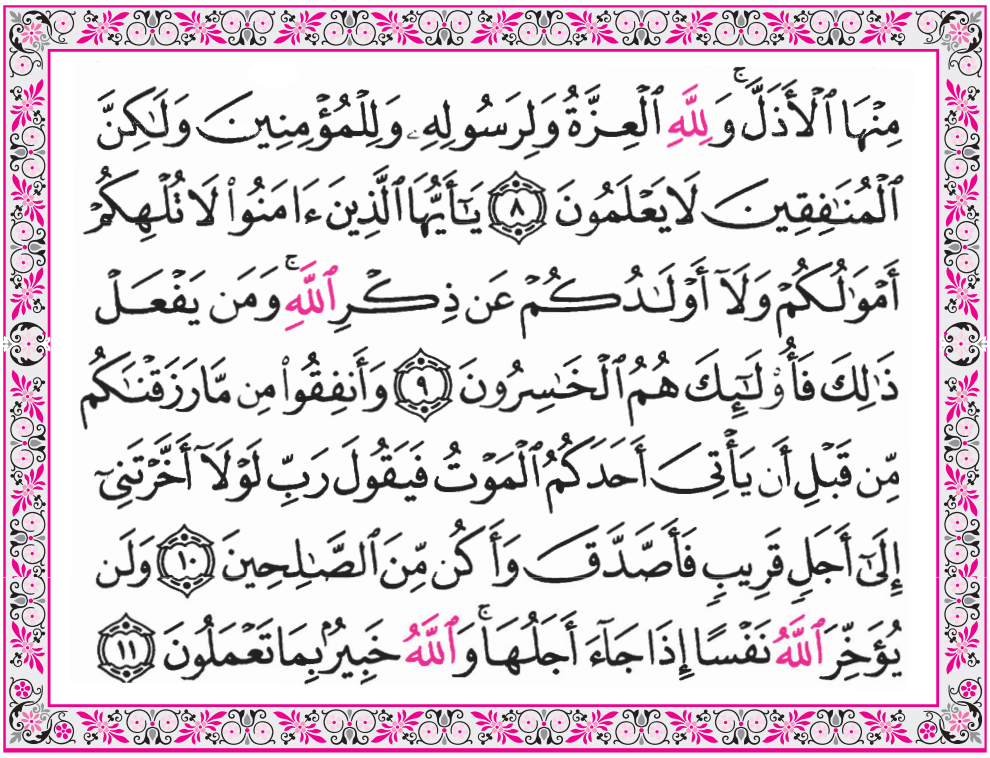
مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ
أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

نزلت سورة «المنافقون» بالمدينة، استعرضت الكثير من مكائد المنافقين وطرائق مكرهم:إنّهم كذبوا الرسول ﷺ وأخلفوا الوعد ونقضوا العهد، وأبدوا اضطرابا في نواياهم، وزرعوا الشّك والريبة بين الناس، وأعرضوا عن اتباع الحق، وصدّوا الناس عن سبيل الله تعالى.

حركة المنافقين بالمدينة بدأت منذ شروع المسلمين في الهجرة أفرادا وجماعات، واشتدت إبّان هجرة الرسول ﷺ واستمرت إلى قرب وفاته ﷺ. إنّهم فئة من الناس فيهم نزعة إلى الشرك بالله تعالى تمكّنت من قلوب مليئة بالحقد على المسلمين الذين وردوا على المدينة مهاجرين، هي حركة زادت المؤمنين من الأنصار والمهاجرين إيمانا بضرورة الوحدة والتضامن بينهم فكانوا أشدّاء على الكفار رحماء بينهم.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ في هذه الآية، إعلام النبي ﷺ بأن المنافقين يشهدون أن

محمدا ﷺ رسول ولكنه قول يخالف ما يعتقدون.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ والله يؤكد لك يا محمد بأنك رسوله.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ والله تعالى يؤكد إنهم كاذبون لأنهم يقولون بألسنتهم قولا وهُم يعتقدون خلافه.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ الجُّنة: لباس من حديد يتقي به الجندي طعنة السيف: استعملوا ظاهر إيمانهم غطاء يخفون به سوء ضلالهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى واستخفّوا بعظمته سبحانه، وبئس ما صنعوا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ منهم من آمن لمّا سمع آيات القرآن ثم نكص على أعقابه واختاروا الضلالة على الهدى فعميت أبصارهم عن الأخذ بأسباب الهداية وكأنما وضعت على قلوبهم أقفالها. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان».

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾ والمعنى: إنهم لا يفقهون، فلا يغرنّك حسن صورهم، فإنها أجسام خالية من الكمال الإنساني وحسن السريرة، كقول حسان بن ثابت شاعر الإسلام :

لا بأس بالقوم من طول ومن غِلظ * * * جُسُم البغال وأحلام العصافير

ومعنى أجسامهم: جمع جسم هو ما له طول وعرض وعمق. والخشب: جمع خشبة وهو جزء من شجرة غليظ طويل قوي. مسنّد: متكئ على حائط غير منتفع به.

والمعنى: أن المنافقين أجسام خالية من النفع إذا رأيتهم حسبتهم أصحاب عقل وإذا اختبرتهم وجدتهم على خلاف ذلك، فلا تحفل بهم.

وفي التنوير: «إن الآية تنبيه لعامة الناس الذين يغرّهم جمال أجسام المنافقين».

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي إنهم أهل جُبن في صورة شجعان.

﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ﴾ إنهم أعداء للمسلمين. إن أعدى الأعداء المتظاهر بالأخوة

وفي صدره الغضب الغليظ:

فلا تغررك ألسنة رطاب *** بطائنهن أكباد صوادي

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ ومن معاني الآية: التعجّب من سوء حال المنافقين، وفيها دعاء عليهم بالهلاك حيث إنه لا نفع لهم ولا للناس في بقائهم. ومعنى يؤفكون أي يبعدون.

والمعنى: كيف انصرفوا عن سبيل الهدى وأدلّته واضحة، وأنّى لهم أن يهتدوا وقلوبهم غلف؟

وفي كتب السيرة قصتان تؤكدان تأثير القرآن تأثيرا بالغا على من يستمع إليه ويتدبّر: جاء في سيرة ابن هشام ما مختصره: أن عمر ابن الخطاب خرج متوشّحا سيفه يريد السوء لرسول الله ﷺ وصحبه رضوان الله عنهم، الذين كانوا مجتمعين في بيت عند الصفا والمروة وعددهم قريب من الأربعين بين رجال ونساء، وصادف أن لقيه في طريقه أحد أقرانه – نعيم بن عبد الله– فسأله عن وجهته فأخبره بغرضه فحذّره نعيم من بني عبد مناف وأشار عليه بالرجوع إلى بعض أهله الذي أسلم خفية، وهما أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها وتركا دين الجاهلية، فلما اقترب عمر من منزلهما سمع خبّابا يتلو القرآن ففتح الباب غاضبا وبطش بزوج أخته وضرب فاطمة فشجّ وجهها وافتك الصحيفة وتأمل فيها وقرأ منها آيات من سورة طه، فرقّ قلبه وقال : «ما أحسن هذا الكلام وما أكرمه».

واهتدى بفضل الله تعالى، فذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه فكبّر النبي ﷺ وأدرك صحبه أن عمر أسلم فكبروا جميعا وحمدوا الله تعالى أن أسلم عمر رضي الله عنه إذ في ذلك خير للإسلام والمسلمين.

والقصة الثانية التي تفيد أن القرآن له تأثير بليغ عميق على كل من يقرؤه متدبرا أو يستمع إليه متأملا: عن سيرة ابن هشام ما ملخصه أن الوليد بن المغيرة جاهلي له مال ممدود وبنون شهود لا يفارقونه تعظيما له، وهو عظيم عند قومه: إذا قدم وقفوا وإذا تكلم سكتوا.هذا الرجل سمع شيئا من القرآن الكريم فرقّ له قلبه فغضب قومه وقالوا: «إن الوليد أثر عليه القرآن فمال إليه»

وأدركوا أن في ذلك خسرانا عظيما لهم، فبعثوا إليه كبير المشركين أبا جهل وسألَه: «ماذا تقول في القرآن؟» فأجابه الوليد: «إن القرآن له حلاوة وإنه ليعلو ولا يُعلى» فاشتد الغضب في قومه وهاجوا ثم بعثوا إليه أبا جهل يهدّده قائلا: «والله لا يرضى عليك قومك حتى تقول في القرآن ما يخالف مقالك» فقال لهم: «دعوني أفكر في الأمر وأتدبّر». وجاء وصف هذا الموقف في سورة المدثر، قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾. إن القرآن الكريم أثر على الرجلين عمر ابن الخطاب وعلى الوليد ابن المغيرة وكلاهما عند قريش بطلان يهدّدان دعوة النبي ﷺ ويقفان في صف واحد عدوّيْن لله ولرسوله ﷺ.

لكن قصة عمر كانت نتيجة لبُعد نظر عمر رضي الله عنه واعتداده برأيه وثقته بنفسه وشجاعته عند اختيار الموقف الذي يعتقد أنه الحق فأقدم على الصدع به ولو خالف رأي العشيرة والناس، لا يُبالي بلومة لائم: لقد تأثر بما سمع يُتلى من سورة طه ومال إليه قلبه وخشع له حسّه فبادر مسرعا ليُخبر الرسول ﷺ بأنه أسلم فاعتزّ به الإسلام والمسلمون وانتصر به الحق على الباطل وكبّر أصحاب الرسول ﷺ رضي الله عنهم وكتب الله تعالى له بموقفه الخلود في جنة النعيم.

أما الوليد فقد تأثّر بالقرآن تأثّر عمر رضي الله عنه ولكنه اختار ارضاء قومه وانصرف عن اعتقاده الحق إلى سوء الباطل فضل ضلالا بعيدا. فتبّا له وبئس المصير مصيرالمنافقين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ كلمة تعالوا: طلب من المتكلم للمخاطب أن يحضر عند طالبه.

لوّوْا: أمالوا وجوههم إلى غير جهة المتكلم ورفضوا الإستماع إليه وأبَوا أن يستغفر لهم رسول الله ﷺ متكبرين لأنهم مصّرون على النفاق.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سواء أي مساو. والمعنى إنه يستوي عندهم استغفار النبي ﷺ لهم أو عدمه. فلا يستجيب الله لذلك الاستغفار.

﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا وعيد شديد للمنافقين المتكبرين لأنهم استخفوا بأهمية استغفار النبيﷺ فكان جزاؤهم الحرمان من نعمة الغفران واللطف بهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ يغضب الله تعالى عليهم لفسقهم فيحرمهم من الهداية والعناية. قال الشيخ ابن عاشور: «الآية تعليل لانتفاء مغفرة الله لهم».

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ هذه الآية تفيد أن القوم الفاسقين كانوا يقولون لإخوانهم- الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهرا بالإسلام -: «لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ من أهل الصّفة وغيرهم» حتى ينفضوا من حوله ويتفرقوا ويبتعدوا عن تلقي الهدي النبوي.

روى البخاري بسنده عن زيد بن أرقم قال: «قد خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله ابن أُبي المشرك: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله».

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الخزائن ومفردها الخزانة وهي الصندوق الكبير الذي يخزن فيه المال. ولما كان الإنفاق على فقراء المسلمين عملا يعين على ظهور الدين فإن الله تعالى يسّر لرسوله حصول ما ينفق منه: كزكاة المسلمين وغنائم الغزاة ومن خيرات البلاد التي يفتحها الله تعالى عليه وممّا أفاء الله عليه: فهو ينفق ولا يخشى من ذي العرش إقلالا.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ أي لا يدركون خفايا الأسرار ولا يعلمون أن ما عند الله تعالى من الرزق الأعظم والأوسع لا ينفد.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى إن كان الأعزّ يخرج الأذل فإن المؤمنين هم الفريق الأعز وعزتهم بكون الرسول ﷺ فيهم وبتأييد الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين وأوليائه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة فلا جرم أن أولياء الله تعالى هم الذين لا يقهرون، فإن كان إخراج من المدينة فإنما يخرج منها أنتم أهل النفاق».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تلهكم أموالكم عن ذكر الله والتدبر فيه والعمل به: فالأموال تشغل عند التصرف فيها بالتهالك على طلب إنمائها وجمع المكاسب للتلذذ بها. ولا تلهكم أولادكم: فالأولاد مشغلة عند القيام بما يصونهم وتسوية ما يصلح أحوالهم في الحياة وبعد الموت. وكل ذلك يشغل عن العبادة ويدفع الآباء إلى الرغبة والمنع بطرق محرمة كاليمين الغموس والإستيلاء على حق الشريك أو التعامل بالرّبا.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ ومن يشتغل بالدنيا ويترك الدين فإنه يخسر الدنيا والآخرة فما يجمعون من الدنيا فهو متاع لمن بعدهم وما فرطوا فيه من الطاعات فإنهم يحاسبون عليه.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ هذه الآية خطاب للمؤمنين ونهي لهم عن الإنشغال عن التفكير فيما أمر الله تعالى ونهى عنه، وفيها أمر بالإنفاق في سبيل الخير وفي سبيل الله تعالى ومصالح المسلمين، وفيها أمر بالمبادرة إلى ذلك قبل مجيئ الموت الذي لا يعلم أحد وقت مجيئه، وفيها أن الإشتغال بالأموال والأولاد لهْو يلهي عن ذكر الله تعالى وطاعته على الوجه المطلوب، وفيها وصية للمؤمن وتذكير بأن ينفق في أوجه الخير قبل تعذر الإنفاق وصالح الأعمال وقبل أن يأتيه الموت وذلك ليتدارك ما فرط من إقباله على طاعة الله تعالى والمسارعة بشكر الله تعالى على ما أنعم الله به عليه– وشكر المنعم واجب.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى فيسأل المؤمن ربّه سؤالا حثيثا أن يحقق تأخير موته إلى أجل يستدرك فيه ما انشغل عنه من انفاق وعمل صالح».

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ النفس هي الروح. والأجل هو المدة المعينة لحياة الإنسان، لا يؤخر عن مدّته، وفي هذا إرشاد للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ إنه تعالى عليم بما ظهر من الأعمال وما خفي منها.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

- والحمد لله رب العالمين -

سُورَةُ التَّغَابُنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى
اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سورة التغابن مدنية ومن معانيها: – تذكير الناس بأن من في السماوات ومن في الأرض يسبحون الله تعالى تسبيحا دائما متجددا – والتأكيد بأن الله

تعالى له الملك وحده ولا يحمد سواه – وأنه تعالى خالق الكون وأنه سبحانه وتعالى على كل شيئ قدير– وأنه تعالى أمر بتقوى الله وطاعته وأمر بحسن التصرف في المال بانفاقه في وجوه الخير والإحسان.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تسبيح الله تعالى هو تنزيهه عن الشريك وعن الندّ وعن النقائص مع الإيمان بأنه الحقيق بالحمد والتسبيح تسبيحا متجددا وإنه تعالى يسبّح له كل شيئ في السماوات السبع والأرض ومن فيهن.

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ الله تعالى هو صاحب الملك الحقّ المطلق، الداخل في سلطانه كل ذي ملك، وله الحمد على جميع ما يخلقه وعلى جميع ما يقدّره – والحمد يشمل الشكر– وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر».

ومن لم يشكر الله لم يحمده، وشكر الله العمل بشريعته.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ قال الطبري: «أي منكم كافر بخالقه – والحال أنه هو الذي خلَقه – ومنكم مصدّق به».

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ قال ابن كثير: «هو بصير بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلال فهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بما عملوا»

إن عمل الناس يعلم به الله تعالى من قبل أن يعملوه وبعد أن يعملوه.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ خلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات بالحق والعدل، وفي الآية إظهار لعظمة الله تعالى وعظمة ملكوته.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ خلق الله تعالى الإنسان في صورة هي أحسن صُوَر الحيوان كلّه وأبهاها: فالإنسان لا يتمنى أن تكون صورته أحسن ممّا هي عليه ولا أن يستبدلها بغيرها.

ومن حسن خلق صور الإنسان أنه خلق منتصبا غير منكبّ على وجهه. قال الله تعالى في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ مرجع الإنسان بعد الموت والحشر إلى الله تعالى، لِيرى جزاءه على أعماله في الدنيا.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ الله تعالى يعلم ما يخفيه العباد وما به يجهرون: فالعليم بما في السماوات والأرض وما في

الصّدور، حقّه على الناس أن يتقوه وأن لا يجترئ أحد على فعل ما يخالف رضاه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ هذا الخطاب تحذير للمشركين الذين رفضوا رسالة محمد ﷺ، حذّرهم الله تعالى من أن يحلّ بهم عذاب مثل الذي حلّ بأمم قبلهم رفضوا رسالات أنبيائهم مثل قوم عاد وثمود وإبراهيم عليهم السلام.

﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الوبال: هو العذاب الشديد أصابهم لسوء ما صنعوا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ ذلك الوبال والعذاب الأليم يُصيبهم لأنهم كذّبوا بالقرآن الكريم وآياته البيّنات وبالرسول ﷺ وبأنّهم تعجّبوا أن يكون الرسول بشرا من بينهم؟.

﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ أي إنهم لم يقبلوا دعوة رسله وأن الله تعالى غنيّ عن إيمانهم.

قال الله تعالى في سورة الزمر ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ... ۝٧﴾ إن الله سبحانه وتعالى حميد لمن امتثل لأمره وشكر الله تعالى وعمل بشريعته.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ زعم أي كذب: وقوْل الكاذب زعم مشكوك فيه. ليُنبؤنّ أي ليخبرن بأنهم سوف يحاسبون ويجازون على تكذيبهم ونكرانهم لخبر البعث والحساب والجزاء وليعلموا أن الأمر ليس على الله بعزيز وأنه على كل شيئ قدير.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ والمعنى: فعلى الذين يريدون الفوز يوم القيامة بالنجاة ممّا يصيب الذين كفروا: أن يستنيروا بأنوار القرآن المنزّل وأن يعملوا بهَدْيِهِ وليعلموا أن الله تعالى لا يخفى عليه شيئ ممّا يصنعون.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ﴾ يوم الجمع هو يوم القيامة يُجمع فيه الأوّلون والآخرون في صعيد واحد والتغابن هو اسم من أسماء يوم القيامة لأنه فيه أهل الجنة يغبَنون أهل النار». قال ابن حيان: «لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ويذهب بأولائك إلى النار».

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ الذي يؤمن بوحدانية الله تعالى

وبالقرآن الكريم المنزل وبالرسل وبالملائكة ويتدبّر القرآن ويطيع الله تعالى ويخشاه ويرجو رحمته ويخاف عذابه ويعمل الصالحات، يكفّر الله تعالى عنه سيئاته ويعفو عنه ولا يؤاخذه بما فعل من الأعمال الفاسدة.

﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ وعد الله المتقين بالفوز بالخلود في جنة النعيم جزاء لهم بما قدموا لأنفسهم من خير. قال الله تعالى في سورة محمد ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ...﴿١٥﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ الذين استمروا على كفرهم وتكذيبهم ولم يستجيبوا لدعوة القرآن مصيرهم الخلود في النار.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ المصيبة هي الشر والسوء. قال القرطبي: «قيل سبب نزولها، إن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب». قال ابن عاشور: «والقصد من هذا هو تعليم المسلمين الصبرعلى ما يصيبهم من مصائب الحوادث». روى ابن كثير بسند صحيح: «عجبا للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له».

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمره سبحانه وتعالى.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ أي إن الله تعالى يهدي قلوب المؤمنين للثبات عند حلول المصائب التي تحدث لكي لا يلهيهم الحزن عن تدبير شؤونهم.

قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية أمْر بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ بفعل ما أمر به الله تعالى وترك ما نهى عنه.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ إن توليتم أي إن عصيتم ولم تقبلوا دعوة الرسول ﷺ. فالرسول ﷺ واجبه البلاغ الواضح وعلى الناس

السّمع والطاعة. قال الزهري: «من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلى الناس العمل بأمر الله».

وفي الآية تحذير من عصيان الله ورسوله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ المعنى: وحّدوا الله تعالى مخلصين له. قال الشيخ ابن عاشور«من آمن بالله وحده لا إله غيره كان حقا عليه أن يطيعه وأن لا يعبأ بما تصيبه من مصائب في سبيل الله».

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ المطلوب من المؤمنين أن يتوكلوا على الله وحده ولا يتوكلون على غيره. قال تعالى في سورة الطلاق ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ...٣﴾ وقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿.. حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ العفو: ترك العقاب بعد الاستعداد له. الصفح: الإعراض عن الذنب.

والغفر: ستر الذنب وعدم إشاعته.

والمعنى: إن من الأزواج من يعادون أزواجهم ويخاصمونهم ومن الأولاد من يعادون آباءهم، فحذّر الله تعالى الأزواج والآباء من شرّ هؤلاء وسوء العقاب، وإذا بدا منهم تعمّد الاعتداء فلا تقابلوهم بأنواع الانتقام واصفحوا الصفح الجميل.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ فتنة أي بلاء ومحنة. وذلك أنّ بعض الأبناء يوقعون آباءهم في الإثم فيزلّون عن طاعة الله تعالى دفاعا عنهم أو رغبة في سترهم أو حرصا على إرضائهم.

جاء في صحيح الحِلية عن أبي نعيم: «إنه يُؤمر بالرجل يوم القيامة إلى النار فيُقال إنه أكل عيالُه حسناتِه». وجاء في التحرير: «عن عطاء ابن يسار، أن هذه الآية نزلت بالمدينة في الصحابي عوف ابن مالك كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو شكا الأبناء إلى أبيهم عواقب الغربة وأهوالها وقالوا: إلى من تتركنا وتدعنا؟ فيرقّ لهم قلبه ويعدل عن الغزو فيحُرم من الثواب وأجر الغزو

وشكا ذلك إلى النبّي ﷺ فنزلت».

وإن فتنة الأموال أشدّ فتنة: فجامع المال الذي لا يخشى عاقبة السوء قد يطفّف في الميزان ويتعامل بالرّبا ولا يصون لسانه ويأكل التراث ويغبن الناس لذلك كان المال فتنة وبلاء ومحنة.

فطوبى لمن اجتنب المعاصي وازدان بالتقوى: قال تعالى في سورة الأعلى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ والله تعالى يجازي المحسنين الذين يتجنبون أسباب الفتنة بمجاهدة أنفسهم راجين جزاء الصابرين. وفي الحديث: «إن الصبر على خلق المرأة عبادة» وفي حديث آخر في هذا المعنى عن حذيفة: «فتنة الرجل في أهله وماله تكفّرها الصلاة والصدقة».

أخرج أبو داوود عن بريدة: «أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة فجاء الحسن والحسين يتعثّران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فأخذهما ثم قرأ ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ الخطاب لجميع المؤمنين: اسمعوا ما وعظكم الله تعالى به، وأطيعوا ما تؤمرون به، وتجنبوا ما تنهون عنه، واعملوا بما شرّع الله تعالى لكم، واحذروا أن تخالفوا أمره، وتصرّفوا في الأموال بالعدل والإحسان، وقدّموا لأنفسكم ما هو خير لكم وفي ذلك الفوز والفلاح.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ الشحّ هو الحرص على حفظ الأموال وادخارها وعدم نفع الغير بها وذلك خشية من الفقر وأملاً في زيادة الغنى وهو من الخلق الذميم.

ولذلك أمر الله تعالى بالابتعاد عن الشّح وتوطيد النفس على فعل الخير والبذل والعطاء.

وفي التنوير: «قال رسول الله ﷺ لما سئل عن أفضل الصدقة؟ قال: إن أفضل الصدقة أن تصّدّق وأنت شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى».

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ القرض

هو الإنفاق الذي أمر الله تعالى به، والمنفق ابتغاء مرضاة الله تعالى كأنه أقرض الله تعالى وفي هذا تشريف للمقرضين وهو سبب لغفران الذنوب.

قال رسول الله ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار».

وجزاء الإنفاق – طاعة لله تعالى– أن يكتب الله للمنفق بالحسنة عشر حسنات إلى ما شاء الله تعالى من الزيادة وأن يثيب المقرِض أعظم الثواب وأن لا يعجّل الله تعالى له عقابا وذلك من فضل الله تعالى وهو العظيم الثواب التواب الرحيم.

– اللهم أثبنا ثواب الشاكرين –

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ عالم بالأفعال ظاهرها وباطنها .العزيز: لا يعجزه شيئ. الحكيم: الذي يتقن صنعه ويدبّر كل أمر بالحكمة يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن السيئات.

–سبحانه إنه ذو الفضل العظيم–

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

من مقاصد آيات سورة الطلاق – حكمة تشريع عدّة الطلاق – النهي عن التضييق عن المطلقات – الإشهاد على وقوع الطلاق والمراجعة – بيان مشاكل الرضاعة – الأمر بالتشاور بين الأبوين في إصلاح شأن الأولاد – من يتبع حدود الله يجعل له من أمره يسرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ الطلاق مُباح لبعض الأزواج الذين بينهما تخالف في بعض أنواع المعاشرة وصعب عليهما تذليل مشاكلها فأحلّ الله الطلاق لدفع الضرر. قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وقال «لعن الله كل مزواج مطلاق».

يقول الفقهاء إن الطلاق ثلاثة أنواع: طلاق سني وهو أن يطلقها وهو متحقق بأنها ليست حبلى وطلاق بدعي وهو أن يطلق الزوجة وهو لا يدري أهي حامل أو لا؟ وطلاق الآيسة من الحمل والصّغيرة وغير المدخول بها. والمطلقة تبقى في بيت الزوج وعليه نفقة مدّة العدّة، والعدّة مدّة تبدأ في أول طهر وتستمر ثلاثة أشهر أو ثلاثة قروء.

وعدّة التي توفي عنها زوجها تربّص أربعة أشهر وعشر.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ على مَن عزم الطلاق أن يطلقها في طهر لم يمْسسها فيه وعليها أن تكمل العدة ثلاثة أشهر لا نقص فيها.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ هذه الآية تحذير من التساهل في أحكام الطلاق والعدة.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ وهذا تحذير للرجال من إخراج الأزواج المطلقات من بيوتهن، فلكل امرأة مطلقة حق السكنى في بيت زوجها مدة العدة لأنها معتدة لحفظ عرض الرجل والنسب.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ وهذا نهي للنساء عن الخروج من بيت العدة ولو كره الرجال بقاءهن فيها. قال الشيخ ابن عاشور: «فإذا كان البيت الذي تسكنه المطلقة مكترى فعلى الرجل دفع مبلغ الكراء».

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال قتادة: «الفاحشة النشوز». ومن معاني الفاحشة: فعل السوء والمنكر الواضح والمعاصي. والمعنى: إن من يأتين

الفاحشة، يُباح إخراجهن.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أن تلك الأحكام والقوانين المذكورة في أوّل السورة ليس لأحد أن يتسامح فيها ذلك لأن الله تعالى حدّدها وهو أعلم وأحكم.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ هذا تحذير لمن يتعدى هذه الحدود وتهويل لأمر التعدّي: فإنّ فاعله يظلم نفسه ويعرضها لعواقب سيئة لأنه خالف أحكام الدين التي فيها صلاح للناس: فالذي يظلم زوجه هو ظالم لنفسه يعرّضها لعقاب الله تعالى.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ قال ابن كثير: «إن إبقاء الزوجة في منزل الزوج في مدة العدة هي فرصة للتدبّر لعلّ الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها ويتحول من الرغبة عنها إلى الرغبة فيها».

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ إذا قاربت المعتدة انقضاء العدة، فالمطلوب من الزوج أن يختار إمساك الزوجة ملتزما بحسن عشرتها أو يختار المفارقة بإحسان بدون غلظة ولا تأنيب.

﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا أمر من الله تعالى بإشهاد عدلين من المؤمنين على عقدة الزواج وكذلك عند الطلاق وأيضا عند العزم على إرجاع الزوجة.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ يا أيها المؤمنون إذا دعيتم لأداء شهادة فأقيموها لا اعوجاج فيها طاعة لله تعالى لا لأجل المشهود له ولا لأجل المشهود عليه ولا لأجل منفعة.

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الوعظ: التحذير من فعل السوء ومن عصيان الله تعالى ويكون بكلام طيب لين. والمعنى: إن في الآيات المذكورة مواعظ للمؤمنين بالله تعالى وباليوم الآخر، منها قول الله تعالى ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وعد الله تعالى المتقين الواقفين عند حدود الله تعالى المنفذين لأوامره، أن يخرجهم من الضائقات ويدفع عنهم الهمّ والكرب ويكفيهم عواقب كل شرّ ويرزقهم الله تعالى من حيث لا يدرون.

روى الإمام أحمد بسنده عن ثوبان قال: «قال رسول الله ﷺ إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يردّ القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البرّ». وروى ابن كثير بسنده عن عمر بن حصين قال: «قال رسول الله ﷺ من انقطع إلى الله تعالى كفاه اللّه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها».

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ مَن يتوكل على الله تعالى فهو يكفيه: فإن تقوى الله تعالى سبب الفرج من كل كرب فإذا أراد الله تعالى أمرا يسّر أسبابه. روى ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أنه حدث أنّه ركب خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام إني معلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف».

عن الزمخشري قال: «روي عن عوف ابن مالك أنه أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله ﷺ فقال: أسر المشركون ابني وشكا إليه الفاقة والفقر فقال رسول الله ﷺ: ما أمسى عند آل محمد إلا مدّ من طعام، فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفّل عنها العدو فاستاقها». قال الشيخ ابن عاشور: «إن تقوى الله تعالى سبب تفريج الكرب والخلاص من المضائق».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ يبلغ ما يُريد ولا يُعجزه مطلوب.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ قدرا: أي تقديرا وتوقيتا. والمعنى: إن كل شيء من الرزق والأفعال لا يكون إلا بتقديرمن الله تعالى. قال الشيخ ابن عاشور عن الراغب: «أي كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل ولا ينبت منها التفاح أو الزيتون». قال الله تعالى فى سورة المرسلات ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وقال في سورة الرعد ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ واليائسة من المحيض لكبر سنها عدّتها ثلاثة أشهر، والتي لم تحض لصغر سنها فعدّتها ثلاثة أشهر.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ إن عدة الحامل وضع حملها سواء كانت معتدة من طلاق أم كانت معتدة من وفاة.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ أمْره أي حاله. واليُسر التخفيف من الصعوبات والمشقات والمكروهات. وفي هذه الآية تحريض للأزواج على الإمتثال لما أمر الله تعالى به وبشارة بأن الله تعالى وعد المتقين بتيسير الصعوبات في الدنيا ووفرة الأجرفي الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «ذلك أمر الله إشارة إلى الأحكام المتقدمة». وتلك الأحكام وردت لتنظّم حياة المرأة التي في عدة الطلاق، وتعالج المشاكل العارضة للأسرة بما فيها من حفظ الحقوق والواجبات وحسن المعاملة، وقد تفضّل الله تعالى على من عمل بها – طاعة لله – بالفوز بتكفير السيئات والأجر العظيم.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أي أسكنوهن بعض مكان سكناكم أي عندكم.

﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ الوجد: الطاقة. أي أسكنوهن مكانا من مسكنكم تطيقونه.

قال عمر رضي الله عنه: «والمطلقة لها السكنى» وعنه أيضا «سمعت النبي ﷺ قال: لها السكنى والنفقة».

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ الإضرار بالمطلقات منهيّ عنه، وفيه أنواع: كإسكانهن بمسكن فيه ضرر وكالتقتير عليهن في النفقة أو جعلهن في حرج.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ أمر الله تعالى بالإنفاق على المرأة الحامل مدة حملها وإن طالت المدة.

﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾ إن أجْر إرضاع الولد بعد الفراق حقّ على الأب. ومن فقه الرضاع: أن المرأة إذا أرضعت ولدا فأولاد تلك المرأة وأولاد زوجها من غيرها إخوة من الرضاع لذلك الولد الذي أرضعته وبذلك يُحرم التزاوج بينهم. روى مسلم بسنده أن رسول ﷺ قال: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب».

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام».

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ المطلوب من النساء والرجال الذين وقع بينهم الطلاق أن يتشاوروا في الأجرة التي يقدمها الأب للمرضعة فلا يشحّ الأب ولا تطلب المرأة أجرة غير معتادة.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ إن تعاسرتم أي إن وقع بينكم خلاف ولم تتفقوا في أمور الرضاعة، فالأب مأمور باستئجار مرضعة لولده.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ السعة هي المال أو الرزق، والنفقة هي ما يجب على المنفق أن يقدّمه من طعام ولباس ومسكن ومتاع لسدّ حاجة المحتاج إليها.

ومقدار النفقة ليس محددا بل يختلف باختلاف أحوال الناس وعوائدهم والمتعارف عندهم فمن كان رزقه محدودا له أن ينفق بما يسمح له رزقه، أما ميسور الحال فعليه أن يوفي كما يحبّ أن يوفى إليه.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمقصود منه إقناع المنفق عليه بأن لا يطلب من المنفق أكثر من مقدرته».

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ والمعنى: من كان في عسر، رجا من الله تعالى أن يتفضل عليه باليُسر: قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ الحديد.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

شرع الله تعالى للمسلمين أحكاما كثيرة في الطلاق ورغب الله تعالى في العمل بها، وحذّر الله تعالى الناس من مخالفة أحكامه فذكّر الله المسلمين بما حصل لأقوام آخرين تعدوا حدود الله وتهاونوا بإقامة الشريعة فأصابتهم بذلك أهوال عظيمة: فكان حسابهم عسيرا وعذابهم ثقيلا. (وَكَأَيِّنْ) كلمة معناها: كم، اسم لعدد للكثرة. (مِنْ قَرْيَةٍ) أي من أهل قرية (عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه) رفضت الشريعة وعاندت أمر الله وعصت رسله وكذبتهم (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) الحساب الشديد يحاسب فيه المذنب على كل سيئة صغيرة أو كبيرة

في مناقشة صعبة عسيرة (وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) قال الشيخ ابن عاشور: «هو عذاب الاستئصال والإفناء كالغرق والخسف والرجم والقحط والحرق».

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾ ذاق معناه أحسّ. وبال: يُقال وَبَل المرعى إذا كان عشبه ضارا، والمعنى: عصى أهل القرية العاصية الظالمة فأحسّوا مرارة خسران الدنيا والآخرة.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ عجّل لهم العذاب في الدنيا وعذاب الآخرة أشد قال الشيخ ابن عاشور: «وشبّهت عاقبة القرية العاتية العاصية الكافرة بالله تعالى ورسله بخسارة التاجر في بيعه في أنهم لما عتَوا حسبوا أنهم أرْضوا أنفسهم بإعراضهم عن الرّسل وانتصروا عليهم، فما لبثوا أن صاروا بمذلة كما يخسر التاجر فى تجارته».

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أولوا الألباب هم الذين آمنوا وهَدتهم عقولهم المستقيمة بفضل الله تعالى إلى التقوى التي جنبتهم المضرّة في الدنيا والآخرة. قال ابن كثير: «أي يا ذوي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثل الذين عتوَا عن أمر ربّهم فيصيبكم ما أصابهم».

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ الذّكر هو القرآن، وهو يذكّر الكثير من الناس ذوي الغفلة. وأنزل الله تعالى القرآن العظيم على الرسول ﷺ بواسطة جبريل ليبلّغه للناس وامتاز المؤمنون بالذّكر لأنهم انتفعوا به وعملوا بما فيه.

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ قال ابن كثير: «ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم».

قال الشيخ ابن عاشور: «خصّص الله المؤمنين بالذكر لأنهم الذين انتفعوا به وعملوا بما فيه»

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝١١﴾ هذا وعد من الله تعالى بالنعيم لمن يعمل جميع الصالحات التي أمر بها الله تعالى وهو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفي هذه الآية تعظيم لرزق المؤمن الرزق الحسن بالخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ السبع سماوات منفصل بعضها عن الآخر، وقد أخبر الله تعالى في سورة نوح أنهن طباق ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥﴾، وأنه تعالى خلق الأرض مثل السماوات وفي هذا الخلق دلالة على عظمة الخالق سبحانه وأنه يجري فيها حكم الله وأمره. وعن قتادة رضي الله عنه: «في كل سماء وفي كل أرض خَلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه». قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا يدل على أن خالق أمثالها قادر على ما هو أعظم وأيضا فإن تدبير تلك المخلوقات بمثل ذلك الإتقان المشاهد في نظامها دليل على سعة علم مبدعها وإحاطته بإتقان ماهو دونها.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ وفي التحرير والتنوير: «أمْرُ الله تعالى بالتكوين أو التكليف يبلغ إلى الذين يأمرهم الله به الملائكة ليبلغوه عنه».

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ كي يعلم الناس أن الله تعالى قادر على خلق كل شيئ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ وليعلم الناس أن علم الله تعالى يحيط بكل شيء لا تخفى على الله خافية.

ومن حديث أبيْ بن كعب في فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ».

– والحمد لله رب العالمين –

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ ۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا
فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا
خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ
ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ
نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ ۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ

أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

وتسمى سورة النبي ﷺ:- وهي تعرض صورة من حياة رسول الله ﷺ في بيته بين أسرته – وفيها توجيهات للناس ليقتدوا بأسوته الحسنة ولبيان

ذلك ضرب الله أمثالا – وفيها ما يشير إلى أن الله تعالى يُعلم نبيّه ﷺ بما يخصّه من المحدثات – وفيها تعليم الأزواج حسن المعاشرة بأن لا يضايق أحدهما الآخر لأن ذلك يؤدي إلى الملل، فالكراهية فالفراق– وفيها الدعوة إلى التوبة النصوح.

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أن النبيﷺ كان شرب عسلا عند إحدى نسائه – والأصح أنها زينب، رضي الله عنها– فعلمت بذلك عائشة فتواطأت هي وحفصة على أنّ أيّهما دخل ﷺ عليها تقول له: إنّي أجد منك ريح مغافير– والمغافير صمغ شجر الغرقط له رائحة مختمرة – وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة وإنّما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس ﷺ عند زينب زمنا يشرب فيه عسلا، فدخل على حفصة، فقالت له ذلك ﷺ، فقال: بل شربت عسلا عند فلانة ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة لأنه يكره غضبها فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات... قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا أصح ما روى في سبب نزول هذه الآيات» اهـ.

﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ والشيء الذي حرّمه الرسول ﷺ على نفسه هو شراب العسل والله أحلّ شرابه. ولعلّه يحسن أن نقدّم ملخّصا من قصة أزواج الرسول ﷺ، فعن بن هشام في كتاب السيرة: «أول أزواج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تزوجها الرسول ﷺ وعمره خمس وعشرون سنة وسنها رضي الله عنها أربعون وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات ولم يتزوج غيرها وقد تجاوزت الخمسين عاما.

فلما ماتت خديجة، تزوج ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها كانت زوجة لأبي عبد شمس وهو من الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة. ثم تزوج ﷺ عائشة رضي الله عنها بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنه وكانت صغيرة ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة ولم يتزوج بكرا غيرها وبقيت معه تسع سنوات وخمسة أشهر وتوفي عنها رسول الله ﷺ.

ثم تزوج حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد الهجرة بسنتين وهي ثيب

عرضها عمر أبوها على أبي بكر وعثمان فلم يستجيبا وظلت مسكوتا عنها حتى تزوجت خيرا منهما تزوجت رسول الله ﷺ.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة وهي ثيب، تزوجها قبله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقد استشهد يوم بدر رضي الله عنه وتوفيت زينب هذه رضي الله عنها في حياته ﷺ. وتزوج أم سلمة رضي الله عنها وكانت زوجة للصحابي أبي سلمة وهو الذي جُرح مجاهدا في غزوة أحد ومات بجرحه رضي الله عنه فتزوج الرسول ﷺ أرملته وضم ﷺ إليه عيالها من الصحابي.

ثم تزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها وهي ثيب وكان زوجها زيد بن حارثة ربّاه الرسول ﷺ فلم تستقم حياتها معه فطلقها زيد وقد وردت قصتها في سورة الأحزاب.

ثم تزوج جويرية بنت الحارث كانت مملوكة أسيرة فسعت للتخلص من الأسر بالمكاتبة، ولدفع ثمن لخلاصها ذهبت للنبي ﷺ تستعين به فدفع النبي عنها ثمن المكاتبة وتزوجها برضاها رضي الله عنها بعد أن خلصها من الأسر. ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بعد الحديبية وكانت مهاجرة مسلمة في بلاد الحبشة فارتد زوجها وتنصر وتركها فخطبها الرسول ﷺ وعلم نجاشي الحبشة بذلك فأمهرها نيابة عن رسول الله ﷺ فجاءت رضي الله عنها من الحبشة إلى المدينة.

وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت زعيم بني نضير وكانت زوجة لكنانة وهو من زعماء اليهود وقعت في أسر جيش المسلمين فأنقذها ﷺ من الأسر واصطفاها لنفسه رضي الله عنها. ثم تزوج ميمونة وهي خالة خالد ابن الوليد وخالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهم تزوجت قبل رسول الله ﷺ أعرابيا اسمه ابن عبد العزّى وهي آخر من تزوج ﷺ».

هكذا نرى أن لكل زوجة من أزواجه ﷺ قصة وسببا في زواجه منها: فكان زواجا لأسباب إنسانية عالية المغزى.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ والله واسع المغفرة عظيم الرحمة وهو اللطيف بعباده العفو الغفور.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ هذه رخصة في كفارة اليمين مشروعة للمسلمين.

قال رسول الله ﷺ: «والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفّرت عن يميني وفعلت الذي هو خير!» رواه في التحرير الشيخ ابن عاشور.

وكفارة اليمين تجب على من حلف يمينا حانثا وهي إطعام عشرة مساكين أو فك رقبة مسلمة وعلى من لم يقدر أن يصوم ثلاثة أيام.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ المولى هو الناصر المدبّر الرؤوف، وهو العليم بما يصلح حال الناس وهو الحكيم يجري أحكامه فيما يشرعه للناس.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ روى ابن كثير بسنده عن عمر رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها: لا تخبري أحدا عن سرّ أخبرتك به، فأخبرت حفصة صاحبتها عائشة رضي الله عنهما» قال الشيخ ابن عاشور: «وأطلع الله نبيّه ﷺ أن حفصة أخبرت عائشة بما أسرّ إليها النبي ﷺ».

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي فلما أفشت حفصة الخبر إلى عائشة رضي الله عنهما.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلع الله تعالى نبيّه ﷺ على لسان جبريل عليه السلام. قال الزمخشري: «إن النبي ﷺ قال لحفصة: ألم أقل لك اكتمي علي!؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بعناية الله بنا!».

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أي أعلم رسول الله ﷺ حفصة ببعض الحديث الذي دار بينها و بين عائشة رضي الله عنهما. قال الزمخشري: «وكأنه تعالى قال: وقد عرفت ما صنعتما». قال الشيخ ابن عاشور: «أعرض الرسول ﷺ عن التعريف ببعض الحديث الذي تمّ إفشاؤه لكرم أخلاقه في تأديب من أفشى السر».

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ﴾ هذا يدل على أن حفصة لها ثقة في عائشة بأنها لا تفشي السر رضي الله عنهما. فسألت حفصة الرسول ﷺ فأجابها بأن الله تعالى نبأه: ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ أي كامل العلم بكل شيء.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾ التوبة: هي الندم على ما فات والعزم على عدم الرجوع إليه. صغت: أي مالت إلى الخير: يُقال أصغيت إليه أذني. والخطاب إلى عائشة وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سألت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين فعلتا ما يوجب التوبة؟ قال: هما حفصة وعائشة».

والملاحظ أن إفشاء الزوجة سرّ زوجها ذنب عظيم. وأن الذي سمع سرّ سوء ولم يؤنب فاعله فهو مذنب.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى إن تظاهرتما متناصرتين عليه فإن الله تعالى هو ناصره».

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ كلمة عسى تفيد هنا: أن تبديل نسائه لم يكن واقعا إنما هو افتراض.

روى البخاري بسنده عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا لشدة ما وجد في نفسه! قال عمر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: لا».

﴿مُسۡلِمَٰتٍ﴾ أي متصفات بالإسلام عقيدة وعملا.

﴿مُّؤۡمِنَٰتٍ﴾ مصدقات عاملات بقواعد الإسلام وشرعه

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ طائعات أحسن طاعة.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ مقلعات عن الذنب إذا حصل منهن.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ يتقربن إلى الله بالعبادة إقبالا وحبا.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ مهاجرات: والمهاجرات أفضل من غيرهن.

﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ الثيب هي المرأة التي طلقها زوجها أو مات عنها.

﴿وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾ البكر العذراء التي لم تتزوج. والمعنى:إمّا أن ينتهين عن مضايقة رسول الله ﷺ أو يبدله الله تعالى أزواجا خيرا منهن: وفي هذه الآية موعظة وتأديب لسائر النساء ولأزواجهن.

والملاحظ أنه من توقير النبي ﷺ لأزواجه احترامه لهن، واكرامهن بالصفح الجميل ومن فضائلهن أنهن أمهات المؤمنين: قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ...۝٦﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ والمعنى: احفظوا أنفسكم وأهليكم من النار بترك المعاصي وفعل الطاعات وملء قلوبكم بايمان صادق. قال الضحاك: «حق على المسلم وواجب عليه أن يعلم أهله دينهم وأن يأمرهم بترك المعاصي

وفعل الطاعات وأن يأمرهم بالصلاة والصيام وإطعام المسكين وإكرام اليتيم والإحسان إلى الجيران لعلّ الله يجمعهم في الجنة».

روى الترمذي بسنده: «أن الرسول ﷺ قال: مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ هذه النار الموقدة حطبها جثث الناس الذين حقّ عليهم العذاب وحجارة من الكبريت الشديد الحرارة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الحجارة من الكبريت وهي أشد الأشياء حرارة».

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ نوع من الملائكة هم خزنة جهنم أجرامهم غليظة وأفعالهم خشنة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله تعالى.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ والمعنى: يقومون بما أمرهم الله تعالى به ولا يتثاقلون عنه ولا يترددون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «هذا من قول الملائكة الذين على النار». اعتذر أي قدّم حُجة يريد أن ينجو بها: أي يُقال للكافرين عند دخولهم النار: لا تعتذروا، إنه لا ينفعكم الاعتذار وإنما تجزون اليوم عن أعمالكم وكفركم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ روى أحمد بسنده: «أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه». والتوبة النصوح توبة صادقة تكف التائب عما كان يفعله من الذنب بحيث يندم عما فعله من الذنوب في الماضي ويبتعد عن كل ذنب يصنعه في الحاضر ويعزم أن لا يفعل شيئا من الذنوب في المستقبل ويستغفر منه كلما ذكره. قال الله تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ... ۝١٧﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يرجو التائب من الله تعالى أن يغفر له سيئاته ويعفو عنه وأن يستره.

﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ التائب يرجو من الله تعالى أن يدخله الجنات ذات الأنهار العظيمة. قال تعالى في سورة محمد ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى

وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ... ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ يغفر الله تعالى للمؤمنين ويدخلهم الجنة مع رسول الله ﷺ وفي هذا تشريف لهم، يكرمهم الله تعالى بغفران السيئات ودخول الجنة والنجاة من النار وأنهم يختصون بنور جعله الله لهم – امتيازا– يسعى بين أيديهم يحيط بهم ويضيئ الطريق إلى الجنة!. روى ابن كثير بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «أن رجلا قال: يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال ﷺ: غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك، وأعرفهم يأتون وكتبهم بأيمانهم وبسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وبنورهم يسعى بين أيديهم!».

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ يطلبون الزيادة من النور ودوام الغفران من الله تعالى القادر على كل شيئ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قال الزمخشري: «جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين بإقامة الحجة» قال الشيخ ابن عاشور: «المنافق من لم يعلن الكفر وهو مستتر بظاهر الإيمان».

وجهادهم ليكفوا عن الكيد للمسلمين.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ والمعنى: أي عاملهم بالشدة وبدون عفو ولا تتسامح في إقامة الحدود عليهم ونبّئهم أن مرجعهم في الآخرة جهنم وبئس المصير.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

امرأة نوح خانت زوجها وقالت إنه لمجنون، وامرأة لوط دلت قومها على ضيوف زوجها وكشفت سرّه، فكان العقاب أنهما يدخلان النار مع الداخلين ولم ينفعهما أنهما زوجان لرسولين لوط ونوح عليهما السلام. وهكذا فإنه لا ينفع– يوم الحساب – لا نسب ولا مصاهرة. قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا المثل لا يخلو من تعريض يحث زوجات النبي ﷺ على طاعته».

عن مقاتل رضي الله عنه: «وكأنه يقول الله تعالى لعائشة وحفصة رضي الله عنهما: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا كمثل امرأة فرعون ومريم في الامتثال لأمر الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ».

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ ورد في التحريروالتنوير أن البخاري روى بسنده أن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون».

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ مريم ابنة عمران، أسرتها من أهل الإستقامة وهي من القانتين، أكرمها الله تعالى وقرّبها وأرسل إليها الرسول جبريل عليه السلام فصدقته وآمنت به، وخصّها الله تعالى بمعرفة شرائع الله تعالى فصدقت بالكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله ومنها صحف ابراهيم و موسى ورفع الله تعالى مقامها عليّا فكانت أم رسول الله عيسى عليه السلام. وهي وآسية امرأة فرعون، تمتازان على كثير من النساء بالصبر على المكاره والثبات على عقيدة الوحدانية لله تعالى رغم دسائس المجتمع وضغطه وتهديد الجبابرة بالعذاب والحرمان.

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»...

– والله أعلم وأحكم وله المنّة والحمد –

سُورَةُ المُلكِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ
يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨
قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢
وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٖۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ

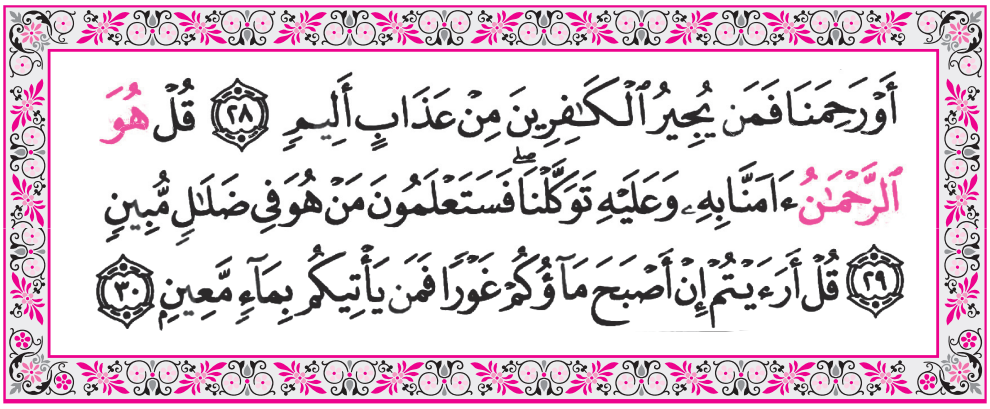
أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾

تسمى سورة تبارك وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر. هي سورة تثبت عظمة الله تعالى وقدرته على خلق كل شيئ، وتدّل على عظيم قدرته على الإحياء والإماتة، وتقيم الأدلة على وحدانيته سبحانه.

وإنها تعرّف المؤمنين بعظمة الله سبحانه وتعالى، وأن تفرده بالملك حق، وأنه منفرد بخلق العالم الأعلى خلقا بالغ الإتقان، وأنه خلق عالم الأرض في دقة نظام فيه رزق المخلوقات، وأنه لطيف بالطير في طيرانها وهو اللطيف بعباده.

وفيها توبيخ للمشركين على كفرهم بنعمة الله تعالى، وإنذار بما قد يحلّ بهم من قحط وغيره، وأنه سبحانه ينزّل الغيث ليسقي كامل خلقه بماء معين، وأنه لو غار الماء وجفّت منابعه ليس أحد قادرا على الإتيان بماء يسقي المخلوقات جميعها.

روى أحمد بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن سورة في القرآن، ذات ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك».

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ تبارك: أي تعاظمت صفات الله تعالى عن صفات المخلوقين بما اختص به من أوفر أنواع صفات الكمال. قال الشيخ ابن عاشور: «والكلمة مشتقة من البركة وهي زيادة الخير وكثرته». وهذه الآية إخبار عن عظمة الله تعالى وكماله وأن الملك له لا لغيره. وملك

الله تعالى هو الملك الحقيقي الذي يعمّ المخلوقات كلهم بلا استثناء، ويتصرف الله تعالى فيه التصرف المطلق بتدبير وحكمة تصرفا في المعدوم والموجود. قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ... ﴿٢٦﴾﴾.

وهو على كل شيء قدير: كل شيء أي كل موجود خلقه الله تعالى. وهذا إبطال لدعوى المشركين أن لهم إلاها من أصنامهم، وهم يعترفون بأن الصنم لا يقدر على خلق السماوات والأرض ولا على الإحياء والإماتة: فإلاههم إله عاجز لا يقدر على شيء !

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى أنه خلق الموت والحياة، ليكون منكم أحياء يعملون الصالحات والسيئات ثم يبعثون يوم الجزاء فيجزون على أعمالهم بما يناسبها».

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ العزيز: هو الغالب الذي لا يعجز عن شيء سبحانه وتعالى. والغفور: يغفر ويصفح ويرحم ويتجاوز عن السيئات.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ قال ابن كثير «سبع سماوات أي طبقة بعد طبقة منفصلات بينهن خلاء، دلّ على هذا المعنى حديث الإسراء». – والله سبحانه وتعالى أعلم–

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ أي أنظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيبا أو خللا أو نقصانا؟! والفطور : الشقوق والخروق.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ خاسئا: أي ذليلا صاغرا. قال ابن كثير: «والمعنى أنك لو كرّرت البصر، مهما كرّرت، يرجع إليك البصر فلا يرى عيبا ولا خللا ولا نقصا». وهو حسير أي كليل من الإعياء.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ المعنى لقد زيّن الله تعالى السماء الدنيا بكائنات سيّارة مضيئة ساطعة كالمصابيح في إنارتها وكما يضيئ السراج بالليل.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عن ابن جرير، قال قتادة: «خلق الله النجوم لثلاث هي زينة السماء الدنيا ورجوم للشياطين وعلامات يهتدى بها في البرّ والبحر»

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ السعير لهب النار.. والمعنى أعددنا للشياطين

أشد طبقات النار حرارة ..

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ والمعنى أن العذاب ليس خاصا بالشياطين بل هو لجميع الذين كفروا بالله، وبئست جهنم مصيرًا للذين كفروا.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ الشهيق: تردّد الأنفاس في الصدر لبكاء ونحوه. وتفور: النار تغلي وترتفع ألسنة لهيبها. نعوذ بالله من النار.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي تكاد أجزاء جهنم تتفرق بعضها عن بعض، لشّدة الإضطراب من شدّة الغضب. والمعنى أن جهنم لها شهيق، تغلي لهيبا وتضطرب غاضبة، أعدّت للكافرين.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ الفوج: الجماعة. أي جماعة ممّن استحقوا الخلود في جهنم. خزنتها: هم الملائكة الذين يقومون بأمورها.

النذير: أي رسول يهدّد بعقاب الله تعالى من يعصي اللّه. وهذا توبيخ للذين كفروا بربّهم وزيادة في عذابهم. وهذه الآية استفهام كان جوابه أن قالوا:

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ إنهم أكدوا أنهم قد جاءهم نذير واعترفوا بأنهم اختاروا العصيان وتكذيب الرسل، وقالوا إنهم ما نزل إليهم شيء من التنزيل. قال ابن كثير: «وهذا بيان بأن الله تعالى لا يعذب أحدا إلاّ بعد قيام الحجة عليه». قال الله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ والمعنى: ما حالكم الذي أنتم متلبسون به إلاّ لضلالكم العظيم!.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ وفي الآية اعتراف الكافرين بأنهم لا يسمعون ولا يعقلون!.

ذكر الشيخ ابن عاشور عن القرطبي، أن الترمذي أخرج حديثا، أن رجلا قال: «يا رسول الله، ما أعقل فلانا الكافر النصرانى»!! فقال النبى ﷺ: «مه! إن الكافر لا عقل له! أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾؟!».

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ معنى السحق: البُعد. إنّ أصحاب

السعير مُبعدون من رحمة الله تعالى، ذلك لأنهم صنعوا ذنوبهم واعترفوا بها واستمروا غارقين في العصيان والكفر. إنّهم لا خير فيهم لأنفسهم لأنّهم لم يتنكبوا عن العذاب، ولا لغيرهم لأنّهم كانوا مَثل سوء. إنّهم لا عقل لهم كالرضيع: يَرى الجمرة ملتهبة فلا يتجنبها ولا يخشى سوء عاقبتها. ألا بُعدا لمن كفر واستمر على كفره عنودا!!.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ إنّ الذين يخافون ربّهم فيتركون المعاصي ويفعلون الطاعات يخافون المؤاخذة بما فرط منهم من الذنوب، يخافون الله تعالى، مثلهم كمثل من جاء ذكرهم في الصحيحين البخاري ومسلم في حديث السبعة: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

إنها الخشية من الله تعالى في السرّ والعلانية، في خفية عن الأعين، إنها الإيمان بأن الله يعلم السرّ والنجوى!.

إنّ الله تعالى بشّر الذين يخشون ربّهم بالغيب بغفران الذنوب والأجر العظيم..

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ تكلموا سرّا خفية أو علانية فإن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية. جاء في التحرير والتنوير، أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال عند تفسير هذه الآية الكريمة: «إن كفار قريش كانوا يتحرّجون من أمر رسول الله ﷺ، ذلك أنّ ربّه كان يُطلعه على أقوالهم وهم في خفية منه، وكان رسول الله ﷺ يُخبرهم بأنّكم قلتم كذا وكذا! فيقول بعضهم لبعض: أسِرّوا قولكم كي لا يسمعه ربّ محمد فأنزل الله تعالى الآية»:

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ الذي خلق الصّدور وخلق الأنفس، خلق ما فيها من خواطر ونوايا: فهو أعلم بما فيها.

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «اللطيف هو

العالم بخبايا الأمور، والخبير هو العالم بها والمدبّر لها برفق وحكمة. فعَلى المؤمن أن يتقي الله تعالى من شرور ما تبطنه الصدور، فالله سبحانه وتعالى عليم بما فيها من نوايا حسنة فيجازى عليها، وما يكمن في الصدور من خبائث الذنوب فيحاسب عليها، وهو اللطيف الخبير».

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ المناكب هي الجبال. وقال مجاهد: هي أطرافها وفجاجها ونواحيها.

قال الزجاج: «معناه سهّل لكم المشي بين صخور جبالها».

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ الرّزق: كلّ ما أوْدعه الله تعالى الأرض من أسباب حياة مَنْ خَلَق. فالرّزق كلّه من خلقه وكلّه من ملكه ممّا خلق من النباتات والأعشاب والمياه والغابات والبحار وما يتبع منها. وتفضّل الله تعالى به على عباده وأجاز لهم أن يتمتعوا برزقه فترة محدودة من الزمن، وهو سائل خلقه عن شكر ما أنعم الله تعالى به عليهم، يوم النشور، يوم البعث من القبور.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ الخسف: زلزال يقلب بعض سطح الأرض إلى باطنها. ومعنى تمور الأرض: تضطرب وترتجّ. قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى توبيخ المشركين على سوء معاملتهم ربّهم، كأنهم آمنون من أن يأمر الله تعالى ملائكته بخسف الأرض بالمشركين».

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ وهذا أيضا إنكار عليهم وإنذار لهم أن يرسل عليهم حاصبا. والحاصب: ريح فيها حصباء تدمغ. وفي هذه الآية تهديد للمشركن وتهويل لما ينتظرهم من العذاب.

جاء في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنّما كان يبتسم! وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيْما أو ريحا عُرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، إنّ الناس إذا رأوا الغيْم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية!؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة، ما يؤمّنُني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذّب قوم بالرّيح، وقد رأى قوم الغيم وقالوا هذا عارض مُمْطرنا..!».

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ نكير أي إنكار. والمعنى: لقد علمتم العذاب الذي أصاب الذين كذبوا من قبلكم، فاعلموا أن غضبي وإنكاري عليهم سينالكم مثله!.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ يُصفّفن أجنحتهن في الجوّ ويضمِمْنها إلى جنوبهن، كمثل من يسبح في الماء.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي ما يمنع الطير – وهي تطير– من السقوط إلا الرحمان، ذلك بما أودع الله تعالى فيها من الخصائص في خفة عظامها وقوة حركة أجنحتها وخفة ريشها وما تمتاز به من حيوية في حركاتها. سبحان الله الخلاق:

وفي كل شيء له آية * * * تدل على أنه الواحد

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ أي إنّه يعلم كيف يخلق وكيف يدبّر العجائب المعجزات.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ السؤال مستعمل للتعجيز. والمعنى: هل لكم جند ينصركم إذا احتجتم إلى النُّصرة على العدو من دون الله العزيز؟.

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي إن ذلك حال الكافرين: هُم في غفلة، عن توقع بأس الله تعالى وقدرته، وفي جحود وغرور، والحق إنه لا ناصر لهم غير الله تعالى.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ معنى الرزق: كل شيء ينتفع به الناس كالمطر. والمعنى: من هذا الذي تعبدونه القادر على أن يرزقكم إن أمسك عنكم الرحمان رزقه؟ ومن هذا الذي، إذا قطع الله تعالى عنكم رزقه، يرزقكم من بعده؟ تبّا للذي يعلم ذلك بعد قيام الحجة عليه ثم يظل يعبد الإنس والجن والأصنام!!. قال تعالى في سورة قَ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ... ﴿١١﴾﴾.

﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ معنى لجّ: يخاصم وينازع بشدة. والعتوّ: التكبّر. والنفور: الهروب من الحق. والمعنى: لم تنفعهم الزواجر والحجج وتمادوا في عناد فظلوا يعبدون الأصنام وهم يعتقدون أن الأصنام تنفع وتضرّ!.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال الزمخشري: «يمشي مكبّا على وجهه كمن يمشي متعثرا في مكان غير مستو، فيه انخفاض وارتفاع، فيتعثر فيخرّ على وجهه منكبا، فهو كالأعمى لا يهتدي إلى الطريق المستقيم».

قال قتادة: «هو الكافر أكبّ على معاصي الله تعالى فحشره يوم القيامة على وجهه من كبّة إلى أخرى». أما من يمشي سويا على صراط مستقيم، فهو المؤمن الذي يهتدي بهدي القرآن والسنة، يمشي مستقيما عالي الرأس آمنا برب واحد واثقا بهديه إلى الصراط المستقيم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ السمع والبصر والأفئدة، معجزات عظيمة: هي وسائل المعرفة وهي سرّ الله العجيب، جعلت الإنسان المخلوق المفكر المدبر ـ وبإرادة الله تعالى ـ يسمع ما شاء الله تعالى ويبصر ما شاء الله تعالى، وأجلّها نعمة الفكر والإدراك.

ومن أجل هذه النّعم، كان على الإنسان شكر المنعم واجبا. والشكر هو أن يعترف العبد بوحدانية الله تعالى وفضله وأن يعمل بشريعة الخالق سرّا وعلانية.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ والمعنى هو الذي أنشأكم وكثّركم في الأرض. وإليه تحشرون أي تموتون ثم تُبعثون ثم تُحشرون.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الوعد هو يوم الجزاء: يوم تُجزى كل نفس بما كسبت. يسأل المشركون عن وقت الجزاء تهكّما، ومن عادتهم أن يستهزئوا بذلك ولا يصدّقوا!.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ قل: إن وقت هذا الوعد لا يعلمه إلا الله سبحانه! أما وظيفة النبي ﷺ فهي التبليغ والبيان لما أمره الله تعالى بتبليغه..

روى مسلم بسنده: «أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الساعة؟ فقال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل!».

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الزّلفة: القرب. ومعنى سيئت الوجوه:

صارت سيئة المنظر عليها سواد كالدخان. والمعنى : لما رأى الذين كفروا الوعيد بالبعث يتحقّق، ساءت وجوههم وكلحت كوجه من يُقاد إلى العذاب.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي تستعجلون. أي و قيل لهم: «هذا الوعد الذي كنتم تدعون الله أن يصيبكم به تهكّما وعنادا!».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ يتمنّون أن يموت النبي ﷺ ومن معه من أصحابه رضي الله عنهم، وكانوا يتآمرون على قتله، فأمره الله تعالى أن يقول لهم: «سواء توفّانا الله تعالى أو أحيانا، فإنه لا خلاص لكم من عذاب الله تعالى الواقع بكم!».

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ قل يا محمد: هو الله الذي وَصْفه الرحمان وسعت رحمته كل شيئ، آمنّا به ربّا رحيما وهو أرحم الراحمين، ولم نكفر به كما كفر المشركون، ونتوكّل عليه وحده ولا نتوكّل على غيره مثلما يتوكّل الكافرون على الأصنام والأموال وكثرة الرّجال.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابن كثير: «أي مِنّا ومنكم و لِمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ غارت البئر: إذا ذهب ماؤها ونزح ولم تنله الدِّلاء.

والمَعين: الماء الظاهر على وجه الأرض، كماء العيون. والمعنى: لا يأتيكم أحد بماء معين غير الله سبحانه.

قال الشيخ ابن عاشور: «إن مكة قليلة المياه ولم تكن بها عيون ولا آبار قبل زمزم».اهـ.

وأعظم معين مبارك زمزم وهو اسم بئر مباركة فجّرها الله تعالى، عندما جعل الرّضيع إسماعيل الرسول ابن إبراهيم عليهما السلام، يدكّ الأرض برجليه اضطرابا من آلام العطش، وحينما كانت أمّه هاجر تستغيث وتدعو الله تعالى أن يجعل لها من أمرها فرجا ومخرجا فتقبّل الله الدعاء، سبحانه إنه من يجيب المضطر إذا دعاه، وأغاثها هي وابنها برحمته الواسعة، ففرحت الأم ونجا الرضيع ودبّت الحياة في واد غير ذي زرع. ولمحت قافلة من الناس

الطير تحوم حول المكان، فظنوا أن في هذا المكان ماء، وقد عجبوا من ذلك، وعند وصولهم اكتشفوا زمزم ماء مباركا، والتف الناس حوله وتكوّن حيّ جديد بفضل الله تعالى.

وهكذا جعل الله تعالى من الماء كل شيء حيّ. ثم حفر القوم حولها آبارا جديدة في عهد الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ.

وقال الشيخ ابن عاشور: «وهذه الآبار هو الماء الذي جاء ذكره في هذه الآية الكريمة».

وحذّر الله تعالى القوم بأنه قد يصبح ماؤهم غورا إذا ظلّوا على كفرهم، ليعلموا بأنه لا يأتيهم أحد بماء ـ غير الله سبحانه وتعالى.

سبحان الله، إن سورة الملك سورة عظيمة، سورة تصوّر عظمة الخالق جلّ وعلا وعجز المخلوق الفقير إليه، إنه خالق الموجود كله، وأنه قادر مقدرة مطلقة، وهو المهيمن على كل شيء، وهو القدير على ابتلاء المخلوقات بالموت والحياة، وأن صنع الله في منتهى الكمال والجمال وأنه هو العليم بالسرّ والنجوى وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين...

روى الترمذي بسنده قال إن رسول الله ﷺ قال: «سورة الملك هي المانعة وهي المنجية تنجي من عذاب القبر بإذن الله».

– سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم–

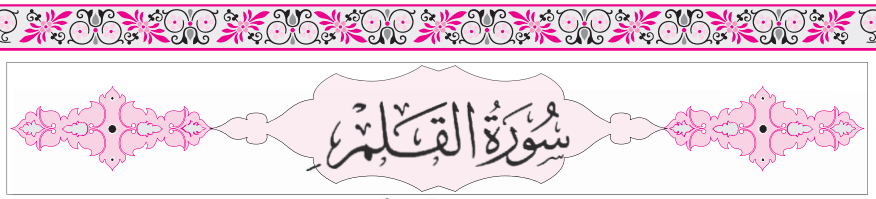

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل

لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا
أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ

لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

هذه السورة لها مقاصد منها: ـ إبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ وتنزيهه عن النقائص وبيان امتيازه بالخلق العظيم. ـ وعيد المشركين بعذاب الآخرة وخسران الدنيا وذلك لرفضهم الرسالة. ـ إخبار المؤمنين المتقين بأن الله تعالى اجتباهم بالإسلام وبالنصر المبين على الأعداء. ـ توصية النبي ﷺ بالصبر عند تبليغ الرسالة، وبأن لا يضجر مما يلاقيه من أذى المشركين.

قال الله تعالى ﴿نٓ﴾ حرف من حروف الهجاء، كمثل افتتاح سورة (ص) وسورة (ق).

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أقسم الله تعالى بالقلم لشرف وظيفته، فهو آلة الكتابة منذ القديم وقد كتبت به الصحف والكتب المقدّسة. وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بكتابة الوحي بالقلم وتدوين القرآن الكريم في صحف ـ جُمعت كتابا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.. ثم دُوّن المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، والمصحف الإمام هو الذي ظل مرجع القرّاء والكتّاب...

إن لهذا القلم شرفا عظيما أقسم به الله تعالى كما أقسم بالشمس والقمر والسماء. وإنه تعالى علّم بالقلم الكتابة وتدوين العلوم بأنواعها المختلفة لتنتفع بها الأجيال. قال تعالى في سورة العلق ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ جاء في تفسير ابن كثير: قال ابن عباس رضي الله عنه: «وما يسطرون يعنى ما يكتبه الملائكة من أعمال العباد».

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ جواب القسم. قال الشيخ ابن عاشور: «والمُقسم عليه: نفيُ أن يكون النبي ﷺ مجنونا، وذلك من نعمة الله عليه». وفي هذه الآية تسلية للنبي ﷺ لئلا تحزنه مقالة المشركين التي جاء ذِكرها في آخر

السورة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ هذه الآية تبشر الرسول ﷺ بحسن الجزاء، إكراما له، بثواب من الله في الآخرة ونصر من الله مؤكد في الدنيا والآخرة وإنه الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ والخُلق طباع النفس على الخير. سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلقه القرآن» أي كلّ ما جاء ذكره في كتاب الله من الفضائل والمكارم اكتملت بها أخلاق رسول الله ﷺ: «إنها عقيدة وعمل ودعوة شاملة لمن يسمع الذّكر ويعمل الصالحات. كان رسول ﷺ خُلقه القرآن: كان حليما، عادلا، صبورا على المتاعب، معترفا بالجميل، متواضعا، زاهدا، عفيفا، عفوا، حييا، شجاعا، رحيما، حَسن المعاشرة، يُكرم الضيف ويحضّ على طعام المسكين: هو رحمة للعالمين:

رحمة كله وحزم وعزم *** ووقار وعصمة وحياء

وصفه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن محمدا ﷺ خاتم النبيين هو أجود الناس كفا، وأوْسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذِمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابَه، ومَن خالطه أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ» عن سيرة ابن هاشم.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه أن المعنى: «فستعلم ويعلمون يوم القيامة».

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ المفتون هو الذي ضل عن الحق، فيبدو مضطربا في أقواله وأفعاله شبيها بالمجنون. فالمشركون شأنهم كذلك ينسبون للرسول ﷺ الصدق والأمانة ويختارونه حفيظا لأماناتهم وحكما لوضع الحجر الأسود بزاوية الكعبة، وإذا دعاهم إلى التوحيد والإيمان يصفونه بالمجنون، كلا!! إنهم المفتونون الضالون المنحرفون عن الحق وهم فى طغيانهم يعمهون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ قال الزمخشري: «والمعنى إن الله تعالى أعلم بالمجانين الذين ضلوا عن سبيل الله والله أعلم بالعقلاء الذين اهتدوا وأنه تعالى أعلم بما في صدور الفريقين وبجزاء كل فريق».

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ المكذبون هم المشركون الذين رفضوا دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام. فنزلت آيات القرآن تُقرعهم بصفات الذم والتحقير والوعيد وبسوء العاقبة، فكبُر عليهم الأمر وجنحوا للمصالحة وقالوا: يا محمد لو تُدهن ـ أي لو تلين خطابك ـ وتُصانِعنا وتكفّ عن أذانا بالقول الثقيل، وإن تواجهنا بحسن المعاملة فإننا نواجهك بمثلها، ونصالحك على أن نعبد آلهتك زمنا وأن تعبد آلهتنا زمنا مثله!. فأخبره الله تعالى بأنهم كذابون فلا تطعهم.

ودّوا: معناها أحبوا. ومعنى تدهن: تُصانع أصحاب النوايا السيئة ليُصانعوك.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ الحلاف: كثير الحلف بالحق أو بالباطل. والمهين: الحقير لأنه كذاب عند الناس ضعيف الرأي. وفي الآية زجْر لمن اعتاد الحلف ومن فعل فليتُب ويكفّر. وكفارة اليمين الحانثة إطعام عشرة مساكين أو صيام ثلاثة أيام، قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ...۝٢٢٤﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ يطعن الناس في قفاهم باليد ويؤذي الناس بالقول. وعن الحسن البصري: «يَلوي شدْقيه في أقفِية الناس» لبثّ الأذى.

﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ هو الذي ينقل الحديث من جماعة إلى أخرى للإفساد بينهم. إن النمام من شرّ الناس وأخسّهم شأنا. روى أحمد بسنده: «أنّ النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة نمام». وعن الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم: هم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت».

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يمنع ما عليه فلا يُعطيه للمحتاجين ولا ينفع أحدا بما أعطاه الله من خير.

﴿مُعْتَدٍ﴾ يتجاوز الحدود المشروعة.

﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ كثير الإثم المذنب.

﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ عُتُلّ: هو من غلظ طبعه وقسا قلبه واجترأ على فعل كل معصية: فهو الأكول الشروب، رحيب الجوف، الظلوم للناس. روى ابن كثير بسنده عن زيد بن أسلم قال: «قال رسول الله ﷺ: تبكي السماء من عبد أصحّ الله جسمه وأرحب جوْفه وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للنّاس ظلوما فذلك

العتل الزنيم». زَنيم: هو الدعيّ المُلحَق في القوم الفاحش اللئيم.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «وقيل أريد به الوليد بن المغيرة: كان ثريا كثير الأبناء وكان يقول: إن القرآن أساطير الأولين». والمعنى: ولا تطع صاحب هذه المثالب لأنه كان صاحب مال ويسار.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ الأساطير جمع أسطورة وهي القصة من قصص القدامى. لقد تطاول الوليد بن المغيرة المشرك على كتاب الله فسمّاه أسطورة مستنقصا من قدسية القرآن مكذبا به. فكان مصيره الخزي والمذلة.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ الخرطوم: الأنف. والمعنى سنجعل له يوم القيامة علامة مشوهة يتميز بها عن سائر الكفرة، لأنه عادى رسول الله ﷺ عداوة شرسة، وهذه العلامة ستكون على أنفه مشينة له لإذلاله وللاستخاف به.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ كان الإبتلاء لطائفتين:

الطائفة الأولى: طائفة أصحاب بستان وهم قوم كافرون من صنعاء عاصمة اليمن في زمن واقعة أصحاب الفيل. جاء في تفسير التحرير والتنوير: «أن عكرمة رضي الله عنه قال: إن أبا له ثلاثة أبناء يملك جنة من نخيل وأعناب جعل في ثمرها حقا للمساكين كان يعيش منها يتامى وأرامل ومحتاجون وكان يدعوهم لجني الثمار فلما توفي الأب صارت الجنة للأبناء الثلاثة: كان أوسطهم كريما والإثنان أصابهما الشح وتغلبا على أوسطهم وقالا: لنبكرن إلى الجنة قبل انبلاج الصبح وقبل مجيء المساكين».

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي ليحْصدُنّها قبل انبلاج الصبح.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يتركون من الثمر شيئا.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ الطواف المشي والدوران حول الشيئ. يقال: طاف بالكعبة والطائف أمر عظيم تسلط على جنّتهم.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ الصريم: قيل الرماد الأسود.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ أي نادى بعضهم بعضا مبكرين.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ اغدوا أي اخرجوا أول النهار. الحرث: شق

الأرض بالمحراث وقد يراد به الأرض المحروثة.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣﴾ يتخافتون: يتكلمون سرّا.

﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤﴾ وهذا كلامهم الذي يتخافتون به: أي لا يترك أحد مسكينا يدخلها.

﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾ الحرْد السرعة. والمعنى: أنهم بكّروا مسرعين يحسبون أنهم قادرون على تحقيق رغبتهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦﴾ أي ضلوا عن طريق الشكر والحمد غير مهتدين إلى الطريق المستقيم فكان ما أصابهم عقابا لهم.

﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧﴾ ثبت عندهم أنهم محرومون من خيرات جنتهم: إنها هلكت بأمر من الله تعالى لأنهم بطروا النعمة ولم يشكروا الله تعالى على ما كتب لهم. ومن لم يشكر النعمة فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها.

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ أوسطهم أي أفضلهم وأقربهم إلى الخير وأصوبهم رأيا قال لأخويه: «سبّحوا الله تعالى ونزّهوه».

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩﴾ استفاقوا من غفلتهم ولاموا أنفسهم على إهمال شكر النّعم التي كانوا ينعمون بها من خيرات جنتهم المفقودة. قال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠﴾ يلوم بعضهم بعضا على سوء نيّتهم وعلى ما فرط من فعلهم.

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١﴾ اعترفوا بذنبهم وطغيانهم على أموال اليتامى والمساكين التي جعلها لهم والدهم من ماله صدقة.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢﴾ هذه الآية تفيد أنهم ندموا وتابوا إلى الله تعالى راجين منه العفو وأن يبدل لهم الجنة التالفة بخير منها.

قال الشيخ ابن عاشور: «وعجل العقاب لأصحاب الجنة الهالكة قبل التلبّس بمنع الصدقة لأن عزمهم على المنع وحلفهم عليه حقق أنهم سيمنعون الصدقة».

وتؤخذ من الآية موعظة للذين لا يواسون بأموالهم المحتاج.

ومثلهم المشركون الذين رفضوا الدعوة المحمدية بمكة وأنكروا فضل الله

تعالى عليهم فسلط الله عليهم عذاب الحرمان مثل عذاب أصحاب الجنة فأصابهم جفاف أتلف أرزاقهم وقطع عنهم الثمرات وسلب نعمهم. فوجه الشبه بين الطائفتين هو بطر النعمة والإغترار بالقوة وكان عقابهم متشابها يتمثل في قطع الأرزاق والحرمان من الثمرات.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي عذابكم سيكون مثل عذاب أولئك في إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات والحرمان من الخيرات.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إن هذه الآية تهديد للمشركين والمكذبين بسلب النّعم في الدنيا وبالعذاب الشديد في الآخرة ذلك بما أشركوا ولم يشكروا نعم الله تعالى عليهم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ عند ربّهم: أي في الآخرة. جنات النعيم لا خلط فيها بما يكره كجنات الدنيا وهي لا تبيد ولا ينقضي نعيمها الخالص.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الاستفهام فيه توبيخ وتهكم إذ أن قريشا كانوا يعتقدون أن جزاء المتقين مثل جزاء المشركين. عن مقاتل رضي الله عنه قال: «قالت قريش إن كان ثمة جنة نعيم فلنا فيها مثل حظنا وحظهم في الدنيا!» كلا!. قال تعالى في سورة السجدة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ والمعنى أتحكمون أنكم مساوون للمسلمين في جزاء الآخرة أو مفضلون عليهم؟.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ هل نزل عليكم كتاب منزّل تحكمون به؟ وفي هذا تعريض بأنهم أميون ليسوا أهل كتاب.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: إن في ذلك الكتاب خبرا تختارونه لكم من أخبار الجزاء؟!.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ والمعنى: ألكم أيمان واصلة وعهود قاطعة، في ذلك الكتاب الذي تدرسونه ما يثبت لكم حق الاختيار لأنفسكم ما تشتهون من الخيرات؟؟

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ الزعيم: الكفيل، الضامن. طلب منهم أن يعيّنوا واحدا منهم كفيلا. وفي هذا زيادة في التهكم عليهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ شركاء المشركين هم آلهتهم من الأصنام وهذا أمر للتعجيز، فبئس الشركاء الذين يضرون ولا ينفعون!.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ والكشف عن ساق مثل يضرب وأصله: أن الإنسان إذا فجع يسرع في المشي فيكشف عن ساقه الرداء ويشمر ثيابه فتظهر ساقه للغير- كما يُقال شمّر عن ساعد الجد - فإذا كشف الإنسان فهو كناية عن هول أفجعه وعن شدة الأمر. وفي حديث غزوة أحد، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: انهزم الناس عن النبي ﷺ، ولقد رأيت عائشة وأم سليم وأنهما لمشمّرتان أرى قَدَم سوقهما، تنقلان القِرب على متونِهما ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها».

قال حاتم: فتى الحرب إن عظت الحرب عظها

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

عن ابن عباس رضي الله عنه «فيكشف عن ساق عن كرب وشدة وإنها تكون في ساعة هي أشد الساعات يوم القيامة».

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ يدعون إلى سجود الضراعة. وفي صحيح مسلم من حديث الشفاعة عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله وحده من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ومن كان يسجد رياء جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه».

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قال ابن عاشور: «يسلب الله منهم الإستطاعة على السجود ليعلموا أنهم لا رجاء لهم في النجاة».

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ينظرون بعيْن ذليلة، وتراهم مطأطئي رؤوسهم رهبة وحسرة وذلك بإجرامهم وكبريائهم في الدنيا.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يُدعوْن إلى سجود الضراعة والخضوع لأجل الخلاص من أهوال الموقف. والمعنى: كانوا يُدعون في الدنيا إلى السجود لله تعالى وهم سالمون قادرون على ذلك!.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال الشيخ ابن

عاشور: «والمعنى: حسبك إيقاعا بالمكذبين بكتاب الله أن تكل أمرهم إلى الله تعالى فالله يعلم كيف ينتصف منهم». إن المكذبين سيُستدرجون نازلين من درجة إلى أسفل منها إلى المكان الذي سيعاقبون فيه وهم في غفلة مما سيصيبهم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ وأملي لهم أي أمهلهم. فسوف تحل بهم المصائب ويعظم الإنتقام منهم. ورد في الصحيحين: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» رواه ابن كثير.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ هذا استفهام توبيخ. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن كثير: «والمعنى في ذلك: أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى»

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أم هل عندهم اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب فهم ينقلون منه؟

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مكظوم أي محبوس، في بطن الحوت. والمعنى: فاصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم لك فإن العاقبة الحسنى ستكون لك ولمن اتبعك ولا تكن كالنبي يونس عليه السلام الذي ضجر من تكذيب قومه ولم يصبر على أذاهم.

إن يونس عليه السلام، ذهب مغاضبا على قومه فركب البحر فالتقمه الحوت وشرد به في البحر، فاغتم من غمراتها وظلماتها وسمع تسابيح البحر بما فيه، لله تعالى، فنادى في الظلمات: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». فتاب الله تعالى عليه وقربه وجعله من الصالحين، واستجاب الله تعالى دعوته ونجاه من الغم والكرب. والملاحظ أن التوبة النصوح وإيمان المخلصين العاملين المسبحين، سبيل لنجاة كل مؤمن.

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ العراء: أرض لا نبات فيها. ومذمومٌ أي مسخوطٌ عليه. أدركت يونس عليه السلام نعمة من الله ولولا أن تداركته نعمة الله ورحمته لطرح في فضاء من الأرض العارية من الأشجار

والجبال والمياه وأسباب الحياة وهو ملام على ما ارتكب من الغضب على قومه ولم يبلغ الرسالة فدعا ربه في بطن الحوت وهو مغموم ظالم لنفسه وظل ينادي ربه بقوله «لا إلاه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» قال ابن عباس رضي الله عنه «فردّ إليه الوحي وشفعه في قومه»

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ اجتباه أي قرّبه الله إليه وجعله من الأنبياء فردّ إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه.. ومما يذكر: أن نجاة يونس عليه الصلاة والسلام من الكرب العظيم كانت بنعمة الله تعالى عليه. قال الزمخشري: «ونعمة ربّه أن أنعم الله تعالى عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه».

فما هي التوبة؟ قال تعالى في سورة التوبة ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ...﴿٣﴾﴾.

عن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، فقال له علي رضي الله عنه: إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. قال الأعرابي: وما التوبة ؟

فقال علي رضي الله عنه: «التوبة على الماضي من الذنوب، والندامة، وإعادة الفرائض، وردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي».

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ يزلقونك مضارع من الزلق. ويحدث الزلق إذا مشى المترجل على أرض عليها طين أو دهن. والمعنى: إن الكافرين يسعون ليزهقوا قدمك عن الحق، بعين مسمومة يحدقون بها إليك حاقدين حاسدين وذلك عندما يسمعونك تقرأ القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾﴾ يزعمون أن الرسول ﷺ به جنة! يريدون بذلك أن يجعلوا كبار قومهم في ريب في حين أنهم يشهدون بأن النبي ﷺ أكملهم عقلا وأصدقهم قولا وأسلمهم قلبا.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي وما القرآن العظيم إلا موعظة وتذكرة للملائكة والإنس والجن. وفي التنوير: «إن التذكير بالله وبالجزاء أشرف أنواع الكلام لأن فيه صلاح الناس في الدارين». مما يذكر في هذا الباب: أن النظرة بالعين

المسمومة بالحسد والبغضاء، لها تأثير حق لكن بإذن الله تعالى. روى مسلم بسنده أن ابن عباس رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» وأخرج البخاري حديثا بسند عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة».

عن أبي ابن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسّن الله أخلاقهم»

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ
إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

روى أحمد ابن حنبل بسنده أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: «خرجت يوما بمكة أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدته قد سبقني

إلى المسجد الحرام فوقفت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت: هذا والله شاعر! فقرأ الآية: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قلت: كاهن! فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إلى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع» اهـ.

اشتملت هذه السورة على: - ذكر أهوال يوم القيامة ووصف أنواع العقاب الفظيع الذي أعدّه الله للكافرين ولمن نبذ شريعة الإسلام - وعظّمت شأن القرآن العظيم - وأثبتت الرسالة لرسول الله ﷺ وأنّه الصادق الأمين.

﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾﴾ هو يوم القيامة وهو الأمر المحقّق وقوعه.

﴿مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾﴾ ما: أداة استفهام. وكأنك تقول: أتدري ما هي الحاقة ؟

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ المقصود من التركيب: تهويل أحداث يوم القيامة، كمثل قول الله تعالى في سورة الإنفطار ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ أي كذبت أمّة عاد وثمود بالقارعة أي بالبعث ويوم الجزاء، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، هو يوم القيامة فيه يصاب الناس بالأهوال والفزع. والآية تذكير للمشركين بما حلّ بقبيلة ثمود وقبيلة عاد ـ يعْرفهم المشركون من أهل مكة ـ. قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «القبيلتان من الأمم العربية وديارهم مجاورة لأهل مكة من الشمال والجنوب».

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ ثمود أمّة من العرب وهم أنساب عاد تمّ هلاكهم بالطاغية وهي الصاعقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ ريح صرصر: أي شديدة لها صوت كصرير وطنين. والعاتية: تجاوزت الحدّ المعروف من أزيز الرياح. وكلمة حسوم: من حسم أي قطع وسمّي السيف حساما لأنه تقطع به الرّقاب: والمعنى أن الريح حسمتهم فلم تبق منهم أحدًا. وكلمة صرعى معناها مصروعين أي منتشرين على الأرض أمواتا. وأعجاز النخل: أي ساق النخلة وجذعها المتصل

بالأرض وهي خاوية أي خالية ممّا كان فيها.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ أي فلم يبق منهم أحد.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ هذا فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام ليُخلص بني إسرائيل من العبودية، فكذّب فرعون ـ ومن معه من القبط ـ الرسول ورفضوا دعوته.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أي من الأمم السابقة مثل قوم نوح وقوم إبراهيم عليهما السلام.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام وسكانها يعرفهم العرب إذ كانوا يمرّون عليهم في طريقهم إلى الشام.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ بالذنب. والمعنى جاء فرعون ومن معه من أتباعه ومن الأمم قبله من قوم نوح وابراهيم عليهما السلام، مذنبين مصرّين على تكذيب الرّسل رافضين دعوة الحق.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ الأخذة الرابية أي الهلاك الذي لا يبقي شيئا يذكر: فأخذ الله تعالى قوم نوح بالطوفان وقوم عاد بالريح العاتية وأهلك فرعون ومن معه بالغرق فكان إهلاكهم بأشدّ أنوا ع العذاب لأن جرائمهم كانت أبشع الجرائم.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ الجارية: السفينة. والمعنى أوحى الله تعالى لنوح عليه السلام أن يصنعها لِيَحمل فيها من شاء الله تعالى لهم النجاة من الطوفان.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ إن خبر السفينة وطغيان الماء ونجاة المؤمنين بسفينة نوح عليه السلام أمر عظيم فيه موعظة لمن يعتبر من الناس وباعث لهم على الشكر على مرّ العصور.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ الأذن الواعية هي التي تُنصت لتعلم، ليتدبّر السّامع فيما وَعته ويتّعظ بالتذكرة ويتجنب صنيع المشركين وغفلتهم.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ عن ابن كثير: «أن هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة: نفخة الصعق حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور». قال الله تعالى

في سورة الزمر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾. قال الشيخ ابن عاشور: «والنفخ في الصور أمر بإحياء الأجساد للبعث».

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ أي دُكّت الأرض والجبال فضرب بعضها ببعض فبسطت بسطة فلا ترى فيها عِوجا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ فحينئذ نزلت النازلة وهي يوم القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ أي صارت السماء مسترخية بعدما كانت مستمسكة.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ والمعنى أن الملائكة يعملون على جوانبها يُنفّذون أمر الله تعالى.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «عرش ربّك اسم لما يحيط بالسماوات وهو أعظم من السماوات».

﴿ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ أي ثمانية من الملائكة يحملون العرش وقيل ثمانية صفوف من الملائكة وهذه أحوال من الغيب لا يعلمها إلا الله تعالى.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يعرض جميع الناس للمحاسبة عن كبائر الذنوب وصغائرها.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ لا تُخفي نفس يوم الحساب شيئا ولا يخفى على الله سبحانه وتعالى شيئ. روى ابن كثير بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخفّ عليكم من الحساب غدا».

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ والمعنى أنه يوم العرض والجزاء يؤتى المؤمن بكتاب أعماله فيتسلمه باليمين مستبشرا معتزا مبتهجا به فيطلع الصالحين على ما فيه مفتخرا بالفوز والجزاء الكريم.

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «عن الضحّاك أنه قال: كل ظنّ في القرآن من المؤمن فهو يقين وكل ظن من الكافر فهو شكّ». والمعنى: أني علمتُ في الدنيا خبر البعث والحساب فآمنت به وبسبب ذلك فرحت اليوم وابتهجت.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ والمعنى: إن الذي آمن بالبعث ويوم الحساب يفرح بالبشائر التي جاءت في كتابه ويحصل له كامل الرضا وهو في حالة عيش مرضية.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ جنة مرتفعة الدرجات رفيعة المباني والقصور والأشجار جميلة المناظر تسرّ الناظرين.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثمارها قريبة يقطفها القاعد والنائم في متناول أيدي المتناولين، ذلّلت تذليلا.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ أي يقال لأصحاب الجنة: كلوا واشربوا مهنّئين جزاء لكم عمّا صُمتم عن الأكل والشرب، طاعة لله، أيام الصيام. قال الزمخشري: «ورُوي أنه يقول الله عز وجل: يا أوليائي، طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فتمتعوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم سابقا من الأيام الماضية».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ أي إن الذي تلقى كتابه بشماله يتمنى أن لا يرى ما هو مكتوب فيه لأنه إعلام بمصيره إلى العذاب ويتمنى أن يظل جاهلا بما فيه من سوء الخبر. وخبر السّوء عذاب!. وذلك جزاء من يكذّب بيوم الحساب.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ قال الضحاك: «أي إنه يتمنى أن موتته الأولى لا حياة بعدها» قال الشيخ ابن عاشور: «وهو معنى قوله تعالى في سورة النبأ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ يقول المتحسّر الذي لم يزكّ ماله: كل شيئ مما كان لي من المال واليسار والجاه لا يدفع عني هذا العذاب والبأس الشديد!!.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ لم ينفعني اليوم سلطاني وملكي!.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ هذا أمر من الله تعالى لزبانية العذاب ليخرجوه بعنف من المحشر وأن يضعوا الأغلال في عنقه ويُحمل إلى جهنم ليَصلى نارا حامية تغمره وتحيط به.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ قال الزمخشري: «سلكه في السلسلة أي لواها على الجسد حتى تلتفّ عليه». وعدد السبعين ذراعا مستعمل في معنى الكثرة.

والملاحظ أن الجرم الكبير الذي يعذب به هذا العبد العذاب الشديد نوعان :

الأول أنه كان لا يؤمن بالله العظيم وهذا شرك وكفر، والثانى أنه لا يحضّ على طعام المسكين: قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ المسكين هو الفقير الذي ليس له ما يكفيه. ومن الفضائل إطعامه وحثّ الغير على إطعامه.

قال الله تعالى في سورة الماعون ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه كان يحضّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ الحميم القريب والنصير. والمعنى: إن الذي أوتي كتابه بشماله ليس له يوم القيامة مُدافِع يدفع عنه السّوء ولا قريب ينصره.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ الغسلين: ما يدخل في أفواه أهل النار من المواد السائلة من الأجساد التي تحترق بالنار.

﴿لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي إن الغسلين طعام يعذب به الذين يرتكبون أشدّ أنواع الخطأ وهو الشرك بالله والتكذيب بالقرآن وبالرسل ورفض دعوة الرسول محمد ﷺ.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ قال الزمخشري: «أقسم الله تعالى بأشياء نراها في الدنيا وأخرى لا نراها كمثل الأجسام والأرواح، والإنس والجن، والخلق والخالق، والنّعم الظاهرة والباطنة». أقسم الله تعالى بما يَرَوْن وما لا يرون، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ القرآن أجراه الله تعالى على لسان محمد النبي الكريم ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، رسالة من عند العزيز الحكيم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ والمعنى أن القرآن ليس بشعر شاعر كما تدّعون وما هو بقول من يتكهن دعيّا كاذبا. إنه قول

رسول لا ينطق عن الهوى، أوحاه إليه ربّه.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي إنه مُنزل من ربّ العالمين على محمد ﷺ ليس فيه ما يشبه الشعر في أوزانه وليس فيه ما يشبه كلام الكهان المبني على أسجاع متماثلة محدودة المعنى.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ أي لو كذب علينا ونسب إلينا قولا لم نقله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ لأخذناه أخذا عاجلا بقوة اليد اليمنى أخْذ عزيز مقتدر.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وقتلناه قتلا موجعا بقطع نياط قلبه ببدنه.

قال الشيخ ابن عاشور: «والحاصل من هذا أنه لو نسب إلينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك».

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي لا يستطيع أحد منكم أن يدفع عنه العقاب لو قال عن الله قولا لم يوح إليه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي إن القرآن تذكرة وتنبيه للغافل إلى المغفول عنه والمتّقون هم المؤمنون الذين اهتدوا بكتاب الله وإنه تذكرة لمن يريد أن يتذكر.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الحسرة الندم الشديد على شيء فائت مرغوب فيه. والمعنى: إن الله بعث الرسول بالقرآن إليكم، وإنه سيكون منكم من سيكذّب به وسيتحسر نادما على ما اكتسبت يداه..

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ إن القرآن هو اليقين الحق لا يشكّ في كوْنه الحقّ إلا الذي عميَت بصيرته.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ التسبيح شكر الشاكرين للمُنعم الكريم سبحانه وتعالى وتنزيه الله عن النقائص بالإعتقاد والقول والعمل. وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال، لما نزلت هذه الآية، قال: «اجعلوها في ركوعكم».

– سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين–

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سورة (سأل سائل) ـ وتسمى سورة المعارج عند جابر بن زيد. نزلت بعد سورة الحاقة. ومن عناصر هذه السّورة:

ـ الإخبار عن يوم القيامة: إنّه يوم الجزاء وهو آت لا ريب فيه ـ إنّه يجمع أهوالا عظيمة لا مفرّ منها للكافرين ـ إنّه يوم طوله خمسون ألف سنة تعرج فيه الملائكة وجبريل إلى حيث يريد الله ـ وإنّه في ذلك اليوم تُجزى كل نفس بما اكتسبت ـ وإنّه يوم يبشر فيه المؤمنون بأنّهم مكرمون في جنات النّعيم.

قال الله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ سبب نزول هذه السورة ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن طاغية من طغاة مكة لما خوّفهم رسول الله ﷺ

من عذاب الله دعا، فقال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال ذلك استهزاء فأهلكه الله يوم بدر ومات ميتة شنيعة نكراء.

وفي هذه الآية ذمّ للطاغية ولغيره من الجبابرة.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ لا رادّ لهذا العذاب إذا أراد الله وقوعه على الكافرين.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ هذا العذاب صادر من عند الله العظيم صاحب المصاعد التي يصعد بها الملائكة بأمر الله.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ أي تعرج الملائكة وجبريل عليه السلام إلى المقام الأعلى. روى ابن كثير عن ابن عباس قال: «هو يوم القيامة». وممّا يحدث فيه ما رواه ابن كثير بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلاّ جُعل صفائح يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممّا تعدّون». إنه يوم الحشر والجزاء. قال تعالى في سورة الزلزلة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ معناه: اصبر يا محمد على تكذيب قومك واستهزائهم صبرا خالصا محضا.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ قيام الساعة يراه الكافرون مستحيلا بعيد الوُقوع، ويعتقد المؤمنون إنّه قريب وإن الله جعل له أمدا لا يعلمه إلا الله تعالى.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ قال ابن عباس: «إنّها كدُرْدِيّ الزّيت» وعن ابن مسعود «كالفضة المذابة في تلوّنها».

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ كالصّوف الملوّن المنفوش الذي تهرّى وتفرّق.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ لا يسأل قريب عن حال قريبه وهو يراه في سيّئ الأحوال وإنه تشغله نفسه عن غيره.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ قال ابن عباس: «يعرف بعضهم بعضا ثم يفرّ بعضهم من بعض».

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢﴾ المجرم هو الذي يأتي الذنب العظيم كالكفر والفواحش، وهذه الآية كمثل قوله تعالى في سورة لقمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣﴾.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣﴾ قبيلته وعشيرته.

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «أي لا افتداء ولا إنجاء للمجرم ولو قدّم فدية بمن في الأرض جميعا وبما يعزّ عليه من أقارب ونفائس الأموال»، كما قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ... ۝٩١﴾.

﴿كَلَّآ﴾ كلمة تؤكد أن لا افتداء للمجرم.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾ لظى: اسم يراد به اللهب من النار.

﴿نَزَّاعَةٗ﴾ ينزع اللظى الأعضاء بقوة.

﴿لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ اسم لِعُضو مثل اليد والرجل وقيل جلدة الرأس.

﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ قال البيضاوي: «الذي أدبر عن الحق وتولى عن طاعة الله» وعن قتادة: «أدبر عن طاعة الله وتولّى عن كتاب الله».

﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨﴾ أي جمع أشياء وجعلها في وعاء، والمراد به مَنْ جَمَع المال فكنزه ولم ينفع به المحتاجين وشحّ به عليهم. وعن قتادة: «جَمَع الخبائث واستمرّ عليها».

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ الهلع: العجز عن ضبط النفس عندما يصيب الهَلوعَ شدّة حزن أو عندما يحدث له فرح شديد.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠﴾ الجزع ضدّ الصّبر أي إذا أصابه شرّ لا يصبر.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ أي الإنسان كثير المنع لبذل شيء مما عنده من الخير.

﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ إلاّ طائفة من الناس استثناهم الله تعالى وهم المتّصف كل واحد منهم بالأوصاف الثمانية:

1 ـ ﴿ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٣ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ قال ابن عاشور: «كلمة المصلين

غلب استعمالها في معنى المسلمين» والمعنى إلا المسلمين الذين لا يتخلفون عن أداء صلاتهم في أوقاتها في طمأنينة وخشوع. عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «أحبّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قلّ».

2 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ الذين تعودوا أن يقدموا لذوي الحاجات من مالهم زكاة أو صدقة، عليهم أن يستمروا على صنيعهم وعليهم أن لا يحرموا من يترقب منهم خيرا. والسائل هو الذي يمد يده مستعطيا والمحروم هو المحتاج الذي يتعفف صابرا ولوْ كانت به خصاصة. روى أحمد بسنده عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ قال: للسائل حق ولو جاء على فرس».

3 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ أي إنّهم يؤمنون بيوم البعث والجزاء إيمانا بقلوبهم دون شك. ويوم الدين هو يوم الجزاء.

4 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧﴾ أشفق: توقع حصول أمر مكروه وظل خائفا من هوله.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨﴾ إن المؤمن يخاف مقام ربّه ويرجو رحمته. قال ابن كثير: «أي إن عذاب الله لا يأمنه أحد إلا بأمان من الله تعالى» أي ينبغي للمؤمن أن يعيش بين خوف من الله ورجاء في عفوه.

5 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ فالزواج حفظ لأعراض المؤمنين، يقي من شر العنت ويحفظ الأنساب. قال الشيخ ابن عاشور: «ليس في المؤمنين سفاح ولا بغاء».

فليس للمسلم أن يلبس من النساء غير الأزواج، وعقد الزواج عهد بين الزوجين على العفاف، والإستهانة به غدر. قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١﴾ فمن ابتغى غير العفاف فهو الذي يتعدى حدود الله: فهو المفسد الذي يدنس أنسابه ويزرع الشك في أسرته والغيرة بين ذويه.

6 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾ المؤمن يرعى الأمانة ـ كما يرعى الراعي

الغنم ـ يحفظها من الخلل والزوال ويبلّغها إلى صاحبها كاملة سالمة ومن يتخلى عنها وعن الوفاء بها فهو خائن. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان». ومن الأمانة أن النبي ﷺ قال: «الصلاة أمانة والوضوء أمانة والغُسل أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم الأمانة الودائع».

والوفاء بالعهد فرض من أبرز صفات المؤمن قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾.

7 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ القيام بالشهادة ركن من أركان الإسلام على الشاهد أداء شهادته لا يزيد فيها ولا ينقص وشاهد الزور كذاب وظالم لنفسه ولغيره: إنّه يظلم الذي شهد له لأنه يسوق إليه محرّما مشهودا به، ويظلم الذي شهد عليه زورا فيفتك من ماله لغيره وينال من عرضه وروحه وسمعته. روى أبو داود بسنده أن النبي ﷺ قال: «من قضيت له من مال صاحبه بغير حقّ فلا يأخذه فإنّما أقطعُ له بقطعة من النار». وروى البخاري بسنده أن الرسول ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور ألا وشهادة الزّور، فما زال يكرّرها حتى قلنا ليْته سكت!».

8 ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يؤدونها بشروطها في أوقاتها خاشعين.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إن الذين يقومون بشعائر الإسلام الثمانية الوارد ذكرها في الآيات السابقة يكرمون بنِعم الجنة بفضل أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ مهطعين: أي يمُدون رؤوسهم للإنصات وكمال السّمع. عزين: جمع عِزَة وهي فِعل من يسعى للفرقة بين الناس ليجمعهم فرقا لا يرغبون في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ. ولتقريب المعنى، أورد الشيخ ابن عاشور قال: «كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ ويستمعون كلامه ويكذبونه ويستهزئون بالمؤمنين، ويقولون لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنّها قبلهم وليكوننّ لنا فيها أكثر ممّا لهم، فأنزل الله هذه الآية». وقال ابن كثير:

«أي: أيطمع هؤلاء المشركون وهم يرفضون سماع الوحي المنزّل أن يدخلوا جنّة النّعيم؟ كلاّ، بل مأواهم جهنم وبئس المصير!!».

﴿كَلَّآ﴾ كلمة تبطل معنى طمع الذين كفروا في نعيم الجنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ خلق الله سبحانه الإنسان مما يعلمه كل أحد من أنه يتكون في بطن أمه من نطفة ثم يكون إنسانا عاقلا يقيم الحجج على ما يدّعيه. وفي هذه الآية تهكّم بالكافرين لأنهم يجادلون وهم يعلمون أصل النشأة الأولى، وهم كانوا معدومين، ولو كانوا يتدبرون لأيقنوا بأن الذي أنشأ من عدم قادر على إنشاء الإنسان مرة ثانية ممّا يشاء.

إن الله تعالى خلق ذلك الخلق العظيم وسخّر له ما في السماء والأرض من الحيوانات والجماد جميعا من عنده ثم إنّه يحيي من يشاء ويميت من يشاء.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «وأقسم الله بالمشارق والمغارب لإعتبار أنّه ربّ العالم كله، لأنّ العالم كله منحصر في جهات شروق الشمس وغروبها وذلك يدل على عظيم صنع الله تعالى وهو مظهر عظيم من مظاهر القدرة الإلهية».

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي إن الله قادر على أن يخلق بديلا عنهم: أمّة تطيع الله ولا تعصيه. وذلك كقول الله سبحانه وتعالى في سورة محمد ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ المسبوق هو المغلوب في السباق والله غالبٌ ولا غالبَ له. قال تعالى في سورة الملك ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ أي لا تكترث بهم يا محمد فإن شأنهم حقير!!. والخوض: اللغو من الكلام الكثير. فقد كانوا مهتمين بمعجزة القرآن وهم في شك وريْب وبمعجزة الوحي الذي امتاز به رسول الله ﷺ وهم في حيرة بين التصديق والرّفض.

يلعبون معنى: اللعب الهزل والاستهزاء بدعوة محمد ﷺ، مستصغرين شأنها، وفي هذا تلميح إلى ما يفيده قول الله تعالى في سورة فاطر ﴿فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۖ . . ﴿٨﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يوم البعث الرّهيب يوم لا تنفعهم توبة ولا ندم. ذلك يوم التلاقي.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ الخروج هو بروز الأجساد من تحت الأرض. والأجداث القبورأي يخرجون من الأجداث إلى أرض المحشر.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ والنّصب كل ما يعبد من دون الله.

قال ابن كثير: «كأنّهم في إسراعهم إلى الموقف يُهرولون كما كانوا يسرعون في الدنيا إلى ما يعبدون من النصب».

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ تنظر أبصارهم إلى الأسفل من الذل الذي أصابهم..

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يستترون من الخِزي الذي أصابهم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون فيه بعذاب واقع في يوم طوله خمسون ألف سنة..

– نستغفرك اللّهم ونتوب إليك –

– ربّنا لا تُخزنا يوم القيامة وأسكنّا جنات النّعيم –

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

سيدنا نوح عليه السلام أول نبي أرسل ويقال له شيخ المرسلين وهو أطولهم عمرا ومكث في قومه كما نص القرآن الكريم في سورة العنكبوت: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...﴿١٤﴾﴾ وسيدنا نوح من الرسل أولي العزم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ...

لقد شاع الكفر في زمن نوح عليه السلام واشتهر قومه بعبادة الأوثان، ظل طول مدّته يدعو قومه ولم يؤمن معه إلا قليل ..

قال تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

أرسل الله تعالى نوحا عليه السلام إلى قوم كانوا يسكنون موطنا واحدا من

بلاد الشام، وقد ظل يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته ونهاهم عن عبادة الأصنام وأنذرهم بعذاب أليم إن أصرّوا على البقاء على الشرك.. وفي السورة تمثيل لحال أمة محمد ﷺ كحال قوم نوح عليه السلام: أنذرهم وحذّرهم من أن يصابوا بالهلاك والدمار إن ظلوا على كفرهم ولم يستجيبوا إلى دعوته..

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ حذّر قومك من عذاب الله الشديد الأليم الذي سوف يصبّ عليهم إذا لم يبادروا إلى فعل ما فيه نجاتهم.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ العذاب الذي سيصبّ عليهم هو الحرمان من كل ما يكسبون من النعم والفناء بالطوفان الذي سيصيبهم دمارا في الدنيا، ثم سوء العاقبة في الآخرة..

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ النذير هو الذي يحذر غيره مما فيه خطر. والمبين هو الذي يوضح لغيره ما فيه غموض والمعنى إني لكم نذير بعذاب أليم إن لم تعبدوا الله ولم تتقوه ولم تطيعوني.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ هذه أوامر تتضمن معنى دعوة نوح عليه السلام: دعاهم إلى توحيد الله واجتناب عبادة الأوثان والعمل بما جاء في رسالة نوح.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يغفر الله تعالى ذنوبهم السابقة ويؤخّر الله لهم الأجل المكتوب لهم إلى أجل آخر الله عليم به.. وفي الحديث: «.. إن الملك يُؤمر بكتابة أجل المخلوق عندما ينفخ فيه الروح»...

جاء في التنوير: «ويؤخّركم إلى أجل مسمّى وعْد بخير يرغب فيه الناس وهو طول البقاء في الدنيا».. قال ابن كثير: «وقد يستدل بهذه الآية الكريمة أن الطاعة والبرّ وصلة الرحم يزاد بها في العمر».. وفي الحديث «صلة الرحم تزيد في العمر».

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فإن أمر الله لا يُرد ولا يُمانع.. وعن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من سرّه أن يمدّ الله في عمره فليتّق الله وليَصل رحمه».

قال الله تعالى في سورة الرعد ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾

ومن مفهوم هذه الآية: إن لا تعبدوا الله ولا تتقوه ولا تطيعوني لا يغفرالله لكم ولا يؤخّركم إلى أجل مسمى...

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ قال نوح عليه السلام: يا رب إني واظبت أدعوهم ليلا ونهارا دون هوادة ولا فتور للإيمان بك وطاعتك امتثالا وابتغاء لفضلك.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ أدعوهم للرجوع إليك فيزدادون بعدا..

شكا نوح عليه السلام أمره إلى الله تعالى تمهيدا لأن يطلب من الله النصر عليهم وأن يدعو عليهم.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ كي لا يسمعوا صوت نوح عليه السلام...

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ جعلوا ثيابهم غطاء لهم يعميهم عن رؤية الحق وسلوك سبيل الرشاد.

﴿وَأَصَرُّوا﴾ عاندوا وظلوا على ما هم عليه من الشرك والإعراض.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ عماهم استكبارهم عن سماع الدّعوة والمعنى: أنهم رفضوا سماع دعوته وعماهم كفرهم واستمروا على عنادهم ضالين..

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ أي دعوتهم دعوة جهارا علنية على رؤوس الملأ ومجامع العامة.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ أي أخبرتهم سرا وعلنا خفية وجهرا.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ أي من صفات الله تعالى الغفران لمن يؤمن به ويستغفر ويتوب إليه من ذنبه. والإستغفار: هو طلب الغفران من الله الغفار.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ تستعمل كلمة السماء بمعنى المطر..

جاء في الصحيحين عن زيد بن خالد أنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل»..

وقال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم *** رعيناه وإن كانوا غضابا

ويقال درّت السماء بالمطر: جاءت بمطر متواصل.

والمعنى: وعد الله تعالى المستغفرين من قوم نوح عليه السلام بالخِصب بأرضهم ودفع الضّرر عن أنفسهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى يُجازي عباده الصالحين بطيب العيش. ذكر ابن حجر أن عمر رضي الله عنه خرج بالناس لصلاة الإستسقاء فكان دعاؤه الإستغفار فقط فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال رضي الله عنه: لقد استسْقيت بمجاديح السماء التي يسْتنزل بها القطر، ثم تلا:

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ والمطر المدرار هو المطر الذي ينزل ثم يعود يتبع بعضه بعضا..

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ ذكر الزمخشري «وقيل لمّا كذّب قوم نوح الرسول عليه السلام بعد طول تكرير الدعوة، حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخِصب» ومتّعهم الله بمكاسبهم من أموال وبنين.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ الجنّات إسم لأرض خصبة ذات نخيل وأعناب. والمعنى: يجعل لكم أنهارا تسقي المزارع والأنعام والجنات.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي مالكم لا ترجون ثوابا من الله تعالى ولا تخافون عقابا؟» وفي ذلك توبيخ لهم على ترك الإيمان بالله تعالى وعبادته وتوقيره، طمعا في ثوابه.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ والأطوار دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى ورفقه بالمخلوقات وعلمه الواسع بالخَلق... إنّ تطوّر الخلق من طوْر النطفة إلى طَوْر الجنين إلى طوْر خروجه طفلا إلى طور الصِّبا إلى طور بلوغ الأشدّ إلى طور الشيخوخة وطور الموت: إن لهذا التدرّج شأنا عظيما لو أنهم تدبّروا في خلقه لتوصّلوا إلى معرفة عظمة الله وقدرته ولامتلأت قلوبهم رجاء في ثوابه وخشية من عقابه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ إنها دعوة للناس ليتّعظوا بأن يتأملوا في خبر خلق السماوات السبع ومنازل

القمر وأنواره وخلق الشمس المضيئة كالسراج البديع.

طلب نوح عليه السلام من قومه أن ينظروا إلى آثار خلق الله وكأنّه قال: ألستم ترون آثار قدرة الله تعالى على خلق عظائم المخلوقات، سبع سماوات بعضها أعلى من بعض منفصلة وقمر ينير ضوؤه الأرض وشمس كالمصباح ضياء؟ قال تعالى في سورة يونس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا...﴿٥﴾﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أي أنبت أصلكم أباكم آدم عليه السلام من تراب الأرض كالنبات، قال تعالى في سورة آل عمران ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ...﴿٥٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ حياة ثم موت ودفن في الأرض ثم بعث وحساب وجزاء...

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ السّبيل: هو الطريق والفجاج: الطرق الواسعة.

لقد منّ الله تعالى على الإنسان بأن جعل له الأرض كالبساط بحيث يسهل المشي عليها للراجلين ويطيب الإضطجاع عليها للمستريحين.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ يشكو نوح عليه السلام إلى ربّه أنّ قومه رفضوا دعوته وخالفوا أمره وانصرفوا عنه واتبعوا رأي ذويهم الذين طغوْا بمالهم وافتتنوا بأولادهم فكانوا من الخاسرين. وفي هذا، تحذير للناس من فتنة المال والولد: فالمال والأولاد اختبار وابتلاء كثيرا ما يشغلان الإنسان عن العبادة ويستدرجانه للإبتعاد عن الطريق المستقيم. قال تعالى في سورة التغابن ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. قال ابن كثير: «روى أحمد بسنده عن أبي بريدة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين الحفيدين للرسول ﷺ يمشيان ويتعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فقبّلهما وضمّهما بين يديْه ثم قال ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ...﴿١٥﴾﴾ نظرتُ إلى هذين الصّبيين يمشيان ويتعثّران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ المكر هو إخفاء الرأي الذي يراد به ضرّ الغير. وكبّارا

بمعنى الكبير جدا...

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي لا تتركون عبادة آلهتكم.. إن قوم نوح عليه السلام يعبدون آلهة غير الله. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلمّا ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا تمثالا لكل واحد منهم تخليدا لذكراهم، وبمرور الزمان عبدوا تلك الأصنام».

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ أي إنّ قوم نوح أوصى بعضهم بعضا ليظلوا عابدين لآلهتهم.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ أي من أمّتهم، فما آمن مع نوح إلا قليل..

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ المراد بالظالمين قوم نوح عليه السلام، الذين عصوه وأشركوا بالله تعالى فجعلوا لله أندادا وأمثالا. وهذه الآية من دعاء نوح عليه السلام على قومه بأن لا يزيدهم الله إلاّ ضلالا.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ أعلم الله نوحا عليه السلام أنّه مُهلك قومه بالغرق، من أجل جميع ذنوبهم ففجّر الله تعالى عيون الأرض وفتح أبواب السماء فنزل الماء مدرارا. قال تعالى في سورة القمر ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ فحدث الطوفان وعمّ أهل الأرض فلم يبق في الكون من المخلوقات إلا من حملته سفينة نوح.

وهذه الآيات العظيمة حكمة لتذكير البشر ليتّعظوا بها ولينجوا من شرّ الكفر والطغيان وليشكروا الله تعالى على الهداية إلى الطريق المستقيم وليعلموا بأن الإنصراف عن دين الله وصراطه المستقيم سبب من أسباب الدمار بالحروب والزلازل والفيضانات والجفاف والفتن: قال تعالى في سورة الروم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والغرض من الآية تسلية الرسول ﷺ على ما يُلاقيه من قومه ممّا يماثل ما لاقاه نوح عليه السلام من قومه». قال تعالى في سورة ابراهيم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ والمعنى: فلم يجد قوم نوح عليه السلام من

ينصرهم ليدفع عنهم الكوارث في الدنيا ولم يجدوا من قومهم أنصارا ينجّونهم من عذاب الله تعالى ومن يتخذ غير الله نصيرا فلا ناصر له. قال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾.

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾ ديّار أي صاحب دار. يدعو نوح عليه السلام ربّه أن يطهّر الأرض من الظالمين وأن يمحقهم محقا حتى لا يبقى على الأرض صاحب دار وذلك لأنه خَبَر قومَه ورأى في بقائهم العداوة تسري فيمن معهم وفي من بعدهم وأنّهم لا يلدون إلا فاجر الأعمال كافر القلب، فكانت عاقبة أمرهم الغرق والفناء ولم يبق منهم إلا من حمل نوح عليه السلام معه في سفينته ولم ينج من الظالمين أحد حتى ابن نوح عليه السلام الذي اختار أن يعتصم بجبل ولم يطع أباه فكان من المغرقين.

قال القرطبي: «والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حلّ بهم من العذاب، زجر أمة محمد ﷺ وتحذير لهم من معصية الرسول ﷺ وأن من يعص الله ورسوله يوشك أن يصيبه ما أصاب هذه الأمم».

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ هذا دعاء ختم به نوح عليه السلام جهاد رسالته.

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ استر عيوبي وأعطني ثوابا.

﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ الأب والأم.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ لأهله ولمن تبع رسالته.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ وأهلك الظالمين ولا تزدهم إلا دمارا وهلاكا في الأنفس والأموال.

-اللهم اغفر لنا وارحمنا ولا تجعلنا من القوم الظالمين، اللهم هب لنا خاتمة الخير وقنا مصارع السوء وتجاوز عن سيئاتنا يوم الحساب -

- والحمد لله رب العالمين -

سُورَةُ الجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

تفسير سورة (قل أوحِي إليّ)

تسمّى هذه السّورة سورة الجن، وسمّاها البخاري في كتاب التفسير: سورة (قل أوحِي إلي)، واشتهر اسمها عند المؤدّبين في الكتاتيب: سورة قل أوحِي.
روى البخاري ومسلم، من حديث ابن عباس، أنه قال: «انطلق الرسول ﷺ في طائفة من الصحابة قاصدين سوق عكاظ بنخلة، فصلّى بأصحابه صلاة الفجر، واستمع فريق من الجنّ إلى قراءته فرجعوا إلى طائفتهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ فأنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

من مقاصد هذه السورة : – إثبات أن لِلّه خلقا اسمُهم الجن منهم الصّالحون ومنهم دون ذلك.

– الإخبار بأن دعوة الرسول ﷺ بَلغت إلى الجن.

– إبطال عقيدة الجاهلية بأن الجن بيَدِهم النّفع والضّرر.

– تكذيب دعوة الجاهلية بأن محمدا ﷺ تلقّى ما يقول من الجن، فأثبت القرآن بأن ما يقوله الرسول ﷺ وَحْيٌ يوحى.

قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ والخبرُ عن الوحْي ورد في حديث البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيُفصَم عنّي وقد وَعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيْته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيُفصَم عنه وأن جبينه يتصبّب عرقا».

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ أمر الله تعالى الرسول ﷺ بأن يبلغ الناس خبرَ استماع نفر من الجن قرآنا يُتلى فعجبوا بذلك وحلّت الهداية قلوبهم، بإذن الله، فاهتدوا به إلى الخير، إلى صراط الله المستقيم فأسْلموا ورفضوا الشرْك. والمراد بكلمة نَفر الجماعة من البشر أو من الجن، وبكلمة الرّشد الخير والصّواب والإيمان.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ تعالى: أي شدّة العلوّ، علوا أعلى

ممّا تعارف عليه الناس من العظمة والجلال. هو الغني المطلق لا شبيه له لا يحتاج إلى الصّاحبة ولا إلى الولد وهذا تأكيد لعظمته وجلاله.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ السّفيه عند المشركين: إبليس. وأنه كان يُلقنهم صفات لله تعالى لا تليق بعظمته، فيها مبالغات سخيفة تتجاوز حدّ الوقار كنسْبة الصاحبة له والولد! والله سبحانه وتعالى غنيّ عن ذلك.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ كانت طائفة من الإنس والجن قبل الإسلام يُصدّقون بما يُروى من خرافات وأوهام، تفيد أن طوائف من الجن قادرون على النّفع والضرّ فتبيّن لهم لمّا سمعوا القرآن أنّهم كاذبون. وكلمة ﴿ظَنَنَّآ﴾ هنا بمعنى تيقنّا. قال الشيخ بن عاشور: «وفي هذه الآية إشارة إلى خطر التقليد في العقيدة وأنها لا يجوز فيها الأخذ بحسن الظن فيمن يخبر بذلك بل يتعيّن اتهام المخبر حتى يُقيم الدليل المؤدّي إلى اليقين».

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ والمعنى: أنه لمّا رأت الجن رجالا من الإنس يَحْتَمون بهم لخوفِهم منهم، زادوهم رَهَقا أي خوْفا وفجيعة ورُعبا ويظل الخوْف منهم يَتزايد. وعن ابن عباس رضي الله عنه: «فزادوهم رهقا أي زادوهم خوفا ورُعبا وإثما».

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ قال بن جرير: «أي وأن الإنس ظنّوا كما ظن الجن أن لن يبعث الله رسولا في هذه المدة».

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ اللّمْس أي الطّلب.

والمعنى: طلبَ الجن بلوغ السّماء واستماع كلام أهلها، فوجدوها محروسة بالشهُب. والشهُب: القِطعة التي تنفصل من بعض الكواكب وتكون مُضاءة بعد انفصالها.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ والمعنى: إنّنا الآن لا ندْري ماذا أريد بأهل الأرض من شرّ أو خيْر بعد أن كنّا نتجسس الأخبار من السماء. والرّشد: وَسيلة للخير.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ مِنّا الأبرار المهتدون ومِنّا مَن لم يكتمل صلاحُه.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ كنّا مذاهب متفرّقة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ الظن معناه اليقين. أي لن نعجز الله في الأرض إذا أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ وإنّا لمّا سمعنا القرآن وآمنّا به. والبخس: الغبن في الأجر ونحوه. والرهَق: الإهانة. والمعنى أن مَن آمن بالله لا يَخشى البخس في الجزاء على ايمانه ولا أن يُهان بإذن الله تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ﴾ أي أصبحنا بعد سماع القرآن، منّا المسلمون الذين اتبعوا دعوة الإسلام ومِنّا القاسطون أي الكافرون الرافضون لمبادئ الإسلام.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ والمعنى أنّه مَن آمن بالله وعمل بكتابه وسنّة رسوله ﷺ نجا وفاز بالجزاء. ﴿تَحَرَّوْا﴾ اجتهدوا لِبلوغ سُبل الخير.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ القاسطون: هم الكافرون المنصرفون عن طريق اليقين ولجهلهم وعِنادهم شُبّهوا بالحطب لأنّهم لا يعقلون، وهُم كالحطب مصيرُهم إلى النار.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ والمعنى: وَأوْحى إليّ الله أنه لو استقام الناس فأسلموا لَما انحبس عنهم الغيث. قال الشيخ بن عاشور: «مضمون الآية: أنّه ممّا أوْحى الله إلى النبي ﷺ أن يقول للناس أنّه لو استقام الظالمون فأسلموا وطبّقوا مبادئ الإسلام ما أصابهم الله بإمساك الغيث».

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ ليختبرهم الله في ما أعطاهم: أيكفرون أو يشكرون؟ ليترتب على ما يفعلون العقاب أو الجزاء. والملاحظ أن الإستقامة هي السلوك الصالح على الطريق المستقيم الواضح.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ الآية أكدت الإنذار السّابق: أي فإن أعرضوا عن ذكر الله ورفضوا العمل بالقرآن ظلوا في مسالك العذاب الأشدّ لا مصرف لهم عنه ولا تخلص.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ فسّر الآية الخليل بن أحمد قال:

«والمعنى فالمساجد مختصة لعبادة الله وهي معالم التوحيد». وفي هذا المعنى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾. روى بن كثير عن عكرمة: «أن هذه الآية نزلت في المساجد كلها». وهذا توبيخ لمن اعتدى على بيت من بيوت الله.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ عبد الله هو محمد ﷺ.

وكلمة لِبَدا مفردها لِبْدَة وهي ما تلبّد بعضُه على بعض. ويُقال لِبْدة الأسد: للشعر الذي تلبّد بعضه على بعض في رَقبَته. واختار ابن جرير ما قاله قتادة: «تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره».

وقوله تعالى ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي لمّا أعلن الرسول ﷺ بالدعوة.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ والمعنى قال لهم الرسول ﷺ لمّا آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليُبطلوا ما جاء به قال ﷺ: «إنّما أعبُد ربّي وأتوكّل عليه ولا أشرك بالله».

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ ليس لي قدرة على هدايتكم ولا على إضلالكم بل الأمر كلّه بيد الله عزّ وجل.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ أي لا نَصير لي إلاّ الله ولا ملجأ التجئ إليه يُنجيني سواه.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾ إلاّ أن أبلغ عن الله تعالى الرسالة التي أرسلني بها لا أزيد ولا أنقص. والرسالة هي القرآن الكريم.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ أي أن أبلّغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فإن له نار جهنم لا مناص لهم منها ولا خروج لهم أبدا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أي حتى يرى المشركون من الجن والإنس ما ينتظرهم يوم القيامة فسيعلمون في ذلك اليوم أنّ للمؤمنين ناصرا يضُرهم، قال تعالى في سورة غافر: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾، أما المشركون فلا ناصر لهم بالكليّة.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ إن الله تعالى يأمر الرسول

ﷺ أن يقول للناس إنّه لا علم له بوقت الساعة. وأنه لمّا ظهر له جبريل عليه السلام في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: «يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! ولما سأله الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال الرسول ﷺ: ويحك إنّها كائنة، فما أعددت لها؟ فقال جبريل عليه السلام: أما إنّي لم أعدّ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيام ولكنّي أحبّ الله ورسوله! قال ﷺ: فأنتَ مع مَن أحببت». قال أنس بن مالك: «فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث».

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ الغيب كله لا يعلمه إلا الله وحده، إلا ما علّم الله تعالى بعض الرسل مما يجب أن يبلغوه للناس مما يتعلق بتبيان الرسالة: كالعلم بعلوم الشريعة وكالوعد والوعيد أو ما آراد الله أن يبلغوه للناس مما يؤيد دعوة الرّسل عليهم السلام.

روى ابن كثير عن ابن الجوزي بيانا قال فيه: «ويكون المعنى في ذلك: أن يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداد رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم كاملة تامة». هذا وإن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل أن تكون لا محالة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «أي أحاط بجميع ما لدى الرسل من تبليغ وغيره وأحاط بكل شيء مما عدا ذلك».

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١﴾.

صدق الله العظيم وبلّغ رسوله الكريم
ولله الحمد والمنّة والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾
۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ

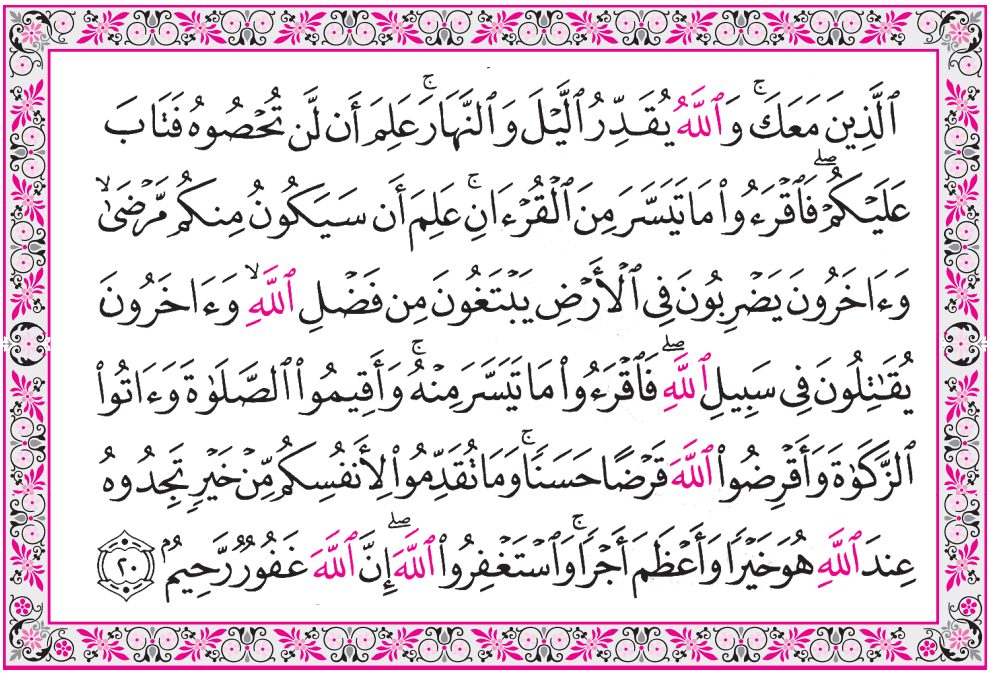

اشتملت هذه السورة على أوامر عديدة منها:

– أمر النبي ﷺ بقيام الليل والثناء على طائفة من المؤمنين اقتدوا به فصلوا، ثم نسخ بعض قيام الليل بالإكتفاء بقيام بعضه رعيا للأعذار

– وعلى تثبيت النبي ﷺ على تحمل أعباء الرسالة والتبشير بالنصر على أعدائه – وذكر أهوال يوم القيامة والوعد بالجزاء العظيم على فعل الخيرات – – والأمر بإقامة الصلاة وأداء الزكاة.

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ روى الطبري عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «لما أنزل الله على النبي ﷺ (يا أيها المزمل) مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الشيخ بن عاشور: «وتعيّن أن هذه الآية نزلت للتخفيف عنهم جميعا لقوله تعالى فيها ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فهي ناسخة للأمر الذي في أوّل السورة».

والملاحظ أن الآية لم تنسخ الأمر بالصلوات الخمس المفروضة ليلة المعراج وإنما كانت للتخفيف من زمن النوافل في الليل. ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه – ليلة بات في بيت خالته ميمونة أمّ المؤمنين– قال فيه: «نام رسول الله ﷺ وأهله حتى إذا كان نصف الليل أو قبله أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله– ووَصف ابن عباس وضوء النبي ﷺ– وأنه صلى ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى جاءه المنادي لصلاة الصبح».

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يقرأ القرآن بتمهّل في النطق بحروف القرآن حتى يخرج من الفم واضحة. وقد وصفت عائشة الترتيل قالت: «لو أراد السامع أن يعدّ حروفها لعدّها لا كسَرْدِكم هذا». وفائدة هذا الترتيل: مساعدة السامعين ليتلقوه بعناية وليتدبر القارئ والسامع معاني ما يسمع ويعلق بحافظته سليما من الأخطاء.

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ قال ابن عاشور: «شأنه شأن الثقيل في كوْنه لا يقوى الواحد على الإستقلال بمعانيه».

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: «إن ناشئة الليل هي القيام بعد النوم». وفسّر ابن عباس رضى الله عنه ناشئة الليل بصلاة الليل كلها. قال الشيخ ابن عاشور: «إن في قيام الليل تزكية وتصفية لسرّك وارتقاء بك إلى المراقي الملكية وهي أشدّ وقعا». وقال قتادة: «صلاة الليل أشدّ أثر خير في النفس وأرسخ خيرا وثوابا».

﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ السّبح: التصرّف المتّسع الذي يشبه حركة السّابح في الماء. قال ابن عباس رضي الله عنه: «السّبح: الفراغ». أي إن لك في النهار فراغا طويلا لقضاء حوائجك فافرغ لدينك في الليل. قال الشيخ ابن عاشور: «فيتحصّل من المعنى: قم الليل لأن قيامه أشدّ وقعا وأرسخ قولا لأن النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوة بنفسك. وشُغل النبي في النهار هو الدعوة إلى الله وإبلاغ القرآن وتعليم الدين ومحاجّة المشركين».

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ أي دُم على ذكر الله ليلا ونهارا، ذِكرا طيّبا وتسبيحا وتهليلا وتكبيرا وتوحيدا

وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ أي أفرغ البال والفكر إلى ما يرضي الله وانقطع عن الأعمال التي تلهيك عن مهام النهار وقيام الليل، وليس التبتل ترْك أمور الحياة التي منها غذاء الإنسان ومنعشات الروح.

﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي ربّ جميع العالم الذي ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: أمر الله نبيه ﷺ بأن لا يعتمد إلا عليه وأن يفوّض أمره إليه.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقول فيه المشركون من سفهاء قومه الذين كذبوه وأن يهجرهم بأن يجانبهم بقلبه مع المداراة وترك المكافأة.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ والمعنى أن الله يهدّد الأثرياء المغترّين بأموالهم الذين كذبوا بالحق لمّا جاءهم. فأمرالله الرسول ﷺ أن: اصبر على ما يقولون فإن الله سيكفيك أمرهم سبحانه وهو العزيز المقتدر.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ أي إعتدنا للكافرين أولى النعمة، أنكالا أي قيودا ثقالا في جحيم جهنم وطعاما تغصّ به حلوقهم وعذابا شديدا مقابل ما كان عليه في الدنيا المكذبون بالدين من التبرّد من الحر والإنهماك في أطعمتهم اللذيذة.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ ترجف الأرض: تُزلزل وتضطرب وتتحوّل الجبال ربوة من الرّمل كثيبا منتشرا.

روى الطبري في تفسيره: «أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فصعق». وعن الحسن البصري: «أنه أمسى صائما فأوتي له بطعام فعرضت له هذه الآية فقال: ارفعه، ووُضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «هذا الخبر تهديد للمشركين بأنه سيحلّ عليهم عذاب مثلما حلّ بفرعون لأنه عصى الرسول موسى عليه السلام فكان عقابه الأخذ الوبيل أي الشديد». والوبيل: اسم للعصا الغليظة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ والمعنى: كيف تتقون الله

وتخشونه وأنتم لا تؤمنون بيوم الجزاء – يوم القيامة – ولا تخافون أهوال ذلك اليوم، يوم الأهوال والأحزان، يتفاقم هموما وتشيب فيه نواصي الأطفال؟؟

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الإنفطار التشقق في السماء لنزول الملائكة وصعودهم. وانفطار السماء في ذلك اليوم تهويل لأحوال يوم القيامة.

﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ أي كان الوعد بوقوع يوم القيامة مفعولا لا ريب فيه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ إن هذه الآيات الناطقة بالوعيد موعظة لمن أراد أن يتقرب إلى الله بالطاعة.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ أي من شاء الله تعالى هدايته إلى الخير، فلا حائل يحول بين طالب الخير إلا مشيئة الله، فليتقرب إلى الله تعالى بالطاعات. قال الله في سورة الإنسان ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ قال الشيخ ابن عاشور عند تفسيره (قُمِ اللَّيْلَ) «إن القيام يُراد به الصلاة». وقد ورد في الحديث «أن النبي ﷺ قام حتى تورّمت قدماه، وقيل له في ذلك: إن الله قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: أفلا أكون عبدا شكورا!».

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ورد في الحديث: «استقيموا ولن تحصوا – أي ولا تطيقوا – فخذوا بقدر الطاقة».

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ قال ابن كثير: «أي من غير تحديد بوقت ولكن قوموا من الليل ما تيسّر». وفي الحديث، اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين لمرض، فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ هذه الآية فيها عذر لترك قيام الليل: للمرضى الذين لا يستطيعون القيام والمسافرين الذين يبتغون المكاسب والمتاجر والمشغولين بالغزو في سبيل الله.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ اقرؤوا من القرآن ما تيسّر منه.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أحرصوا على إقامتها ولا تفرّطوا فيها، كتبها الله تعالى على المؤمنين فرضا حتميا: قال الله تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾. هذا وقد علّم الرسول ﷺ المسلمين الصلاة الكاملة. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلّم على النبي ﷺ فردّ وقال: ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فرجع فصلىّ كما صلىّ ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فرجع فصلىّ كما صلىّ فقال النبي ﷺ: ارجع فصل فإنك لم تصل (ثلاثا)، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسنُ غيره فعلِمني فقال: إذا قمت إلى الصلاة فكبّر ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك». وفي هذه الآية: – تذكير بأهمية الصّلوات الخمس وأنّها مغفرة للمؤمنين وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، واجبة بالكتاب والسنة. – وأن قيام الليل نافلة وهو سنّة وفيه خيْر كثير. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾. ومن السنة صلاة الوتر وصلاة الفجر وصلاة الضحى وركعتان بعد صلاة المغرب وقيام رمضان وصلاة العيدين. وهذه السنن مرغّب فيها. قال ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي».

والمعلوم أن المراد بالسنة هو القوْل الوارد في الكتب الصحاح عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. ويطلق لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة رضوان الله عليهم. والسنة حُجّة في أحكام الدين. قال الله تعالى في سورة الحشر ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ... ﴿٧﴾﴾.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الزكاة ركن من أركان الإسلام. جاء في فقه الزكاة : فمن أنكر فريضتها كان كافرا مرتدا بالإجماع. قال سيدنا أبو بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «لأقاتلن مَن فرّق بين الصلاة والزكاة». والزكاة ربع العشر في المال. قال الله تعالى في سورة النور ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ... ﴿٣٣﴾﴾.

وقال تعالى في سورة البقرة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآيتان تفيدان أن المال مال الله: (آتاكم ورزقناهم)، وقال الله تعالى في سورة الحديد ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا

جَعَلَكُمۡ مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ...﴿٧﴾﴾. وتُصرف الزكاة كما جاء في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ الإقراض لله هو دفع الصدقة التي ليست واجبة، وإنما هو عطاء تطوّعي غير الزكاة يجازي الله تعالى عنه أحسن الجزاء. قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُۖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «القرْض الحسن هو الصدقة المراد بها وجه الله تعالى السالمة من المن والأذى».

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الخير هو الفعل الحسن الذي وعد الله فاعله بالثواب الجزيل. وتقديم الخير يعني ما يفعله الإنسان في حياته يرجو به جزاء من عند الله. وهذا العمل شبيه بما يعدّه العازم على السّفر من أشياء ينتفع بها عند الوصول إلى المكان المقصود.

﴿هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ والمعنى: إن الذي تقدّمونه قرضا خالصا لله في الدنيا فإنكم تجدونه في الآخرة خيرا أفضل مما كسبتم. ذكر ابن كثير بسنده عن الحارث بن سويد قال: «قال رسول الله ﷺ: أيّكم ماله أحبّ إليه من مال وارثه؟ قالوا: ما منا من أحد إلا ماله أحبّ إليه من مال وارثه، قال: اعلموا ما تقولون! قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله! قال ﷺ: إنّما مال أحدكم ما قدّم ومال وارثه ما أخر» رواه البخاري والنسائي.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾﴾ اكثروا من ذكر الله ومن استغفاره في أموركم كلها، فإن الله تعالى يغفر لمن يشاء ويتوب على من يشاء وهو الغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وهو الغفور الودود.

ومن الخير أن يستغفر المسلم ربّه إذا انتبه من أجزاء الليل وهو مما دلّ عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة الذاريات ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قال النبي ﷺ: «ينزل ربّنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

وقال ﷺ: «من تعارّ من الليل – وهو التقلب على الفراش ليلا بعد نوم، حين ينتبه النائم فيبدّل جنبا على جنب – فقال: لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إلاه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم اغفر لي، ودعا، استجيب إليه».

–والحمد لله رب العالمين–

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ من سورة نوح.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى

مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى
ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ
ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سورة المدثر، ثانية السُّوَر نزولا بعد سورة (إقرأ باسم ربك). قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وهو يحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «أن النبي ﷺ قال: فبيْن أنا أمشي، سمعت صوتا من السماء فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي

جاءني بحِراء جالس على كرسيّ بين السماء والأرض، فُجئت منه رعبا فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، دثروني! فدثروني، وصبّوا عليّ ماء باردا. فأنزل الله (يا أيها المدثر)». قال ابن كثير: «أن هذا الحديث يقتضي أنه قد نزل الوحْي مرّة ثانية بسورة المدثر وذلك لقول النبي ﷺ: فإذا الملك الذي جاءني بحراء، وهو جبريل عليه السلام».

مما اشتملت عليه السورة: تكرّم الله على النبي ﷺ باختياره للقيام بأعباء الرسالة الأمر بالتطهير وإنذار المشركين بهوْل البعث وتهديد من زعم أن القرآن قوْل البشر واستخفوا به ووصْف أهوال جهنم.

قال الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه، قال: ماذا تقولون في هذا الرجل؟ يعني محمدا ﷺ فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر، وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن، وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر، وقال بعضهم بل سحر يُؤثر أي سحر قديم. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحزن وقنّع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى سورة المدثر».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ نداء لرسول الله ﷺ للتهيؤ لهذا الأمر العظيم، أمر مواجهة قريش بالدعوة وما سيترتب عليه من مشاق كثيرة متنوعة.

﴿قُمْ﴾ أي بادِر لإنذار الناس والدعوة لِسبيل ربك. وفي الكشاف: قم قِيام عزْم وتصْميم.

﴿فَأَنذِرْ ۝٢﴾ حذِّر: أي أقبل على الإنذار لجميع الناس ماعدا السّيدة خديجة رضي الله عنها، فإنها آنذاك آمنت قبل جميع الناس.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي لا تكبّر غيره: كبّره في اعتقادك وكبّره بقوْلك تسبيحا وتعظيما.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي أزل النجاسات. وروى الترمذي: «إن الله نظيف يحبّ النظافة». وطهّر ثيابك: عبارة تستعمل في اللغة كِناية عن طهارة القلب والخلق ووسائل العمل.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ عن ابن عباس: «الرّجز هو الأصنام». وليس معناه أنه

ﷺ تلبّس بشيء من ذلك فالرسول ﷺ كان هاجرا الأوثان والأرجاس مِن قبل بعْثته.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ المنّ: تذكير من تصدّقت عليه بأنك أنعمت عليه. وتستكثر: تعظم الشيء الذي أعطيته لغيرك. وهذه الآية توْجيه ونهْي عن المنّ. قال الحسن البصري: «لا تمْنن بعملك على ربّك فتستكثره».

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ الصّبر تثبيت النفس على الاستمرار في تحمل المشاق والمصاعب. أي اصبر لحكم الله وتكاليف وحْيه. قال الشيخ ابن عاشور: «وهذه الآيات فيها ستّ وصايا أوصى الله بها رسوله وجعلها قدوة لأمته».

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿النَّاقُورِ﴾ البوق الذي ينفخ فيه النافخ ليُنادي الناس ويسمّى أيضا الصور.

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد العسر على الكافرين باعتبار ما يقع فيه من الأحداث المهولة.

﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد للآية السابقة أي غير سهل عليْهم.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ روى ابن إسحاق: «أنه اجتمع نفر من قريش عددهم سبعة رجال، فقالوا إن وفود مكة ستقدم عليكم في الموسم وهم يتساءلون عن أمر محمد ﷺ، وقد اختلفتم في الإخبار عنه، فقالوا مجنون وأحدهم قال شاعر وغيره قالوا كاهن ومجنون وقال الوليد ابن المغيرة: فكرت في أمر محمد وإن أقرب القوْل فيه أن تقولوا ساحر جاء يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. قال ابن إسحاق فأنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآيات» الوحيد: هو الممتاز عن غيره. قال ابن كثير: «أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله المال والبنين».

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ أعطاه الله سعة من الرزق. عن ابن عباس: «كان مال الوليد بين مكة والطائف إبلا وغنما وعبيدا وجواري وبساتين وامتن الله عليه ببنين يحضرون معه ويتباهى بهم، كان له عشرة بنين لا يغيبون عنه».

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ١٤﴾ بسطتُ له الجاه العريض والرئاسة في قومه، فكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾ أي أنه لا مزيد على ما أعطاه الله لأنه كفر بالنعمة.

قال تعالى في سورة إبراهيم ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ...٧﴾ قال الشيخ ابن عطاء الله «من لم يشكر النِّعم فقد تعرّض لزوالها ومن شكرها قيّدها بالشكر».

﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ كلا: كلمة ردع وإبطال ما قبلها. لأنه حاول أن يطعن في القرآن ووصفه بأنه سحر أو شعر أو كلام كاهن فكان العنيد الذي خالف الصواب. ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ صعوداً جبلٌ في جهنم يتصعّد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا». إنه صعود مرهق. ومن دعاء القرآن في سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ...٢٨٦﴾.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ أعْمل فكره ليبتكر فكرة في وصف القرآن وصفا غبيا ليبعد قريشا عن الاعتقاد بأنه من عند الله.

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾ أي كأن يقول القائل: قتله الله ما أشجعه!.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ دعاء عليه بأن يقتله قاتل.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ ثم أعاد التفكير وأمعن النظر.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض ما بين عيْنيه وقطب جبينه.

﴿وَبَسَرَ ٢٢﴾ تغيّر لونه لأنه لم يجد مطعنا وعيْبا من العيوب في القرآن الكريم.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣﴾ رجع عاجزا مستكبرا عن قول الحق والإنقياد للقرآن ثم خطر بباله فقال: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾.

قال ابن جرير الطبري بسنده عن عكرمة: «أن الوليد ابن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فمشى للوليد فقال: يا عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك الصدقة! قال لماذا؟: روى العوفي أن ابن عباس قال: «دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر الصديق فسأله عن القرآن؟ فلما أخبره أبو بكر خرج الوليد على قريش فقال: يا عجبا لِما يقول ابن أبي

كبشة في محمد، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا يهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله!. فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا لئن صبا الوليد بن المغيرة لتصبَوَنّ قريش. فلمّا سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه. فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال ألست أكثرهم مالا وولدا؟؟ فقال أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على أبي بكر الصديق لتصيب من طعامه. فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلن أقرب أبا بكر ولا عمر ولا محمد وما قوله إلا سحر يؤثر» فأنزل الله على رسوله ﷺ.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ الصّلي: جعل الشيء مباشرا حرّ النار. قال بن عباس: «سقر إسم للطبق السادس من جهنم».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: أي شيء يدريك ما سقر؟ وهو استفهام للتهويل.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ لا تبقي شيئا فيها إلا أهلكته، وإذا هلكت الهالك يُعاد إليها.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال الزمخشري: «أي تلفح الجلد لفحة فتجعله أشد سوادا من الليل».

﴿لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ أعالي الجلد.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ تسعة عشر ملكا يعذبون مَن في النار. قال الزمخشري: «قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمعتم محمدا يخبركم أن خزنة النار تسعة عشرة وأنتم الدّهم؟ أيَعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بأحدهم؟ فقال أبو الأشدّ: أنا أكفيكم سبعة عشرة فأكفوني أنتم إثنين!!».

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابن كثير: «إن ذكر عدّة الملائكة تسعة عشر هو اختبار من الله للناس».

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليعلموا أن هذا الرسول ﷺ حقّ، نطق بمطابقة ما بين أيديهم من الكتب السماوية التي نزلت عليهم.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ لتقوية ايمان المؤمنين بما يشهدون من صدق الرسول ﷺ.

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ قال ابن عاشور: «كأنّ الكافرين يقولون ما الفائدة من ذكر العدد؟ وكأنهم يريدون تكذيب أن يكون وحْيا من عند الله».

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ يضل الكافرين ويهدي المؤمنين. فالمؤمنون يعتقدون أن أفعال الله حسنة مبْنية على الحِكمة وقوله هو الحق فيزيدهم ايمانا، والكافرون يشكّون فيها فيزيدهم كفرا وضلالا».

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا الله تعالى. وهذا دفع لوهْم متوهّم أنهم تسعة عشرة فقط. وقد ثبت في حديث الإسراء بالصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في صِفة البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه». وروى ابن كثير بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع إصبع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كفّ إلاّ وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك إلا أنّا لم نشرك بالله شيئا».

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ قال مجاهد: «هي: النار». وتمّ ذِكر أوصافها في آية سابقة ليتذكر البشر دار العقاب.

﴿كَلَّا﴾ قال الزمخشري: «جعل النار لهم ذِكرى وهُم لا يتذكرون».

﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أقسم الله تعالى بالقمر والليل والصبح، جوابُه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ أي إن سقر إحدى الدواهي إنذارا ولا نظير لها.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ لمن شاء أن يكون من السابقين إلى الخير، أو التخلف عنه. قال ابن عباس: «أي لمن شاء أن يتعظ بالنذارة ويهتدي إلى الحق أو يَردّها».

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ قال ابن عباس: «أي كلّ نفس معتقلة محبوسة بعملها يوم القيامة».

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ أصحاب الخير مقامُهم في جهة المكرمين.

﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يسأل بعضهم بعضا عن مقام المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أجابهم المجرمون: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي جريمتهم ترك الصلاة. والملاحظ أن التاركين للصلاة محرومون من فضل التقرب إلى الله وإنّ تاركها عمدا عاص.

في صحيح مسلم قال ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة». وأن الساهي عن الصلاة له الويل. قال الله تعالى في سورة الماعون ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾. وأفضل الأعمال الصلاة في وقتها وأزكى الصلاة ما كان أداؤها بأركانها وسننها وأكمل الصلاة إذا كان مصليها خاشعا غير منشغل بغيرها.

قال الله تعالى في سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ المسكين الفقير المدقع، وقيل الغريب عن وطنه. وقال عكرمة: «هو الفقير المديون المحتاج» وقال سعيد بن جبير: «هو الذي لا أحد له». فالمساكين بأنواعهم حقهم على الأغنياء أن يطعموهم فمن أطعمهم فاز فوزا مشكورا ومن منعهم حقهم في ماله من الزكاة والصدقات فقد اعتدى عليهم.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الباطل من القوْل كتأييد الشرك أو أذى الرسول ﷺ.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ أي لا يؤمنون بيوم الجزاء، يوم القيامة.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ أي حتى أتاهم الموت ولم يتوبوا.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ إنّهم لا تنفعهم الشفاعة، لأن الشفاعة تكون لمن ارتضاه الله لا لمن كفر به، إنها ثابتة لغيرهم يوم القيامة بإذن الله. وخلاصة القول، أن سبب العذاب بسقر- لِطائفة من الناس- فيهم من ترك الصلاة،

ومنهم من يحرم المسكين من الطعام، ومنهم من يخوض في كلام يؤذي به غيره، ومنهم من كان يكذب بيوم القيامة، هؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين. قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ... ﴿٢٥٥﴾﴾.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ سؤال تعجّب. أي ما لهؤلاء الكافرين رافضين لكل تذكرة نافعة ومن أعظمها القرآن الكريم؟.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ القسورة الأسد. أي إن فرارهم عن التذكرة وإعراضهم عن الحق شبيه بفرار حمر الوحش إذا فرّت من أسد.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ روى ابن كثير: «أن مجاهد قال: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل على رسول الله ﷺ». قال ابن عاشور: «قال أبو جهل وغيره من كفار قريش للنبي ﷺ: لا نؤمن لك حتى يأتي إلى كل رجل منا كتاب فيه: من الله إلى فلان بن فلان!!».

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ أي لأنهم لا يؤمنون بيوم الجزاء ولا يخافون منه، أعرضوا عن الإنتفاع بالتذكرة.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ يعني إن القرآن تذكرة حقا.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ أي يذكر القرآن ولا ينساه لينتفع بذكره، ويتدبر القرآن ليزداد ايمانه.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال الشيخ بن عاشور: «والمعنى أن تَذَكُّرَ من شاءوا أن يَتذكروا لا يقع إلا مشروطا بمشيئة الله أن يتذكروا». وهذه هي المشيئة العظمى المعبّر عنها بالتوفيق.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ إن الله هو أهل للتقوى لا غيره، فعلى أولي الألباب والتذكّر أن يتقوه ويخشوه. فإن المغفرة من خصائصه، وهو خير الغافرين وأرحم الراحمين.

روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أهل أن أتّقى فمن اتقاني فلمْ يجعل معي إلاها آخر فأنا أهلٌ أن أغفر له».

صدق الله ورسوله

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

هذه السورة اشتملت على أدلة البعث واثبات الجزاء وتكريم السعداء والزجر لمن يحب العاجلة وينسى الآخرة. قال بن عطية، عن عمر بن الخطاب أنه قال: «من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة».

قال الله تعالى ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ قال الشيخ بن عاشور: «معناه كأن نقول لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بأعز شيئ منه». وتكرّرت جملة – لا أقسم – للتأكيد. يوم القيامة ظرف: يجري فيه عدل الله وما يحضُر فيه من الملائكة.

والنفس اللوامة سمّيت باللوامة لأنها تلوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة في الدنيا. قال الحسن البصري: «ما يُرى المؤمن إلاّ يلوم نفسه على ما فات ويندم، ويلوم نفسه على الشرّ لِمَ فعله، وعلى الخيْر لِمَ لَمْ يفعله ولم يستكثر منه».

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾﴾ هذه جواب القسم، وتقدير الجواب: لنجْمعنّ عظام الإنسان ونبعثها للحساب.

﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ بلى: حرف إبطال لما قبله. والمعنى: قادرين على جمع عظام الإنسان وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول بعد تفرّقها وبعدما تنسفها الرّياح وتطيّرها في أباعد الأرض. وإن الله قادر على أن يجعل بنان الإنسان، أي أطراف أصابعه، مُستوية. قال الشيخ ابن عاشور: «وإذا كانت البنان هي أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد، كانت تسويتها كناية عن تسوية جميع الجسد، فإنّه قد يكنّى بأطراف الشيئ عن جميعه، كأن تقول: قلعت الرّيح أوْتاد الخيمة كِناية عن قلْع الخيمة كلها» اهـ.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ المعنى: بل إن الإنسان المُشرك، مصمّم على الإستمرار في شركه بالله وفعل الفجور، كالكذب وفعل السّوء. أَمَامَهُ: أي يضلّ متّصفا بالكذب وإنكار البعث في مستقبل أيّامه لا يقلع عمّا هو فيه من فجور.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ يسأل الإنسان تعيين الوقت الذي يقوم فيه الناس لربّ العالمين، وكأن الإنسان يسأل وهو مكذّب بيوْم البعث.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ أي لمع البصر من شدّة شخوصه، وهو كناية عن الرعب.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ ينْطمس نوره انطماسا دائما مستمرا.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى التصاق القمر بالشمس، فتلتهمه الشمس لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي وضع الله عليها النظام الشمسي» اهـ.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ وإذ حل يوم القيامة وحضرت أهواله يقول الكافر أين المفر؟ أي ليْت لي مكانا ينجيني.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ قال ابن عباس: «أي لا نجاة». وقد ورد في الحديث: «ينظر في جهاته فلم يجد إلا النار».

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «هو كلام من جانب الله تعالى، خاطب به النبي ﷺ في الدنيا». قال ابن كثير بسنده، عن ابن عباس: «أي لا نجاة» اهـ. وإلي الله المرجع والمصير.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ أي يُخبر بجميع أعماله، قديمها وحديثها أوّلها وآخرها صغيرها وكبيرها.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ قال قتادة: «شاهدٌ على نفسه». قال الزمخشري: «والمعنى أنه ينبّأ بأعماله وأن جوارحه تنطق بذلك وتشهد عليه». قال الله تعالى في سورة النور ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ أي: ولوْ جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه. والمعنى أن الكافر يعلم، يومئذ، أعماله التي يستحق العقاب عليها ويحاول أن يعتذر وهو يعلم أن لا عُذر له ولو أفصح عن جميع معاذيره.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ سبب نزول هذه الآية، رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن، يحرّك به لسانه يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلّت منه، أو من شدة رغبته في حفظه، فكان يلاقي من ذلك شدة»، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ قال: جَمعُه في صَدْرك ثم تَقرَؤه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ قال: فاستمِع وأنصت ثم علينا أن نُبيّنَه بلسانك أي أن تقرأه» اهـ.

ومعنى قول الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي إذا قرَأه جبريل عليه السلام عنّا.

﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ أي أنصِت إلى قراءتنا.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ أي ثم علينا أن نُبيّنه بلسانك.

ويرى الشيخ ابن عاشور أن معنى الآيتين: «إن علينا جمع الوحي وأن نقرأه وأن نبيّنه للناس بلسانك أي عن ظهر قلب لا بكتابة تقرؤها بل أن يكون محفوظا في الصدور بَيّنا لكل سامع لا يتوقف على إحضار مصحف» اهـ.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ أي إنّما يحملهم على التكذيب بيوْم القيامة ومخالفة القرآن العظيم، هو حب الدنيا العاجلة واللهو بها وتشاغلهم عن الآخرة، وفي هذا توبيخ لهم، وأما لو أحبوا الدنيا العاجلة بما فيها من أنواع الحلال واستعدوا للآخرة بالإستقامة والعمل بكتاب الله لم يكن عملهم مذموما. قال الله تعالى في سورة القصص ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا. . .﴿٧٧﴾﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ الوجوه الناضرة وجوه أهل السعادة. والوجوه الباسرة وجوه أهل الشقاء كالحة من توقع سوء العقاب، كالحة عابسة.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ كلا: حرف ردع. التراقي: جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم. والمعنى: لستَ يا ابن آدم قادرا على تكذيب ما أخبرت به في دنياك وها أنت ترى ما أنكرته لحظة مبارحتك الدنيا.

قال الله تعالى في سورة الواقعة ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه: «أي قيل من يرقى بروحه، ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وهذا كلام يكون من كلام الملائكة». وقال ابن عاشور: «معناه، وقال قائل: من يَرْقي هذا، رُقيات لشفائه؟».

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ أي وظن المحتضر أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ والتَوَت ساقه على ساقه عند رعدة الموت.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ أي يُساق الإنسان إلى حكم الله تعالى. ذكر ابن عاشور قال: «وفي الصحيح عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة رضي الله عنها: إنّا نكره الموت! قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيئ أحبّ إليه ممّا أمامه فأحبّ لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته فليْس شيئ أكره إليه ممّا أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» اهـ.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ القوْل في الذي كفر في دنياه وكذب بالحق بقلبه مُتوليا عن العمل الصّالح ولم يؤدّ صلاته ولم يزكّ ماله ولا صدّق بالرسول ﷺ وبالقرآن ولا يخشى الله.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ أي جذلان كسلان لا همّة له ولا عمل، يختال ويتمطى بمدّ خطاه، ويذهب إلى أهله يتبختر افتخارا: هذا دعا عليه القرآن فقال تعالى ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ وهو دعاء عليه بأن يُصيبه ما يكره.

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ الآيتان تهديد مع تكرار الدعاء بأن تُصب عليه المصائب. أعاذنا الله. أخرج الترمذي في صحيحه بسند عن ابن عمر: «قال رسول الله ﷺ إذا مشت أمّتي المطيْطاء وخدمتهم فارس والروم، فقد جعل بأسهم بينهم».

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ كلمة سدى معناها مهمل. يقال جَمَل سُدَى. ومن معاني الآية: أيحْسب الإنسان أن يتركه الله دون أن يبعثه من قبره

لمحاسبته على أعماله في الدنيا، وأن تهمل أعماله سدى لا يُحاسب عليها؟ قال الشيخ ابن عاشور: «إن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وأبدع تركيبه ووَهبه القوى العقلية التي لم يعطها غيره من الحيوانات ليستعملها في منافع لا تنحصر أو في ضد ذلك من مفاسد جسيمة، لا يليق بحكمته أن يهمله مثل الحيوان، فيجعل الصالحين كالمفسدين والطائعين لربهم كالمجرمين وهو العليم القدير».

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

النطفة: القليل من الماء سُمي بها ماء التناسل. العلقة: القطعة الصغيرة من الدم العاقد. الزوجين: الذكر والأنثى.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ والمعنى: إن الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم ولم يكن شيئا مذكورا، هو قادر على إعادة هذا الجسم للجزاء يوم القيامة. روى ابن كثير بسنده عن قتادة، ذكر لنا: «أن رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: سبحانك بلى».

روى الحافظ بسنده عن أَبَيْ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة القيامة، شهدتُ له وجبريل يوم القيامة، أنه كان مؤمنا بيوْم القيامة».

الحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا

﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

هذه السورة دعوة إلى طاعة الله وابتغاء رضائه، تخبر الإنسان الذي لا يعرف أين كان قبل أن يكون، بأنه خُلق من نطفة خليط يحمل بذورا من عناصر السّمع والبصر والفكر وغيرها، ليُختبر ويتحوّل مسؤولا على تصرفاته مدى حياته.

وتصف الجزاء للشاكرين وأنواع عقاب كل كفور.

قال الله تعالى﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ هل: بمعنى قد. الحين: مقدار من الزمن كساعة. الدهر: الزمن الطويل.

﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ لقد كان شيئا لا يذكر لأنه كان معدوما.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ خلق الإنسان من نطفة التناسل.

﴿أَمْشَاجٍ﴾ أمتزج فيها الماءان. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره، وذلك كقوله تعالى في سورة الملك آية ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...۝٢﴾.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ جعل الله السمع للإنسان ليتلقى مبادئ الشريعة والبصر لينظر في بديع صنع الله – وفي كل شيئ له آية تدل على أنه الواحد –.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ إن الله أرشد الإنسان إلى الحق فمن اتبع الهدى كان شاكرا وإن خالف طريق الهدى كان كفورا.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ اعتدنا: هيأنا للكافرين. سلاسلا: حلق من الحديد تصنع منها القيود للجناة. أغلالا: الحلقة الكبيرة من الحديد توضع في رقبة المجرم. سعيرا: النار المسعّرة التي يُزاد لها الوقود ليزداد التهابها.

والسلاسل والأغلال توضع لهم ليُساقوا بها إلى جهنم.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ الأبرار: هم المكثرون من فعل الخير. والكأس: إناء للشراب وفيه شراب يمزج بالكافور. الكافور: زيت يستخرج من حطب شجرة في بلاد الصين أبيض اللون ذكي الرائح.

قال الشيخ ابن عاشور: «ومن المفسرين من قال إن كافور اسم عيْن في الجنة».

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ عينا بدل من كافور، أي ذلك الكافور تجري به عين في الجنة يشرب بها عباد الله.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ يستقي منها عباد الله كل واحد يفجر لنفسه ينبوعا ولا تنضب.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ أي أن الأبرار يؤدون ما ألزمهم الله به من الطاعات وأنواع العبادات، وكذلك يوفون بما ألزموا به أنفسهم من فعل الخيرات. روى البخاري

بسنده عن عائشة رضي الله عنها، أن الرسول ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ ومن صفات الأبرار أنهم يتركون المحرمات خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، يوم يكون الشر مستطيرا يعمّ الناس جميعا إلا مَن رحم الله تعالى.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الأبرار يفضلون إطعام الفقير والمسكين والأسير على أنفسهم وهم يشتهونه. روى ابن كثير بسنده عن نافع قال: «مرض عبد الله ابن عمر فاشتهى عنبا فأرسلت صفية امرأته من يشتري عنقودا من العنب وأعطته درهما، فأتبع المشتري سائل، فلما دخل المشتري بالعنب قال السائل: السائل! (مرّتين)، فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه. فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع السائل المشتري فلما دخل قال: السائل! السائل! فقال بن عمر أعطوه، فأعطوه إياه. فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فلما دخل قال: السائل! السائل! فقال بن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا! ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به». وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر». قال أبو سعيد الخذري رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ فقال: المسكين الفقير واليتيم الذي لا أب له والأسير المملوك أو المسجون» ذكر الحديث القرطبي.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ يعني إن الأبرار يقولون للذين يطعمونهم إنما نطعمكم طاعة لله، فالمطعم هو الله تعالى.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ أي لا نريد منكم جزاء على العطية ولا أن تشكرونا عند الناس.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ عبوسًا: شرسا مخيفا. قمطريرا: الشديد الصعب، يوم تحدث فيه حوادث سوء من أنواع العذاب.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ أعطاهم الله بدل عبوس الفجار وحزنهم، جمالا نضرا في وجوههم وسرورا في قلوبهم.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ أعطاهم الله وجوها نضرة وسرورا بسبب صبرهم، وجازاهم على خوفهم من الله.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ جنة يسكنونها وحريرا يلبسونه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الإتكاء: جلسة يستند فيها الجالس على مرفقه وجنبه ويمدّ رجليه. قال ابن عاشور: «هي جلسة ارتياح» اهـ. والأريكة سرير عليه وسادة معه سُترٌ لتقي الحرّ والشمس.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ والمعنى: ليس في الجنة حرّ الشمس ولا شدة البرد، يعني أن هواء الجنة معتدل لا ألم فيه.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ والمعنى: إن أدواح الجنة قريبة من مجالس أهلها.

﴿قُطُوفُهَا﴾ مفرده قِطف وهو العنقود من العنب أو التمر. والمعنى: إن قطفها لا تتعب قاطفها.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾

﴿وَيُطَافُ﴾ من كلمة الطواف وهو مشيٌ مكرّر حول شيئ.

﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ الإناء ما يوضع فيه الشيئ يرتفق به.

﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ أي تأتيهم الآنية من فضة إكراما لهم. قال تعالى في سورة الزخرف ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ... ﴿٧١﴾﴾ وذلك لإدخال المسرّة على أنفسهم.

﴿أَكْوَابٍ﴾ الكوب كأس لا عروة له.

﴿قَوَارِيرَا۠﴾ القارورة: إناء من الزجاج كأنه يشف بما فيه، وتتكرر الكلمة لإفادة التصنيف.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ قدّروا ما فيها من الشراب حسب ما يطلبه كل شارب منهم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ الزنجبيل إسم لنبات جذوره كاللفت. قال الشيخ ابن عاشور: «النبات ذو رائحة عطرية طيبة أحسنها ما ينبت بالصين وهو منبّه يستعمل منقوع في الماء والسكر».

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ قال ابن كثير: «والزنجبيل عين في الجنة تسمى

سلسبيلا». والسلسبيل معناه الماء السّهل المساغ.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ والمعنى يطوف على الأبرار ولدان مخلدون: أي باقون دائما خالدون. قال القرطبي: «إن الولدان خالدون باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة والغضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون وهم على سنّ واحدة على مرّ الزمان» اهـ. والولدان المنتشرون حول الأبرار يزدان بهم المقام كأنّهم، لكثرتهم وتحرّكهم، بساط منثور عليه أنفس الجواهر المتلألئة. قال الرازي: «هذا تشبيه عجيب، لأنّ اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون أرْوع وأبْدع».

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «الخطاب لغيْر معيّن». ﴿ثَمَّ﴾ أي هناك في الجنة وما فيها من المسرّات. ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة، كمن ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه». قال ابن كثير: «فإذا كان هذا عطاء الله تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بمن هو أعلى منزلة وأحظى عنده، سبحانه وتعالى». وفي الحديث القدسي، قال تعالى: «أعددت لعبادي الصّالحين، ما لا عيْن رأت ولا أذن سمعت». ذكره في الصفوة.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ والمعنى: أن لباس أهل الجنة، الحرير الرفيع وهو السندس، والإستبرق هو الحرير اللماع. قال تعالى في سورة الكهف ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ... ﴿٣١﴾﴾. قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى أن فوقهم ثيابا من الصّنفيْن يلبسون من السندس ومن الإستبرق، واللون الأخضر أمتع للعين».

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أهل الجنة يتحلون بالسّوار بالمعصم. قال الزمخشري «وما أحسن بالمعصم، أن يكون به سواران سوار من ذهب وسوار من فضة». قال ابن كثير: «الفضة من لباس الأبرار وأما المقربون فأساورهم من ذهب».

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ شراب طاهر من الخبائث ولا يؤدي إلى سوء القوْل والهذيان.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ إن ما أنعم الله على الأبرار هو جزاء ما عملوا من الصالحات، تكريما وإحسانا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ اختص الله سبحانه وتعالى بتنزيل القرآن على رسوله ﷺ، آيات بيّنات واقتضت حكمته أن أنزله منجّما.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ أي أصبر لما خصّك الله به بتبليغ الرسالة وما تكلفك من متاعب وما يحصل لك من أذى المشركين ومن رفض الدعوة، ولا تطعهم فيما يعرضون عليك من مال ومصاهرة وملك، وبلغ ما أمرك الله به ولا تطع منهم آثما فاجرا ولا رافضا كفورا.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ قال ابن عباس وابن زيد: «إن هاته الآية والتي بعدها فيها إشارة إلى بيان أوقات الصلوات الخمسة وأمر بالدوام عليها في أوقاتها».

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ قال ابن عاشور: «أي تنفل لله أكثر الليل بالصلاة».

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ العاجلة هي الدنيا. أي يحبون الدنيا وما فيها ولا يخشون ما ينتظرهم في اليوم الثقيل يوم القيامة، ثقيل لشدة ما يحصل فيه من الأتعاب والكروب، فهو كالشيئ الثقيل الذي يصعب حمْله. والمعنى: إن هؤلاء مذمومون لأنهم نَسوا يوم الحساب وأهواله وكأنهم لا يؤمنون به، ولو أنّهم أحبوا الدنيا مع الإستعداد للآخرة ما كانوا ملومين. قال تعالى في سورة القصص ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا... ﴿٧٧﴾﴾.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الله خلق الخلق من عدم.

ومعنى ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي شددنا توْصيل عظامهم بعضها ببعض ووثقنا مفاصلهم بالأعصاب. قال الشيخ ابن عاشور: «والشدّ، الإحكام واتقان ارتباط أجزاء الجسد بعضها ببعض بواسطة العظام والأعصاب والعروق». اهـ

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ تهديد لمن يجحد وقوع البعث. كقوله تعالى في سورة فاطر ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ موْعظة لترك سوء الأعمال والإقبال على عمل صالح نافع.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾ فمن اختار طريق الخير وحسن العاقبة فليَتب، فمن لم يَتب فهو ضال الطريق. وتتم توْبة التائب برجوعه من طريق الضالين إلى الطريق المستقيم الذي يبلغ به مقام رضَى الله تعالى.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «أي ما تحصل مشيئتكم بحال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله»

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ قال ابن كثير: «أي إن الله عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، ومن يستحق الغِواية يُصْرف عن الهدى». ولله الحكمة البالغة والحجّة الدامغة.

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ والمعنى: يُدخل في رحمته من يشاء أن يتخذ إليه سبيلا، وأنه أعدّ لمن لم يتخذ إليه سبيلا عذابا أليما.

وفي هذا المعنى قوله تعالى في سورة المدثر ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ... ٣١﴾ فمن يهْده الله فلا مضل له ومن يظلل فلا هادي له.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنة وحريرا» أورد الحديث ابن حجر بأسانيد إلى أَبَيّ بن كعب رضي الله عنه.

سُورَةُ المُرسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ
كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

اشتملت سورة المرسلات على أدلة وقوع البعث إثر فناء الدنيا وعلى أن الله تعالى قادر على إعادة خلق الإنسان والأرض. وعلى وصف أهوال القيامة وعذاب الآخرة للمكذبين، وعلى الدعوة للإسلام والتصديق بالرسول محمد ﷺ.

قال الله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ قال ابن العباس هي الرياح.

﴿عُرْفًا﴾ فسّرت بمعنى المعروف ضدّ كلمة المنكَر.

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ رياح شديدة.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ عن ابن عباس: «الرياح تنشر السحاب في الأجواء».

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ رياح رحمة يشُرن السّحب في الجوّ ويفرّقن بينها على البلاد.

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة الذين يُبلّغون الوحْي والمواعظ.

﴿عُذۡرًا﴾ من أعذر: أي محا الإساءة لمن تاب بعد الذنب.

﴿أَوۡ نُذۡرًا﴾ من أنذر: إذا خوّف من فعل شيء. قال ابن كثير: «تلقي الملائكة إلى الرّسل وحيا فيه إعذارللمستغفرين وإنذار للمكذبين».

قال ابن عاشور: «هذا قسم بمخلوقات عظيمة دالة على عظيم علم الله وقدرته».

وجواب القسم، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ الخطاب للمشركين. «والمعنى إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة، لكائن لا ريْب فيه وواقع ما له من دافع».

وتشير الآيات الآتية إلى أنه ستحصل قبل البعث أحداث عظيمة مهولة:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ إذا زال نورها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ تفرّق هيكلها. ويقال فرج الجدار إذا ظهرت فتحة فيه وشقوق متعددة. قال الشيخ ابن عاشور: «والسّماء إسم جنس يشمل السماوات السبعة».

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ النّسف: قلع أجزاء الشيء بعضه عن بعض. والجبال إذا نسفت تتحول ترابا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ قال ابن عباس: «حضر ميقاتها الذي وقت لها». وقال الزمخشري: «معنى أقتَتْ الرّسل: تبْيين وقتِها الذي يحضُر فيه الرّسل للشهادة على أمَمهم».

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ جملة استفهام، لتهويل يوم القيامة.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ويَتميّز فيه بين الحق والباطل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ هذه الآية الكريمة استفهام للإشعار بالتعجّب من هوْل يوم القيامة.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ الويل: العذاب والشر لمن يكذب الرسل ولمن يكذب بالقرآن الكريم، ويل لهم من عذاب الله غدا.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧﴾ الإهلاك هو الإعدام والموت. قال

الزمخشري: «ومعنى الآيات، أن الله أهلك الأوّلين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى».

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨﴾ المجرمين في القرآن، لقب للمشركين وسبب إهلاكهم هو إجرامهم. قال الشيخ ابن عاشور: «أي تلك سنّة الله في عقاب المجرمين بإهلاكهم».

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ الويل: العذاب والشر لمن يشرك بالله ويكذب الرّسل وبكتاب الله، وهذا تحذير من عاقبة السوء.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ أي إن الله خلق من هذا الماء الضعيفِ، انسانا قويّ الجسم ذا عقل وبيان وهذا مثل خَلق الله النخلة من نواةٍ.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١﴾ المراد بالقرار المكين: الرّحم.

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ وهو الزمن المقدر لمدّة الحمل.

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ فنعم ما قدّره الله بقدرته وحكمته. قال الشيخ بن عاشور رحمه الله: «أي كان التقدير، تقدير أفضل قادر».

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٤﴾ معنى الآية: العذاب لمن يكذب بيوم البعث.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥﴾ كَفَتَ أي جَمَعَ.

﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦﴾ والمعنى، أن الأرض تجمع الأحياء على ظهرها وتجمع الأموات في بطنها. قال الشعبي: «بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم». قال الفقهاء: «إن القبر حوْز للميت كالبيت حوْز للحي».

﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ رواسي: أي جبالا ثابتة في الأرض والشامخات أي مرتفعات تثبت الأرض.

﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧﴾ ماء عذبا زلالا من السحاب أومن عيون الأرض أو ممّا ينحدر في الجبال تجري أوْدية.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾ أي ويل لِمن يستمر على كفره وعناده.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩﴾ الذين كانوا يكذبون بوجود جهنم، مصيرهم أن تنطلق بهم ملائكة العذاب قسرا وجبرا، ليشهدوا بأمر من اللّه تعالى ما كانوا به يكذبون من حرّ اللهب وشرره.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾ الظِلّ: دخان جهنم يتصاعد شعَبا. فالنار إذا عَظم اشتعالها، يتصاعد دخانها من طرفيْها ووسطها لِشدة انضغاطه، وظِلّ هذا الدّخان لا يُظل ولا يَقي حرّ اللهب. قال الشيخ ابن عاشور: «كان التعبير بالظل تهكّما بالمكذبين لأنهم يتشوّقون إلى ظل بارد وإذا بالظل- دخان النار- لا يقيهم من حرّها». والشرر: قِطع من الحطب الدقيق مشتعلة يدفعها لهيب النار في الهواء. قال الزمخشري: «تشبه كل شرارة، قصرا من القصور، كما يشبه لهيبها طوائف من الجمال صفراء».

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ قال الزمخشري: «إن هذا اليوم الذي قصّ عليكم حاله، يوم القيامة». فالمكذبون أفحمتهم الحجج فلا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يقبل لهم عذر.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾ آية تدل على شدة الأهوال والزلازل يوم القيامة، وفيها إنذار وتحذير.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ يوم الفصل هو يوم القضاء بين الناس، هذا هو اليوم الموعود به في الدنيا والذي كان المشركون يكذبون به.

﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ الخطاب للمكذبين: أي جمعناكم والسابقين قبلكم في يوم الفصل. وفي هذا توبيخ للحاضرين وانذار للذين يكذبون الرسول ﷺ ويكيدون له المكائد.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ أي كما كنتم تكيدون في الدنيا، فافعلوه. وهذا تعجيز لهم وعذاب نفساني.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ وعيد وتهديد للمكذبين يتكرر.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾ إن المتقين الذين عبدوا الله وأدّوا الواجبات وتركوا المحرّمات، مستقرون في ظلال كثيرة لكثرة شجر الجنة وكثرة المستظلين، ينعمون بالفواكه الكثيرة من سائر أنواع الثمار ويعرض عليهم تناول النّعَم من الطعام والشراب كرامة من عند الله، ومن سنة الله تعالى في خلقه أن يجازي المحسنين.

اللهم اجمعنا وإيّاهم في دار الخلد وجنّة النّعَم

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ويْل لمن يستمرّ على التكذيب والكفر.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ الخطاب للمكذبين بيوم الدين. أيْ كلوا وتمتعوا مدة قصيرة في هذه الدنيا، ثم تساقون إلى نار جهنم كذلك يفعل الله بالمجرمين.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ والمعنى: أمِرَ هؤلاء المجرمون بأداء الصلاة فاستكبروا وعصوا واستمروا في ضلالهم يعمهون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هذه الآية توكيد ووعيد.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ قال الشيخ ابن عاشور: أي إذا لم يصدقوا بالقرآن مع وضوح دلالته فلا يؤمنون بحديث غيره».

عن أُبَيْ بن كعب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة المرسلات كُتِب أنه ليس من المشركين» أخرجه الحافظ.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ إبراهيم

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا

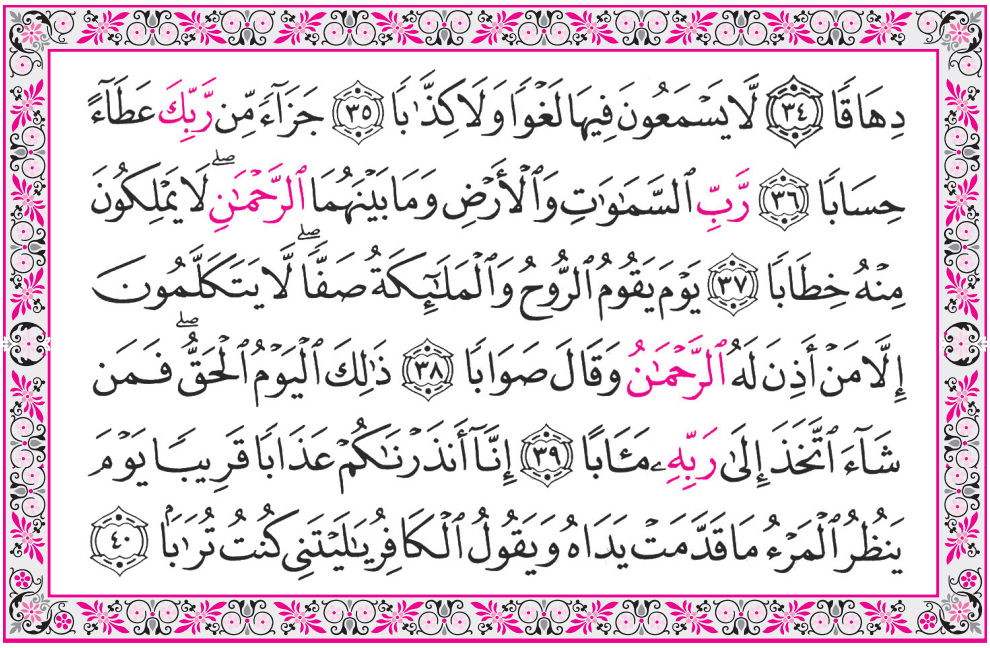
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

جاء في السورة الكريمة، أخبار عن يوم القيامة، والبعث والنشور والحساب. وأثبتت أن الله الذي خلق الإنسان، ليس من الصعب عليه إعادة خلقه بعد فنائه، وأنذرت المشركين بعذاب جهنم، وبشرت المؤمنين بنعيم دائم.

﴿عَمَّ﴾ عَمَّ: كلمة تشمل عن حرف جر (عن) دخل على (ما) الإستفهامية: عن ما؟ هذا الإستفهام لتفخيم شأن المستفهم عنه.

﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ يسأل بعضهم بعضا. وأهل مكة قبل إسلامهم، كانوا يتساءلون عن البعْث مستهزئين به.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ قال قتادة: «هو البعْث بعد الموت».

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ اختلف الناس في البعْث، منهم مؤمن به ومنهم كافر به.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ هذا تهديد ووعيد من الله سبحانه وتعالى للكافرين بالبعْث. ومن معانيها: فليَعْلم الذين استعظموا أمر البعْث وشأنه، أنّ خالق البعث هو الذي خلق الأرض والجبال والأزواج والنّوم والليل والنهار وسبع سماوات والشمس والسحاب وماء المطر- الذي أخرج به من الأرض الحبّ والنبات - والبساتين. إن مجموعة هذه المخلوقات العظيمة، تملأ نفس

القارئ بعظمة الخالق تعالى، وتجعل إحداث البعث أمرا أيْسر من إحداث هذه المخلوقات العظمى المذكورة في الآيات الموالية، ابتداء من قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝١٧﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦﴾ مهّد الله الأرض للخلائق، كالمهْد للرّضيع يطيب فيها السّكن، وذلّلها لهم لينتفعوا بخيْراتها.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ الوَتَد: ما تثبّت به الخيْمة. والجبال تُثبّت الأرض ولا تضطرب بمَن عليها.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾ الزّوج: اسم الذّكر والأنثى يتمتع كل منهما بفضائل الاخر، ويحصل التناسل بذلك.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ السُّبات: توقيف الحركة، وذلك لتيْسير الراحة من عمل النهار.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ الليل يستر كما يستر اللباس، وهو ستر عن العيون يغطّي الناس بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ النهار: زمن مضيء ليتمكن الناس فيه من التكسّب لضمان المعاش.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ بنى الله تعالى فوقنا سبع سماوات، كالسّقف للأرض، متينة لا تتناثر بمرور العصور.

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ...۝٣٢﴾.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ السّراج: المصباح الذي يستضاء به. والوهّاج يعني المتلألئ المضيء الوقّاد. والمراد بالسّراج الوهّاج: الشّمس وهي أعظم نجم يُشاهد في فضاء السماء.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ المعصرات: السّحب. أعصرت السحابة إذا آن لها أن ينزل منها مطر.

﴿مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ الماء الثجاج: هو المنصب بقوة.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ الحبّ: المقتات للناس كالقمح والشعير والأرز من فصيلة ذوات السنابل.

﴿وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ المراد به النبات الذي لا يأكل حبّه: كأنواع الحشيش والقرط والفصفصة.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ مفردها جنة: قطعة من الأرض مغروسة أشجارا يلتف شجرها بعضه ببعض لتقارب أغصانها، وبذلك يتمّ التنعّم بظلالها وثمارها وجمال منظرها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم البعث من القبور للجزاء.

قال تعالى في سورة النجم: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾.

﴿كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ إن وقت وقوع يوم الفصل، محقق ولو أبطأ وقوعه.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ الصّور: البوق ينفخ فيه نافخ لنداء الناس إلى الإجتماع. والصّور في الآية لا تعلم صفته، لأن أحوال الآخرة ليست كأحوال الدنيا. وفي الأثر أن المكلف بالنفخ فيه هو سيدنا اسرافيل.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ أتى: حضر بالمكان الذي تمت الدعوة إليه. وأفواجا: الجماعة إذا إنقسموا، كل قسم يدعى فوجا: فوج المصلين، فوج المجاهدين، فوج المشركين ...

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انشقت السّماء. وهو أمر عظيم يتبَعه انخرام نظام العالم الفاني.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ تصير السماء ذات أبواب، وحينئذ لا يبقى حاجز بين سُكّان السّماوات وبين الناس.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ تتحول الجبال من مكانها، تسير بزلزال ونحوه، وعند سيْرها تتفتّت أجزاء، تتحول إلى لا شيء كالسّراب. والسّراب: ما يبدو في الصحاري كالماء وليس بماء. قال تعالى في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ «جهنّم اسم لِدار العذاب في الآخرة». والمِرصاد: مكان الرّصد، يعني مكان الرقابة: أي إن جهنم لا تفلت أحدا يستحق دخولها.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ الطغيان: الكِبْر وعدم الإكتراث بحق الغيْر. والشرْك أقصى

الطغيان. والمئاب: اسم للمكان الذي يستقرّ فيه المرْء. والمعنى: إنّ جهنم مقرّ الطاغين. قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ لَبِثَ: سَكن في مكان لا يخرج منه. أحقابا: مفردها حُقب. والحقب زمن طويل، والأحقاب زمن طوله عظيم.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ يذوق: يدرك طعم الشيء من الشراب أو الطعام، وقد يُقال ذاق الألم. البرْد: ضدّ الحر، ومَن يشتدّ به الحرّ يشتهي النسيم البارد. الشراب المراد به: الماء الذي يزيل العطش.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ الحميم: الماء الشديد الحرارة.

الغَسَاق: الصّديد الذي يسيل من جرح الحرق. والمعنى: يذوقون ألم صبّ الحميم على الجسد، وألمَ مرور الغسَاق إذ يسيل على مواضع الحرْق.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ هذا الجزاء الذي هو عقوبة توافق ذنبهم، الذي هو إنكار البعث، وتكذيبهم للرسول ﷺ، واستهزاؤهم بالقرآن وبالرسول ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ إنهم كانوا لا يؤمنون بأن ثمة دارا يحاسبون فيها ويجازوْن، فهُم لا يخافون من الحساب.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ كانوا يكذبون بالحُجَج الواردة في كتاب الله.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ أحصت الملائكة على العباد أعمالهم، وكَتبتها عليْهم.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ إنّ أهل النار، في زيادة من العذاب أبدا. قال الله تعالى في سورة النساء ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ المتقين: هم المؤمنون الذين آمنوا بالنبي ﷺ، واتبعوا ما أمرهم به، واجتنبوا ما نهاهم عنه. المفاز: مكان الفوز ونيل المطلوب، وهو الجنة ونعيمها.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ الحديقة: هي الجنة ذات النخيل والأشجار، يحيط بها جدار. أعناب: شجرة العنب وثمارها، تجمع على أعناب.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ الكاعب: هي الجارية التي بلغت سن خمس عشرة سنة.

والتّرْبُ هو المساوي غيرَه في السّن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ الكأس: الزجاجة فيها شراب. ودِهاقا: مملوءة ليزداد الشارب منها سرورا.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ لا يسمعون في الجنة الكلام السّافل ولا الكذب.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ الجزاء: إعطاء شيء مقابل عمل، وأعطاهم من فضْله ما يكفيهم.

﴿رَّبِّ﴾ المالك المتصرف بتدبير ورفق ورحمة.

﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ربُّ ما على الأرض من مخلوقات، وما في السماوات من الملائكة والأسْحبة والأمطار والموجودات السابحة في الفضاء.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ صفة جليلة لربّ السماوات والأرض وما بينهما. رَبّ السماوات والأرض: مبتدأ، الرّحمان: خبر.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ أي إن الروح والملائكة لا يملكون الكلام بين يديه هَيْبة وجلالا، أما بقيّة المخلوقات فهم أعجز.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ إن الملائكة يلهمهم الله للإستئذان في الشفاعة لِمَن ارتضى.

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ... ﴿٢٨﴾﴾ أي لِمَن علموا – بإلهام من الله تعالى – أنه تعالى، ارتضى قبول الشفاعة فيه، وهو الذي قال صوابا.

﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ اليوم الكائن لا محالة، وهو يوم الفصل. قال الله تعالى في سورة الممتحنة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ... ﴿٣﴾﴾.

﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾﴾ المآب: مكان الرجوع أي رجوعا يناسب لقاء ربّه. أي اختر لنفسك حالة طيّبة تناسب المقام.

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أنذر: أخبر بحصول ما يسوء في يوم القيامة. وهذا اليوم، أخبر عن قرْبه القرآن. قال تعالى في سورة المعارج ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ في يوم الحق، ينظر الإنسان من ذكر أو أنثى،

ما أَسْلفه في الدنيا من الأعمال من خير أو شر.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ قال ابن كثير: «يَوَدّ الكافر يوم القيامة أنه كان في الدنيا ترابا». وذكر ابن محكم أن رسول الله ﷺ قال:

«أوّل ما يُدعى إلى الحساب يوم القيامة البهائم، فيقتص لبعضهم من بعض حتى تقتص الجمّاء من القرْناء، ثم يقال لها كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليْتني كنت ترابا!». الحديث أخرجه الطبري عن أبي هريرة.

روى الزمخشري في الكشاف أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة عم يتساءلون، سقاه الله بَرْدَ الشراب يوم القيامة».

–والحمد لله ربّ العالمين–

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ

الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سورة النازعات مكية، تثبت أصول العقيدة. وفيها ذكر الساعة وأشراطها، والخبر بأن الساعة آتية، وأن علمها عند الله تعالى.

قال الله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أقسم الله بالنازعات وهم جماعة من الملائكة لها صفات عظيمة، موكلون بقبض الأرواح. والنزع هو: إخراج الروح من الجسد.

﴿غَرْقًا ۝١﴾ قال ابن عاشور: «هو وصف للنزع: أي نَزْع مُغْرَق يمسّ أجزاء الجسد». قال مجاهد في تفسير هذه الآية: «هو الموت». ونزع مُغْرَق: أي بالغ الشدّة والعسر.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾ ملائكة، تنزع روح المؤمن بيُسْر، وتسلّها سلاّ رفيقا. قال ابن مسعود: «إن ملك الموت وأعوانه، ينزعون روح الكافر كما ينزع السّفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، وينزع روح المؤمن ويقبضها كما ينشط البعير من العقال».

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣﴾ ملائكة، تنزل بأمر الله لتنفيذ أمره، مسرعين كالذي يسبح في الماء.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤﴾ الملائكة، تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وهي تسير

سيْرا سريعا.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ الملائكة الذين يدبّرون شؤون الكون، بإذن من الله تعالى، على أكمل ما طلب منها. من ذلك: تصريف الرياح والأمطار والأرزاق والأعمار وتدبير الأمور شأن المدبر المتثبّت.

أقسم الله سبحانه وتعالى، بالنّازعات والنّاشطات والسّابحات والسّابقات والمدبّرات، أقسم بهذه الأصناف الخمسة من الملائكة على أن القيامة حق. وجواب القسم تقديره: لَتُبْعَثُنّ ولَتُحاسبُنّ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: «الراجفة والرادفة هما النفختان الأولى والثانية. أما الأولى فيموت عندها كل شيء، وأما الثانية فيحيا كل شيء، بإذن الله». قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ قلوب المشركين، الذين ينكرون البعث يوم القيامة، مضطربة من الخوف. وأما قلوب المؤمنين فإنها مطمئنة.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ أبصار أصحاب القلوب الواجفة، خاشعة بانخفاض أجفان العين، من فظيع ما تشاهده العين من سوء المعاملة. قال ابن عاشور: «والخوف يومئذ لا يخلو منه أحد، إلاّ أنّ أشدّ الخوف، خوف الذين يوقنون بسوء المصير».

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ يقولون: إننا متعجبون ممّا تعتقدون أنه سيقع ردّنا وإرجاعنا إلى الحياة، وأننا سنخرج من قبورنا ونعود إلى حالتنا القديمة. ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ جاء في تفسير الكشاف: يقال رجع فلان إلى حافرته، أي في طريقه التي جاء منها، فحفرها. ويستمرّ التعجب من أن يرجع المرء حيّا بعد أن يصير عظاما بالية.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ الكَرّة: الرجوع بعد الذهاب. والمعنى: قالوا إنها رجعة خاسر أهلها – حسب قولهم –.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ أي لا تحسبوا تلك الرجعة صعبة على الله، فإنها سهلة جعل الله لها سببا ما هي إلا صيحة واحدة أو نفخة واحدة.

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ إذا هُم أحياء على وجه الأرض، المنبسطة البيضاء المستوية.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي: هل ترغب في حديث موسى؟ وفي هذا السّياق عَرْضٌ. أي كأنك تقول لضيفك: هل لك أن تنزل بنا؟.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ هذه الآيات تضمنت رسالة موسى إلى فرعون لدعوته إلى الإقلاع عن الطغيان الأثيم، الذي عِماده عند فرعون: الشرك بالله وادعاء الربوبية وتفرده بالملك للبلاد والرقاب. وتتضمن دعوة موسى لفرعون: أنه عليه أن يقلع عن الشرك بالله، لتزكو نفسه بتوْبته، وتهتدي إلى خشية الله.

قال تعالى ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي أظهر موسى إلى فرعون دليلا محسوسا لإقناعه بحجة قوية على ما جاء به من عند الله. هذا الدليل هو: قلب العصا حيّة، بإذن الله، تلقف ما صنع السّحرة. فكذب فرعون، واعتز بما عنده من السحرة. فجمعهم، ليدحض بهم حجة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ كذّب بالحق ولم يصدّق. وظل يدبّر أمرا ليمحو به تأثره، وليثبّت قومه على ما هم عليه من ضلال.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ انصرف جادا، يريد أن يقنع قومه ليثبتوا على البقاء منبهرين بطغيان فرعون، حتى لا تصيبهم صبوة عن طرائقه الفاشلة.

قال تعالى ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ أي جمع قومه وجمع السحرة وقام فيهم خطيبا.

فَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ وهي كلمة الشرك العظيم.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي انتقم الله منه انتقاما شديدا، فأغرقه وجنده في حياته ولعذاب الآخرة أشدّ نكالا. إحدى الكلمتين ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ من سورة النازعات، والكلمة الثانية ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ...﴿٣٨﴾﴾ من سورة القصص. قال ابن عباس: «بين الكلمة الأولى والثانية، أربعون سنة».

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ العبرة هي: الموعظة. وفي هذه القصة مواعظ كثيرة منها: أن فرعون طغى وزجره موسى ودعاه إلى الخوف من الله تعالى، فكذب وعصى، فكان له عقاب شديد. وفي هذه القصة تعريض بأبي

جهل الذي طغى ورفض الرسالة فكان جزاؤه النكال به في غزوة بدر والنكال به في جهنم.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ يعني: أأنتم أصعب خلقا وإنشاء أم السّماء؟ وقد بناها الله تعالى.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ وجعل، سبحانه، سمكها رفيعا في تسوية بديعة.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ جعل ليلها ظلاما، وأبرز نورها ضحىً.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ بسطها ومدّها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ جملة تدل على جميع ما تخرجه الأرض قوتا للناس والحيوان: من ماء ونبات وما ينتج عن ذلك.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أثبتها في الأرض، متغلغلة صخورها.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ المتاع: يطلق على ما يُتمتع به مدّة وينتفع به زمنا. وتمتع الإنسان بالجبال، إذ فيها مراعي الأغنام، ومساكن عند الخوف من الغارات، مع ما فيها من معادن. إن هذه النِعم الكثيرة، تفرض على الناس الشكر لله تعالى على ما أنعم. وهي نِعَم لا تحصى عداً. فالحمد لله رب العالمين، اللهم اجعلنا شاكرين لأنعُمك.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ الطامة هي: القيامة. وقد وصفت في القرآن بالصّاخة والقارعة. والكلمة مأخوذة من طَمّ ماءُ الفيضانات: إذا أغرق كل شيء. ويوم القيامة يوم شدّة وهوْل.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يوم يعرض على الإنسان عمله، وهو يوم الجزاء. قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ تظهر الجحيم لأهلها، وهي جهنم. والجحيم كل نار عظيمة في حفرة عميقة. أعوذ بالله من النار وممّا يقرّب إلى النار.

قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ طغى الإنسان: تمرّد على أمر دينه، ورفض العمل بتعاليمه.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ اختار ملذات الدنيا المنهي عنها، على سلوك الطريق المستقيم.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ فإن مصيره إلى الجحيم: مأوى مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ خاف ساعة القيام بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وخاف حكم الله فيه، واجتنب الشهوات.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ ذلك لِمن خشي ربّه، ورضي الله عنه، ونِعم المأوى الجنة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ يسأل المشركون الرسول ﷺ عن الساعة – استهزاء – لأنهم كانوا يستبعدون وقوعها وهم في شك منها مريب. وفي الحديث الصحيح، فيما أورده ابن كثير: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة؟ فقال له: «ما المسؤول بأعلم من السائل».

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ والمعنى: أنه لا ينتفع بالإنذار، إلا مَن يخشى أهوال الساعة.

قال تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ والمعنى: إن اللبث يوم يرونه كأنّه عشية أو ضحى، مستقصرين مدّة حياتهم في الدنيا كأنّها عندهم عشية أو صبيحة يوم. قال الشيخ ابن عاشور: «وبانتهاء سورة النازعات، انتهت سوَر طِوال المفصّل».

–والحمد لله ربّ العالمين–

سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

قال ابن سعد: أخبرنا يزيد وجبير عن الضحاك، قال: «كان النبي ﷺ تصدّى لرجل من قريش يَدعوه إلى الإسلام، فأقبل عبد الله بن مكتوم فجَعل يُكلّم رسول الله ﷺ، والرّسول يُعرض عنه و يعبَس في وجهه ويُقبِل على الآخر. فعاتب الله رَسوله.

فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ فدعا رسول الله ﷺ الأعمى فأكرَمَه واسْتَخلفه على المدينة مرّتيْن.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ المَقام الذي أقيمت فيه الحادثة، كان النبي ﷺ مختارا فيه بين أمْرَين: إمّا أن يعْتني بالمشرك العَنود الوليد بن المغيرة وعصابته، أو أن يُقدِّم عليهم الأعمى المسلم الصّادق سيدنا عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه.

يبدو أن تقديم المشرك فيه غُنم كبير للإسلام إذ الإسلام كثيرا ما يهتمّ بالمؤَلفة قلوبهم، عسى أن يسْلم أحدهم فتتبعه قبيلته أو قبائل حليفة لها.

لذلك تصَدّى رسول الله ﷺ – باجتهاد منه– للوليد وتغاضى عن إلحاح الصحابي ابن أم مكتوم، ذلك لأن حصول النّفع للإسلام والمسلمين فيه غُنم كبير لِمصير الدّعوة الإسلامية. فالإعراض عن الأعمى لم يُقصد منه تفضيل الوليد على الأعمى بل هو اختيار فيه خيرٌ للإسلام والمسلمين، بمَن فيهم ابن أم مكتوم.

هذا، وإن تقدير الرسول ﷺ لابن أم مكتوم ثابت، ناهيك أنّه أقامه مُؤذنا أمينا على ضبط أوقات الصّلاة وتلك وظيفة عُليا فيها امتياز، وكثيرا ما ينيبه عنه إماما للصلاة، إذا غاب عليه السلام. وكان إذا لقِيَه يقول له: «مرحبا بالذي عاتبني فيه ربّي».

قال الشيخ ابن عاشور، في التحرير والتنوير: «والأظهر عندي، أنّ العِتاب إنّما كان عن العُبوس والتّولى لا عن تقديم الوليد على ابن أم مكتوم».

ثم قال الله تعالى ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ فتتطهّر نفسه من بعض ما يُخفى عليه من الآثام.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعِظ. ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ فتنفعُه موْعظتك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ أما الغنيّ فأنت تتعرض لاستقباله.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ أي وما أنت مسؤول عليه إن لم تحصل له هداية.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ أي قصدك لينتفع بما تقول له،

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ أي تتشاغل عنه. وفي هذا أمر من الله بأن لا يخصّ بالذكر أحدٌ وأن يساوي بين الناس جميعا.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ إنّ هذه الموعظة، تذكرة.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «يجوز أن يراد بالصّحف كتب الرّسل عليهم السّلام، مثل التوراة والإنجيل والزبور وصحف ابراهيم عليه السلام». وتكون هذه الصحف تأييدا للقرآن الكريم بأن الكتب السماوية جاءت بما جاء به القرآن الكريم. وفي هذا تنويه بفضيلة القرآن، وبرفعة مكانه وفضائل حمَلته ومُبَلّغيه.

قال تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ قال ابن عباس: «قتل الإنسان ما أكفره، معناه: لُعِن». وهو دعاء بالسّوء من الله تعالى على الإنسان الكافر، مثل: مَن ألّه أعجز المخلوقات كالحجارة ومثل: من رَفض أنّ للعبد خالقا، ورفض الحشر بعد الموت. إنّه كفرٌ قويٌّ.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ تَعجّب من إفراط الإنسان في كُفرانه بنعمة الله تعالى.

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨﴾ «أي من أيّ شيءٍ حقير مَهين خَلقه؟» الزمخشري.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ النطفة: الماء القليل الذي منه التناسل. سبحان الله العظيم، كوّن الإنسان- أبدع مخلوق- من أهْون شيء: وهو النطفة. فسبحانه الذي قدّر هذا الإنسان، فهيّأه لما يصلح له ويختص به.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ سهّل له سبيل مخرجه من بطن أمّه.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ جَعله ذا قبر يَحميه من السّباع والطّيْر لا مطروحا كسائر الحيوان.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ أخرَجه من قبْره ليوْم الحساب.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ كلا: كلمة ردْع للإنسان عما هو عليه. أي إنّ الإنسان لم يخلُ من تقصير، قال الشيخ ابن عاشور: «والمقصود أن الإنسان مسْتمرّ

على عدم قضاء ما أمره الله ممّا دعاه إليه، وخصوصا الكافر الذي يظل على رفض وحدانية الله وقدْرته على خلق الأجسام بعد الفناء ورفض الرسالة».

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾

في هذه الآية استدلال على تقريب كَيْفية البعث: فلينظر الإنسان إلى طعامه كيف يكون حُبيْبات تحت الأرض منتشرات مختلطة، فإذا أراد الله إحياءها أنزل عليها الماء، وشقّ لها الأرض شقا، فأنبتت حبّا. كذلك يحي الله الأجسام بعدما كانت عظاما وترابا يوم القيامة. الحَبّ: ما يَقتات منه الإنسان والأنعام وكل ما يعرف من الحبوب.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ القضْب: العلف. ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾ النخل يُؤكل منه البلح والبسر والرطب والتمر.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ تكاثف شجرها.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ قال بن عباس: «الفاكهة كلّ ما يؤكل رطبا، والأب نبات يأكله الدّواب».

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ المتاع ما يُنتفع به زمنا ثم ينقطع، مثل حُليّ المرأة، تتمتع به زمنا ثم تدسه.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ قال بن عباس: «الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله تعالى وحذر منه عباده».

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

روى ابن كثير عن عكرمة، قال: «يلقى الرّجل زوجته، فيقول لها: يا هذه، أيّ بعْل كنتُ لك؟ فتقول: نعم الزوج كنتَ! وتثني عليه بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أَطلبُ إليكِ اليوْم حسنة واحدة تهبينها لي لعَلي أنجو ممّا ترينَ، فتقول: ما أيْسر ما طلبتَ منّي ولكني لا أطيقُ أن أعطيكَ شيئا، أنا أتخوّف مثل الذي تخافُ!. قال: وإن الرّجل ليلقى ابنه فيتعلق به، فيقول: يا بنيّ أيّ والدٍ كنتُ لك؟ فيثني عليه بخير، فيقول له: يا بنيّ إني احتجتُ إلى مثقال ذرّة من حسناتكَ لعلي أنجو بها ممّا ترى، فيقول وَلده: يا أبت ما أيْسر ما طلبتَ ولكني أتخوّفُ مثل الذي تتخوّفُ منه، فلا أستطيعُ أن أعطيكَ شيئا!».

اختار ابن كثير أن يكون تفسير هذه الآيات بحديث عكرمة السّابق: يَراهُم ويَفرّ عنهم.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ وجوه مستنيرة، فرحة، تظهر عليها علامات البِشر والمسرّة. روى الحافظ بن كثير حديثا في التأكيد لهذا المعنى: «مَن كثرت صلاته بالليْل، حسُن وجْهه بالنهار».

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠﴾ عليْها دُخان، كالسّواد عليه غبار.

قال الزمخشري: «وكأن الله عز وجل، جمع إلى سواد وجوههم الغبَرة، كما جمعوا الفجور إلى الكذب».

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ يغلب عليها دخان يغشي الوجوه من الكرب والغمّ.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ هم الذين فسدت عقيدتهم وفسد عملهم: الكفرةُ قلوبهم الفجرةُ أعمالهم.

قال الحافظ ابن كثير بسنده إلى أُبَيْ بن كعب رضي الله عنه: «من قرأ سورة عبس، جاء يوم القيامة ووجْهه ضاحك مستبشر».

–والحمد لله ربّ العالمين–

شملت السّورة بيانا لأخبار يوم القيامة وما يحصل للكوْن من مظاهر

الخراب، وأكدت أن الإنسان يرى صحف أعماله ويحاسب عليها. وأثبتت أن القرآن الكريم، نزل به جبريل عليه السلام، وحفظه سيدنا محمد ﷺ وبلّغه.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ كوّرت: فسد جرمها وتداخل ظاهرها في باطنها واختل نظام سيرها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ زال ضوؤها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ انتقلت الجبال من أماكنها بسبب زلزال الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ مفرده الناقة العشراء: التي بلغ حملها في بطنها عشرة أشهر.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ جُمعت في مكان واحد من الأرض، عند قرب فناء العالم.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ تصاعدت منها النيران.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ معنى النفوس: الأرواح. والمعنى: أنّ الأرواح كانت منفصلة عن الأجساد موجودة في برزخ الأرواح، ويوم البعث تُعطى الأرواح لأجسادها. ذكر الشيخ ابن عاشور: «أنّ هذا المعنى رُوي عن عكرمة رضي الله عنه».

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ وأد الأب ابنته معناه: دفنها وهي حيّة. وذلك أعظم ذنب. قال الزمخشري في الكشاف: «إذا أراد الرجل قتل ابنته، يقول لأمّها طيّبيها وزيّنيها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويملأ عليها البئر ترابا حتى تستوي البئر بالأرض. كانوا يفعلون ذلك خشية الإملاق والفقر، وغالب العرب يفعلون ذلك خشية من إغارة العدو عليهم، فيسْبيها.

﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ يوم القيامة، تسأل الموؤودة على أي ذنب قتلت؟ وفي هذا تهديد لقاتلها. روى مسلم وإبن ماجه بسندهما: «أنّ أناسا سألوا رسول الله ﷺ عن العزل، فقال عليه السلام: ذلك الوأد الخفي.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ يعطى كل إنسان صحيفته. وهي صحيفة الأعمال، توزع على أصحابها، وحينئذ تعلم كل نفس ما عملت. جاء في الكشاف عن

مرثد بن وداعة: «إذا كان يوم القيامة، تقع صحيفة المؤمن في يده، كُتب فيها في جنة عالية. وتقع صحيفة الكافر في يده، كُتب عليها في سموم و حميم.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ أي أزيلت.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ أوقدت الجحيم إيقادا شديدا.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ قرُبت إلى أهلها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ أي علمت كل نفس ما أسلفته من الأعمال. قال تعالى، في سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ... ﴿٣٠﴾﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ الخانسة من النجوم هي التي تختفي.

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ الجَوار: جمع جارية تجري جريا حثيثا. الكنس: جمع كانسة، يقال: كنس الظبي إذا دخل مبيته. وكذلك النجم يجري جريا حثيثا ثم يدخل مكان غروبه.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ عسعس الليل إذا أقبل ظلامه.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ أقبل بنسيم لطيف.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إنّ القرآن.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ هو جبريل صلوات الله عليه، أرسله الله بالقرآن إلى محمد ﷺ.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ خلقه الله تعالى قويّا، ذا مقدرة على الأعمال العظيمة.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ جبريل، عند الله، عالي المرتبة.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ ثَم: اسم إشارة. يطيعه، عليه السلام، مَن معه من الملائكة كما يطيع الجيش قائدهم. والأمين يحفظ الأمانة حتى يؤديها تامة.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي ليس محمد ﷺ بمجنون، وهو الذي عرفتم صدقه، وشهدتم له بالأمانة، واخترتموه لكم فاصلا – يوم تنازعتم على وضع الحجر الأسود بمكانه – لرجاحة عقله، ودعاكم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فآمن به سادة أولي الألباب منكم وكانوا من السابقين.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ رأى محمد ﷺ، جبريل عليه السلام، على صورته

الملكية، كما خلقه الله تعالى، بجهة الأفق الأعلى، يوم نزلت ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ الآية الأولى الكريمة من سورة العلق.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤﴾ روى ابن كثير أنّ قتادة رضي الله عنه قال: «كان القرآن غيْبا، فأنزله الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ فما ضنّ به عن الناس بل نشره وبلّغه وبذله لكل من أراده».

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥﴾ هذه الآية، تبطل كلام المشركين بأن الوحي قول شيطان. فإنهم كانوا يظنون أن الكهان تأتيهم أخبار غيبية من الشيطان. قالت امرأة أبي لهب، مستهزئة – لمّا فتر الوحي بعد أمر حراء – قالت للنبي ﷺ: «إن شيطانك قد قلاك». ولذلك كانت هذه الآية تبطل دعوى المشركين وتثبت بأن القرآن ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ «سورة النجم».

﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦﴾ هذه الآية الكريمة تقول للمشركين: قد سدّت عليكم طرق شرككم، وأثبتت الحجة الدامغة بطلان إدعائكم، كما أثبتت أنّ القرآن الكريم تنزيل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ «سورة الواقعة».

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧﴾ الذّكر: اسم لجميع معاني الوعظ للزّجر عن الباطل وعن الضلال. فما القرآن إلا تذكير لجميع الناس، ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة ربّهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، وللمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوا القرآن.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾ أي مَن أراد الهداية فعليه بالقرآن: فإنه هداية له ومنجاة ولا هداية فيما سواه. قال تعالى في أول سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ والهداية من الله تعالى، لمن يشاء الله أن يهديه، لأنه تعالى وحده العليم بمن يستحق الهداية فيهديه.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ قال ابن كثير – في تفسيره مثل هذه الآية من سورة الإنسان–: «لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا، إلا أن يشاء الله والله عليم بمن يستحق الهداية

فييسرها له ويحدث له أسبابها».

روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التكوير، أعاذه الله أن يُفضح حين تنشر صحيفته».

-والحمد لله ربّ العالمين-

روى الترمذي عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رآه رأي العيْن، فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السّماء انفطرت، وإذا السّماء انشقت».

قبَسٌ مما اشتملت عليه: اثبات البعث، مشاهد من يوم القيامة وأهواله، دعوة المشركين إلى توحيد الله عز وجل.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ إنشقّت بإذن الله، وهو حدث يكون قبل البعث.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ خرجت من دوائر أفلاكها، وتساقطت من علوّها على الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ تفيض على ما حولها من الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ الأرض، تُلقي على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث، بعض شيء على بعض منها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ تعلم ما قدّمته في أوّل العمر، والعمل الذي عملته في آخر مدّة الحياة. قال الشيخ ابن عاشور: «وهذا تهديد ووعيد، على جميع المنكرات من أعمال المشركين».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ غرّه غرورا: وجعله طمَع فيمايظنّه نفعا وهو في الحق ضرر. قال ابن عاشور: «إن النبي ﷺ، لمّا تلا هذه الآية قال: غرّ هذا الإنسان جَهْله». وقال الحسن: «الإنسان غرّه شيطانه الخبيث، فزيّن له المعاصي حتى ورّطه» أورده الزمخشري.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ أوْجدك سويّا من عدَم، ولم تكن من قبل شيئا.

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك سويّا سالِم الأعضاء. في أحسن تقويم.

﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ أيْ خلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ ركّبك في صورة حسنة، تركيبا اقتضته مشيئته تعالى، كما شاء.

﴿كَلَّا﴾ أي لا عُذر للإنسان في الإشراك بالله تعالى.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ إنكم تكذبون بدين الإسلام، فلا تصدقون به، وهذا شرّ منكر.

قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ الملائكة المكلفون بأعمال الناس، هم يحفظون كل شيء ولا يضيّعون شيئا من الأعمال. قال الله تعالى فى سورة ق: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ وقد روي عن رسول الله ﷺ: «إن لكلّ أحد ملكيْن يحفظان أعماله».

﴿كِرَامًا﴾ والكرم صفة للملائكة، وهي زكاء الفطرة.

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ إن ما يكتبونه مضبوط، لا يستطاع تغييره.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ وأنّهم يعرفون ماذا يجري من الأعمال، وما يفعله الناس.

قال ابن عاشور: «واعلم، أنه يُنتزع من هذه الآية، أن هذه الصّفات هي عماد الصّفات المشروطة في كل من يقوم بعمل للأمّة في الإسلام».

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ البارّ هو التقيّ. والفاجر هو الذي لا يتقي الله. والأبرار ينعم الله عليهم، بما كسبوا جزاء دائما خالدا.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ يوم الجزاء يعذبون بحرّ النار المؤلم، جزاء عن فجورهم.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ وما هم بخارجين من الجحيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ هذا الإستفهام، مستعمل كِناية عن تعظيم يوم الدّين وتهويله. ولا يعلم كنْهه إلا الله العليم.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي يوم لا تقدر نفس على نفع نفس أخرى. قال الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ إنّه في يوم الدين، لا يتصرّف ولا يأذن ولا يأمر إلا الله سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير بسند صحيح عن أبي ابن كعب: «من قرأ إذا السّماء انفطرت، كتب الله له بعدد كل قطرة من السّماء حسنة وبعدد كل قبْر حسنة».

–والحمد لله ربّ العالمين–

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾
كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

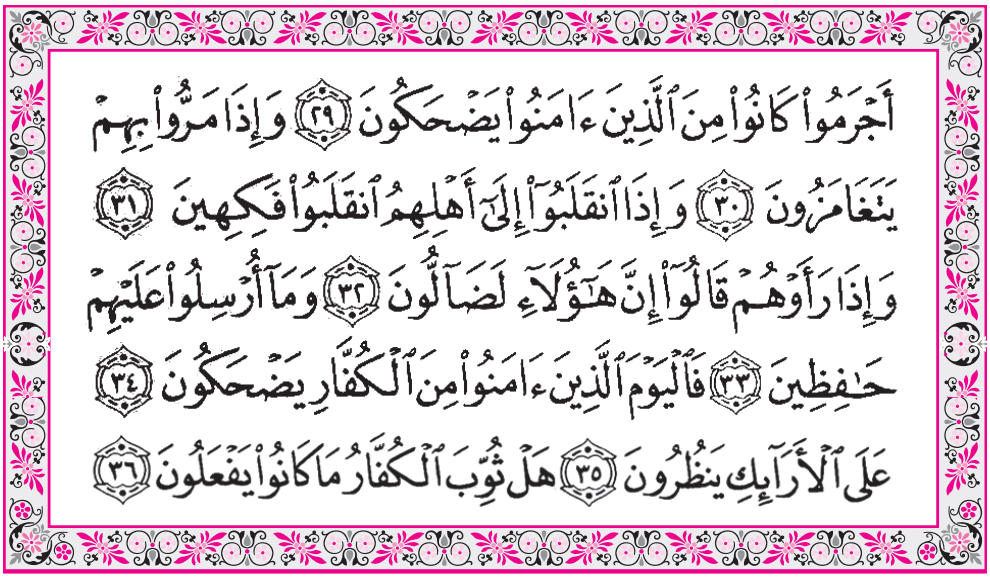
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سورة أعلنت الغضب على المطففين للكيل والميزان. وذكرت أنواعا من العذاب للفجار، وجعلت الويل لهم. وبشرت الأبرار بالنّعيم الخالد. وفيها تهكّم على الذين يتغامزون، ضاحكين على من أسلم.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ التطفيف: البخس في المكيال والميزان. والتاجر المطفف، ينقص إذا باع ويستوفي إذا اشترى. جاء في تفسير النسائي: أنّ رجلا يعرف بأبي جهينة، كان له صاعان: الصّاع الصّغير يبيع به والكبير يشتري به البضاعة. وأمثال هؤلاء، كان جزاؤهم الويل، وهو الخسار والهلاك. حديث أورده الزمخشري في تفسيره: أنّه كان تجار أهل المدينة – قبل هجرة الرسول ﷺ – أنهم كانوا يطفّفون، فلما نزلت هذه السّورة قرأها ﷺ عليهم، وقال ﷺ لهم: «خَمسٌ بخمس: ما نقض قوْمُ العَهد إلا سلط عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم القتل، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا مُنعوا النبات وأخذوا بالسّنين».

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ عن ابن عمر أنّه كان يمرّ بالبائع فيقول له: «اتق الله وأوْف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى إنّ العرق ليلجِمهم»

وفي هذا وعيد لِمن يبيع موْزونا أو مكيلا أو مقيسا، ظاهر عمله استقامة وفي باطنه الخيانة، وليعلم أنّ عمله مطيّة للخسارة والهلاك والويل.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ الظنّ: اعتقاد بإمكانية وقوع شيء، وقوعا بعيدا عن اليقين. والعجب منهم كيف يتجرؤون على التطفيف، وهو منكر عظيم.

﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾ للحساب على مقدار الذّرّة. روي عن قتادة: «أوْف يا ابن آدم كما تحب أنْ يوفى إليك، واعدل كما تحب أنْ يعدل لك».

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ يوم البعث للحساب، يوم عظيم، باعتبار ما يقع فيه من الأهوال. يوم يقوم فيه الناس لله، خاضعين، ينتظرون حكم الله فيهم. قال تعالى في سورة الإنفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ... ۝١٩﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ قال ابن كثير: «يوم عظيم الهوْل، كثير الفزع، جليل الخطب، منْ خسر فيه أدخل نارا حامية» وروى أحمد بسند صحيح، عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوم يقوم الناس لِربّ العالمين- لعظمة الرّحمان عز وجل - يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أَنصاف آذانهم». الويْل لبعض التجار، الذين سيْطر عليهم النّهم والرّغبة، فساءت أخلاقهم، فانقضوا على البائع والمشتري، وأوْهنوه بالتطفيف في الكيل والميزان، يقتطعون من ماله وهو في غفلة عمّا يعمل الظالمون. إنهم يتعدوْن حدود الله، ولا يظنون أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

﴿كَلَّا﴾ كلمة رد ع، لتؤكد أنهم مبعوثون ليوم عظيم.

﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ الفجّار: الذين يكذبون بيوْم الدّين، الذين عظم ذنبهم بالتطفيف في الميزان، وترك العدل في كل قول وعمل، وفي كل أخذ وعطاء. وكتاب الفجّار، جُمعت فيه أعمالهم من الشر.

﴿لَفِي سِجِّينٍ ۝٧﴾ سُمّي سِجّينا: من كلمة السّجن وهو الحبس والتضييق. روى الزمخشري: «أنه تحت الأَرض السّابعة، في مكان وَحْش مُظلم».

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ كتاب جامع: وهو ديوان الشرّ، دَوّن الله فيه، أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفَسَقة من الجن والإنس.

﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ٩﴾ أي مكتوب مفروغ منه: لايزداد فيه ولا ينقص من كتابته.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾ الذين يكذبون بيوم الدين، اعتدوا على الله تعالى، فأشركوا به ولم يُصدّقوا بكتابه العظيم، فوَصفهم القرآن بأنّهم معتدون وآثمون، وأنهم مكذبون للرّسل، ورفضوا السّماع للقرآن والعمل به، وقالوا إنّها أسطورة ابتدعها الأولون.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ لقد سمّاه المعتدون الآثمون، بأنّه قصص الأولين.

﴿كَلَّاۖ﴾ أي إنّ قوْلهم باطل.

﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ روى ابن جرير والترمذي، بسند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت». وروى النسائي: «أن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب، صقل قلبه. فإن عاد زاد فيها حتى تعلو قلبه. فذلك هو الرّان الذي ذكر في هذه الآية الكريمة». وقال الحسن البصري: «الرّان هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، فيموت». ذلك هو حال الفجّار المكذبين.

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ لقولهم: أساطير الأوّلين.

﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ وعن ابن عباس: «إنهم محجوبون عن رحمته».

﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ أي سَيَمسّهم حرّ جهنم.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ هذا العذاب ينال الذين لا يؤمنون بيوم الدين، يوم تجزى كل نفس بما كسبت.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ كلا: حرف ردْع، وإبطال، وتوْبيخ.

والأبرار: هم أهل البرّ والخير. وكِتاب الأبرار: تجمع فيه أعمال البرّ والخير، ويحفظ في علّيين. وعلّيون: أعلى مكان في الجنّة، تحفظ فيه كتب البررة. ذكر الزمخشري: «أن ابن المبارك له كتاب في الزهد، أورد فيه الحديث التالي: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكونه، حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم:

إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا لم يخلص لي ولم يخلص عمله فاجعلوه في سجّين. ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويحضرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنّكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا أخلص عمله فاكتبوه في عليين». وفي هذا الحديث تكريم لكتاب الأبرار، وأكرم به من كتاب.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ صيغة تعظيم وتفخيم لشأن هذا المقام العالي.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾ يطّلع عليه المقرّبون ويعلن به، إعلان تنويه بصاحبه – وأكرم به من كتاب – يراه الملائكة المقرّبون ويحمدون ما فيه من كرائم الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ إنّ الأبرار، أصحاب هذا الكتاب النظيف بالحسنات، الرّضيّ بالبركات، جزاؤهم نعيم دائم في جنّات فيها فضْل عميم الخير.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ على الأسرّة، في بيْت يزدان بالثياب والأسرّة والسّتور، ينْظرون في مُلكهم. وفي حديث عبد الله بن عمر: «أن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفَي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه» رواه ابن كثير. إنها مناظر أعلى مما يتصوره الإنسان، وأعلى من كل ما يعهده الإنسان.

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ تعرف في وجوههم– إذا نظرت إليهم– صفة التَرَفه والنعمة والسرور، وعلامة الرضا، رضِي الله عنهم ورضوا عنه. إنهم المقرّبون في جنة النعيم.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٖ ٢٥﴾ الرّحيق: اسم الخمر الصافية. ومختوم: مسدود بغطاء يعسر فتحه.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ الخِتام: اسم للمادة التي يختم بها. والمادة هنا مِسك. والمِسك، مادّة من غدّة مملوءة دما، يخرج في صنف من الغزلان، تبقى متصلة بعنقه إلى أن تيبس فتسقط. فيلتقطها من يطلبها للإتجار. والمسك مادة رائحتها طيّبة. ويوجد هذا النوع من الغزلان في بلاد التيبت من أرض الصين. قال ابن عاشور: «وفسّر ختامه مسك أن المعنى: إن الرّحيق خِتامُ شرابه أي آخر

شُربه نكهة المسك».

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ والمعنى: وفي ذلك الرّحيق فليتنافس المتنافسون، ليشربوا من هذا الرحيق في الجنة. وهذا التنافس من النوع الرفيع. أما التنافس في شراب ما يتنافس فيه أهل البذخ وينفقون فيه الأموال الطائلة، فذلك عمل سخيف.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ التسنيم: اسم لِعيْن في الجنة. والمعنى: أن أهل الجنة يمزجون الرحيق بماء التسنيم.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ المقربون هم الأبرار. أي يشرب المقرّبون في جنة النعيم، من هذا الرحيق الممزوج بماء تسنيم. روى الإمام ابن كثير بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «أيّما مؤمن سقى مؤمنا بشربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى الرحيق، وأيّما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيّما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرْي كساه الله تعالى من خضر الجنة».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الإجرام: ارتكاب الإثم العظيم. وجرْم المشركين يتمثل هنا في ضحكهم على المؤمنين، لِضعف حالهم، ويهزؤون بهم لأن معظمهم من الفقراء. وهذا صنيعهم في نواديهم.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الغمز: تحريك طرف العين لقصد تنبيه الناظر لشيء قد يفوته. والمعنى: إذا مرّ المؤمنون بمجالس المجرمين، ترى الذين أجرموا، يتغامزون بطرف أعينهم سخرية بالمؤمنين.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي وإذا رجعوا إلى أهلهم، تحدّثوا أحاديث الفكاهة معهم، بذمّ المؤمنين والإستهزاء بهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وإذا رأى الكفار المؤمنين، يحقرونهم، ويسمّونهم الضالين لكونهم على غير دينهم. وهذا زعم سخيف.

﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: وما أقيموا رقباء على المؤمنين، وما كلفوا بهم ليحفظوا عليهم أحوالهم. قال الزمخشري: «هذا تهكّم بهم».

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة عظيم، فالكفار الذين كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون، تراهم اليوم

فيصَغار بعد العزّة والكبرياء. وجاء في الكشاف: «وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليه يغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم».

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يشاهدون المشركين في العذاب والإهانة.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ثوّب: أعطي الثواب. والمعنى: هل نال الكفار جزاء على ما كانوا يعاملون به المؤمنين من الإستهزاء في الدنيا؟. هذا، وإن هذا الإستفهام موجّه إلى كل من يسمع النداء يوم القيامة.

عن أبَي ابن كعب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة المطففين، سقاه الله من الرّحيق المختوم يوم القيامة».

–والحمد لله ربّ العالمين–

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة إذا السماء انشقت، سورة عظيمة: تصف أشراط الساعة، ويوم البعث، كما تصف أحوال الخلق- بين أهل نعيم وأهل شقاء -. جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة قال: «صلّيت خلْف أبي القاسم ﷺ، فقرأ سورة إذا السماء انشقت، فسَجَد.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ وذلك يوم القيامة، حين يريد الله شقها. وهو انشقاق يَلوح للناس في جَوّ السّماء، يقع عند اختلال نظام هذا العالم.

﴿وَأَذِنَتْ﴾ أي استمعت وأذْعَنت ولم تَمْتنِع.

﴿لِرَبِّهَا﴾ لا تَخرُج عن سُلطان طاعته سبحانه وتعالى.

﴿وَحُقَّتْ ۝٢﴾ أي مفروض عليها. وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنِع لأنه العظيمُ الذي لا يُغالب.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ بُسِطت، زيدت سَعة، واستوى ظهرها. وهْو بأن تزال جبالها وآكامها.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ قذفت ما في باطنها، مثل البراكين والعيون وأجزاء أخرى، حتى لا يبقى شيء من أثقالها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ والمعنى أنها انقادت لأمر الله تعالى، حين أراد انشقاقها، انقياد الطائِع الذي إذا أتاه أمْر من جهة المُطاع، أنْصَت وأذْعَن ولم يَمْتنع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ كدح: أي أتعب نفسه في العمل والكدّ. أيْ إنك كادح سَعْي للقاء ربك، وإنك ساع إليه لا محالة ولا مفرّ.

﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ سَتُلاقي ربك.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ الكتاب: صحيفة الأعمال. والناس يوم القيامة قِسْمان: أتقياء ومشركون. فمَن أوتي كتابه بيمينه، فهُم المؤمنون.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ الأهل من العشيرة، من زوجة وأبناء وقرابة من المؤمنين. وقيل إلى أهله في الجنة من الحور العين.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ قال الزمخشري: «وقيل تغل يُمناه إلى عُنقه وتجعل شِماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، تحقيرا له».

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ الثبور: الهلاك. فإنّه يقول: يا هلاكي يا ثبوراه!

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ ويَصْلى في جهنم مذموما، ذلك لأنه كان غافلا عما ينتظره، ولا يحسب للآخرة حسابا ولا يقدّم لها زادا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ يعني أنه كان في الدنيا مستبشرا كعادة الفجّار الذين لا يهمّهم أمر الآخرة، ولا يفكرون في عواقب تنتظرهم يوم الحساب.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ يحسَب أنه لن يرجع إلى الله تعالى، لأنه يكذب بيوم الحساب.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ يعني: إن ربّه بَصير به، وسيجازيه بما فعل وأمّا هو فغير بصير بحا له.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ الشفق: هو الحمرة التي يراها الناظر في المغرب بعد غروب الشمس.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ وَسَق أي جَمع. والليل يجْمع الكثير من الأشياء والأحداث، ويجمع ما كان منتشرا بالنهار- من ناس ومن حيوان- تأوي إلى مساكنها رغبة في السّكون.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ إذا اجتمع ضياؤه واستوت دائرته، ليلة أربع عشرة. ويقسم القرآن بها، للدلالة على عظمة خالقها وحكمته وعلى قدرته سبحانه على التصرف في هذا الكون بكل إحكام وإتقان.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ لتُعانون حالا بعد حال، وهي أنواع الشدائد التي تنتظر الناس يوم القيامة. مَن كان على صلاح انتقل إلى صلاح آخر، ومن كان على فساد تحول إلى فساد فوقه. وهذا تهديد لِمن أنكر البعث وما بعده.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يا عجبا من عدم ايمانهم مع ظهور أدلة صدق على أن القرآن دعاهم إلى الحق، وأنذرهم بالعذاب الشديد الذي ينتظره كل أفاك أثيم.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ لا يخضَعون طاعة لله، ولا يخشعون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إذ أنهم مستمرّون على الكفر والطّعن في القرآن.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي الله أعلم بما يَجمعون في صدورهم، من الكفر والحسد والعداوة والبغضاء، فهم يعلمون أن ما جاء به القرآن حق، ولكنهم

يُظهرون التكذيب به، إخفاء للحق المبين ولتضليل أتباعهم.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ التبشير: يستعمل للخبر النافع. واستعمل هنا للتهكّم على الذين كفروا، إذ هو تبشير بالعذاب الأليم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ والمعنى: لكن الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات لهم أجر عظيم. قال ابن عباس: «أجر غير ممنون معناه أجر غير منقوص» هو الأجر الدائم غير المقطوع في دار البقاء والخلود.

– والحمد لله رب العالمين –

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

في هذه السورة، توعد الله أصحاب الأخدود، الذين أحرقوا المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم، بعذاب جهنم وحريقها إذا لم يتوبوا. وتوعد الطغات فرعون وثمود، فحاق بهم سوء العذاب بما كذبوا وكفروا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ يقسم الله تعالى بالسّماء وبروجها. قال ابن عباس البروج هي: النجوم العظام.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٖ﴾ هو يوم الجمعة.

﴿وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ هو يوم عرفة. قال ابن جرير بسنده: «قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود هو يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة».

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ كلمة قتل دعاء على أصحاب الأخدود. وهو من أشنع الدّعوات. والأخدود: هو شقّ في الأرض. وأصحاب الأخدود: كانوا قوما باليمن، اقتتل مؤمنوهم ومُشركوهم، فغلب المؤمنون الكفار. ثم اقتتلوا، فغلب الكفار المؤمنين. فحفر الكفار للمؤمنين أخدودا، وهدّدوهم بالنار الملتهبة في الأخدود، يريدون منهم أن يرجعوا عن دينهم إلى الكفر، فرفضوا وظلّوا صابرين متمسكين بعقيدتهم –عقيدة النصارى الموحّدين–. فشقّ لهم الطغاة شقا في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وكبّوا فيها طائفة من المؤمنين، فماتوا حرقا على مرأى ومسمع من الطّغاة الظالمين. روى القصّة ابن كثير عن عليّ رضي الله عنه.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ وصف للنار بأنها عظيمة اللهب، وقودها الحطب الكثير وأبدان الناس المظلومين.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦﴾ قعدوا حوْلها.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾ وهم أصحاب الأخدود. وقد حضروا مع مَلكهم لتنفيذ الأمر، يشاهدون تعذيب المؤمنين لا يرأفون ولا يشمئزون!!

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ كان ذنْب المؤمنين عند المشركين: هو أن المؤمنين تمسّكوا بدينهم ولم يرتدوا. فغاظ ذلك طغاة المشركين، فنقموا نقمة الجبّارين، وما استيقنوا بأنّ من اعتز بغير الله ذل. ويرى الشيخ ابن عاشور، أن قصة هذه الفتنة ضربت مثلا للمشركين الذين يفتنون المسلمين

بمكة، يعذبونهم ليرتدوا عن دينهم. ليكون هذا المثل تثبيتا للمؤمنين على دينهم، وصبرهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى للسابقين من المؤمنين في سالف العصور. روى مسلم والترمذي بأن النبي ﷺ قصّ هذه القصة على أصحابه.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ إنه الله المالك لجميع السّماوات والأرض، لا تخفى عليه خافية، خلقهم ليعبدوه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ يعني: إنّه علم ما فعله أصحاب الأخدود، وهو مجازيهم بعذاب جهنم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بعذاب الحرْق، ولم يقلعوا عمّا فعلوا، ولم يندموا على ما قدّموا، لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. قال الحسن البصري: «انظروا إلى هذا الكرم والجود الإلاهي: قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة!».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ قال ابن كثير، في تفسير هذه الآية: «يخبر الله سبحانه وتعالى عن عباده المؤمنين، أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، بخلاف ما أعدّه لأعدائه من الحريق والجحيم». قال الشيخ ابن عاشور: «إن الإيمان والعمل الصالح هو التوبة. وقال: إنّ في الآية، ترغيبا للمشركين في الإيمان وتثبيتا للمؤمنين على ما يلاقونه من أذى المشركين».

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ البطش: الأخذ بعنف وقوّة. وبطش الله يشمل عذاب الذين فتنوا المؤمنين.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ المعنى: أن الله يبطش بهم في الدنيا والآخرة، وذلك وعيد وتحذير للذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا. وهو القادر على البطش في الدّنيا والآخرة. والله على كل شيء قدير.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ فهو يغفر للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات. والودود من الودّ: وهو المحبة. أي إن الله يُحبّ مَن خَلق مِنَ التوّابين، ما داموا على طاعته.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ العرش: اسم لِعالَم يحيط بجميع السّماوات، دالٌ على عظمة الله تعالى. والمجيد: القويّ الذي ليس كمثله شيء.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ سورة يس.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ روى ابن كثير بسنده عن ابن ميمون قال: «مرّ النبي ﷺ على إمرأة تقرأ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧﴾ فقام يستمع، فقال: نعم، قد جاءني!». هذا، وقد جاء خبر فرعون في سورة غافر ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾، كما جاء في سورة الحاقة خبر ثمود ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥﴾. والمعنى: قد عرفتَ تكذيب الكفار للرّسل، وما نزل بهم بما اكتسبوا.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ الذين كفروا من قومك، في شكّ وريْب وتكذيب وكفْر.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ أيْ بما أنهم متمكّنون من الكذب، فالله يسلط عليهم عقابا لا يفلتون منه. وسيكون هذا العقاب محيطا بهم إحاطة الجند بالمغلوب، حيث لا افلات ولا فرار.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ وجاءت هذه الآية الكريمة تمجّد القرآن المجيد. والمجيد معناه: شريف عالي الطبقة في الكتب، وأعلاها في نظمه وإعجازه.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ مكتوب في لوْح علوي، جعله الله محفوظا. وهو كائن قدسي، من كائنات العالم العالي.

سبحان الله الذي حفظ القرآن من التحريف والتغيير فلا يأتيه الباطل قال تعالى في سورة الحجر ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾.

والحمد لله رب العالمين

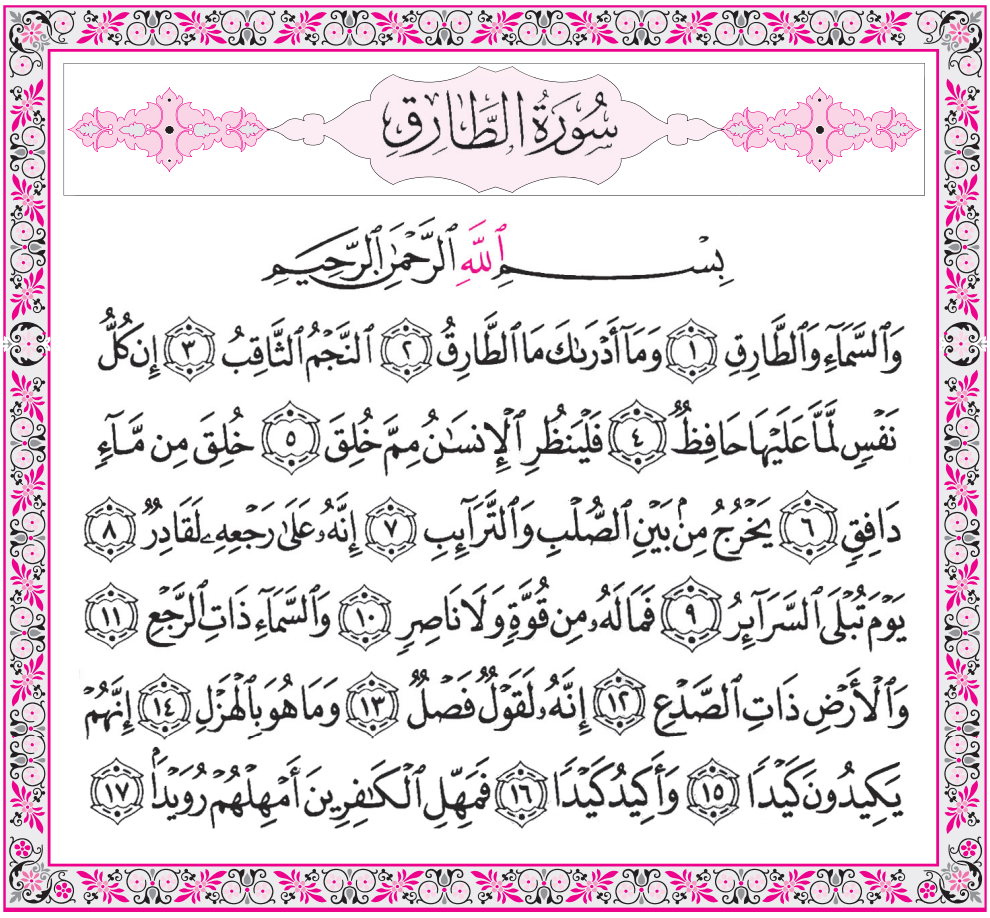

من عناصرها: إثبات إحصاء أعمال الناس، وإثبات الجزاء على العمل، وإثبات البعث، والتنويه بشأن القرآن الكريم.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بالسّماء، باعتبارها مخلوقا عظيما يدل على عظمة الخالق. ﴿وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾: النجم العظيم، الذي يبدو قبل غيره من النجوم إعلاما بحلول الليل.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ إستفهام لتعظيم المسؤول عنه، وهو ما فسّرته الآية بَعده.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ قال بن عباس: «الثاقب: المضيء».

قال القرطبي: «والعرب تقول: أثقب نارك». وعن الإمام جابر بن زيد: «أن النجم الطارق هو: كوكب زحل، لأنه أبرز كوكب بقوّة شعاعه».

وجواب القسم، قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ الحافظ: هو الذي يحفظ المرء ولا يهمله. روى الطبراني بسنده في الكبير أنه روي عن النبي ﷺ: «وُكّل بالمؤمن مائة وستون ملكا، يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب. وَلَوْ وُكّل العبد إلى نفسه طرفة عين، لاختطفته الشياطين».

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ فلينظر إلى نشأته الأولى، ليعلم أن من أنشأه، قادر على إحيائه بعد موته لينال جزاءه.

﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ الدّفق: صبّ بغزارة بدفع قوي.

﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ الصّلب: العمود الفقري العظمي ذو الفقرات.

﴿وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ موضع القلادة من المرأة.

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ والمعنى: إن الذي خلق الإنسان من ماء دافق، قادر على إعادة خلقه بأسباب أخرى.

قال تعالى في سورة يس ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ أي يُرجعه الله تعالى يوم القيامة. وهو اليوم الذي تعرض فيه الأعمال الظاهرة وغيرها، ويتميز الصالح منها من الفاسد. وهذا تذكير بأن الله تعالى، عليم بما يستره الناس في القلوب من العقائد والنوايا.

﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ أي فما للإنسان من قوّة يحمي بها نفسه، ولا ناصِر يدافع عنه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ الرجع: إسم للمطر المعاقب لِمطر آخر، وسمّوه رجعا تفاؤلا ليرجع، بإذن الله، وقتا بعد وقت.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ المصدوع هو: النبات الذي يخرج من شقوق الأرض، بإذنه تعالى. قال سبحانه في سورة عبس ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾.

وفي هذا دليل، على قدرته على إحياء الناس، يوم تنشق عنهم الأرض يوم الخروج، كما تنشق الأرض عن النبات.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ إن القرآن يفصل بين الحق والباطل، فيحق الحق ويبطل الباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ الهزل هو: المزح واللعب أوالهذيان. وفي هذا تأكيد على أن القرآن العظيم: جدّ كله ولا هزل فيه.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ أهل مكة، يصنعون المكائد المختلفة، ليصرفوا السامعين عن القرآن الكريم. وذلك لإبطال دعوته، ولإطفاء أنواره. قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وفي هذه الآية تثبيت لرسول الله ﷺ، للإستمرار على الدعوة، ووعد له بالفوز والنصر.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تستعجل بالدّعاء عليهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ انتظرهم قليلا، ولا تستعجل بهم، فسيحل بهم العذاب. قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

– صدق الله ورسوله –

–والحمد لله ربّ العالمين–

تجمع سورة الأعلى صفات لله عزّ وجلّ فهو: الأعلى، الخالق، القدير، الهادي، المصوّر، يعلم الجهر وما يخفى. وبشرت الرسول ﷺ، بأن ربّه يقرئه القرآن ويحفظه من نسيانه، وقد يسّر له حفظه وأمره بأن يذكّر بالقرآن الكريم من يخشى ربّه.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ سبّح: أمر الله النبي ﷺ بأن يسبّح باسم ربّه. والتسبيح، هو التنزيه عن النقائص بالقول والفعل. والنطق بتنزيه الله عن النقائص، هو وصفه بالصفات الرفيعة: فإذا قلنا: الله أحد، أو قلنا: قال الله

تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾. إلى آخر سورة الحشر، كان ذلك تسبيحا باسمه تعالى. وكلمة ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ هي وصف الله تعالى بالكمال التّام الدائم. وقد جُعِل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ دعاء السجود في الصلاة.

أخرج أبو داوود بسنده عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضى الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ. فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ».

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ خلق كل مخلوق خِلْقة تناسب الوظيفة التي قدّر الله أن تكون خاصّة له، يستعين بها على بقائه في حياته. فعُنق الجمل طويل: خُلق كذلك ليستطيع النهوض به من مَبركه لأنهُ ثقيل وتحمل عليه الأثقال ولأنّه يساعده على الرعي وغيره.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ قدّر لكل مخلوق ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه كيف ينتفع به، فهدى الله الإنسان إلى ما لا يُحصر من حوائجه من أغذية وأدوية ومعارف كثيرة لا تُحصى. فسبحان الذي قدّر فهدى.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ والمرعى: جميع أصناف النباتات والزروع، أخرجها الله تعالى من الأرض لترعاها السوائم والأنعام وينتفع بها الناس.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ الغُثاء: هو النبات اليابس. أحوى اللون إذا يبس النبات يصير لونه أسمر يميل إلى السواد.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذا وعد من الله تعالى لرسول الله ﷺ بأنه سيُقرئه قراءة لا ينساها إلا ما شاء الله. وهذا وعد من الله بعونه على حفظه جميع ما يوحى إليه. وفي التنوير، أنّه ثبت في الصحيح عن ابن عباس، أنّ النبي ﷺ كان يعالج من التنزيل شدّة، وكان يحرّك شفتيه ولسانه يريد أن يحفظه ولا يتفلّت عليه. فقال له الله تعالى في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ قال ابن كثير إنّ قتادة قال: «كان رسول

الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله، والله لا يخفى عليه شيء إنّه يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه».

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ التيسير: جعل العمل يسيرا على صاحبه. وعد الله الرسول ﷺ بأنه يُيسِّره لتلقّي أعباء الرسالة، ويسهل عليه أقوال وأفعال الشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ ذكّر معناه بلِّغ الرسالة وبلِّغ الذكر. والذِّكر هو القرآن الكريم. دُم على تذكير الناس كلهم إن نفعت الذكرى جميعهم. وهي لا تنفع إلا البعض منهم، وهم الذين يخشون الله.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ سيذكر من يخشى الله تعالى وسوء العاقبة. فالذِكرى تنفع أولياء الله ولا تنفع أعداءه.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ معناه: يتباعد الأشقى عن التذكير وعن تبليغ الذِّكر. فهو أشد الناس شقاوة في الآخرة لأنه لا يُذكِّر ولا يَتذكَّر.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ النّار الكبرى جهنّم، والنّار الصّغرى نار الدنيا. ومصير الأشقياء الكبرى.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ لا يموت فيستريح من العذاب، ولا يحي حياة فيها النجاة والطمأنينة.

عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ معناها: من شهد أن لا إلاه إلا الله وشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فهو من المفلحين.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ قال: هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والإهتمام بها». الحديث أخرجه البزار. فالمفلحون هم الذين ينالون ما يبتغون من الخير، لأنهم جاهدوا النفس في تطهيرها من المعاصي، خاشعين، ذاكرين الله.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي بل تختارون منافع الدنيا على نعيم الآخرة. والمطلوب من المؤمن أن يسعى للتحصيل على منافع الدنيا في حدود الشريعة، ولا ينسى نصيبه منها، مع استصحاب عمله بالخشية من الله وبذكر الله تعالى، واتباع الذكر الحكيم. قال الله تعالى في سورة القصص ﴿وَابْتَغِ فِيمَا

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا...﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ روى أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له». وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب الدنيا أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه. فآثر الأبقى على ما يفنى».

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ يعني إن مثل هذا الكلام ورد في تلك الصحف. ومن تلك الصحف صحف ابراهيم. وعن أبي ذرّ عن رسول الله ﷺ: «أن صحف ابراهيم كانت عشر صحائف». وفي حديث البخاري: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوءة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

عن أبي ذرّ أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن صحف موسى ما كانت؟ قال ﷺ «كانت عبرا كلّها».

–والحمد لله ربّ العالمين–

تحدّثت السورة عن أحوال القيامة، وما يراه الكافر من أهوال، وما يلقاه المؤمن من النعم والرّضى والرّضوان وأسباب السّعادة. وأمرت بتذكير الناس

جميعا، وبالرجوع لله سبحانه.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ الغاشية ساعة القيامة. والمعنى: هل جاءك الخبر عن ساعة قيام القيامة؟ روى ابن أبي حاتم بسنده: «أن النبي ﷺ مرّ على امرأة تقرأ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ فقام يستمع ويقول: نعم لقد جاءني.»

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ وجوه يوم القيامة ذليلة.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾ مكلّفة بأعمال شاقة يرهقها التعب، وذلك جزاء الذين عملوا في الدنيا عمل سوء والتذوا به.

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ أي وجوه يصيبها حرّ النّار.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾ يشربون من عين شديدة الحرارة، ماؤها لا يطفئ العطش.

﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾ قال البخاري: «قال مجاهد: الضريع نَبْت يقال له الشَبرَق إذا يبس يُسمّى الضريع وهو سمّ».

﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾ طعام لا يدفع عنهم ألم الجوع.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨﴾ بهيجة المرأى ذات نعمة وحسن.

﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩﴾ رضيت بعملها الصالح الذي أنعم الله به عليها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠﴾ الجنّة دار الثواب، رفيعة الغرفات، زادها العلوُّ حُسنا.

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ لاغية: من اللغو: وهو الكلام الذي لا فائدة له. وأهل الجنّة لا يتكلمون إلا بالحِكمة وبحَمْد الله على ما رزقهم، وهذا وصف لكمال أهلها وحسن سكانها.

﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢﴾ فيها عيون تجري من تحت جبال المِسْك. ذكر ابن كثير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ أنهار الجنة تتفجّر من تحت جبال المسك».

﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣﴾ ناعمة عالية، تسع الإنسان المضطَجَع.

﴿وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤﴾ الكوب معدّ للشراب له ساق وعروة، وأكواب موضوعة معدة مرتبة قريبة من المؤمن.

﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥﴾ والنَّمْرقة: الوسادة التي يتكئ عليها المؤمن جالسا أو

مضطَجعا.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ الزّربية هي البساط المنسوج من الصّوف يستعمل للجلوس أو للزّينة، وهي منتشرة كثيرة تزدان بها المجالس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ الإبل من الموجودات العظيمة القويّة. ومن طبعها: تلين للقائد الضعيف وتصبر على حمل أثقاله وتُطوى بها المسافات ويُنتفع بلبنها. هي مخلوق يدل على خالق قدير ومدبّر حكيم، هي من دلائل وحدانيّة الخالق.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ كيف رفعها الله رفعا عظيما بغير عَمَد بناها وزيّنها لا ترى فيها فرجة؟: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ سورة ق.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ النصب هو الرَّفع. سبحان الله رفع الله الجبال رفعا عاليا وهي مع ارتفاعها لا تميل.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ المراد بالأرض: أرضُ كلّ نابت. تم خَلقها وسوّاها ممهّدة. منها خَلقَنا الله وفيها يعيدنا.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ أي فذكّر يا محمّد بما أُرْسِلت به بأمر الله تعالى بالتّبليغ والاستمرار عليه. وهذا كمثل قول الله تعالى من سورة الرعد ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾: فإن أعرضوا ولم يصغوا فلا تَبِعَة عليك.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وفي المعنى قوله تعالى من سورة ق: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ... ﴿٤٥﴾﴾. وذلك لأن الخطاب كان أمرا بالتذكير لقوم أكثرهم مشركون. قال الشيخ ابن عاشور: «ومن الجهلة من يضع قوله تعالى ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ في غير موضعه ويحيد به عن مَهيعه، فيريد أن يتخذه حجة على حرية التديُّن بين جماعة المسلمين» عن التحرير والتنوير.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ أي من رفض الذِّكر والتذكُّر ودام على شركه، فان الله سبحانه وتعالى يعذبه أشد العذاب وبئس المصير.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ إنّ مرجعهم إلى الله الجبار المقتدر، يرجعون إليه ليحاسبهم.

روى أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ من نوقش الحساب عُذِّب». وقالت رضي الله عنها: «سمعت الرسول يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حسابا يسيرا».

-والحمد لله ربّ العالمين-

سُورَةُ الفَجۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ
﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا
دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ
بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾

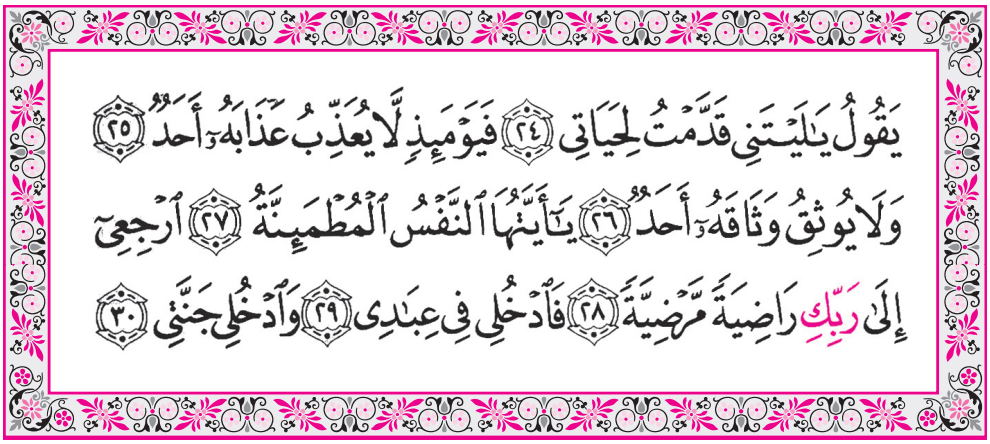
يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

الفجر سورة مكية. جاء فيها ذكر بعض قصص المكذبين بالرسالة، وابتلاء الإنسان بالحبّ الشديد للمال، وعرْض وَمَضات من أحوال القيامة. وفي جُملتها تثبيت للنبي ﷺ على الدّعوة.

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾﴾ الفجر، هو الوقت الذي ينتهي فيه ظلام الليل ويبتدئ نور النهار، وذلك وقت التعبد والإستغفار وعبادة الله. والليالي العشر، المراد بها: عشر ذي الحجة. روى البخاري عن ابن عباس أنه: «ما مِن أيّام، العمل الصّالح أحبّ إلى الله فيهن، مِن هذه الأيام».

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾﴾ روى الإمام أحمد عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الإضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر».

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾﴾ الليل مظهر من مظاهر القدرة الإلاهية، وهو في الجزء الأخير منه يسري نحو الفجر، وهو وقت التهجد والإستغفار.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾﴾ الحجْر هو العقل.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ
جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ والمعنى: أن أقوام عاد وثمود وفرعون، أمم كذبوا الرسل، فصب عليهم ربك سوط عذاب. فأما عاد فرأوا عارض الريح فحسبوه عارضا ممطرا فما لبثوا حتى أهلكتهم الريح. وأما ثمود فقد أخذتهم الصيحة. وأما فرعون وقومه فقد حسبوا البحر منحسرا فما راعهم إلا وقد أحاط بهم.

وفي هذا إيحاء للنبي ﷺ، بأن ما أصاب أولئك الطغاة من عذاب، سيصيب الذين كذبوا برسالته. وفي هذا تثبيت للرسول ﷺ، وتهديد لطغاة قريش. قال ابن عاشور: «إن التذكير بالنظائر واستحضار الأمثال يقرب للأذهان الأمر الغريب الوقوع».

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ إرم: إسم قبيلة عاد. ذات العماد: إسم مدينتهم.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ أي تلك القبيلة التي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم وشدتهم.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩﴾ نحتوا في الجبال بيوتا.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ ذي الجنود والجيوش.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ أنزل عليهم ربك ألوانا من العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ المرصاد: هو المكان الذي يترقب فيه المراقبون رصْد شيء من تحرّكات العدوّ وغيره. وإن الله تعالى يرصد أعمال مخلوقاته، ليجازيهم الجزاء الأوفى. قال تعالى في سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾ والمعنى: كثيرا ما يقول الجاهل، إن الخير الذي ينعم به والنعمة الظاهرة عليه، دليل على أن الله قرّبه وأكْرمه فأعطاه تلك النعم جزاء له عما يفعل في دنياه، وأن الخصاصة التي يتألم منها المحتاج أحاطت به لسوء أفعاله. فحصر الكثير من الناس جزاء الخير والنعمة في الثروة والسعة. هذا، وفي كتاب الله ما يبطل ذلك الزّعم: قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾

قال ابن عاشور: فرُب رجل في نعمة في الدنيا هو مسخوط عليه، ورُبّ أشعث أغبر مطرود بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه». فالمعنى: إن لشأن الله في معاملته الناس في هذا العالم، أسرارا وعللا لا يحاط بها.

﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع وإبطال لما يدّعيه الإنسان. فالله تعالى يعطي المال لِمن يحبّ

ولِمن لا يحب. وإنّما المال والفقر ابتلاء واختبار.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ المطلوب من الإنسان: إكرام اليتيم بإعطائه ما يحتاج إليه، وحسن معاملته والإحتفاظ بماله، حتى يرشد. كما أن المطلوب من ولي اليتيم، أن لا يأكل من ماله بالباطل شيئا. قال ﷺ: «خيْر بيْت في المسلمين بيْت فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه. ثم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة».

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ المطلوب: الإحسان للفقراء والمساكين، بأن يحثّ المسلمون بعضَهم بعضا على إطعام المساكين.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ التراث هو: ما يخلفه الإنسان لِوارثه. والمطلوب أن لا يأكل وليّ اليتيم من مال اليتيم، أكلا يجمع فيه بين الحلال والحرام، أو أن يضم إلى ماله مال اليتيم. والمطلوب من أهل الثراء، أن لا يحبّوا المال حبّا شديدا، لأن ذلك الحرص قد يقود صاحبه إلى اكتساب المال بالوسائل الباطلة الخسيسة، كالغصْب والإختلاس وأكل الأمانات.

﴿كَلَّا﴾ كلمة ابطال عن الأعمال المنهي عنها بالآيات السابقة، وهي: عدم إكرام اليتيم، وعدم المحافظة على التراث، وعدم الحظ على طعام المسكين، وكثرة حبّ المال. كل ذلك محل ذم.

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ مدّت الأرض، وسويت الأرض والجبال، وخرج منها المخلوقات لربّهم.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه. ورد في الكشاف: «هذه آيات اقتدار الله تعالى. ونزلت الملائكة فيصطفون صفوفا بعد صفوف محدقين بالإنس والجن». وهذه أمور غيبية لا يعلم حقيقتها إلا الله.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام يجرها سبعون ألف ملك» رواه الزمخشري.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ أي يوم تدك الأرض دكّا دكّا، يتذكّر الإنسان عمله

وما أسلفه في دنياه.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ أي: لا تنفعه الذكرى لأن أوانها قد فات.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ أي: ليتني قدّمت الأعمال الصّالحة، لأحيا في هذه الدار الآخرة، حياة سعيدة مرضية دائمة.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥﴾ أي عذابا لا نظير له في أصناف عذاب المعذبين.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ الوَثاق هو: ربْط الأسير الذي يُقاد إلى العذاب. والمعنى: وليس أحد أشد قبضا من زبانية جهنم لمن كفر. –وقانا الله منه–.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾

روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ نزلت وأبو بكر رضي الله عنه جالس، فقال: «يا رسول الله ما أحسن هذه الآية!» فقال ﷺ: «أما إنّه سَيُقال لك هذا». وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لِرجل: «قل: اللهم إنّي أسألك نفسا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك».

وما أسعد النفس المطمئنة، وهي النفس التي لا تشعر بخوف ولا بحزن، مُؤْمِنة آمنة فرحة بالبشرى والرجوع إلى ربّها، رجعة العفو والرحمة واليقين، لتدخل في عباد الله الصالحين، في دار الخلود جنة النّعيم.

اللهم أدخلنا في عبادك الصالحين جنة النّعيم.

–والحمد لله ربّ العالمين–

سورة البلد مكيّة. مجّدت بيت الله الحرام مكة، ونددّت بكفار مكة الذين اغتروا بقوْمهم فكذبوا الرسول ﷺ، وانفقوا أموالهم في محاولة إيذاء الرسول ﷺ، وما علموا بأن إيذاء الرسول ﷺ في البلد الأمين، أكبر الكبائر. ثم تناولت عرْض أهوال القيامة وهمومها وما ينتظرالإنسان من عقبات، لا يفرح باجتيازها، إلا من آمن وعمل صالحا ثم اهتدى.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ لا: للتأكيد. ولا أقسم معناها: أقسم. والبلد مكة المكرمة. وأقسم الله بمكة تعظيما لها وتفضيلا.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ هذه الآية فيها تعجب، والمعنى وأنت حل بها في المستقبل تصنع فيه ما تريد. وذلك إن الله فتح على رسول الله ﷺ مكة وأحلها له وما فُتحت على أحد قبله. قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «إنما أُحلّت لي ساعة من نهار». أخرج البخاري والبَغَوي في شرح السنة عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ يوم الفتح، فتح مكة: إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحُرمة الله تعالى وأنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، لا يُعْضَد شوكه، ولا يُنفّر صيده، ولا تُلتقط لقيطتُه إلا مَنْ عرفها».

قال الشيخ ابن عاشور: «إن هذه الجملة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ جملة معترضة بين قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ وبين قوله: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.»

إن الصحابي شُرَحبيل بن سعد رضي الله عنه قال: «أن معنى هذه الآية: يا محمد، إن أهل مكة كانوا لا يتجرّؤون على قتل الصيد وغيره إكبارا لمكة، وهم مع ذلك همّوا بأن يقتلوك ويخرجوك منها، إن هذا لشئ عجيب!». ويُفهم هذا التعجب من مضمون الآية ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ والمعنى: أقسم الله تعالى بهذا البلد، وأقسم بوالد وما ولد. وهذا القسم بمكة تعظيم لها، ولساكنيها من الأنبياء عليهم السلام: إبراهيم وإسماعيل، وعدنان ومُضَر. وهم منهم الوالد وما ولد.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ خلق: أوجد شيئا لم يكن موجودا. والكَبَد: هو التعب والشدّة والجهد العظيم. ومن كلام الراغب في تفسيره: «إن الكَبَد معناه إتعاب النفس في العمل والكدّ، وأن السعي في الحياة عمل دائب ثمرته تُجنى يوم لقاء الله تعالى».

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾ والمعنى: أيحسب بعض صناديد قريش – الذين يحقرون المؤمنين – أن الله تعالى لم يرهم حين كانوا ينفقون فيما يدّعونه كرما ومفخرة للامتياز بين قبائلهم؟ كلاّ، إن الله كان يراهم وهوعليهم رقيب!.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ يدعي الصنديد أنه أنفق مالا كثيرا، افتخارا على الناس ليزداد بينهم شأنا.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ يعني أن الإنسان يظن أن ليس عليه رقيب، وهذا إنكار وتوبيخ له، وتذكير بأن الله عليم بداخلته، وأن خُيلاءه بماله سخيف.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ نعم! إنّ الله جعل للإنسان عينين يُبصر بهما، ولسانا يُبين به عن خبايا نفسه، وشفتين يستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ، وهداه بعقل يميّز به بين الخير والشر. نعم! كلّ هذه النعم تستوجب من الإنسان الحمد والشكر والذكر دائما.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ العقبة: هي العمل الموصل إلى الخير. والمعنى أن هذا الإنسان الذي يدّعي أنه أهلك مالا كثيرا في الفساد من ميسر وخمر وما يتبعها، أفلا أهلكه في الإنفاق على الفقراء والمساكين وفي مصارف الصدقات؟؟.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾ والمعنى: أي شيء أعلمك ماهي العقبة؟ الجواب: العقبة هي فك الرقبة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾: أي تخليص العبد من العبودية. قال رسول الله ﷺ: «من فكّ رقبة، فك الله بكل عضو منها، عضوا منه من النار». رواه الحاكم من حديث عطية.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ المسغبة هي: المجاعة. والمقربة: القريب في النسب. والمتربة: ترب المسكين إذا افتقر والتصق بالتراب ونام عليه. واليتيم: هو الشخص الذي ليس له أب وهو دون البلوغ، فهو محتاج إلى الطعام والكسوة والعطف والرحمة، لأنه فقد من يعوله ومن يكرمه. قال رسول الله ﷺ: «خير بيت فيها يتيم يكرم». والعناية باليتيم ذي القرابة، العناية به، صلة للرحم. وأفضل الإطعام: أيام المجاعة، إذ فيها يشُحّ الأغنياء خيفة الحاجة. وخير الإطعام ما كان لله.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ إن الإنسان الذي يفك رقبة من العبوديّة ويحرّرها، والذي يطعم اليتيم والمسكين الطعام، وهو محتاج إليه، إنّ هذا المؤمن الذي جمع تلك الأوصاف الجميلة الخالصة لله تعالى، إنّه كان

من المؤمنين الذين يعملون الصالحات: قال الله تعالى فى سورة الإسراء ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

إن الإيمان يزداد ويزكو بالأعمال الصالحات: التي منها الصبر على أذى الناس، ومجاهدة النفس، ومعاناة المشاق. قال الشيخ ابن عاشور: «إن الصبر ملاك الأعمال الصالحة، لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية. لذلك كان التواصي بالصبر عملا مجيدا والتواصي بالمرحمة فضيلة تستقيم بها الأمة». وهي من أبرز أوصاف الصحابة رضى الله عنهم. قال الله تعالى في سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴿٢٩﴾﴾.

وجاء في حديث شريف: «الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وعن عبد الله بن عمر قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا». هذا، وكل هذه الصفات العالية يشملها قول الله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ فكان المتصفون بهذه الصفات، هم أصحاب الميمنة. والميمنة هم المؤمنون الذين يتواصون بالصبر والمرحمة وفضائل الخيرات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ أصحاب المشئمة: هم الذين كفروا بآيات الله، فمآلهم نار موصدة مطبقة لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. والمشئمة: هم أصحاب الشؤم والشرّ على أنفسهم وعلى غيرهم، مآلهم نار موصدة مطبقة عليهم.

أعوذ بالله من النار وما يقرب إليها.

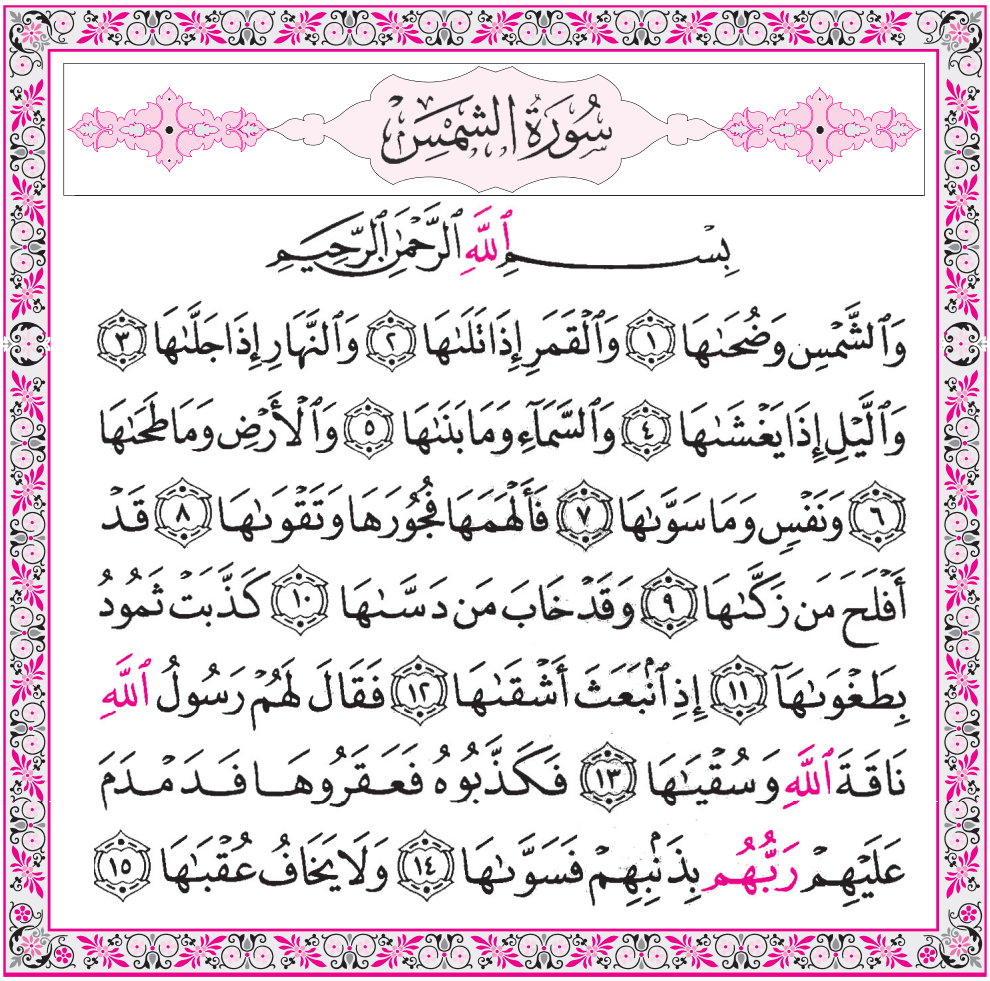

من مقاصد سورة الشمس: تذكير المشركين بمكة الرّافضين للرسالة وإنذارهم بأنهم سيصيبهم من الله عذاب شديد بما كسبوا مثلما أصاب قوم ثمود.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ أقسم الله تعالى بعظائم مخلوقاته بـ:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى: وقت ارتفاع الشمس عن الأفق وآكتمال ضوئها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾﴾ إذا غابت الشمس يخلف ضوء الشمس نور القمر.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾﴾ أي أضاء الأرض فتجلّت للناظرين.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ الليل يغطي ضوء الشمس.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ السماء آفاق الكواكب. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾ المؤمنون.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ طَحْو الأرض بَسطُها، بسطها الله تعالى للمسير والجلوس والانتفاع بما فيها وما عليها.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ النّفس ذات الإنسان. سوّى الله الإنسان فخلقه خلقة يستعين بها على بقائه.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ ألهم الله النفس إلهاما. والإلهام حدوث علم في النفس بدون تعلّم ولا تفكير. قال الراغب رحمه الله: «الإلهام إيقاع شيءٍ في النفس من جهة الله تعالى: ألهم الله الرضيع أن يطلب الثدي ويمتصّ منه. ومعنى ألهم الله النفس فجورها وتقواها أفهمها أن فعل الفاجر قبيح وفعل التقي حسن».

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ زكّى الإنسان نفسه: علاها بالتّقوى والعمل الصالح وزانها بعمل الخير. و دسّ نفسه: أحال بينها وبين فعل الخير، أخفى فيها الفجور فخاب خيبة الذليل.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١﴾ الطّغوى الكِبر. وكان كِبرهم وطغيانهم أدّاهم إلى تكذيب رسول الله إليهم.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾ والمعنى إذ بعثوا أشقاهم: فانبعث هذا الشقي الأشقى لعقر الناقة رغم أن رسول الله صالحا عليه السلام حذرهم.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «والمعنى لهذا الكلام: كذبت ثمود رسول الله صالحا عليه السلام فذكرهم وتحداهم بآية الناقة، وحذرهم من التعرض لها بسوء ومن منعها أن تشرب نوبتها من السُّقيا. فكذبوه فيما أنذرهم فعقروها».

وقد وردت قصة الناقة في القرآن الكريم أكثر من مرة. وهذه الناقة معجزة للنبي صالح عليه السلام ليثبت بها لقومه أنه رسول.

وهكذا حق العذاب على الأشقى بما أجرم، وعلى قومه لأنهم لم ينهوا عن

المنكر فكانوا شركاء فيما أجرم.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ دمدم عليهم الأرض فجعلها مستوية عليهم ولا تظهر فيها أجسادهم ولا بلادهم.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يخاف الله من أحد ولا يُسأل عما يفعل».

سبحانك اللّهم أستغفرك وأتوب اليك

-والحمد لله رب العالمين-

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سورة الليل شملت تمجيد الله تعالى للمؤمنين وشرف أعمالهم وجزاءهم، وشملت القول في إنذار من بخل واستغنى وكذب بالحسنى وذكرت أنواع عذابهم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بعظيم خَلقه: بالليل إذ يغم الكون بظلامه، فيغشى جميع الكائنات ولا تبدو للناظرين.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ النّهار يكشف بطلوع شمسه جميع المخلوقات، فيبدو كل شئ للنّاظرين.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ أقسم بخَلْقه تعالى العجيب: الذَّكر والأنثى: الذين يخرج من نسْلهم جميع الأجناس- أنواعا من الإنسان والحيوان والنبات - على سنن لا تتبدل، وهذا دليل على حسن صنع الخالق وقدرته.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ السّعي: هو العمل والكدّ وهو نوعان:

1 -سَعْي يَسّره الله تعالى لفاعل الخير، المتمثل في العطاء والجود والتّقى، فهذا سَعْي مشكور وجزاؤه الجنة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ الحسنى: هي الجنة. واليسرى هي الظرف الذي لا مشقة فيه، وتُفسّر بالجنة. قال مجاهد: «اليسرى هي الجنة».

2 - وأما سَعْي الفريق البخيل الذي يشح بماله، والذي استغنى بشهوات الدنيا عن نعَم الجنة، فسيخذله الله حتى تكون الطاعة أعْسر شيء عليه. وفي ذلك قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ العُسرى: هي حالة العُسر والشدّة ومكانها جهنّم.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ أي سوف لا يُغني البخيل عنه ماله إذا سقط في جهنّم. إن ماله الذي بخل به لا ينفعه إذا تردى. وتردى معناه: السّقوط من مكان عال.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ تفضّل الله على عباده بدعوتهم-عن طريق الرّسل-إلى الصّراط المستقيم. فمَن كان من أهل السّعادة، يُيسّر الله له عملا يُرضي الله ورسوله، وأمّا من كان من أهل الشقاء، يخذله الله حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه. روى مسلم بسنده عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كل عامل مُيسَّر لعمله».

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي ثواب الدارين للمهتدين. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تتلظّى النار إذا التهبت. روى البخاري بسنده عن نعمان ابن بشير قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أهْوَن أهل النار عذابا يوم القيامة، رجل توضع في أخمص قدَميْه جمْرتان يَغلي منهما دِماغُه.» والملاحظ أنّ الذين أنذرهم الله تعالى هم: مَن بخل بماله، ومَن

أعْرض عن ذكْر الله.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ يدخل الأشقى النّار، وهي تحيط به من جميع جوانبه. والأشقى هو الذى كذب بالحسنى كذّب بقلبه ورفض العَمَل بِجوارحه، وهو ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ والذي تولى لا يعمل بطاعة ولا يترك معصية.

روى أحمد عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: كلُ أمّتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا مَن أبَى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة ومَن عصاني فقد أبَى».

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ سَيُزحْزَح عن النّار أتقى الناس.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي يصرف ماله في طاعة الله تقربا إليه راجيا مقام الحسنى.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ ومن معاني هذه الآية: أن الذي أنفق ماله لله، فأعطاه لمحتاج ليس له مزية سابقة عليه وكان الجود بالمال ابتغاء مرضاة الله، جزاؤه الأوفى.

هذا وقد تواترت الأخبار، بأن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه لمّا أعتق بلالا، فقال المشركون: «إنما أعتقه لأن لِبلال مزيّة على أبي بكر سابقة» وهو قوْل من بهتانهم، لأنّهم يكرهون أن يكون أبو بكر الصدّيق فعل ذلك لله ولنصرة الإسلام.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ وعد الله سبحانه وتعالى الأتقى بالثواب الذي يرضيه.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ الجمعة.

–والحمد لله رب العالمين–

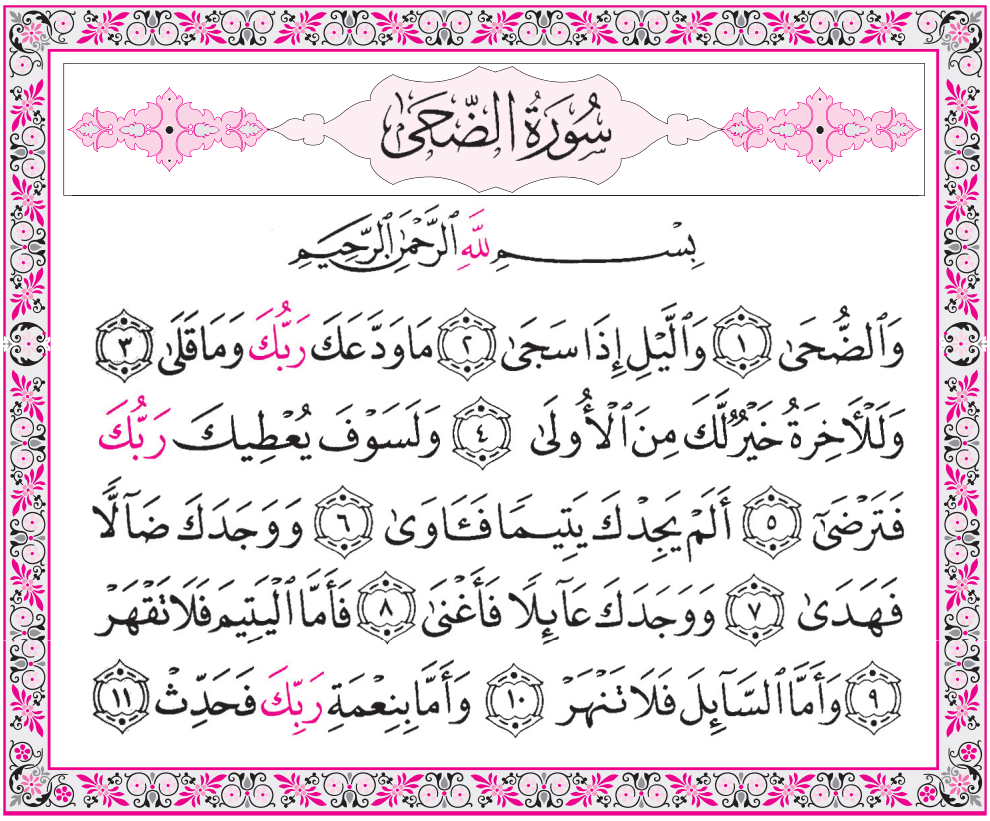

روى ابن كثير، أن العوفي روى عن ابن عباس قال: «لما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على الرسول ﷺ أبطأ عنه جبريل أيّاما، فاحتار ﷺ بذلك. فقال المشركون إن ربّه قلاه وتركه. فنزلت سورة الضحى تسلية لرسول الله ﷺ بأنه كان يتيما فآواه وعائلا فأغناه وضالا فهداه».فلا سبيل أن يكون قلاه وتركه.

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾

والضّحى سورة مكيّة نزلت قبلها سورة العلق، ثم إنّه تأخر الوحي أيّاما بعد نزول سورة العلق فنزلت سورة والضحى بالبشرى.

روى البخاري بسنده عن جندب يقول: «اشتكى النبي ﷺ ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾. هذا قَسَم من الله تعالى بالضّحى. وهو الوقت الذي تنبثق فيه أنوار الشمس، وأقسم بالليل إذا سجى

يعني إذا سكن الليل وأظلم الكون، والليل والضحى آيتان عظيمتان تدلان على عظمة الله وقدرته.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ما ودعك معناه ما تركك. والتّوديع تحيّة من أراد السفر، وما قلى من القَلْي وهو البغض الشديد. والمعنى أنّ ربك لم يتركك ولم يبغضك.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ قال ابن كثير: «والدار الآخرة خير لك من هذه الدار». قال ابن عاشور: «وتفيد الآية أن حالاته تجري على الانتقال من حالة حسنة إلى حالة أحسن منها. روى أحمد بسنده إلى ابن مسعود: «أن رسول الله ﷺ اضطجع على حصير فأثّر في جنبه، فلمّا استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله: ألا أذنتنا حتى نبسط لك على الحصيرة شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: مالي وللدنيا؟ إنما مَثَلي ومَثَل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ إنه ليدّخر لك ما يرضيك، فقد جعل دعوتك موفَّقة وأزاح العقبات عن طريق مسيرتك رغم عناد المشركين ومكائد الأعداء وتكذيب الماكرين، وتوج بالنّصر المبين جميع أعمالك نصرا ساحقا لشماتة المعتدين.

إنّ الله سبحانه وتعالى أكرم الرسول ﷺ بالوحي المتواصل وبالظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة وبدخول الناس في دينه أفواجا، وبالغَلَبة على المنافقين وإجلائهم، وببثِ عساكره وسراياه في بلاد العرب، وبالألفة بين أنصاره الراشدين وبتأييده بالمعجزة الكبرى القرآن الكريم. لقد أرضاه في الدنيا وجعل له الشفاعة في الآخرة، وأعطاه الكوثر، ولقد ادخر الله له في الآخرة كل خير. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الله جعل للنبي ﷺ ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك».

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ عدّد الله النعم التي أسداها لنبيه ﷺ فقال له: ألم تكن يتيما؟ وذلك أنّ أباه مات وهو في الشهر السادس في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين، وقال ابن إسحاق أنّها ماتت وعمره ست سنين، وكفله عمه أبو طالب وأكرمه.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ كان لا يعرف علوم الشريعة فأوحاها الله له.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ أغناه الله بفضل الله بمال خديجة، وقد كانت له خير زوجة وقد جعلته وكيلا ونِعْمَ الوكيل.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩﴾ لا تَعبس في وجهه ولا تحرمه من ماله وحقه لضعفه.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾ فلا تكن متكبِّرا ولا فاحشا ولا فظًّا على الضعفاء.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ حدِّث بنعمة الله عليك. ويجوز التحدث بالنعمة وتعدادها إذا كان المتحدث يرجو من سامعه القدوة به –والستر أفضل إنْ خَشِي الرّياء–.

اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك.

والحمد لله رب العالمين

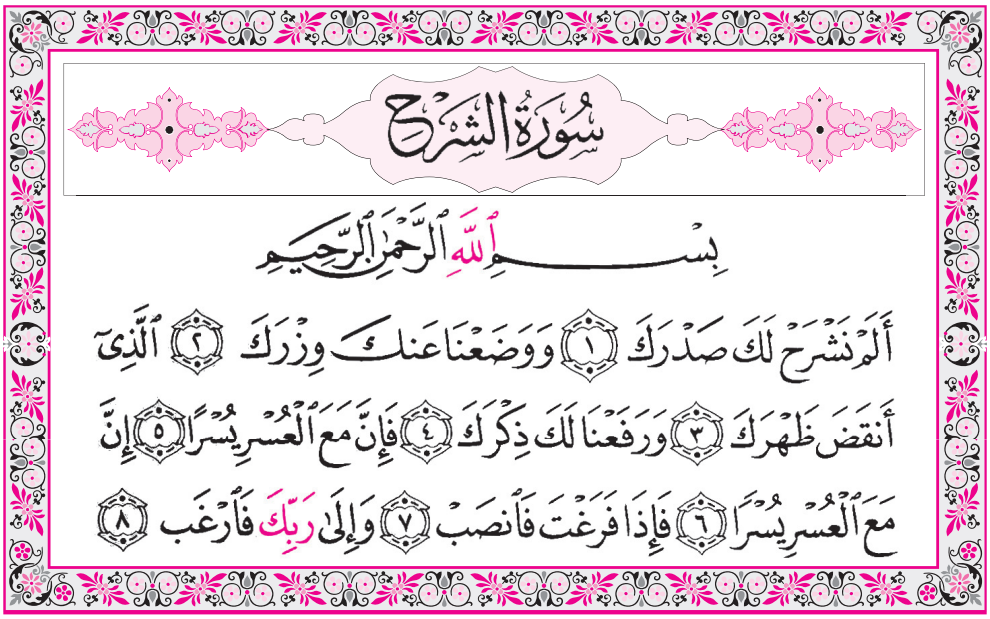

سورة الإنشراح مكية. جمعت أخبارا عن نِعَم الله تعالى على الرسول محمد ﷺ ذكّره بألطافه به، وبشّرته باليُسر إثر كل عُسر.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ عن ابن عباس: «أن الله شرح صدره بالإيمان». وعن الحسن قال: «شُرح صدْرُه: أي ملئ علما وحِكَما». قال ابن عاشور: «شَرْح صدْره كناية على ما أنعم الله عليه بكل ما تطمح إليه نفْسُه الزكية».

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ أي غفر الله له. ومعنى وضع: حطّ. والوِزر: الحَرَج الذي يقع في النفس عندما تكره شيئا. وقد كان، عليه السلام، يكره الكثير من عادات الجاهلية.

﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أنقض: أثقل. والمعنى: أن الوِزْر الذي أثقل ظهر الرسول ﷺ كان حملا ثقيلا وَضَعه الله عنه. ويتمثل في هموم هذه الدّعوة الثقيلة، وفي العقبات التي ينصبها المشركون في كيْد ومكر. وهذه الآية فرّجت عنه غمّه.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ عن ابن عباس: «أن المراد بذلك الآذان» روى ابن جرير بسنده، عن ابن سعيد أن الرسول ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن ربّي وربّك يقول: كيف رفعتُ ذِكرك؟ قال: الله أعلم. فقال: إذا ذكرتُ، ذكرتَ

معي». وذلك كذكر محمد ﷺ في الآذان والإقامة والتشهد.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾ العُسر: التعب الذي يجده الرّاغب في شيء صعب المنال. واليُسر: سهولة بلوغ المرام. والآية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ توكيد لِما قبلها. والمعنى: إن اليُسر مصاحب للعُسر، وذلك من لطف الله.

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ، بأنه عليه إذا أتمّ عملا من الأعمال، فليُقبل على عمل آخر، وأن يرغب في الدعاء. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ – عند رجوعه من إحدى غزواته –: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». ومعنى الآية عن ابن عباس: «فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء».

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ واجعل رغبتك إلى الله سبحانه وتعالى وحده وتوكل عليه ولا تسأل إلا فضله.

–سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم–

–والحمد لله رب العالمين–

سورة التِّين مكيّة تؤكّد بأنّ الإسلام هو دين الفطرة وتشمل التّعريض بإنذار المكذبين بالإسلام وبالتبشير بالجزاء الحسن للذين اتبعوا الإسلام دينا.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾

﴿وَالتِّينِ﴾ عن ابن عباس قوله: «هو تينكم هذا وزيتونكم» وروي أنّه أُهدِيَ لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأنّ فاكهة الجنّة بلا عجْم، فكلوها فإنّها تقطع البواسير وتنفع من النقرس.» أخرج الحديث أبو نعيم فيً الطب النبوي.

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ عن معاذ بن جبل مرفوعا سمع رسول الله ﷺ يقول: «نِعْمَ السِّواكُ الزيتونَ من الشجرة المباركة». قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ما خلاصته: «إنّ أغلب المفسِّرين الأوّلين ومنهم مجاهد والحسن وعكرمة والنخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي كلهم متفقون على أنّ المقسَم به فاكهة التِّين والزّيتون وذلك لما في هاتين الثمرتين من المنافع للناس – فللّه المنة على ما خلق–.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال كعب الأحبار: «هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السّلام».

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنه: «يعني مكة المكرّمة». وأمانته أن يُحفظ من دخله: (ومن دخله فهو آمن).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قال الزمخشري: «أي خلق الله النّاس في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه». وقال ابن عاشور: «هو أن الله تعالى كوّن الإنسان تكوينا متناسبا لما خُلق له فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح فالجسم آلة لخدمة العقل». قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» رواه مسلم. قال الفخر الرّازي: «أحسن تقويم معناه أنّه أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان». وتفيد الآية أن الإنسان خُلق يحب الخير ويجلب النفع لنفسه ويكره الباطل ويغيث الملهوف ويعامل بالحسنى فإذا تعلّم من غيره حب الشّهوة البشرية السيِّئة يميل إلى ارتكاب المفاسد فيحب ويغضب وينتقم وينصرف إلى الأعمال الفاسدة. قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يُولَد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسّانه». والمعنى أنّ أوّل من يتولّى تأديب الولد وتهذيبه: الأبوان، فإذا تحوّل إلى البيئة الأخرى يتحوّل إلى مخالطة العديد من المؤثرات: «إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ».

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ قال ابن كثير: «ثم يُردُّ إلى أرذل العمر ذلك لأنه حاد عن الإيمان بالله وأشرك به». قال الزمخشري: «كان عاقبته، حين لم يشكر نعمة الله عليه بما أعطاه الله من خلقة سليمة في أحسن تقويم، أن جعل مَردّه في دنياه إلى أقبح صورة وأشوه خلقة وجعل مردّه في آخرته إلى أسفل مكان وأخفض مكان في النار».

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ أي والذين كانوا من المؤمنين الصالحين فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على العبادة.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾ هذا خطاب للإنسان يعني: فما يجعلك كاذبا بسبب إنكارك بيوم القيامة – يوم الجزاء – ألم تعلم بأن الدليل الواضح على

قدرة الله تعالى هو خلق الإنسان من عَدَم: خلق النطفة ثم خلق الإنسان من النطفة وجعله في أحسن تقويم يتدرّج من ضَعف إلى قوة ثم من قوة إلى ضعف ثم يتدحرج إلى أرذل العمر ثم يميته. إن القادر على خلق كل ذلك أهون عليه أن يحيي الإنسان لينال جزاءه يوم الدِّين – يوم الجزاء –.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ ممّا يستفاد من الآية أن الله أقوى الحاكمين حكمة في قضائه فهو الذي لا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ منكم: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

–والحمد لله رب العالمين–

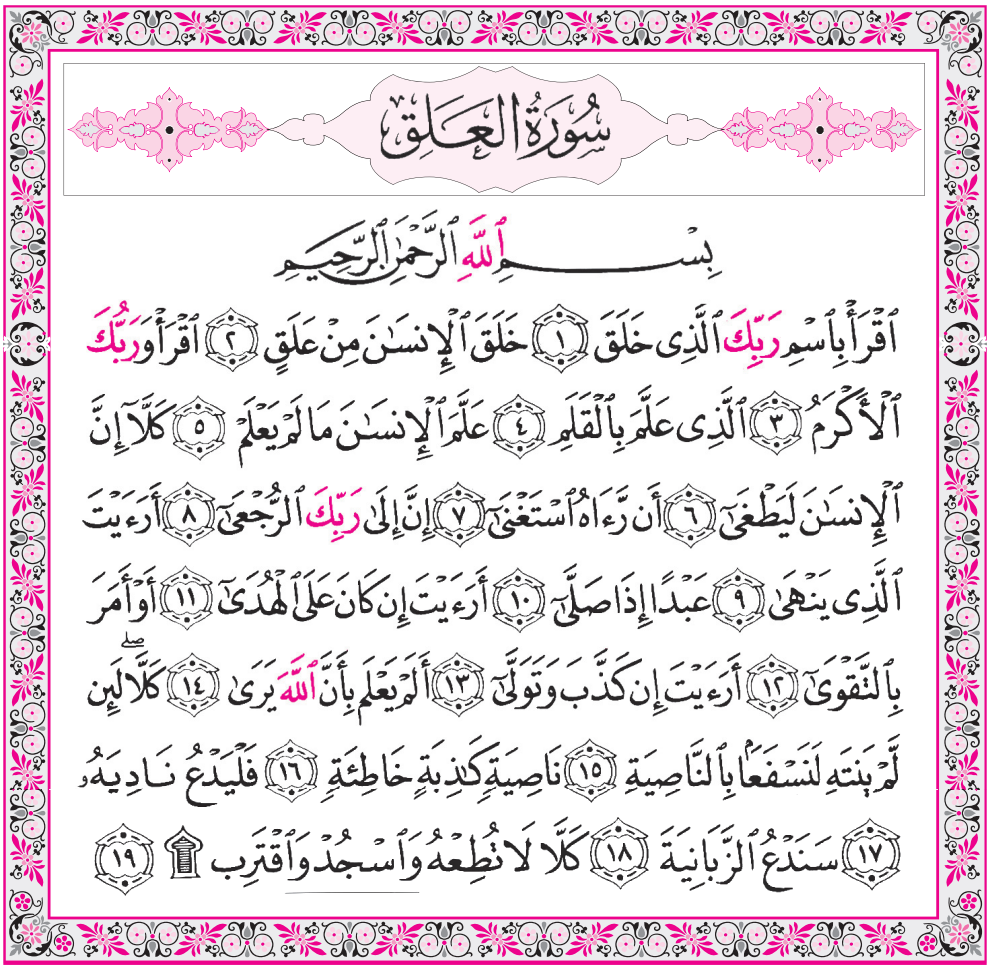

روى الإمام أحمد بسند صحيح، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم. فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه – وهو التعبّد – الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله، ويتزود إلى ذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء: «فجاءه الملك فقال: اقرأ! فقلتُ: ما أنا بقارئ!؟ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ!؟ فأخذني فغطني الثالثة ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة رضي الله عنها، فقال: «زمّلوني! زمّلوني!» فزمّلوه، حتى ذهب عنه الروع. فقال: «يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر. وقال: قد خشيت على نفسي. فقالت له: أبشِر! فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»...

السورة الكريمة – سورة العلق – ابتدأ بها نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ، وهي تصف طغيان الإنسان بكثرة أمواله ورجاله، إلى حدّ رفض أوامر الله تعالى، وتخبر عن الشقي أبي جهل الذي اندفع بصَلَف يحاصر النبي ﷺ وينهاه عن الصلاة.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إنها أوّل سورة نزلت من القرآن الكريم».

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قل باسم الله ثم اقرأ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ خلق كل شيء.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ خص الله الإنسان بالذكر دون غيره من المخلوقات لأن القرآن منزّل إليه. والإنسان أشرف ما على الأرض وأكمل المخلوقات وأرشدها.

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ الرّب الأكرم سبحانه له الكمال بنِعَم على عباده لا تحصى، وبالعفو عمن جحدها إن تاب، وبالحلم والغفران والرحمة الواسعة فليس وراء كرمه كَرَم.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ وهذا من الله كرم فما لِكَرَمه غاية. علّم عباده الكتابة بالقلم، وللكتابة فضل عظيم ولولاها ما دُوِّنت الكتب المنزّلة وما دُوِّنت أخبار الأولين وما سُجِّلت العلوم. ولولا الكتابةَ بالقلم ما استقامت أمور الدين والدنيا. وفي الأثر: «قيّدوا العلم بالكتاب». ومن أجل ذلك اتّخذ النبي ﷺ كتّابا للوحي من أوّل بعثته.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ من كمال كرَمه أنّه علّم عباده ما لم يعلموا وجاد عليهم بالمعارف فأخرجهم من الظلمات إلى النور. وقد استنتج الشيخ ابن عاشور أنّ

العلم يحصل بواحد من ثلاثة: أحده الأخذ عن الغير بالمطالعة، والثاني التلقّي عن الغير من أفواه الرجال من العلماء بالدرس والإملاء، والثالث مما تستنبطه العقول من آراء ومخترعات.

وممّا يُستنتج أنّ كل علم يحصل فهو علم. والمعلوم أنّ النبي ﷺ تلقّى العلم بالوحي من الله تعالى وبالتلقّي عن جبريل عليه السلام وإنّه لَعَلم للعالمين. قال ابن عاشور في التّنوير: «إنّ هذه الآية هي آخر الخمس الآيات التي هي أوّل ما أنزل الله على النبي ﷺ».

﴿كَلَّآ﴾ كلمة ردع تفيد أنّ الكلام الآتي على قائله أن يرتدع لأنّه باطل.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ الطغيان هو التعاظم والكِبْر. قال ابن كثير: «يُخبر الله عن الإنسان أنّه إذا استغنى وكثُر ماله يكثر فرحه وشرّه، فيطغى ويتعاظم ويتكبّر».

والمعنى المستفاد من هذه الآية: إنّ الإنسان يطغى فتحدثه نفسه بأنّه غير محتاج إلى غيره وأنّ غيره محتاج إليه. قال ابن عاشور: «إنّ هذا من أخلاق الذين لا وازع لهم وليس لهم دين يمنعهم ولا تفكير صحيح يردعهم». والملاحَظ أنّ في هذه الآية حقيقة نفسية عظيمة نبّهت على الحذر من تغلغلها في النفس، يصير صاحبها طاغيا على الناس شاعرا بأنّه لا يخاف بأسَهم. هذا الطاغية هدّده القرآن وتوعده ووعظه.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ أي إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالِك من أين جمعته وفيما صرفته. وهو تهديد وتحذير من عاقبة الطغيان.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ عن الحسن البصري: «إنّه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة». وروى مسلم عن أبي هريرة بسنده قال: «قال أبو جهل لقومه: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهُركم وهو يسجد في الصلاة ؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رَقبته. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلّي فأسرع ليَطأ رقبته فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عَقبيه ويتقي بيده، فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهوْلا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: لو دنا منّي لاختطفته الملائكة

عضوا عضوا.»

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ والتقدير إن كذب وتولّى، فالله عالم به. إنّ الله يرى ويسمع كلام الذي توعّد النبي ﷺ وهدده وسيجازيه على فعله أشد الجزاء. قال ابن عاشور: «والمراد بالرؤية المسندة إلى الله تعلق علمه بالمحسوسات».

﴿كَلَّا﴾ أي إذا لم يرتدع عن فعله وظلّ يهاجم النبي ﷺ.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ السّفع: قبض شديدٌ بجنب قويٍّ، والناصية: مقدّم شعر الرأس. وهذا أخذ شديد لا يقدر صاحبه على الانفلات وسيقاد إلى العذاب.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ النادي اسم للمكان الذي يُجتمع فيه. وكانت لقريش دار تسمى دار النّدوة حول المسجد الحرام، جعلوها لتشاورهم، وفيها يعقد على الأزواج وفيها تلبس البنات أقمصة بأنهن قاربن سن البلوغ. ويطلق النّادي على المجتمعين فيه. قال أبو جهل لعنه الله: «إنّي لأكثر أهل هذا الوادي ناديا». مفتخرا بكثرة الناس الذين يجتمعون فيه. ولما كان أبو جهل يهدد النبي ﷺ بكثرة أتباعه الذين يجتمعون إليه ليستمعوا إليه، ردّ الله تعالى عليه بأنه إن دعا ناديه ليبسطوا أيديهم على رسول الله ﷺ، فإنّ الله يدعو ملائكة ليهلكوا النادي.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ الزّبْن هو الدّفع بشدة والزّبانية الذين يدفعون الناس بشدة والمراد بهم ملائكة العذاب.

﴿كَلَّا﴾ أي إنّ ما قاله أبو جهل لن يكون.

﴿لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ والمعنى لا تخف منه ولا تحذره فإنه لا يضُرّك، ودُمْ على العبادة وصل حيث شئت فإنّ الله ناصرك وهو يعصمك من الناس. روى ابن كثير بسنده عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: أقرَب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

–والحمد لله رب العالمين–

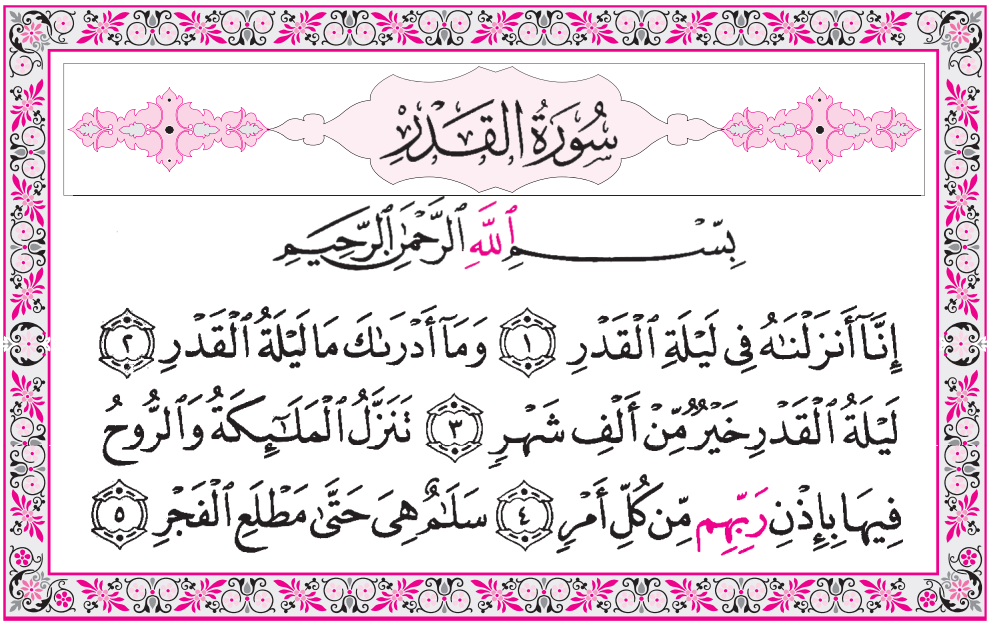

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ ليلة القدر هي الليلة التي جاء ذكرها في سورة الدُّخان: قال تعالى: ﴿حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ... ﴿١٨٥﴾﴾.

قال ابن عباس: «أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السّماء الدّنيا ثم نزل مفصَّلا بحسب الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنة على رسول الله ﷺ». روى مسلم في صحيحه عن أُبَي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «أنّها ليلةُ سبع وعشرين» وأخرج الشّيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنّه كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيى الليل وأيقظ أهله وشدّ المئزر. ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان. روى أحمد بسنده عن عبادة ابن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو آخر ليلة».

قال ابن كثير: «وإنّما اقتضت الحكمة إبهامها لتعَمَّ العبادة جميع الشهر في ابتغائها».

هذا وإنّ ليلة القدر عيد عظيم، روى أحمد بسنده عن أبي هريرة إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى، تنزل الملائكة إلى الأرض مع سيدنا جبريل عليه السلام كرامة أكرم الله بها المسلمين. قال الزمخشري: «قيل إنّ الملائكة الليلة لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه». قال ابن عاشور: «وفي هذا الحفل العظيم في السماء والأرض أصل لإقامة المواكب لإحياء ذكرى أيام مجد الإسلام».

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ هذا استفهام تعظيما لشأنها وتشويقا لخبرها: ما مقدار علمك بما خصّها الله تعالى من الفضائل؟. لقد خصّها الله تعالى بنزول القرآن فيها وأنّه فيها يفرق كل أمر حكيم، وأنّ العبادة فيها ثوابها كثواب العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفيها تنزل الملائكة إلى الأرض وجبريل عليه السلام، وفيها أن الملائكة لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ هي سلامٌ، يقدر الله فيها الخير والسلامة. هذا وإن المؤمنين مأمورون بإحياء ذكرى ليلة القدر. قال ﷺ: «تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا وإحتسابا غُفِر له ما تقدم من ذنبه».

–اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا–

–والحمد لله رب العالمين–

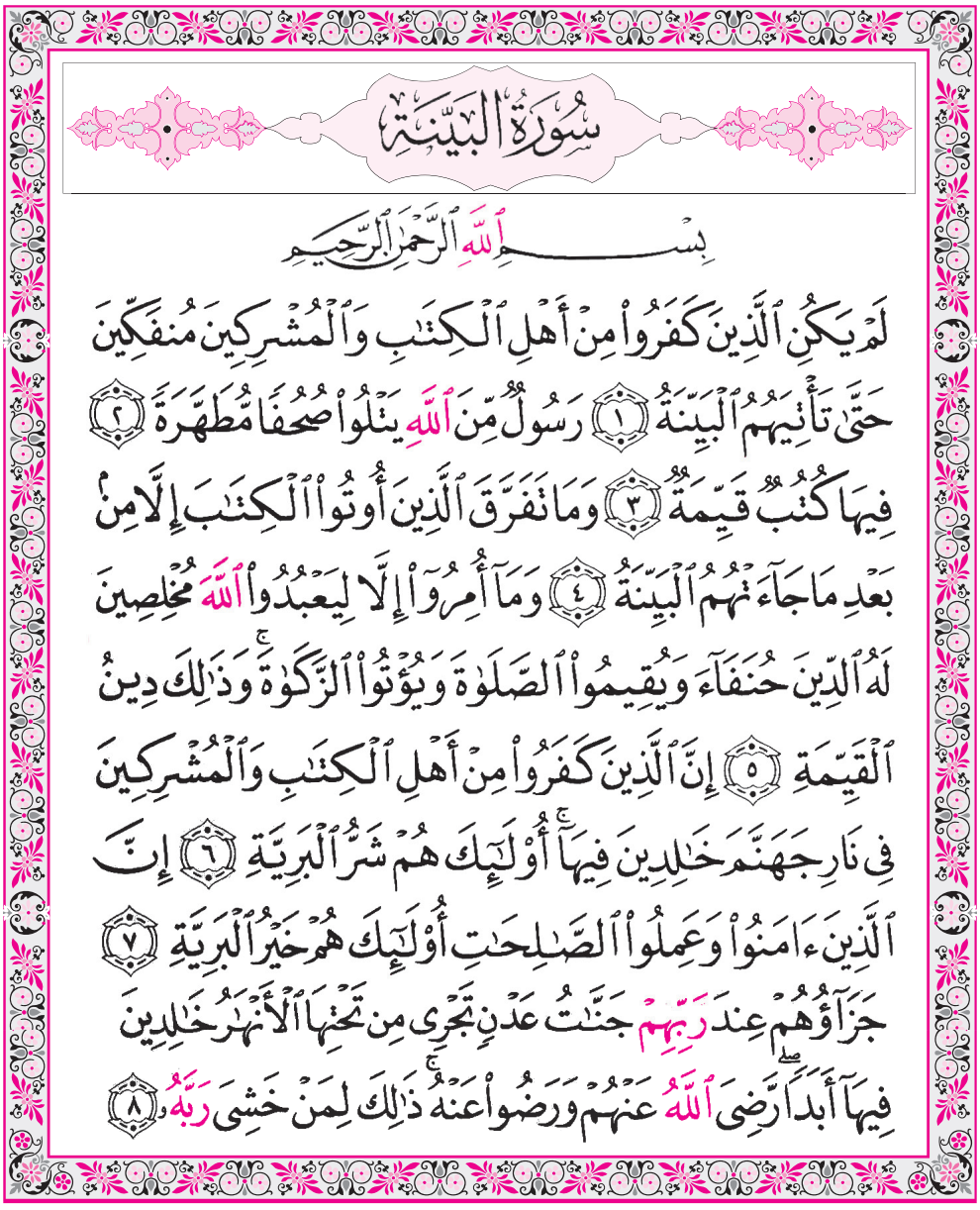

تحدثت السورة عن دعوة الرسول ﷺ وانتشارها، فأذهل ذلك اليهود والنصارى من أهل الكتاب وكذبوا بالرسالة وكفروا بها، وانضم إليهم المشركون عبدة الأصنام، فكان في هذه السورة تهديدهم بجهنم خالدين فيها، وبشارة الذين آمنوا بأن لهم الجنة.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ الّذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركون وهؤلاء جميعا متمسّكين بعقائدهم لا تنفكّ كل فرقة منهم عن عقيدتها.. فالمشركون وهم الذين يعبدون الأصنام أو النّيران أو بعض الحيوانات هم في طغيانهم يعمهون ليس لهم مرجع سماويٌّ صحيح يعتمدون عليه ولا قانون وضعيّ مسطور وإنما مرجعهم شيخ القبيلة، واليهود مرجعهم التوراة وهي صحف نزلت على موسى فيها ذكر لنبيّ منتظر جاء في التوراة في سفر التثنية: «أقيم لهم نبيئا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه» اهـ.

والنصارى مرجعهم الدينيّ الأناجيل. وفي الإنجيل: «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيّا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

والحاصل إنهم يقولون لا نترك ما نحن عليه من الدين حتى تأتينا البينة أي العلامة التي وعد اليهود بها في التوراة، وما وعد به النصارى في الإنجيل وظلوا مستمرين على كفرهم غير منفكين عنه ولا تاركين ما هم عليه، ولما جاءتهم البينة التي ينتظرونها وتواعدوا على قبول ما تأتي به، نقضوا العهد.

وجاء القرآن الكريم ببينات للناس جميعا فرفض الكفار ما جاءت به وظلّ بعضهم لبعض عدوا.

ماهي البينة؟ قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ البينة: هي الحجّة الواضحة يتلوها سيدنا محمد ﷺ. والتّلاوة إعادة كلام سواء كان مكتوبا أو محفوظا. والصحف: القراطيس والأوراق التي يكتب عليها.

﴿مُّطَهَّرَةً﴾ الصحف واضحة ليس فيها تضليل.

﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أجزاء القرآن وسُوَره.

﴿قَيِّمَةٌ﴾ المستقيمة غاية في الصواب والكمال.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ قال الزمخشري: «والمراد بتفرّقهم، تفرّقهم عن الحق فرقا فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند»

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ وما أمر به أهل الكتاب هو عين ما أمَر به الإسلام: فإن التوراة والإنجيل يشملان الأمر بعبادة الله وحده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتلك هي قواعد الإسلام قبل أن يُفرَض صوم رمضان والحج ولهذا لم يبق لهم عذر في رفض الإسلام. فإنّ الإسلام هو دين الكتب القيّمة ودين الأمّة القيّمة وهو دين الحنفاء ودين إبراهيم. قال الله تعالى عند ذكر إبراهيم في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾.

وإنّ إبراهيم وإسماعيل دعوا الله: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ... ١٢٨﴾ سورة البقرة.

قال الشيخ ابن عاشور: «فإن تفرّق أهل الكتاب راجع إلى تفرقهم عن الإسلام وهو ازدياد في الكفر إذ بالكفر تكثر شبه الضلال».

قال تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وما أمروا بما في التوراة والإنجيل والقرآن إلا بالإخلاص في العبادة لله بأن لا يشركوا الله في عبادته أحدا والمعنى أنهم ما أمِروا في الإسلام إلا بمثل ما أمَروا به في كتبهم.

﴿حُنَفَآءَ﴾ هو لقب للذي يؤمن بالله وحده دون شريك. هذا وقد كان لقب إبراهيم «حنيفا» قال الله تعالى له في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والصّلاة أشرف عبادات البدن وقد دعت إلى أدائها الأديان.

﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وهي عبادة ينتفع بها كل محتاج وهي الإحسان الذي يشمل نفعه جميع الفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ دين الإسلام دين العقيدة والعمل. قال ابن كثير: «وقد استدلّ كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة أن الأعمال داخلة في الإيمان».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ إن مآل الفجار الذين خالفوا الكتب المنزّلة، الخلود الأبدي في نار جهنم

فإنهم شر من خلقه الله وبرأه، وأما المشركون، فلأنهم بَلَغَتهم الدعوة الحنفية الابراهمية فرفضوها وأبدلوها بعبادة الأصنام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأنهم خير خلق الله تعالى.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ جزاؤهم عند ربهم الإقامة تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ماكثين فيها أبدا دائما.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ إنّ أعلى ما نالوه من خيرات النعيم في الجنة رِضى الله عنهم فهم في نعَم الخلود محفوفون برضَى الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ يعني أنّ السّبب الّذي استحقّوا به ذلك الجزاء العظيم من خلود ورضوان هو خشيتهم الله تعالى: عاشوا دنياهم يرجون رحمته ويخافون عذابه.

–والحمد لله رب العالمين–

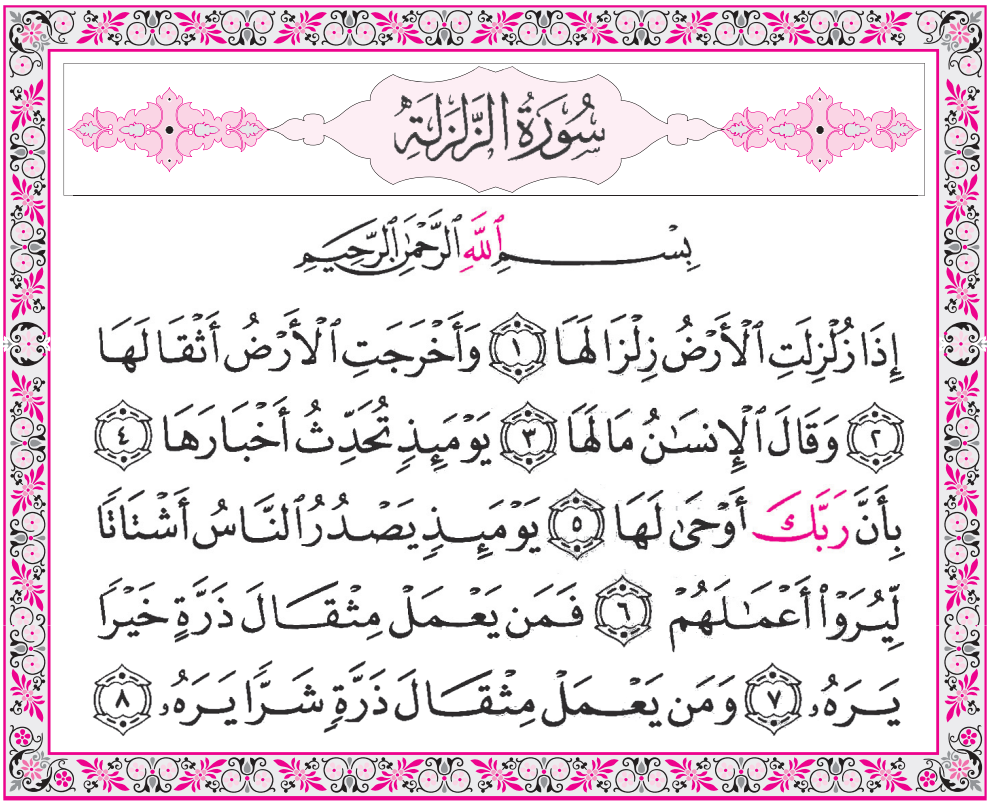

هي سورة تذكر أشراط البعث وأحوال الناس – عند زلزلة الأرض بإذن ربِّها –. وفيها تحريض للناس على فعل الخير واجتناب الشر.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ معنى زلزلت تحرّكت حركة شديدة بإذن الله.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ ينشق سطحها فتقذف ما فيها من معادن وصخور وسوائل وذلك ينشأ عن انقلاب طبقاتها الباطنية.

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ أي وقال الناس الذين هم أحياء بعضهم لبعض: مالها زلزلت هذا الزلزال المهول؟

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ أي تُحدِّث الخلقَ أخبارها. روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها. تقول عمل كذا يوم كذا وكذا،

فهذه أخبارها».

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أوحى بمعنى قال. كقوله تعالى في سورة يس ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾ يخرج الناس أشتاتا: جماعات إلى الحشر، لأجل تلقّي جزاء الأعمال التي عملوها في الحياة الدنيا. قال الشيخ ابن عاشور: «إنّ المؤمنين يجزون عما عملوا من خير، وأما الكافرون فإن ما يعملونه من خير فهو كالعدم. وأما ما يعمله المؤمنون من الخير جزاؤه أوْفى: فالحسنة بعشر أمثالها». قال الزمخشري: «وسيئات المؤمنين معفوّة باجتناب الكبائر». وقال الله تعالى في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا... ۝٣٩﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ المثقال هو ما يعرف به ثِقل الشيء، والذرّة النملة الصغيرة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ يرى ما عمله في كتابه. روى ابن كثير بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «لما أنزلت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ قلت: يا رسول الله إني لراء لعملي؟ قال: نعم. قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم. قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم. قلت: واثكل أمي! قال: أبشر يا أبا سعيد! فإن الحسنة بعشرة أمثالها، ويضاعف الله لمن يشاء، والسيّئة بمثلها أو يعفو عنها. ولن ينجو أحد بعمله. قلت: ولو أنت يا رسول الله؟! قال: ولو أنا! إلا أن يتغمدني الله برحمته».

روى البخاري بسند عن عدي: «اتقوا النار ولوْ بشق تمرة ولوْ بكلمة طيّبة».

–والحمد لله رب العالمين–

تحدثت سورة العاديات، عن صَوْلة مواكب المجاهدين في سبيل الله، وتحدثت عن طبيعة بعض الناس الذين يكفرون بأنعم الله وفضله تعالى عليهم، وعن طبيعة حب الإنسان الشديد للمال، وأنه لا ينفع في الآخرة إلا صالح الأعمال.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ الإبل تحمل الحجيج العائدين من عرفة إلى المزدلفة. (ملاحظة: قال ابن عاشور: «وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بكلمة جمعا في الآية ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ إسما للمزدلفة حيث المشعر الحرام). ضبحا: يقال ضبحت الإبل إذا مدّت ذراعيها للسيّر.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ النار توري أي توقَد، والقدح حكُّ جسمٍ على أخر لتنطلق منهما نار. ومناسم الإبل تقدح إذا صكّت الحجر.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ المسرعات في الصباح من مزدلفة إلى منى.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ أصعدن الغبار من الأرض.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ كُنَّ وسط جُمَع: أي المكان المسمى جمعا وهو المزدلفة. والمعنى أن الآيات المذكورة قَسم وحِلف بلحظاتٍ وحركات في الحج بين عرفات والمزدلفة ومنى لا يعرف متعتها إلا مَن حج.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ من يكفر بنعمة الله كنود، ومن ينسى حق الله كنود، ومن يشرك بالله كنود، ومن يعصي الله كنود، ومن يؤثر طاعة نفسه أو غيره على طاعة الله كنود. جاء في التنوير قال رسول الله ﷺ: «الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده».

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ الانسان يشهد على نفسه، وقال ابن عباس: «أي أن الله يعلم بما في نفس الإنسان ولا يخفى عليه شيء».

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ وإن الإنسان لحبّه المال حُبّا جَمّا بخيل، والشحّ غالب على تصرفاته.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ بعثر: أخرج الأسفل إلى أعلى ما فوقه. والمُراد به إحياء ما في القبور.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ جُمِعَ ما في النفوس كل ما كان مخفيًّا ليقع الحساب عليه. سبحان الله عالم الغيب والشهادة.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ إن ربّهم بهم عليم. قال ابن عباس: «إنه لعالِم بجميع ما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه أوفر الجزاء».

أستغفرك اللهم وأتوب اليك

–والحمد لله رب العالمين–

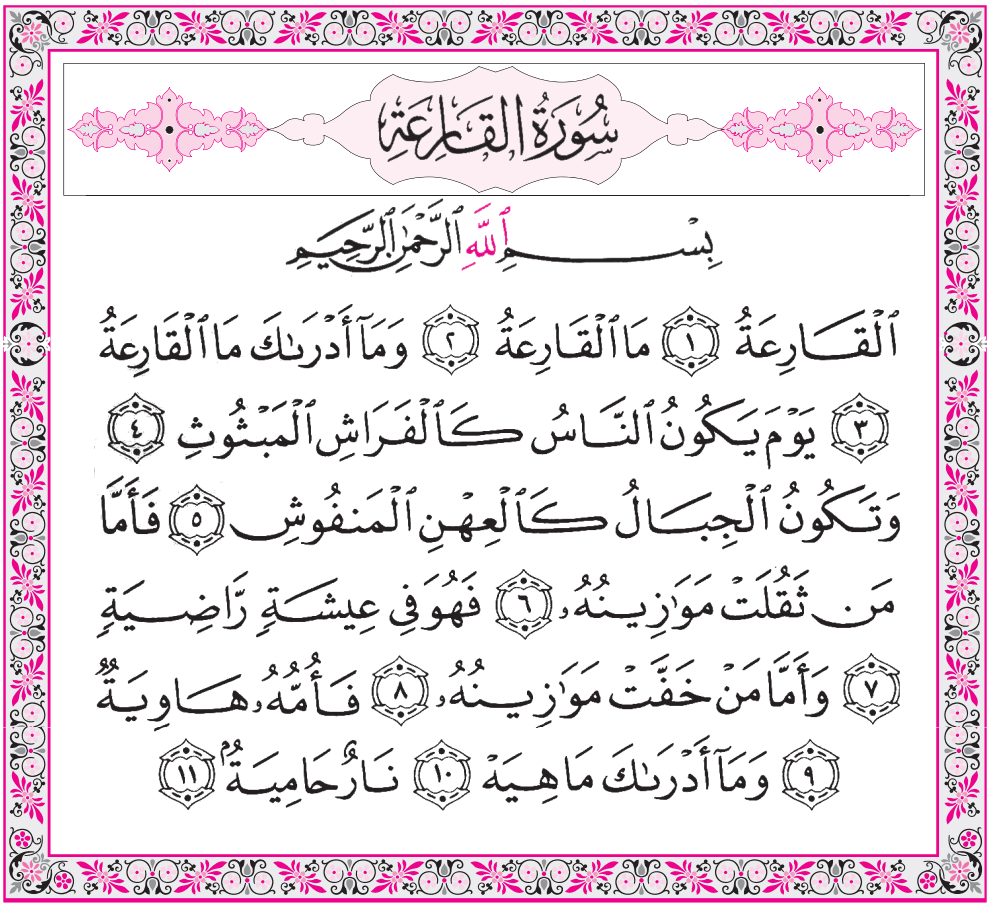

تحدثت القارعة عن أهوال يوم القيامة وشدائدها، وحيرة الناس الشديدة وفزعهم الرّهيب، والنجاة لمن ثقلت موازينه بالحسنات.

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ اسم من أسماء يوم القيامة مثل الحاقة والغاشية ويوم الحشر.

﴿مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ معنى القارعة اسم لصوت عظيم يحدث بضرب جسمٍ على آخر بشدة، هي الكارثة وهي حدث عظيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ ومن معاني هذه الآية زيادة تهويل يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ أي يوم يكون الناس منتشرين متفرقين في ذهاب وإياب من حَيْرتهم كأنهم فراش. والفراش فرْخُ الجراد

والمبثوث المنتشر على الأرض.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ العهن: الصّوف. والمنفوش: الصوف التي تفرّقت أجزاؤه عن بعض وتكون الجبال كالعهن لأنها تَندكّ بالزلازل فتتفرق أجزاء.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ رجحت كفة حسناته، وثقلت الموازين بكثرة الحسنات.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ يعني في الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ من خفّت لإتّباعه الباطل.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ الهاوية اسم من أسماء جهنّم والمعنى:فمأواهم جهنّم قال قتادة: «فأمّه هاوية يعني فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يُطرح فيها منكوسا رأسُه».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ جملة لتهويل الموقف.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نار بني أدم التي توقدون، جزء من سبعين جزء من نار جهنم».

اللهم نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار

–والحمد لله رب العالمين–

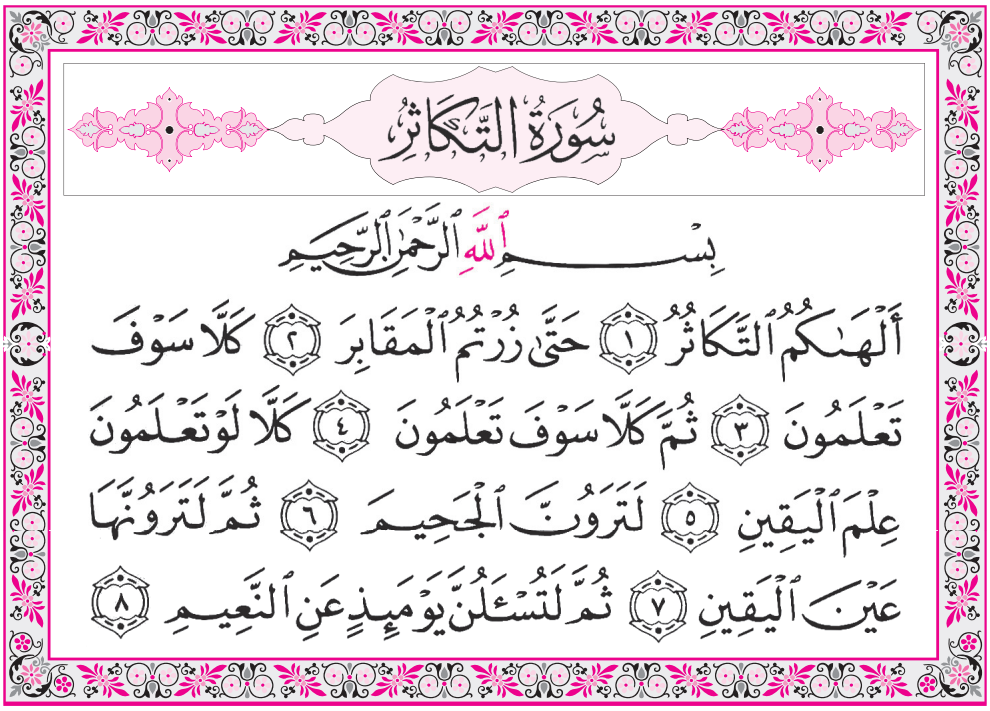

تكرّر في هذه السورة، زجر الناس وتحذيرهم، تنبيها لهم على خطئهم بانشغالهم بالدنيا، ونسيان الآخرة.

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ والمعنى شغلكم حب الدنيا ونعيمها والتباهي بكثرة المال والولد عن السعي في طلب حسن الخاتمة. والأَوْلى بالإنسان العاقل أن لا ينسى العاقبة وأن يسعى للفوز بالجنة.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالي مالي! وإنّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى. وما سوى ذلك فذاهب وتاركُه».

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للمتأمِّل أن تكون الدنيا أكثر ما يهتم به، وأنه عليه أن يهتم بدينه.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ هذا إنذار للتَّنبُه من الغفلة.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ الآية إنذار ثان ليطغى الخوفُ على من يخشى العاقبة.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ والمعنى لواجتهدتم في اكتساب المعلومات الصحيحة بتدبُّر القرآن بعنايةٍ، لرأيتم بقلوبكم وتصوراتكم العذابَ الشديد الذي سيلقاه الجاحدون.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ هذا توكيد على أن الرؤية واقعة لا محالة. قال الشيخ ابن عاشور: «وأقول زيادة على ذلك إنّ في قوله ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تأكيديْن للرؤية بأنها حقيقة واقعة يقينًا وإن اليقين حقيقة تُثبت أن رؤية النّار هوْل عظيم». جاء في الأثر: إنها النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خرّ كل مَلك مقرَّب ونبي مرسَل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». معنى ذلك: من لا يقوم بحق ما وجب عليه من الواجبات فهو مغبون لأنه لم يقم بواجب الشكر لله على ما أنعم عليه.

روى ابن كثير أن زيدا ابن أسلم قال: «إن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني لتُسألن عن شبع البطون، وبارد الشراب وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم». ويؤيد هذا ما جاء في حديث مسلم عن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقاما معه. فأتى النبي رجل من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، ولمّا جاء الأنصاري نظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: ما أحد اليومَ أكرمُ أضيافا مني! فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورُطَب. وأخذ المُدية فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة!».

قال ابن عاشور: «هذا حديث عن النعيم ثبت بالسنة».

قال القشيري: «إن كل الناس يُسألون ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لأنه ترك الشكرَ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر ربّه».

اللهم اجعلنا من المؤمنين الشاكرين

أقسم الله بصلاة العصر باعتبارها الصلاة الوسطى التي أوصى القرآن بالمحافظة عليها. ونبّهت السورة الإنسان، بأنه في خسران إذا قضى حياته يجمع ويمنع، وأن النجاة من الخسران للصالحين الذين باعوا الدنيا واشتروا بها الآخرة، وتواصوا فيما بينهم بالحق والخير، وصبروا على ملازمة الطاعات، طاعة لله.

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بصلاة العصر لفضلها. وقال ابن عطية أنّ أبَي بن كعب قال : «سألت رسول الله ﷺ فقال: أقسم ربّكم بآخر النهار».

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ الخُسر ضد الربح. ويستعمل لحالة الإنسان الذي يظن لنفسه عاقبة حسنة فكانت النتيجة أنّ عاقبته سوء.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾معناه: أن الناس فريقان: فريق عاقبته الخسران، وفريق لا يلحقه شيء منه. فالذين أمنوا وعملوا الصالحات لا يلحقهم الخسران أبدا. ومن أكبر الأعمال الصالحات: التوبة من الذنوب وإرشاد المسلم غيره ودعوته إلى الحق وتحلّيه بالصبر.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وتواصوا بالخير كله، والخير كل الخير في طاعة الله وتوحيده واتباع كتبه ورسله والسعي للآخرة والاستقامة في الدنيا والتواصي بأداء الطاعات وترك المحرمات. وكل هذا وذلك يتطلب صبرا جميلا.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ هذه وصية للمؤمنين بإقامة الحق والصبر على المكاره. فالأعمال الصالحة وتجنب السيئات، سلوك مطلوب عماده الصبر. والأعمال العظيمة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه، وأن الذي يصمد عند الصعوبات ناهيا النفس عن الهوى هو الصّابر.

وفي الحديث الشريف: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».
وقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦﴾ سورة النحل.

اللهم اجعلنا من الصابرين
-والحمد لله رب العالمين-

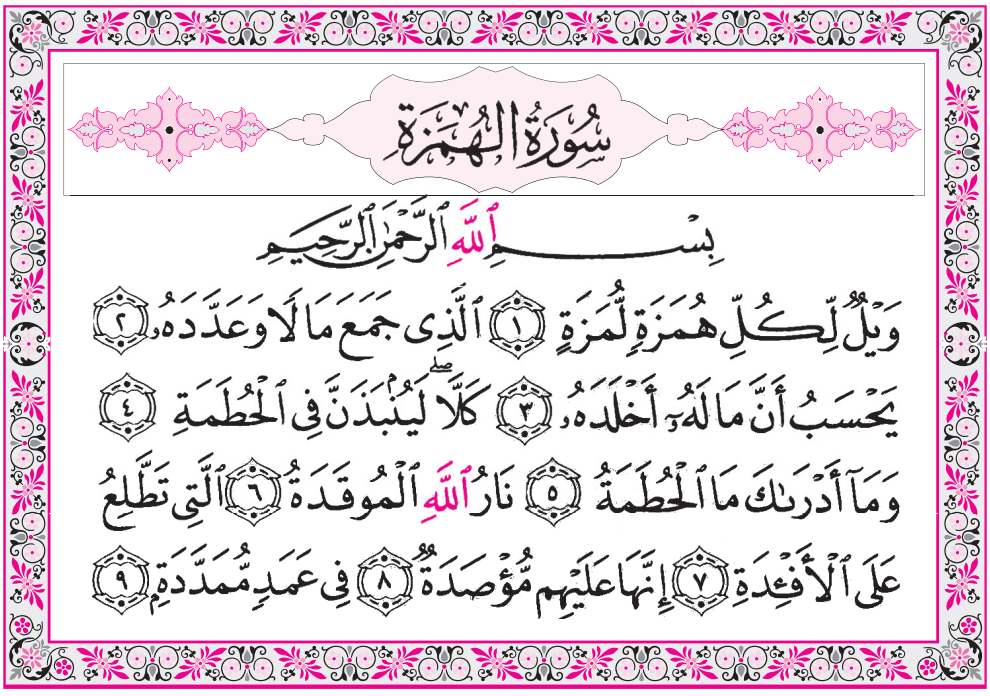

هذه السُّورة نزلت لتهديد طائفة من المشركين كان صنيعهم همز المسلمين ولمزهم.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ هَمَزَ، همزا: وهو ما يفعله الهمّاز ليعيب غيره بالإشارة بالعين أو بالرأس أو بالشِّدق ليستنقصه، هزؤا أو حقارةً سواء أكان الهمز بالحضرة أو عند الغيبة.

﴿لُّمَزَةٍ﴾ اللّمز: هو المواجهة بالعيب ذما للغيْر. وهذان الوصفان صنيع المشركين لصحابة النبي ﷺ ذمًّا لهم رضي الله عنهم. هذا ومن يصنع صنيعة من هاتين لأخ مسلم من المسلمين فهو مهدَّد بعذاب الويل في جهنم إذا لم يتب.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾﴾ والمعنى أنّه يجمع ماله عُدّة لحوادث الدهر، وأنّه يكثر من عَدِّه وحسابه لشدة وَلَعِه بجمعه.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾ هذه الجملة من معانيها أنها مستعملة في التّهكم على الحريص في جمع المال وفي نفسه أنّ المال يطيل عُمره. قال الشيخ ابن عاشور: «إنّ الذين جمعوا المال من أنواع مختلفة يشبه حالهم حال الذين

يحسبون أنّ المال يقيهم من الموت ويجعلهم خالدين في دنياهم لأنّ الخلود في الدنيا أقصى متمناهم إذ لا يؤمنون بحياة أخرى خالدة».

﴿كَلَّا﴾ كلمة زجر تبطل حسبان جامع المال أنّ ماله يطيل عمره.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ سيلقي من جمَع المال ولم يدفع زكاته ولم يتصدّق في نار تُحَطِّم كلّ من يُلْقَى فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ هذا التّهويل للموقف الذي ينتظر ذلك الذي يحب المال حبّا جمّا ويحرم منه ذوي الحاجة، إنّ مردّه إلى الحطمة نار الله الموقدة.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ هي النّار التي تلتهب ولا يزول لهيبها.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ نار تمسُّ الأفئدة وسائر البدن وخصَّ الأفئدة بالذِّكر لأنها موطن الكفر وسوء الاعتقاد.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ۝٨﴾ مغلقة محكمة الإغلاق وهم في عذاب دائم ويأس من الخروج.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ إنّهم موثوقون، مربوطة أرجلهم في فَلقة بقيود ثقال. واختار ابن جرير ما قاله قتادة قال: «إنهم يعذبون بعمد في النار.»

أستغفرك اللهم وأتوب اليك

–والحمد لله رب العالمين–

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والمعنى: إنّك سمعت أخبارا ورأيت آثارا تشهَد بما فعل الله بجيش الحبشة أصحاب الفيل.

قبل ميلاد الرسول ﷺ، جهّز أمير الحبشة جيشا يشمل عددا من الفيلة: كل فيل على ظهره ستة جنود يتقدمون المشاة ويتقدمهم أميرهم، قاصدين هجوم الكعبة وإذلال أهلها. سمّى المؤرخون هذا العام بعام الفيل. وسبب هذا الحدث العظيم، أنّه كان على اليمن أمير حبشي يدعى «أبرهة»، بنى كنيسة بعاصمة بلاده سمّاها «القُلَيْس»، ودعا النّاس إليها راغبا أن يكون الإقبال عليها كإقبال النّاس على الكعبة المشرّفة بيت الله الحرام للطواف بها. لكنّ أمله قد خاب فلم يقبل الناس على القليْس ولم يهتموا بأمرها وألصقوا بها عيوبا ثمّ أحرقوها. فاستشاط أبرهة غضبا وعزم على هدم الكعبة، وقاد جيشه متّجها إلى الحرم المكيِّ فلمّا بلغ وادي «المغْمِس» عارضه سيّد قبيلة قريش عبد المطلب طالبا لقاء الأمير، فاستقبله، وعرض عليه عبد المطلب أموالَ تُهامة الوفيرة مقابل تخلِّيه عن الحرب وانصرافه رغبة في السلم. فرفض أبرهة، واتّجه إلى عبد المطلب يطلب منه الاستسلام. فقال له عبد المطلب: «عندي قطيع من الإبل غَنَمَها الجنْدُ،

المطلوب منك أن تُرجعها». فقال له أبرهة: «الآن سقطت من عيني، أنت تعلم أنّي جئتك بجيشي لهدم الكعبة التي هي دينك ودين أجدادك. وكنت أحسَب أنك ستخاطبني في أمرٍ أهمّ من إبلك، وتنلسَيْت الحديث عن الحرب والسِّلم وعظائم عواقبها». فأجابه عبد المطلب: «أنا ربّ قطيع الإبل وللكعبة ربّها وهو القادر على حمايتها». فكان وعد الله حقا ولله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ الكَيْد: الاحتيال على إلحاق الضرر بالغير.

التضليل: جعل الغير لا يهتدي لما يريد. والمعنى أنّ الله جعلهم عاجزين على نيل مرادهم رغم قوّتِهم وضعف أنصار الكعبة.

أبابيل: الطّير كانت جماعات جماعات.

الحجارة من سجِّيل: الحجارة من طينٍ كالآجر: كان الحجر كالحمص، إذا وقع على الجلد تآكل.

العَصْف: التّبن الذي أكلته الدواب وعفست على بعضه بعد أن كان أخضر طريّا. وهذا كأصحاب الفيل كانوا ذوي قوّة فصاروا متساقطين على الأرض هالكين.

أستغفرك اللهم وأتوب اليك

–والحمد لله رب العالمين–

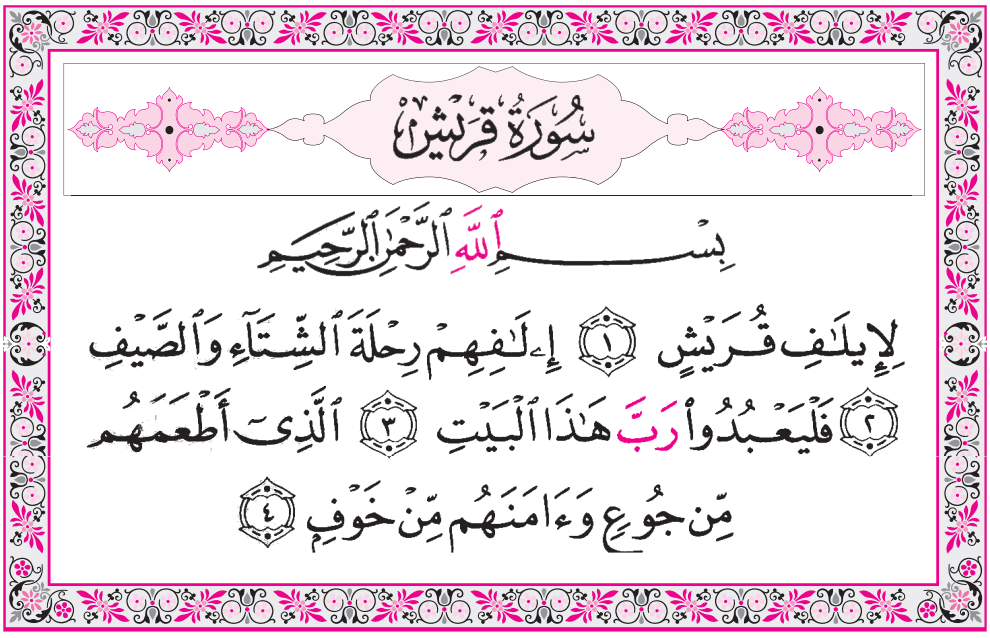

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ أنعم الله على قريش فألف الله بينهم وألفوا رحلة الشتاء والصيف فأمنوا بالتجارة من الجوع ومن خوف الأعداء بالألفة بين قلوبهم متحدين.

والرحلتان للتّجارة: رحلة في الشّتاء إلى بلاد الحبشة ثم اليمن والأخرى في الصيف إلى بلاد الشّام. وبذلك صارت مكّة ملتقًى وسطا تُجلب إليها السّلع من جميع البلاد العربية فتُوزَّع إلى طالبيها من الحجيج وغيرهم من بقيَّة البلاد. فتكوّنت بذلك أسواق كبرى أثْرَت أهل مكّة. تلك أنْعُم أطعمتهم ووقَتهم شرَّ الجوع. ثمّ زادهم نعمة كبرى تتمثل في احترام جميع القبائل لقريش لأنهم حماة بيت الله، فأمِنوا بذلك من الخوف من هجمات الناس ولبِسوا مهابة واحتراما في قلوب غيرهم.

من أجل هذه النِّعم الوافرة، أمرهم الله تعالى بعبادة الله وحده، بعبادة ربِّ الكعبة وخصّهم بهذه السورة المباركة.

قال الزمخشري: «إن أنعُمَ الله عليهم عديدة لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة: نعمة الإيلاف».

قال ابن كثير عند تفسير ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: «أي تفضّل الله عليهم بالأمن والرخاء فليُفرِدوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندّا ولا وثنا. ومن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أَمْنِ الدُّنيا و أَمْن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه».

اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين
–والحمد لله رب العالمين–

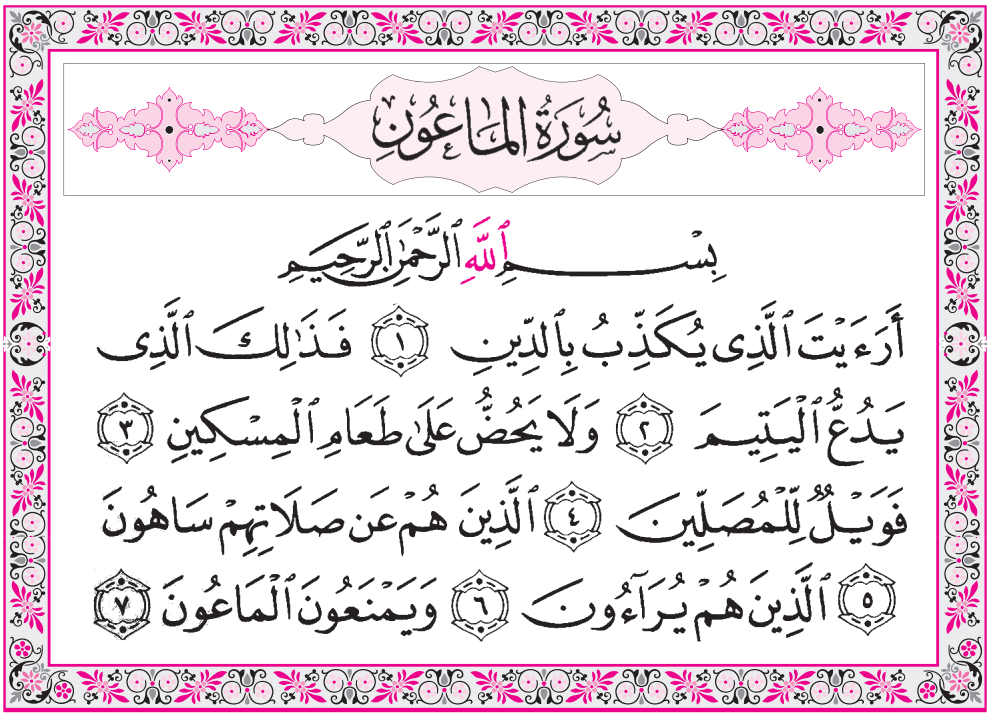

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ والمعنى: هل عرفتَ الذي يُكذب بالبعث والجزاء؟ فالذي يكذب بذلك، له صفات يمتاز بها، منها أنّه يدعّ اليتيمَ بَدَلَ أنْ يلاطفَه. تراه يَجْفوه وإذا اقتربَ منه يُهينه، وإذا سأله العونَ يغلظُ عليه القولَ. ومنها أنّه لا يهتمُّ بأحوالِ المسكين، فلا يصلحُ شأنَه ولا يدعو النَّاس للاحسان إليه، ومنها أنّه لا يخشى الله وعقابَه، فهو ضعيفُ الإيمان بعيد عن اليقين. إنّ من يُكَذِّب بيوم الدِّين ويؤذي اليتيمَ ولايطعمُ المسكينَ، ليس له وازع يسوقه إلى فعل الخير ولادافع يبعده عن الشرِّ.

﴿بِالدِّينِ﴾ بيوم الجزاء. ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يعنِّفه ويقهره بشدة وغلظة.

﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الطعام الذي هو للفقير في مال الغنيّ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ الويل: عذاب ينتظره المصلّون الذين يسهون عن الصّلاة، فلا يؤدّونها في أوقاتها بدون عذرٍ شرعيٍّ حتّى يخرُجَ وقتُها، أو أنّهم لا يصلُّونها كما صلاّها النَّبي ﷺ، لا يُبالون بما

صنعوا. هذا عَلَم على أنّ سلوكَهم ليس بعيدا عن سلوكِ الّذين يكذّبون بالدّين.

قال الزمخشري: «والمعنى أنّ هؤلاء أحقّ بأن يكونَ سهوَهم عن الصّلاة – التي هي عمادُ الدِّين والفارقُ بين الإيمان والكفر– هم أحقُّ بأن يتوبوا عن ذلك لأن ما يصْنع أمثالهم هو علامة على أنّهم مكذِّبون بيوم الدّين».

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ قال الشيخ ابن عاشور: «ويراؤون أي يقصدون أن يَرى النّاس أعمالَهم على أحسن حال وهم بخلافه، ليتحدّث الناس لهم بمحاسنِ ما هم موصوفون به».

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ قال سعيد بن المسيب: «الماعونُ: المالُ». أي يمنعون الصّدقة عن الفقراء. وعن عائشة: «الماعون: الماء والنار والملح». وفي هذا إشارة إلى مُنْتَهى الشح.

قال رسول الله ﷺ: «واتقوا الشح، فإنّ الشح أهلك من كان قبلكم». أخرجه مسلم. وذكر ابن جرير بسند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بريء من الشحّ من أدّى الزّكاة وقَرَى الضّيف وأعطى في النائبة». صدق الله رسوله ﷺ.

نستغفرك اللهم ونتوب اليك

–والحمد لله رب العالمين–

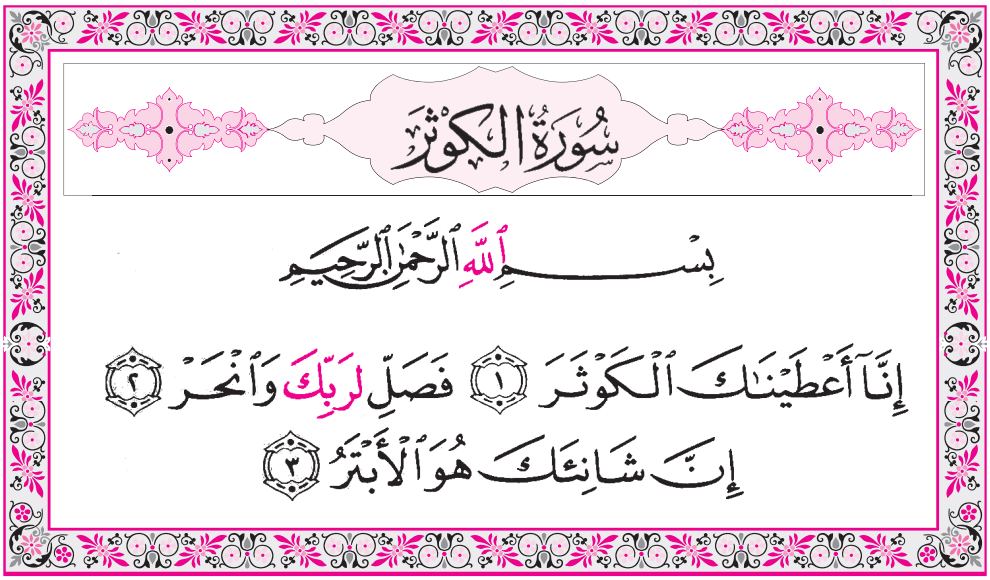

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ بشّر الله تعالى الرّسول ﷺ بعطاء عظيم خصّه به تعظيما لشأنه في الدّنيا والآخرة.

﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ كلمة يُوصَف بها صاحب الخير الكثير. قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: «قلت لإبن عباس: إنّ نلسًا يقولون أنّ الكوثر هو نهر في الجنّة. فقال: هو من الخير الكثير» قال البخاري بسنده عن أبي عُبَيْدة عن عائشة رضي الله عنها قال: «سألتها عن قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قالت: أُعْطِيَه نبيّكم ﷺ شاطئاه عليه درّ مجوّف آنيته كعدد النّجوم».

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾. روى الطبري عن سعيد بن جبير أنّ قول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ أمرٌ للنبي ﷺ بأن ينحر هديه لله وحده، ويطعمها للمسلمين.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾. الشناءة هي البغض. والشّانئ من الناس هو الذي يبغض غيره. والمراد بهم من يبغض النبي ﷺ. والأبتر كلمة تُقال للذي لا عَقِب له من الذكور.

قال ابن عاشور: «والمُراد به في الآية: الذي لا خير فيه».

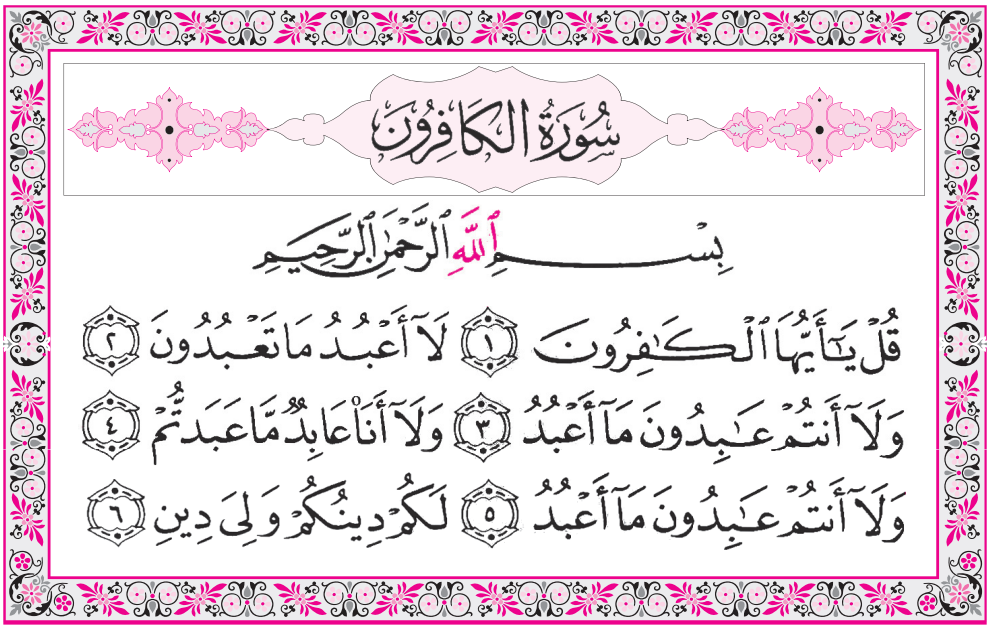

ذكر الواحدي في أسباب النزول أنّ رسول الله ﷺ كان يطوف بالكعبة فاعترضه المشرك الوليد بن المغيرة وثلّة من أصحابه من سِنان قومهم فقالوا: «يا محمد هلمّ فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنّا قد أخذنا حظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا ممّا تعبد كنتَ قد أخذت حظّك منه. فقال: معاذ الله أن أشرك به غيرَه».

فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فيئسوا منه عند ذلك. قال ابن عباس: «فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه». هذا وإنّ هذه السورة أثبتت أنّ دين الإسلام لا يخالطُ شيئا من دين الشّرك.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ قال ابن كثير: «هذا نداء لجميع الكافرين على وجه الأرض». وفي معناه أنّ الله أمر رسوله ﷺ أن يتبرّأ من دين المشركين كله فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام وغيرها من المخلوقات.

﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ أي ولا أنتم بعابدين الله الذي أعبده فالرسول ﷺ يتعبّد بشرع الله هو ومن اتبعه وأنتم ترفضون أوامر الله تعالى.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ يعني أنه لم تعهد مني عبادة الباطل فكيف ترجون منّي أن أعبد غير الله الواحد الأحد».

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ أي: وما عبادتكم أنتم يا كفار قريش عبادةً كعبادة الرسول ﷺ.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ أي: لكم دين الشّرك ولي دين التّوحيد: فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة.

نزلت هذه السورة لما دعا المشركون الرسول الله ﷺ إلى المهادنة وطلبوا منه أن يعبد ربهم سنة وأن يعبدوا إلاهه سنة، فجاءت هذه السورة تفصل النزاع بين الفريقين: أهل الإيمان والمشركين. وهي رد على المشركين فكرتهم السخيفة الباطلة وباؤوا بغضب الله ورسوله ﷺ.

أخرج الحافظ بسند إلى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، ويعافى من الفزع الأكبر».

لا اله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

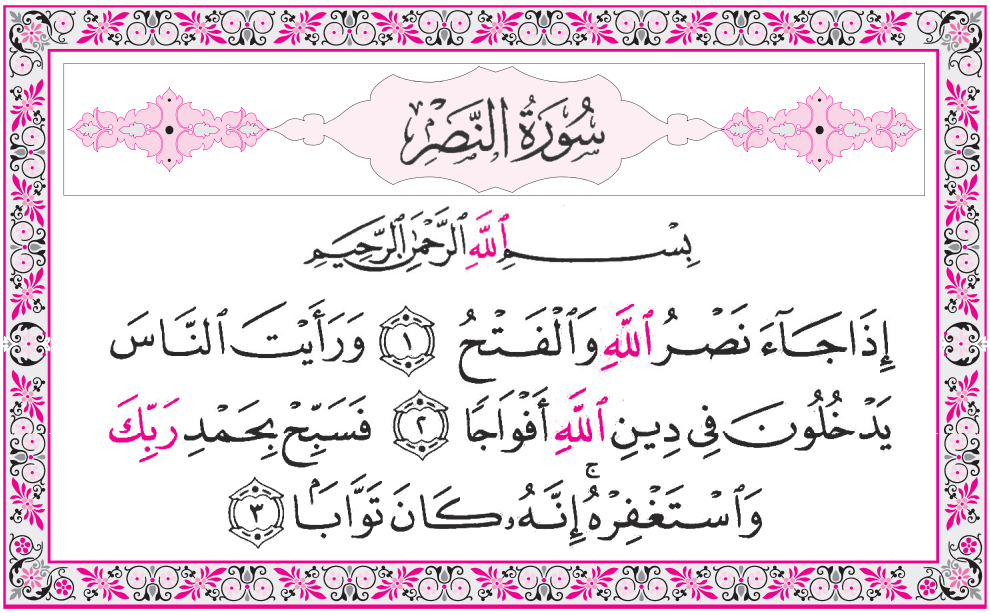

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ النّصر من عند الله للمؤمنين، والفتح فتح مكّة. كان فتح مكّة لعشر مَضَيْنَ من رمضان سنة ثمانٍ، وكان جيش الفتح يتكوّن من عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وأقام بها خمس عشرة ليلة. وحين دخل الرسول ﷺ قائدا منصورا، اتّجه إلى الكعبة وطهّرها من الأصنام، ثم وقف على بابها خطيبا فقال: «لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، صدقَ وعدَه ونصرَ عبدَه وهزم الأحزابَ وحده. ثم قال: يا أهلَ مكّة، ما ترون إنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا: أخ كريم وابنُ أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطّلقاء».

وهكذا كان العفوُ والحلمُ والصّفحُ في حينِ كان أهل مكّة في قبضة الجيش، فعفا الله عنهم، وانحقنت دماؤهم، وانفتحت قلوبهم للإسلام، ثم بايعوه على طاعة الله والرسول ﷺ.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ دينُ الله: دين الإسلام. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران.

والأفواج: جمعُ فوج وهو الجماعةُ الكثيرة. وقد دخلوا جماعاتٍ وهكذا لم يَمُت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر من عرب نجد واليمن والحجاز.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ قُل سبحان الله حامدا لله. أَيْ تعجّب لتيسير الله تعالى لك ما لم يخطر على قلبك ولا على بال أحد، أن يغلبَ محمد ﷺ وصحبه أهل الحرم على كثرتهم واحمد الله على صُنْعه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان عليه الصلاة والسلام قبل موته يكثر من التّسبيح والحمد، ويقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك». فكان من السُّنَّة التَّعبد بالاستغفار.

أخرج مسلم عن النبي ﷺ قال: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلةِ مائةَ مرّة».

ومعنى قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ إنه تعالى يوفِّق الحامدينَ المستغفرينَ إلى التَّوبة. قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ البقرة.

روى البيهقي بسنده عن ابن عمر قال: «أُنْزِلت هذه السّورة على رسول الله أَوْسَط أيّام التّشريق، فعرف أنّه الوداع. فأمر براحلته القَصْوَاء، ثم قام فخطب في الناس خطبته المشهورةَ». وقد جاء في هذه الخطبة: «أيّها الناس، إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، فاعملوا به. وقال ﷺ: ألا ليبلّغ شاهدكم غائبكم: لا نبيّ بعدي، ولا أمّة بعدكم» صدق رسول الله ﷺ.

أخرج الحافظ بالسّند عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة «إذا جاء نصر الله» أُعْطِيَ من الأجر كمن شهِد مع محمّدٍ فتحْ مكّةٍ».

أستغفرك اللهم وأتوب اليك

–والحمد لله رب العالمين–

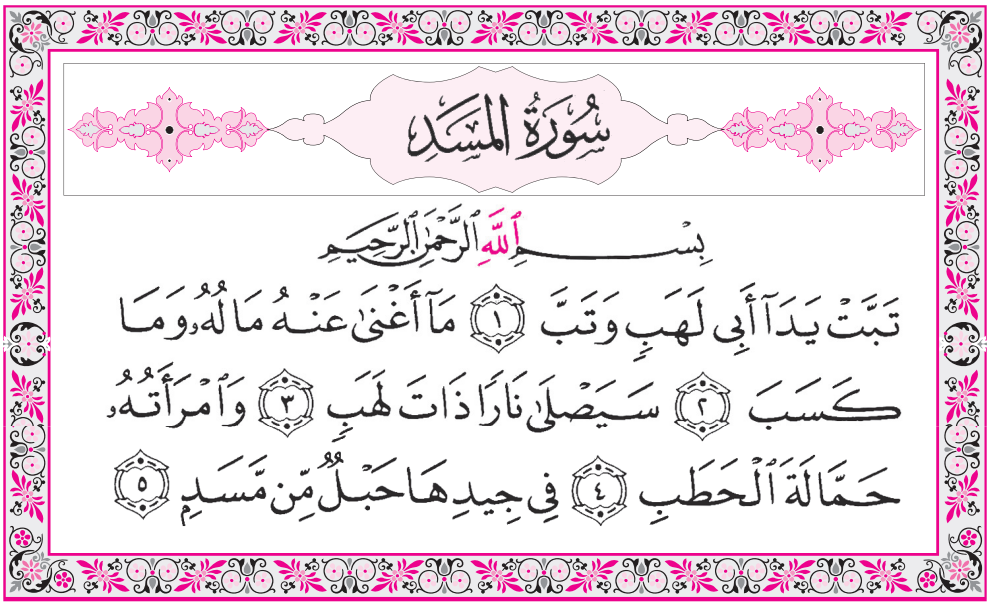

نزلت هذه السورة في غضون السنة الرابعة من البعثة. جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال: «صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصّفا ونادى: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش فقال: إنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد. أرأيتم لو أنّي أخبرتكم أنّ العدوَّ مُمْسيكم أو مُصبحُكم، أكنتم تصدِّقوني؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذِبا. فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟» فنزلت سورة المسد.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ السّورةُ نزلت لتهديد أبي لهب لأنّه قال للرسول ﷺ: «تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟»، ولِزجر زوجته الّتي كانت تعاضده على الإساءة للنّبي ﷺ. وأبو لهب هو ابن عبد المطّلب، عمُّ النّبي ﷺ، وسمّيَ أبا لهب لِما رُوي أنّ وجهه كان محمرّا مشرقًا فيه صفرة لونُه كألسنة النّار إذا اشتعلت.

﴿تَبَّتْ﴾ لفظ معناه الخسرانُ والهلاك. وهو اللّفظ الّذي شتم به أبو لهب النّبي ﷺ، وفيه دعاء بالهلاك والخسران ليدَيْ أبي لهب لأنّه كان يحمل بيديه حجرا ليَرمي به الرسول ﷺ.

﴿وَتَبَّ﴾ التبُّ: الخسران والهلاك واللفظ جملة للتأكيد.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾. روى عن ابن مسعودٍ أنّ أبا لهب قال:

«إنْ كان ما يقول ابن أخي حقا، فأنا أفتدي نفسي يوم القيامة بمالي وولدي». فأنزل الله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

والمال ما يمتلكه الملاّك كيْ يستغلّه ويموِّله. ويطلَق المال عند العرب المكِّيِّين على الإبل، ويطلق عند أهل المدينة على النخيل، فهي مال قار يعطي كسبًا من ثَمَره وغيره. والكَسْبُ ما يُجْمَع من مالٍ أو عروضٍ أو ما يَرثه الوارث والمعنى أنّ جميع أمواله لا تقيه من عذاب جهنَّم.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣﴾ معنى يصلى يُشوَى بها ويُعذَّب بإحراقها ولهيبها.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدٖ ٥﴾ إمرأة أبي لهب هي أمّ جميل أخت أبي سفيان. كانت مشركةً ولوعةً بالإساءة إلى النَّبي ﷺ. ومن عاداتها أنَّها كانت تحمل حزمةً من الحطب مربوطة بحبل مفتولة من مَسَد- والمسدُ هو ليف النخيل- وتشمل الحزمة أنواعا مؤذية من الشوك والحَسَك، فتنثرها بالليل في طريق النبي ﷺ. فجاءت هذه الآية تصوِّر أمَّ جميل - ذات الإعجاب بنفسها وحَسَبها ونَسَبها - تصويرًا ساخرًا مزريًا بمقامها المزعوم، فاستشاطت غضبًا وزادَها حقْدًا ما سمِعت. قال ابن اسحاق في سيرتهَ: «فذكر لي أنّ أم جميل حمَّالةَ الحطب، حين سَمعت ما نُزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها مقدار من الحجر ملء الكف، فلمّا وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: «يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنّه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه، أمّا والله إنّي لشاعرة: وقالت: مذمّما عصيْنا وأمره أبيْنا.

فقال أبو بكر: «يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني». وهكذا أنذرها الله بأنّها تحمل الحطب في جهنم ليوقد به على زوجها: هكذا كان الخِزْيُ والهَزيمَة لأبي لهب وزوجته اللّذيْن كانا يكيدان لدعوة الله ورسوله ﷺ فكانت النار مثوى لهما وبئس المصير.

أعوذ بالله من النّار ومايقرب إلى النّار من قوْلٍ وعملٍ ونيَّةٍ واعتقادٍ.

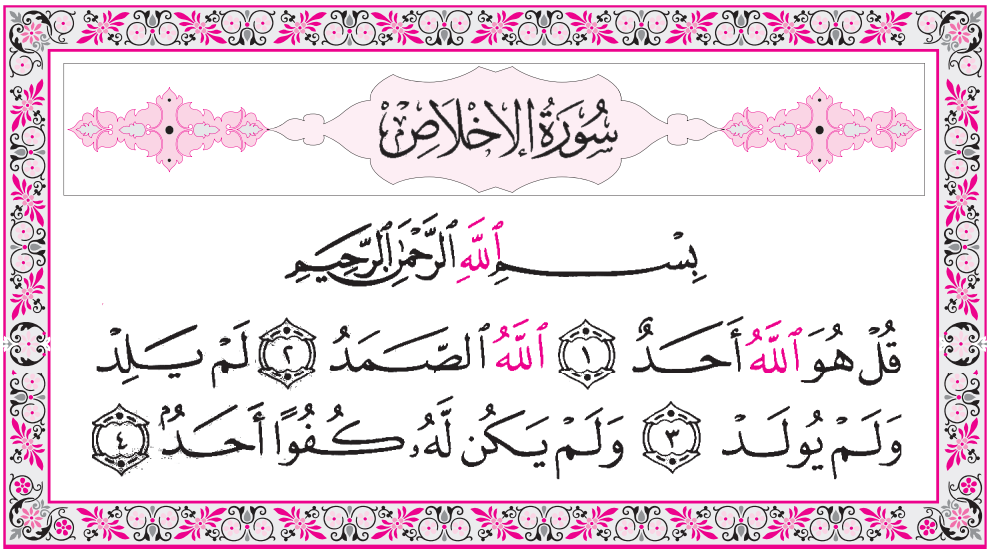

سميت هذه السورة، سورة الإخلاص لأنّ فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله، وتُؤكد سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله تعالى، وتُدعِّم الحجة على أن الله واحد لا ثاني له، وتشمل الكثير من الأسماء الحسنى.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قالت قريش يا محمد صِف لنا ربَّك الذي تدعونا إليه، فنزلت سورة الإخلاص» تجمع في اختصارٍ صفات الله تعالى منها: أنّ الله خالق الأشياء كلها وحده بقدرته وعلمه في غاية الإحكام والانتظام: فهو الأوّل بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية، وليس كمثله شيء، وهو الغنيّ وكل مخلوق محتاج إليه، فعّال لما يريد: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ يس.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾: واحد لا شريك له فيما يريد ويفعل وهو المنفرد بالوحدانيّة.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ المفتقر إليه كل مخلوق وهو الغني عنهم.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ آية لإثبات أنّه هو الغني عن الصاحبة والولد. قال تعالى في سورة الأنعام ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ... ﴿١٠١﴾﴾.

﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ لم يلده غيره.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ ليس له من يساويه ولا من يماثله في

الصفات سبحانه وتعالى. قال الزمخشري: «إنّ علم التوحيد لله منزلته عظيمة. إذ هو العلم بصفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز. وهو علم شريف المنزلة، مُفضَّل على كل علم ومن ازدراه فلِضُعف عِلمه بمعلومه وقلّة تعظيمه له وخلوِّه من خشية الله».

قال النسائي في صحيحه عند تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بسند عن أبي بريدة: «أنّه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد، فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أشهد أن لا إلاه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. قال ﷺ: «والذي نفسي بيده سأله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِل به أعطى وإذا دُعِي به أجاب». أخرجه أصحاب السنن.

اللهم احشرنا في زمرة العاملين لك القائلين بعَدلِك وتوحيدك الخائفين من وعيدك.

روى الترمذي والنسائي بسند صحيح: «أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: وجبت. قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: وجبت له الجنة».

روى ابن كثير بسنده عن عكرمة: «لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرا ابن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقال المشركون نحن نعبد الأوثان، أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾». يعني هو الله الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل وهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

–والحمد لله رب العالمين–

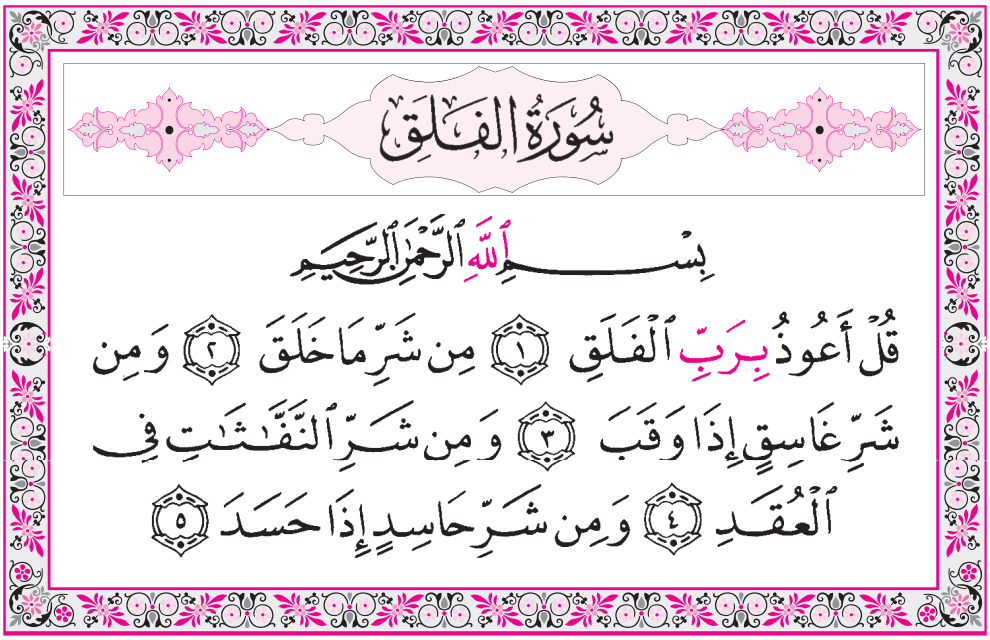

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ هذه آيات بيّنات يعلّم الله تعالى بها النبي ﷺ كيف يتقي شرورا تحدث، تخفى أسبابها. وكان النبي يتعوّذ بهذه السورة وبسورة الناس، ويأمر أصحابه رضي الله عنهم أن يتعوذوا بها. وهذا التعوذ سُنّة من سنن الإسلام.

﴿قُلْ﴾ أمر الله النبيّ ﷺ أن يتعوّذ. والتعوّذ التجاء إلى حصن يقي المتعوِّذ من شيء يخافه.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق هو الصّبح. وربّ الفلق هو الله تعالى، الذي خلق أسباب ظهور الصبح وجعله منجاة من المخاوف من شرور الظلمات في الليل.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ أي تعوّذ بالله من شر ما خلق الله. والمعنى: أمر الله تعالى نبيّه ﷺ، أن يتعوّذ من شر الخلق كلهم. قال الزمخشري: «وقيل أن الخلق كل ما يفلقه الله تعالى، كالأرض إذا أمطرت تفلق عن النبات، والجبال عن العيون الجارية، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحبِّ عن النوى».

وكذا يحدث عن أفعال المخلوق شرٌّ. فعصيان الله شر ينتج عنه العذاب للعاصي، والظلم شر ينتج عنه الآثام والأحقاد، وكذلك أكل أموال الناس شرٌّ.

وثمّة شرور من أفعال الحيوانات كاللدغ والعض وبثّ السموم. وكل ذلك وغيره مما ينتج عنه ضرّ مخلوقٍ، أمر الله نبيّه أن يتعوَّذ من الحسد والحاسِد، وعَمَل النبي ﷺ سُنّة لأمته.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ الليل إذا تراكم ظلامه هو الغاسق. وكلمة وقب معناها: دخل ظلام الليل في كل شيء. ومنه قولهم أغدر الليل لأنّه إذا أظلم كَثُر فيه الغدر.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ المراد بالنفاثات في العقد: النساء الساحرات. وغالبا عند العرب، إنهن يتعاطين السحر وذلك لأن الأوهام الباطلة تغلب على عقولهن. والمعروف في تلك البيئة، أنّ الغول ساحرة من الجنِّ. ومن أخبار النجاشي ملك الحبشة، أنّه غضب على عربيٍّ من أهل مكّة، فكان عقابه أن دعا له السحرة، فنفخن في إحليله فسلب عقله وفرّ هائما إلى الغاب ومات بين الوحوش. وذكر السِّحر في سورة البقرة ﴿...يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴿١٠٢﴾﴾، هذا وإنّ النبي ﷺ لا يصيبه شرّ النفاثات لأنه استعاذ بالله فأعاذه من شرّهن وعصمه من الناس.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ الحسد: استحسان نعمة عند الغير مع تمنّي زوالها عنه. وقد يدفع الحَسدُ الحاسدَ، إلى التفكير في الضرر بالمحسود، وقد يرتفع شرّه إلى العزم على الفتك به وذلك هو شرّ الحاسد. قال الشيخ ابن عاشور: «وقد كان الحسد من أسباب الجنايات في الدّنيا، إذ قد حسد أحد ابني آدم أخاه على أن تُقبِّل قربانه ولم يُتقبَّل قربان الآخر». كما ورد في الآية من سورة المائدة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ...﴿٢٧﴾﴾.

وكثيرا ما يكون الحسود خصما للمحسود:

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

– ولا حول ولا قوة إلا بالله –

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ أمر الله سبحانه الرسول ﷺ أن يتعوّذ بالله. وأعوذ معناه: التجئ إلى الله ليحميني من الشرّ. فالرّب والملك والإلاه: هذه صفات من صفات الله تعالى. فالرّب هو المربّى والرّاعي والحامي، والملك هو الحاكم المريد المتصرّف الفعّال لما يريد، والإلاه هو المهيمن العزيز الجبّار الحفيظ العليم الرحمان الحليم، وهذه الصّفات العالية فيها المعاني من الحماية والرحمة الواسعة للحفظ من الشر: قل أعوذ بالرّب الملك الإلاه.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الوسواس هو الكلام الخفيّ لأناس يريدون إلحاق الضرر والأذى بمن يكرهونه. وهم عادة من أصحاب المكائد كالمتآمرين الذين كانوا يدبّرون الكيد والعقبات لإلحاق الأذى برسول الله ﷺ ولتعطيل أنوار الرسالة.

﴿الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ الذي من عادته الاختفاء، والشيطان يلقب بالخنّاس لأنه يستعمل عقل الإنسان وهو مُختَف فيه، فإذا غفل العاقل يوسوس له الشيطان. قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله: «وأهل المكر والكيد والتحيّل خناسون لأنهم يتحيّنون غفلات الناس ويستترون بأنواع الحِيل».

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ للشيطان طائفتان: طائفة من الجن وطائفة من الإنس. الطائفة من الجن هي الشياطين التي توسوس لطائفة الإنس. فأصل الوسواس هو شيطان الجن يوحي لأصحابه من شياطين الإنس قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ... ۝١١٢﴾ الأنعام.

قال رسول الله ﷺ: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس». رواه البخاري عن ابن عباس.

وهكذا فإن الله تعالى، خلق الشيطان عدوّا للإنسان لحكمة يراها. ومن فضل الله أنه زوّد الإنسان بأسلحة الحماية منه: منها الإستعاذة منه ومنها الإيمان الصحيح بأن الله يحمي المستعيذ إذا استعاذ بالله.

قال الله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦﴾.

وروى ابن كثير أنّ رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

اللهم اكفنا شر الفريقين وانفعنا بصالح الثقلين

-والحمد لله رب العالمين-

تم تفسير الربع الرابع من القرآن الكريم
والله أعلم بالصواب وله الحمد والنعمة
والفضل والمنّة وبه التوفيق والعصمة

الخاتمة

أعوذ بكلمات الله الكاملة التامة وألوذ برحمته الشاملة أن تهب لي كلمة الخير وأن تحفظني من مصارع السوء وأن تغفر لي ما قدّمت وما أخّرت وأن لا تؤاخذني إن نسيت أو أخطأت وأن تحلّني بما أصبتني دار النّعيم إنك الرحمان الرحيم.

اللهم اجعل ثواب ما حرّرناه ذخيرة لنا ولمن ساعدنا وأيّدنا، نجدها رحمة واسعة وعفوا يوم تجد كل نفس ما أحضرت وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

تم تحريره

بتونس في شهر شعبان 1440 هجري الموافق لشهر أفريل 2019
بمنزلنا الكائن بمنفلوري تونس
والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمان الرحيم

أدعية من القرآن الكريم

- ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ 6 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ 7 ﴾ الفاتحة.

- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ 127 رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 128﴾ البقرة.

- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 201﴾ البقرة.

- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ 250﴾ البقرة.

- ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ 285﴾ البقرة.

- ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ 286 ﴾ البقرة.

- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ 8 رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ 9﴾ آل عمران.

- ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 16﴾ آل عمران.

- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ 38﴾ آل عمران.

- ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ 53﴾ آل عمران.

- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ 147﴾ آل عمرانَ.

- ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 191 رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ 192 رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ 193 رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ 194 ﴾ آل عمران.

- ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا 75 ﴾ النساء.

- ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ25﴾ المائدة.

- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ 23﴾ الأعراف.

- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 47 ﴾ الأعراف.

- ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ 89﴾ الأعراف.

- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ 126﴾ الأعراف.

- ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ 151﴾ الأعراف.

- ﴿... أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ 155 وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ... 156 ﴾ الأعراف.

- ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 85 وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ 86﴾ يونس.

- ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ 47 ﴾ هود.

- ﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ 101 ﴾ يوسف.

- ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ 35﴾ إبراهيم.

- ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ 40 رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ 41﴾إبراهيم.

- ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا 24 ﴾ الإسراء.

- ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا 80 ﴾ الإسراء.

- ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا 10﴾ الكهف.

- ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي 25 وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي 26 وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي 27 يَفْقَهُوا قَوْلِي 28 ﴾ طه.

- ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا 114 ﴾ طه.

- ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ 83 ﴾ الأنبياء.

- ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ 87 ﴾ الأنبياء.

- ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ 89 ﴾ الأنبياء.

- ﴿ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ 112﴾ الأنبياء.

- ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ 26﴾ المؤمنون.

- ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ 29﴾ المؤمنون.

﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ 39 ﴾ المؤمنون.

- ﴿ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ 93 رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 94﴾ المؤمنون.

- ﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ 97 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ 98﴾ المؤمنون.

- ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ 109 ﴾ المؤمنون.

- ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ 118﴾ المؤمنون.

- ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا 65 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا 66﴾ الفرقان.

- ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا 74﴾ الفرقان.

- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ 83 وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ 84 وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ 85 ﴾ الشعراء.

- ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ 87 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ 89 ﴾ الشعراء.

- ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ 169 ﴾ الشعراء.

- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ 19﴾ النمل.

- ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي 16 ﴾ القصص.

- ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 21﴾ القصص.

- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ 24 ﴾ القصص.

- ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ 30 ﴾ العنكبوت.

- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ 100﴾ الصافات.

- ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ 7 رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ 8 وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ 9 ﴾ غافر.

- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ 15﴾ الأحقاف.

- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ 10﴾ الحشر.

- ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ 4 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ 5 ﴾ الممتحنة.

- ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 8﴾ التحريم.

- ﴿.. رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ....11﴾ التحريم.

- ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا 28﴾ نوح.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمان الرحيم

دعاء ختم القرآن الكريم

الحمد لله، نحمده وهو المستحقّ للحمد والثناء، نستعين به في السرّاء والضرّاء، ونستغفره ونستهد به لما يقرّبنا إليه، ونؤمن به، ونتوكّل عليه في جميع حالاتنا، ونصلّي ونسلّم على أفضل مبعوث للعالمين، وأوّل مشفّع في يوم العرض والحساب سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبع هديه إلى يوم الدين.

اللّهم يا باسط اليدين بالعطيّة والإجابة لعباده، ويا صاحب المواهب والعطف والرأفة على خلقه، نسألك اللهم أن تصلي وتسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد.

اللّهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل إسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، نسألك يا حيّ يا قيّوم أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء حزننا وذهاب همّنا وغمّنا يا أرحم الراحمين.

اللّهم يا ذا المنّ ولا يُمنّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا محيطا بالليالي والأيام، نسألك يا أرحم الراحمين يا جار المستجيرين ويا أمان الخائفين، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء حزننا وذهاب همّنا وغمّنا، اللّهم إنا نسألك إيمانا لا يرتدّ ونعيما لا ينفد وقرّة عين لا تنقطع، ومرافقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جنّات النعيم، اللّهم ارحمنا بترك المعاصي أبدا ما أبقيْتنا، وارحمنا أن نتكلّف ما لا يعْنينا، وارزقنا حسن النّظر فيما يُرضيك عنّا.

اللّهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام ذا العزةِ التي لا ترام، نسألك يا الله يا رحمان يا رحيم أن تُلزم قلوبنا حفظ كتابك كما علّمتنا، وارزقنا أن نتلوه على النّحو الذي يُرضيك عنّا، اللّهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزّة التي لا ترام، نسألك يا الله يا رحمان أن تنوّر بكتابك أبصارنا، وأن تُطلق به ألسنتنا وأن تفرّج به عن قلوبنا، وأن تشرح به صدورنا و أن تستعمل به أبداننا، فإنه لا يُعيننا على الحقّ غيرك ولا يؤتيه لنا إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

اللّهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمورنا وتلمّ بها شعثنا وتصلح بها غائبنا وتزكّي بها أعمالنا و تلهمنا بها رشدنا وتردّ بها ألفتنا وتعصمنا بها من كل سوء، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللّهم فارج الهمّ، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرّين، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمَهما ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك. اللّهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وأغننا بفضلك و جودك وكرمك عمّن سواك.

اللّهم إنّا نسألك إيمانا يُباشر قلوبنا، ويقينا صادقا حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبْت لنا، واجعلنا راضين من الرزق والعيش بما قسمت لنا.

اللّهم إنّا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، ونسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار. اللّهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنّتك، ومن اليقين ما تهوّن به مصائب الدنيا، ومتّعنا اللّهم بأسماعنا

وأبصارنا وقوّاتنا ما أحييْتنا واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على مَن ظلمنا وانصرنا على مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وكُفّ أيدي الظالمين عنّا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهم اجعلنا ممّن سبقت لهم منك الحسنى وزيادة، اللّهم أغننا بالعلم وزيّنا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجمّلنا بالعافية. اللّهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علما.

الحمد لله من كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار.

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوما و تفرّقنا من بعده تفرّقا معصوما، ولا تجعل فينا ولا معنا شقيا ولا مطرودا ولا محروما برحمتك يا أرحم الراحمين. يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث ومن عذابك نستجير، أصلح لنا شأننا كلّه ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عيْن.

ربّنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديْتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب.

اللّهم ارحمنا وارحم آباءنا وأمّهاتنا وإخواننا المسلمين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم.

اللّهم ارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسّع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد، اللّهم جازهم بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا ولقّهم برحمتك رضاك، وقِهم فتنة القبر وعذابه.

اللّهم أوصل ثواب ما قرأناه من القرآن العظيم إليهم، وضاعف رحمتك ورضوانك عليهم اللّهم أحلّ أرواحهم في محل الأبرار وتغمّدهم بالرحمة آناء الليل والنهار برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهم انقلهم من ضيق اللّحود والقبور إلى سعة الدور والقصور، في سدر مخضود وطلح منضود وظلّ ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة

مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعلنا وإيّاهم من عبادك الذين تباهي بهم ملائكتك في الموقف العظيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصدّقين والشهداء والصّالحين الذين تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللّهم وتحيّتهم فيها سلام.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمان الرحيم

أنوار من الهدي النبوي
لتهذيب المعاملات

– العلاقات الإجتماعية –

– روى مسلم بسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

– روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيّته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته».

– روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ» ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه».

– ومن حق المولود أن يحظى بالعقيقة: والعقيقة هي الشاة التي تذبح عن المولود

– روى أصحاب السنن أن النبيﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشا كبشا والذبح يكون يوم السابع بعد الولادة إن تيسّر.

– روى أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عقّ عن الحسن بشاة وقال: يا فاطمة احلقي رأسه وتصدّقي

بوزنه فضة على المساكين فوزناه فكان وزنه درهما أو بعض درهم.

– روى البيهقي في شعب الإيمان عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ»: حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُحْسِنَ موضعه، وَيُحْسِنَ أَدَبَهُ.»

– وقال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»

– وعن أبي داود في سنده عن ابن شعيب أن رسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

– روى الترمذي بسنده أَنّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الدِّينَارِ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ».

–روى مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ».

– روى البخاري بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ ﷺ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ. قَالَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ ﷺ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

– روى البخاري بسنده عن عبد الرحمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متّكئا فجلس فقال: ألا وقوْل الزور وشهادة الزور، ألا وقوْل الزور فما زال يكرّرها حتى قلت لا يسكت».

– روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضُكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ههنا – ويشير إلى صدره ثلاث

مرَّات- بحسب امرئ من الشرِّ أن يَحقرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه».

- أصبح المسلم يرى المنكر ويهاب أن يقول فيه كلمة الحق، ورسول الله ﷺ يقول: «لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا: وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: أن يرى أمرا لله عليه فيه مقال، فلا يقول فيه، فيلقى الله وقد أضاع ذلك، فيقول ما منعك أن تقول فيه؟ فيقول: يا رب خشية الناس فيقول تعالى: فاياي كنت أحق أن تخشى». رواه أحمد عن أبي سعيد.

- قال الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد المسيء، ولتأطرنه على الحق اطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنكم كما لعنهم» رواه أبو داود عن أبي مسعود.

- البيع -

- قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟... ﴿٢٧٥﴾﴾.

- قال تعالى في سورة الأنعام ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ... ﴿١٥٢﴾﴾.

- روى أحمد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ ﷺ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ».

- روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ».

- روى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».

- روى مسلم بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار».

–روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من غشنا فليس منا».

– روى أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يحلّ لمسلم باع من أخيه بيعًا وفيه عيْب إلا بيّنه له»

– الرّبا –

– قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.

– روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ».

الربا هو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين مقابل التأجيل وهو من الموبقات السبع – أي المهلكات – وقد لعن الله كل من اشترك في عقد الرّبا.

إن الربا يسبب العداوة بين الأفراد ويقضي على روح التعاون بينهم. وإنه يؤدّي إلى خلق طبقة مترفة وإلى تضخيم الأموال في أيدي المرابين دون جهد مبذول فهذه الطبقة تنمو على حساب غيرها.. والإسلام يمجّد العمل ويجعله أفضل وسيلة من وسائل الكسب.

إن الدين الإسلامي يحرم الربا تحريما بالغا ويدعو المسلمين إلى إعانة المحتاج بقرض حسن. قال تعالى في سورة المزمل ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ ... ﴿٢٠﴾﴾.

– القرض أو السلف –

القرض هو المال الذي يعطيه الغني للمحتاج ليردّ المقرض مثله إليه. وهو قربة يتقرب بها الإنسان إلى ربّه.

– روى ابن ماجة في صحيحه أنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً».

– روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة».

كل قرض جرّ نفعا فهو ربا ..

والقرض يقصد منه الإعانة على شؤون العيش وتيسير وسائل الحياة. ولا يجوز للمقترض أن يرد لمن أقرضه مالا أكثر ممّا أعطاه.

– روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ».

والغني الذي عليه دين وتراخى عن إرجاعه فإنه مَطل.

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال الرسول ﷺ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْم».

– الرهن –

هو جعل شيء، له قيمة مالية تساوي قيمة المال الذي تسلفه الراهن في نظير ذلك الدين. الرهن جائز شرعا قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَإِنكُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ...﴿٢٨٣﴾﴾.

– روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قَالَتِ: «اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ».

والرهن يصح بعقد مكتوب والراهن عاقل بالغ. ويشترط أن يكون الشيء المرهون موجودا وقت كتابة العقد والعقد مقيد بأجل متى حل الأجل لزم الراهن أن يدفع ما عليه ولا يجوز البيع إلا بإذن الحاكم..

– المزارعة –

إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون لصاحبها نصيب ممّا يخرج منها .

– روى البخاري بسنده ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر.

– وقال ابن عباس إن رسول الله ﷺ لم يحرم المزارعة ولكن أمر أن يرفق بعضهم ببعض فقال ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه».

أما كراء الأرض بالمال ففيه نظر.

– روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «ما تصنعون بالمزارع؟ قالوا: نؤجرها على الربع وعلى التمر والشعير فقال ﷺ: «لا تفعلوا».

ويظهر أن النهي عن كراء الأرض بالمال قد يكوّن خصاما بين المتعاقدين لأنه قد تصاب الأرض بالجفاف وغيره فيقع أسباب النزاع بين المتعاقدين.

– الإجارة–

– قال تعالى في سورة القصص ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ...﴿٢٦﴾﴾.

– روى ابن ماجة في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «أعطوا الأجير أجره،

قبل أن يجفّ عرقه».

– روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «احتجم وأعط الحجّام أجره».

شرعت الأجرة لحاجة الناس إليها. وتنعقد بلفظ الإيجاب والقبول بلفظ الإجارة بين المتعاقدين.

قال تعالى في سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ... ﴿٢٩﴾﴾.

– المضاربة –

تجارة رأس مالها من غنّي والعامل بها محتاج.

المضاربة عقد بين طرفين على أن يدفع أحدهما نقدا إلى الآخر ليتجر به على أن يكون الربح بينهما حسبما يتفقان عليه وهي جائزة.

وقد ضارب الرسول ﷺ لخديجة رضي الله عنها بمالها وسافر به إلى الشام قبل أن يبعث ولما جاء الإسلام أقرها. قال الحافظ ابن حجر: «والذي نقطع به أنها كانت ثابتة في عصر النبي ﷺ يعلم بها وأقرّها».

وشركة المضاربة هي المعمول بها عند التجار، وأن خيانة أحد المتشاركين هي ظلم عظيم .. قال تعالى في سورة ص ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ... ﴿٢٤﴾﴾.

وإنها مباركة يباركها الله ما لم يخن أحدهما صاحبه ولا بركة فيها إذا وضعت بين يدي خائن للأمانة.

– روي أن عبد الله وعبيد الله ابني عمر ابن الخطاب مرّا على عامل لعمر ابن الخطاب أبي موسى الأشعري، رضي الله عنهم، وهو أمير البصرة، فرحّب بهما وسهّل، ثم قال: «هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فتبتاعان به متاعا من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة،

فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون الربح لكما .. فرضى الخليفة وأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه، وأخذ عبد الله وعبيد الله، ابنا عمر بن الخطاب، نصف ربح المال».

شركة المضاربة تعاون كريم بين صاحب المال والشريك العامل ببدنه، فهناك من يملك المال ولكنه غير قادر على استثماره وهناك من لا يملك المال ولكنه قادر على استثماره وهكذا فإن ربّ المال ينتفع بخدمة الشريك والشريك ينتفع بمال صاحب المال.

والمضاربة مشروعة لتحقيق المصالح وتذليل الفقر ..

– الشفعة –

الشفعة حق للشريك في المشفوع فيه. والشفعة ثابتة بالسنة.

– روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول، قضى في الشفعة فيما لم يُقسم، فإذا وقعت الحدود وصُرّفت الطريق فلا شفعة.

– وروى أصحاب السنن بإسناد صحيح عن النبي ﷺ: «الجار أحق بشفعة جاره، ينتظر بها، وإن كان غائبا، إذا كان طريقهما واحدا»

– الوكالة –

شرعها الإسلام للحاجة إليها لأنها نوع من التعاون على البر والتقوى. لكل واحد من المتعاقدين على التوكيل أن يرجع في الوكالة ويفسخ العقد في أي حال ولا يجوز تعليقها بشرط.

والوكيل أمين يضمن بالتفريط ويقبل قوله بالتلف.

– الهدية –

– عن البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الرسول ﷺ: «تهادوا تحابوا». ويستحب المكافأة على الهدية.

– روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها.

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة».

– روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «سوّوا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء».

– وعن النُّعْمَان بْن بَشير، قَالَ: «نَحَلَني أَبي نُحْلا – أي عطية–. قَالَ: فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلكَ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلا قَالَ: فَقَالَ: أَلَكَ وَلَدٌ سوَاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ مُغيرَةُ في حَديثه: قال ﷺ: أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ في الْبرِّ وَاللُّطْف سَوَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَشْهدْ عَلَى هَذَا غَيْري، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ، أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ».

– الشركة –

الشركة مال وبدن مع مال وبدن.

– قال الله تعالى في سورة ص ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ...﴿٢٤﴾﴾.
الخلطاء هم الشركاء.

– قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإن خان أحدهما صاحبه خرجت من بينهما».

– الوفاء بالعهد –

من الحِكم: من عامل الناس فلم يظلمهم وحدّثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوّته.

– قال تعالى في سورة المؤمنون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

– روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم، من إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت.

سبحانك اللهم وبحمدك

نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه

إن فضيلة الشيخ البشير العريبي وسعادة الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح هما من حملة المعارف العالية الشاملة لدراسات اللغة وخصائص الشريعة وأصول الدين التى أرساها التعليم الزيتوني بتونس.

وإنه بفضل الله تعالى وتيسير منه قد أطلعا على كتاب «التفسير لبيان آيات من التنزيل» لصاحبه الشيخ يونس بن على بن شعبان. فوجداه مرضيا حوى ما قاله أيمة المفسرين في إيجاز مبسّط ليسهّل فهمه على طلبة العلم.

بسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه
ومن اتبع طريقته ووالاه

كلمة الأستاذ الشيخ **البشير العريبي**

عضو المجلس الإسلامي الأعلى بتونس ومقرّر المجلس

أمّا بعد، فقد يسّر اللّه لي الإطلاع على كتاب ميسّر جليل في تفسير العشر الأخير من القرآن العظيم يحمل عنوان:

تفسير التسهيل لبيان آيات من التنزيل

من تأليف أخينا الفاضل وزميلنا المحترم الشيخ: يونس بن علي بن شعبان فوجدته نِعم الكتاب: فيه ينتفع الطالب المبتدئ وبه يتذكر العالم المنتهي وبه يستفيد القارئ المتعجّل ما يجعله يفهم ما يقرأ دون عناء.

أسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يرزق مؤلفنا ثواب العاملين الصادقين الذين هم في سبيله من السائرين وأن يعمّم النفع بتفسيره الميسّر ويكتب له خير الجزاء وأوفاه في دنياه وفي أخراه.

إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم المثيب، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

حرّره الفقير إلى ربّه

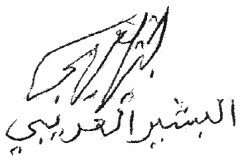

الأستاذ البشير العريبي

– عضو المجلس الإسلامي الأعلى ومقرّر المجلس.

– رئيس تحرير مجلة الهداية.

– تخرج بشهادة التحصيل في العلوم سنة 1947 وشهادة العالمية وفاز بمناظرة التدريس للعلوم الشرعية والعربية باستحسان، شهادات ثلاثة بإمضاء مشيخة الجامع الأعظم الزيتونة وفروعه.

– باشر مدرسا رسميا لمواد التعليم الزيتوني.

– اختارته المشيخة ليكون مديرا للفرع الزيتوني حمودة باشا بتونس.

– أستاذ أوّل، باختيار، لتدريس علوم التربية والفلسفة الإسلامية بالمعهد الصادقي.

– متفقد مرشد لأساتذة التربية و الفلسفة الإسلامية.

– عضو بارز في ميدان تأليف الكتب المدرسية ومنها كتاب الإجتهاد والتجديد.

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه

كلمة الدكتور **سعيد بن جمعة الفلاّح**

- أستاذ التفسير وعلوم القرآن
- مدير المعهد الأعلى للشريعة بجامعة الزيتونة
- وعضو المجلس الإسلامي الأعلى بتونس سابقا
- عضو هيئة التدريس بقسم القرآن بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية.

أمّا بعد، فبفضل من الله جلّ وعلا، وبعون وتيسير منه، تيسّر لي الإطلاع على تفسير مختصر وميسّر للربع الرابع من القرآن الكريم، ألفه الشيخ الفاضل والأستاذ الجليل يونس بن علي بن شعبان – دام بمشيئة الله حفظه – حرصا منه على خدمة كتاب الله وتلبية لرغبة محبّيه وطلابه، وَسَمَه بـ: تفسير التسهيل لبيان آيات من التنزيل فوجدته – والحمد لله – عظيم الفوائد كثير المنافع بما تميّز به من سهولة البيان، ووضوح العبارة في بلوغ القصد والمبتغى في إبراز العبر واستخلاص الفوائد، في اختصار غير مخلّ، وفي بسط – في بعض مواطنه – غير ممل، يغني قارئه المبتدئ عن متاهات المطوّلات، ويذكر المتمكن بأصول المسائل والمعلومات.

أسأل الله العليّ القدير– الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا – أن يجزل لمؤلفه الثواب، ويجعله له صدقة جارية مشرّعة الأبواب في خدمة وفهم الكتاب، إنه كريم وهّاب، وأن ينعم عليه بطول العمر ودوام الصحة

والعافية، ويعينه على إتمام تفسير كل القرآن، إنّه سبحانه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحرير شاكر ربّه الفقير إليه:
د / سعيد بن جمعة الفلاح

بسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين

الشيخ الأستاذ يونس بن علي بن شعبان:

– ولد بصدغيان بجزيرة جربة سنة 1927. تعلم بكتاب القرية وبالمدرسة فنال شهادة الدّراسة الإبتدائية ثم التحق بمعهد الزيتونة المعمور، بامتحان، بإشراف لجنة عيّنتها مشيخة الجامع الأعظم.

– وفي السنة الرابعة من التعليم الزيتوني نال شهادة الأهلية سنة 1946.

– وفي السنة السابعة نال شهادة التحصيل في العلوم سنة 1949.

– فاز في مناظرة للإلتحاق بمعهد المعلمين بتونس في سبتمبر 1949 وتخرّج منها بشهادة الكفاءة البيداغوجية الشاملة بتقديم بحث اختار المعهد عنوانه (مذهب إخوان الصفا وخلان الوفا)

– باشر التعليم الإبتدائي إلى أن ارتقى أستاذا مساعدا للإرشاد والتطبيق بالمعهد الصادقي سنة 1962.

– ولما تكوّنت الكليّة الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، التحق بها طالبا سنة 1962 وتخرّج منها بالإجازة في أصول الدين في جوان 1967.

– وفي أكتوبر 1967 اختير أستاذا مجازا رسميا بالمعهد الثانوي بباردو، وفي السنة المدرسية 1985 ارتقى أستاذا أوّل باختيار مرشدا لأساتذة التعليم الثانوي بتونس العاصمة والولايات الشمالية.

– مدير رابطة الجمعيات القرآنية التونسية سابقا.

الفهرس

المقدمة 5
الفاتحة 10
يس 14
الصّافات 30
ص 53
الزّمر 68
غافر 93
فصلت 118
الشورى 136
الزخرف 157
الدخان 175
الجاثية 185
الأحقاف 195
محمد 209
الفتح 222
الحجرات 236
ق 246
الذاريات 257
الطور 267
النجم 276
القمر 288
الرحمان 298
الواقعة 308

الحديد 320
المجادلة 335
الحشر 350
الممتحنة 365
الصّف 377
الجمعة 384
المنافقون 391
التغابن 399
الطلاق 407
التحريم 416
الملك 425
القلم 436
الحاقة 448
المعارج 456
نوح 464
الجن 472
المزمل 479
المدثر 487
القيامة 496
الإنسان 502
المرسلات 510
النبأ 516
النازعات 523
عبس 529
التكوير 534
الإنفطار 539

المطففين 542
الإنشقاق 549
البروج 553
الطارق 557
الأعلى 560
الغاشية 564
الفجر 568
البلد 573
الشمس 577
الليل 580
الضحى 583
الشرح 586
التين 588
العلق 591
القدر 595
البينة 597
الزلزلة 601
العاديات 603
القارعة 605
التكاثر 607
العصر 609
الهمزة 611
الفيل 613
قريش 615
الماعون 617
الكوثر 619

الكافرون 620
النصر 622
المسد 624
الإخلاص 626
الفلق 628
الناس 630
الخاتمة 633
أدعية من القرآن الكريم 634
دعاء ختم القرآن 640
أنوار من الهدي النبوي 644
كلمة للأستاذ البشير العريبي 655
التعريف بالأستاذ البشير العريبي 656
كلمة الدكتور سعيد بن جمعة الفلاّح 657
التعريف بالمؤلف 659